الصواعق المحرقة

في الرد على أهل البدع والزندقة

ويليه كتاب

تطهير الجنان واللسان

عن الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان

كلاهما تأليف

المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ

كتب مقدمته وعلق حواشيه وخرج أحاديثه وراجع أصوله

عبد الوهاب عبد اللطيف

العالمية من درجة أستاذ والمدرس في كلية الشريعة

مكتبة القاهرة

لصاحبها علي يوسف سليمان

ت ٥٩٠٥٩٠٩ — ص ب ٩٤٦ الأزهر

بالصنادقية ميدان الأزهر الشريف بمصر

الكتاب به ميل من الأصل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم النبيين ، وعلى أصحابه وأزواجه وآل بيته الطاهرين .

أما بعد : فهذان كتابان جليلان من تآليف المحدث أحمد بن حجر المكى الهيتمى . أولهما كتاب « الصواعق المحرقة ، فى الرد على أهل البدع والزندقة » ألفه لبيان حقية خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة رضى الله عنهم وذكر مناقبهم ، معتمدا فى ذلك على النقل الصحيح من الكتاب والسنة وعلى عقيدة سلف هذه الأمة ، وآراء الأئمة المجتهدين وعلماء الأمة ثم ذيله بذكر مناقب آل البيت النبوى ملخصا ذلك من كتب من سبقه من العلماء المعتدلين كالمحب الطبرى والحافظ السخاوى مع زيادات أضافها إلى كتابتهم وتحريرات ضمها إلى جمعهم . وهو بهذا الكتاب ، يرد على بعض الفرق الزائغة من الشيعة والروافض الذين ينتقصون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرمون بعضهم بالكفر وبعضهم بالفسق . أو يفضل بعضهم على بعض على غير ما ذهب اليه أهل الحق وانعقد عليه الاجماع ، مما يستلزم القول بعدم عدالة الصحابة وعدم قبول الرواية عنهم والاقتداء بهم ، مع انهم الطريق المتعين لنقل الوحى الظاهر والباطن . ولذا وجب البحث عن صحة هذا الطريق حتى تستند الشريعة الإسلامية فى ثبوت أحكامها إلى دليل صحيح معتمد يقوم به الاحتجاج وتثبت به الحجة .

وثانى الكتابين كتاب « تطهير الجنان واللسان ، عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان » ألفه فى ذكر فضائل سيدنا معاوية ابن أبى سفيان رضى الله عنه ، وذكر فيه حروبه وما شجر بينه وبين الصحابة ثم ذكر شبه الذين استباحوا سبه ولعنه من فرق الشيعة والخوارج واستلزم ذلك أن يذكر وجهة سيدنا على رضى الله عنه فى حروبه مع طلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين ووجهة ، حروبه مع الخوارج . وأثبت ان من قاتل عليا من هؤلاء ـ ماعدا الخوارج ـ فهو مخطىء مثاب لأنه مجتهد متأول تأويلا محتملا ، وأما الخوارج فلم يكن ما وقع منهم مستندا إلى اجتهاد فى مصلحة أو دليل وليس لهم على ما أسرفوا فيه تأويل .

وهو يرد بهذا الكتاب على فرق من الشيعة والروافض أيضا وعلى الغلاة من الفرق

الأخرى ، وموضوع هذا الكتاب وبحوثه من مكملات موضوع الكتاب الاول وبحوثه إذ به يتم البحث فى موضوع الامامة والبحث فى عدالة جميع الصحابة ممن رأى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام . والمؤلف ينهج فى كتابيه منهج أهل السنة وجماعة المسلمين الذين يعتد بهم وينعقد بهم الإجماع والاتفاق ، وهم الفرقة الناجية ـ وأدلته على هذا الموضوع أدلة قويمة وأخباره التى يرويها سليمة وقضاياه المعقوله مقبولة ؛ وله فى بحثه هذا إنصاف وورع ، تتبدد به ظلمات الجهل والعصبية ، وتتهشم بل وتتلاشى بصواعقه أصنام الزيغ والجاهلية . وتطهر به القلوب من رجس العقيدة . وتستنير بأنوار مشكاة النبوة مع وضوح البرهان وقوة البيان .

بيد أن المؤلف رحمه الله تعالى ساق فى الكتابين بعض الروايات التى لا تثبت بمثلها المطالب ولا تستقل بطريقها الحجية ، وأنما ذكرها لمجرد الاستئناس بها ولتأكيدها ماساق البرهان عليه واثبته قبل ذلك بالدليل الصحيح والخبر المقبول . وهو بهذا الطريق ينهج منهج المحدثين فى ذكر الشواهد والمتابعات ليصير القوى بها أقوى والضعيف قويا كما لا يخفى على من مارس الصناعة الحديثية خصوصا فى باب المناقب والفضائل . ولما صح العزم من صاحب مكتبة القاهرة بالأزهر الشريف على أعادة طبع الكتابين عهد الى بالتعليق عليهما وتخريج أحاديثهما ومراجعة أصولها فقبلت ذلك خدمة للعلم وتقربا إلى رسول الله وآل بيته وأصحابه رضى الله عنهم أجمعين وأفنانا فى محبتهم ووفقنا لمتابعتهم بالإحسان إلى ان نلقى رب العالمين ، ورأيت ان اكتب مقدمة للكتابين تيسر للقارىء والباحث الوقوف على مطالبهما ببصيرة كاملة وقلب متيقظ وفهم سليم ، وتوخيت فيها نزاهة الحكم وملازمة الانصاف عند دقة الخلاف . وفى العزم ان شاء الله ان أقوم بتخريج الاحاديث والتعليق على الكتابين بما ينفع المطالع ويقرب الفهم على الطالب ، وأسأل الله تعالى ان يمدنى بالعون والتوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل .

أما مطالب المقدمة فهى فى بيان جمل من التعريف ببعض الفرق الإسلاميه وفى تاريخها وذكر منشأ تف[illegible]ا وأسبابه وما تختص به من العقيدة خصوصا ماكانت على عقد يرد عليه أحد الكتابين ليقع الرد على معلوم والحكم على معروف . مع بيان الحق وتمييزه عن الباطل ثم أذكر خلاصة القول فى عدالة جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مستعينا فى ذلك بالمصادر العلمية السليمة المعتدلة . وبأفكار الأئمة المجتهدين الأمناء والمتيقظين من أصحاب القسطاس المستقيم والرأى السليم ،

ثم اذكر بعد ذلك ترجمة للمؤلف اكتب فيها عن وطنه وتعلمه وتعليمه ورحلته وشيوخه فى العلم والرواية . واكتب عن مؤلفاته التى كانت بحرا زخارا ومددا فياضا للعلماء والطلاب وانتشرت فى الخافقين وعم بها النفع فى سائر الأمصار

الفرق الإسلامية

والاختلاف بين الأمة المحمدية

الفرق الإسلامية :

كان المسلمون عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة [illegible] واحدة إلا من كان يبطن النفاق ويظهر الوفاق كما قال الآمدى وحكاه عنه السيد فى شرح المواقف للعضد قال ثم نشأ الخلاف فيما بينهم أولا فى أمور اجتهادية لا توجب إيمانا ولا كفرا . وكان غرضهم منها إقامة مراسم الدين وإدامة مناهج الشرع القويم . وذلك كاختلافهم عند قول النبي صلى الله عليه وسلم فى مرض موته إيتونى بقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى حتى قال عمر إن النبي قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله . وكثر اللغط فى ذلك حتى قال النبي قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع اه ومن هذا الخبر نعلم أن هذا النزاع إنما هو نزاع فى الامامة ومنصب الخلافة ولكن هذا النزاع لم يلبث أن انتهى بمبايعة سيدنا على لسيدنا أبى بكر على رؤس الأشهاد فاتحدت كلمة المسلمين فى عهد أبى بكر (١) ولم يكن هذا الخلاف أيضا على عهد عمر ولا على عهد عثمان إلا ما كان من خلاف على أمور نقموها منه فى النظم العامة وانتهى الأمر باستشهاده رضى الله عنه نتيجة لدس غير المسلمين فى المسلمين وكان قتله الفتن الكبرى والمحنة العظمى إذ تمكن الأعداء للدين من اذكاء نار الفتن بين المسلمين حتى اتسع الخلاف بين قاتليه وخاذليه وانسحب الحكم على سيدنا على فى خلافته ووقع بينه وبين أصحاب الجمل وبين معاوية وأهل صفين وما دار بين الحكمين ما أدى إلى الاختلاف ومكن للتفرق بين من شايع عليا ومن خرج عليه لأنه رضى بالتحكيم . فوجدت الفرقتان الشيعة والخوارج ، غير أن من شايع عليا على عهد خلافته من المهاجرين والأنصار كانوا مخلصين فلم يكن لهم دافع إلا الاجتهاد لمصلحة المسلمين . ولم يكن أحد منهم ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله وكان مع على فى حرب صفين من أصحاب بيعة الرضوان ثمانمائة صحابى استشهد منهم تحت رايته ثلاثمائة(٢) . وكان بجانب هؤلاء من الصحابة من يحب عليا ولكنه لم يقاتل معه تورعا كابن عمر رضى الله عنه بل وكان ممن يحب عليا من قاتله يوم الجمل مثل طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهم فان قتالهم لم يكن مقصودا بل كان نتيجة المكر من قتلة عثمان الذين كانوا فى عسكر على خوفا من أن يسلمهم على لأولياء عثمان فاوقعوا بين الفريقين(٣) وكان ظهور لقب (الشيعة) فى سنة

---

(١) اللوائح القدسية للسفارينى المتوفى سنة ١١٨٨

(٢) من مختصر التحفة الاثنى عشرية للألوسي (٣) من الكامل لابن الأثير

٣٧ ﻫ كما ذكره عبد العزيز الدهلوى غير أن التشيع اتسع أمره بين هذه الفرقة المخلصة بعد عامين أو ثلاثة فظهر القول بتفضيل على على الشيخين وعلى سائر الصحابة ولكن من غير بغض لأحد من الصحابة أيضا وذكروا أنه كان على هذه العقيدة أبو الاسود الدؤلى والحافظ عبد الرزاق صاحب المصنف وكان قد وصل إلى أسماع على قول هؤلاء. فقال رضى الله عنه « لئن سمعت أحدا يفضلنى على الشيخين رضى الله عنهما لاحدنه حد الفرية » ثم اتسع الامر أيضا فى خلافة على فظهر فى عهده فرقة السبئية الذين يسبون أصحاب رسول الله إلا قليلا وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرءون منهم ولذا سموا أيضا « بالتبرئية » وقد تبرأ منهم الإمام على ، وكان يتزعم هؤلاء عبد الله بن سبأ اليهودى الذى أظهر الإسلام خداعا للمسلمين ودعا إلى الغلو فى على لاجل تفريق هذه الامة كما فعل أمثاله من النصرانية قديما وحديثا بسبب ما كان من العداوة والقتال بين قومه وبين النبى صلى الله عليه وسلم واجلاء عمر من بقى منهم فى أرض الحجاز وأعان ابن سبأ على بدعته آخرون من أهـــل ملته ومن زعماء النصارى والوثنيين والصائبة . ومن ذلك الوقت لم يكن لقب الشيعة شعارا على حب آل البيت وعقيدة السنة فكرهه الشيعة المخلصون ثم أخذ الامر يتزايد فظهر من هؤلاء جماعة قالوا بألوهية سيدنا على وعلم بهم وقاتلهم واتسع الامر بعد سيدنا على حتى انقسمت فرقة الشيعة إلى أربع وعشرين فرقة كما فى مختصر التحفة وذكر العضد(١) انهم اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وهم أصول ثلاث فرق غلاة وزيدية وأمامية ثم ذكر للغلاة منهم ثمانية عشرة فرقة وللزيدية ثلاثا ثم ذكر عن الامامية أنهم يكفرون الصحابة وذكر عن الخوارج أنهم يكفرون عليا ومعه اثنا عشر ألف صحابى ممن رضى بالتحكيم وأنهم لا يوجبون نصب إمام ويكفرون عثمان أيضا وأكثر الصحابة ومرتكب الكبيرة ومنهم الاباضية، وذكر لهم سبع فرق وعلى ماذكره العضد فالزيدية والامامية من المعتدلين لا الغالين ، والامامية الاثنا عشرية يلقبون أيضا بالجعفرية وهم منقسمون إلى أصوليين لا يقبلون من الاخبار إلا ما وافق أصول أئمتهم وإلى أخباريين يقبلون الاخبار ولو خالفت المعقول. والزيدية الذين تابعوا زيد بن على بن الحسين على عقيدته من عدم البراءة من الشيخين هم المعتدلون أما من انتسب إلى زيد وتبرأ من الشيخين فهم من الرافضة الغلاة .

وقد ذكر أبو المظفر الاسفراينى المتوفى سنة ٤٧١ (٢) من فرق الشيعة عشرين فرقة منهم من الامامية خمس عشرة فرقة يكفرون الصحابة ويقولون بتغيير القرآن بالزيادة والنقص ولا يعتمدون على أخبار أهل السنة . وذكر للخوارج عشرين فرقة وكلهم يكفرون عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضى بالتحكيم وهم يجوزون الخروج على الإمام الجائر وحكم

---

(١) المواقف (٢) التبصير فى الدين

بكفرهم وذكر الأباضية منهم وإنهم يكفرون من سواهم بمعنى أنه ليس بمشرك ولا مؤمن فيستباح دمه سرا ولكن تجوز مناكحته وتقبل شهادته وذكر عبد القاهر البغدادى(١) أن الأباضية لايكفرون أصحاب التحكيم شركا ولكن كفران نعمة وأن النظام فسقهم وقال ابن حجر العسقلانى(٢) أن التشيع هو محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبى بكر وعمر فهو غال ويطلق عليه رافضى وإلافشيعى . وقال أيضا(٣) والغالى فى زماننا وعرفنا هو الذى يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضا فهذا ضال مفتر . وذكر ابن عقيل العلوى(٤) أن من الرافضة زيد بن أرقم والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وأبا ذر وخبابا وجابر ابن عبد الله وأبا سعيد الخدرى وسهل بن حنيف وأبا الطفيل عامر بن واثلة والعباس وبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وهذا قول من جملة الدعاوى التى لاتقوم على أساس فانهم لاينتقصون أحداً من الصحابة فضلا عن الشيخين كما ذكرنا .

لهذا التفريق والاختلاف الذى قطع أوصال الأمة وأذكى بينها نار الحروب المستعرة وأراق الدماء الطاهرة مما ذكره أبو الفرج الأصبهانى(٤) وغيره وهو مما تقشعر منه الأبدان وتتفتت له الأكباد ولهذا الغلو والإسراف انتصر كل فريق لفرقته فاستباح حرمات الله والخروج على أحكام الله فاتسعت المحنة وعمت البلوى نسأل الله أن يجمع الشتات ويربط القلوب إنه على مايشاء قدير .

***

منشأ التفرق :

ترجع أسباب الاختلاف بين الفرق إلى اختلاف وجهات النظر فى أصول بينهم كما قال البغدادى (٥) وذلك لاختلافهم فيمن يستحق الإمامة وهل تستحق بالوراثة ومن الوارث . قال البغدادى فكل من قال بخلافة أبى بكر لم يقل إنها موروثة واختلف فى ذلك من قال بخلافة على فالأمامية يورثونها مطلقا والزيدية يورثونها فى البطنين فقط (أبنى على) - وذكر نشوان الحميرى(٦) المتوفى سنة ٥٧٣ أن الأمامة تستحق بالشورى عند المعتزلة والمرجئة والخوارج والبترية من الزيدية ولا يستحقها إلا قرشى عند الشيعة . ويستحقها الأعجمى عند ضرار ويستحقها عند الراوندية بعد النبى عليه السلام عمه العباس والشيعة أكثرهم لايقولون بامامة المفضول وكذلك أكثر المرجئة والجاحظ من المعتزلة وإنما تكون للأفضل من القرشيين

---

(١) أصول الدين . (٢) مقدمة فتح البارى . (٣) لسان الميزان .
(٤) العتب الجميل . (٤) مقاتل الطالبيين . (٥) أصول الدين .
(٦) الحور العين .

إلا النظام فانه يجعلها فى الأفضل ولو غير قرشى، والجعفرية لايجعلونها إلا فى أبناء الحسين. قال القوشجى(١) اختلفوا فى أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة هل يجب أم لا وعلى تقدير وجوبه؟ على الله أم علينا عقلا أم سمعا. فذهب أهل السنة إلى أنه واجب علينا سمعا وقالت المعتزلة والزيدية بل عقلا. وذهبت الإمامية إلى أنه واجب على الله عقلا واختاره المصنف (الطوسى) وذهبت الخوارج إلى أنه غير واجب مطلقا. وذهب أبو بكر الأصم من المعتزلة إلى أنه لايجب مع الامن لعدم الحاجة إليه وإنما يجب عند الخوف وظهور الفتن وذكر الفخر الرازى(٢) أن ممن أوجبه عقلا الجاحظ وأبو الحسين الخياط وأبو القاسم الكعبى وأبو الحسين البصرى.

ولما تقدم ذكره من غاية العصبية والإسراف فى الغلو ألف جماعة من العلماء فى كل عصر من العصور كتبا فى الامامة والوصية من الشيعة والمعتزلة انتصارا لمذهبهم مثل هشام بن الحكم والحكم بن مسكين والحسين بن سعيد وعلى بن المغيرة، ومحمد بن سعيد بن هلال وأحمد بن محمد البرقى وعلى بن مسعود المسعودى صاحب مروج الذهب ومحمد بن الحسن الطوسى. وألف ابن المطهر الحلى المتوفى سنة ٧٢٦ والمعاصر لابن تيمية كتاب منهاج الكرامة وكان تلميذا لنصير الدين الطوسى فنقضه ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة ويسمى أيضا منهاج الاعتدال واختصره الذهبى فى كتابه (مختصر منهاج الاعتدال) وردعلى منهاج السنة محمد مهدى الكاظمى القزوينى فى كتاب يسمى منهاج الشريعة يقع فى جزءين وذكر أبو جعفر الطوسى فى الفهرست وابن نوبخت وابن النديم وغيرهم كثيرا من هذه المؤلفات(٣).

تعديل الصحابة

وحكم من انتقص معاوية

تعديل الصحابة:

لم تجب العصمة من الذنوب لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجب عند أهل السنة إلا للأنبياء ولكن الشيعة يوجبونها لأئمتهم. وأصحاب رسول الله جيل من الناس اختارهم الله حراسا لشريعته ومناصرة نبيه وأمناء على سنته وجعل فى قلوبهم الإخلاص وقوة الإيمان وشرح صدورهم للإسلام فتفانوا فى العمل بالدين ونشره وحفظ أحكامه وباعوا أنفسهم لله وجاهدوا لأعلاء كلمته تحت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحوا بأرواحهم وأموالهم وأولادهم وعشيرتهم وأوطانهم فقاتلوا وقتلوا وأنفقوا وهاجروا، لما وقع فى

(١) شرح التجريد للطوسى. (٢) كتاب الأربعين فى أصول الدين.
(٣) الشيعة وفنون الإسلام.

قلوبهم من نور اليقين الذى كان يشع من مشكاة نور النبوة وهو فى نفوسهم يزداد كل يوم بما يقع بين أعينهم من خرق العوائد والمعجزات من الرسول الكريم الذى أحبه كل منهم أكثر من نفسه التى بين جنبيه فتابعه وانقاد لأمره حتى إذا غلبت أحدهم بشريته أو مسه طائف من الشيطان تذكر ربه واسرع إلى الندم والتوبة لله (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) ثم رجع إلى صدقه والخوف فى نفسه والخشية ملء جوانحه فاستحق بذلك أصحاب رسول الله من الله الثناء عليهم والتجاوز عما فرط منهم واستحقوا من الرسول أن يعظمهم وينادى باجلالهم واستحقوا من الأمة المحبة والترضية عنهم فنزل الوحى من الله بأنه رضى عنهم ووعدهم بالجنة وبشرهم الرسول بها وأخبر أنهم أمنة أمته ونجومها الذين يقتدى بهم سواء منهم من لابس الفتن أو حفظ منها، وسواء منهم من وقع منه ذنب أولا، فان كمال إيمانهم وحسن سريرتهم وحبهم لمتابعة نبيهم وتضحيتهم النفس والنفيس كل ذلك يرفع منازلهم إلى درجات لا تؤثر فيها السيئات فان كثير الحسنات مكفر لصغيرها .خصوصاً من وقع منه شىء باجتهاد وحسن نية فانما الأعمال بالنيات ولو كان أخطأ الطريق فهو مثاب على قصده ومن هؤلاء ساداتنا معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب والوليد بن عقبة ممن كان مع معاوية أو رضى بالتحكيم وأنهم جميعاً أهل للاقتداء بهم وأهل للرواية تقبل أخبارهم فى أعلا درجات القبول وتوزن أعمالهم بميزان الورع والإحسان وعلى هذه العقيدة المحدثون من الأمة وفى مقدمتهم الشيخان البخارى ومسلم وجمهور علماء الاصول والمتكلمين والفقهاء فقد روى أصحاب الكتب الستة من أحاديث الأحكام لسيدنا معاوية بن أبى سفيان ثلاثين حديثا ذكرها ابن الوزير (١) وغيره . والشيعة هداهم الله يعلمون أن الأوائل منهم كانوا يعملون برواية أصحابهم من غير تفسيق لأحد منهم حتى إنهم لم يتكلموا فى علم الجرح والتعديل ولم يميزوا بين رجال الأسانيد حتى صنف منهم الكشى فى حدود سنة ٤٠٠ كتابا فى أسماء الرجال والرواة ثم تبعه الغضائرى فألف فى الضعفاء وألف النجاشى وأبو جعفر الطوسى فى الجرح والتعديل . وجميع فرق الشيعة يدعون أنهم يأخذون علومهم من أهل البيت ومع ذلك يكذب بعضهم بعضا ويضلله وهذا دليل كذب أخبارهم وتناقضها . فالجارودية لايصححون بيعة الحسن لمعاوية والبترية من الزيدية يتوقفون فى أمر سيدنا عثمان بعد ما حدث فى خلافته من الاحداث ويصححون خلافته ست سنوات والسليمانية يكفرونه ويخرجونه من العصمة والكاملية من الامامية تكفر عليا لقعوده عن قتال أبى بكر وعمر وطائفة من الامامية تجوز للأمام الكذب للتقية وهو عند غيرهم يصير كذاباً مجروحا كما ذكر ذلك عنهم . وهم كذلك ينقلون عن أئمتهم بواسطة أبان بن تغلب

---

(١) الروض الباسم .

وبيان بن سمعان الجزرى ومحمد بن زياد الأزدى وإبراهيم بن مسلم الطحان وزرارة بن أعين وغيرهم من أهل الأهواء والوضاعين ممن ذكرهم بهاء الدين العاملى(١) ودافع عنهم بغير إنصاف . وكان لخلط هؤلاء فى كتبهم ومزجها بمذاهب المعتزلة الأثر البعيد فى انتشار الإلحاد والاباحة . ثم هم بعد ذلك يحكون بفسق سيدنا معاوية ويجوزون لعنه ويؤلفون المؤلفات فى ذلك وبين أيدينا من تلك الكتب كتاب النصائح الكافية لمن تولى معاوية وتقوية الإيمان برد تزكية معاوية بن أبى سفيان والعتب الجميل على أهل الجرح والتعديل وفصل الحاكم فى النزاع والتخاصم بين بنى أمية وبنى هاشم وجميعها لمحمد بن عقيل العلوى الحسينى وفيها من الجور والشطط والتعسف والبهت ما تقشعر له الجلود وقد فاق فى غلوه من كتب فى هذا الباب من الامامية كابن المامقانى ومن سبقه كالنجاشى والطوسى فان مافى هذه المؤلفات من الطعن فى كثير من الصحابة والأئمة ونسبتهم إلى الكبائر والخسيسات ليس له أصل إلا الغلو والعصبية الممقوتة والمروق من الدين وهى أشبه بما ألفه ابن الكلبى فى مثالب الصحابة(٢) ولقد ألف بعضهم كتابا كاملا فى جرح سيدنا أبى هريرة حافظ الصحابة وكله شبه واهية وروايات موضوعة دفع هؤلاء إلى ذلك الكذب واستباحة الوضع حماية العصبية وهى التى حرمتهم من الانتفاع بأخبار السنة الصحيحة لأنها من روايات أهل السنة وشذ بهم مذهبهم بعيدا إلى أن قالوا بان القرآن قد اعتراه التغيير بالزيادة والنقصان وشابهوا بذلك اليهود والنصارى كما حكاه عنهم الاسفراينى(٣) وذكره العلامة موسى جار الله ورده عليهم(٤) ولكن والحمد لله قد استبان لمن تحرر من تلك العصبية أن الأدلة صريحة من الكتاب وثابتة من السنة وأجمع علماء المسلمين على دلالتها وأيدها عقل العاقلين وأنصاف المنصفين من المحققين بعدالة جميع الصحابة وأنهم جميعا هم المخاطبون بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) إلى كثير من الآيات وأنهم المقول فيهم خبرا من رسول الله وشهادة منه (خير القرون قرنى) وأنه أوصى بهم وأمر بالكف عن مطاعنهم فيما رواه أحمد والطيالسى والترمذى (أوصيكم بأصحابى) قال العلامة البيضاوى(٥) فى شأنهم : وما نقل من المطاعن فله محامل وتأويلات ومع ذلك فلا تعادل ماورد فى مناقبهم وحكى عن آثارهم نفعنا الله بمحبتهم أجمعين انتهى وقال أبو زرعة العراقى شيخ مسلم (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق وما

---

(١) مشرق الشمسين واكسير السعادتين والرسالة الوجيزة (٢) ابن الخياط فى الانتصار
(٣) التبصير فى الدين (٤) الوشيعة فى نقد علماء الشيعة .
(٥) طوالع الأنوار .

أدى إلينا ذلك كله إلا الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به أليق والحكم عليه بالزندقة والضلال أقوم وأحق) - وقال السعد التفتازانى(١) (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان ومن شهد بدرا وأحدا والحديبية فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع وشهدت بذلك الآيات الصراح والأخبار الصحاح وتفاصيلها فى كتب الحديث والسير والمناقب ولقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بتعظيمهم وكف اللسان عن الطعن فيهم حيث قال : أكرموا أصحابى فانهم خياركم . وقال : لاتسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم والروافض سيما الغلاة منهم مبالغات فى بغض البعض من الصحابة رضى الله عنهم والطعن فيهم بناء على حكايات وافتراءات لم تكن فى القرن الثانى والثالث وإياك والاصغاء إليها فانها تضل الاحداث وتحير الاوساط وإن كانت لاتؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم وكفاك شاهدا على ماذكرنا بأنها لم تكن فى القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة والمهديين من خلفاء الدين مشهور وفى خطبهم ورسائلهم وإشعارهم ومدائحهم مذكور والله الهادى اهـ.

وقال السفارينى(٣) : أن توقف على عن طلب الثأر لعثمان اما لعدم العلم بالقاتل وإما خشية تزايد الفساد وأن طلحة والزبير ومعاوية ومن معهم اجتهدوا وقلدهم آخرون فى محاربة على فهم متأولون وان تلك الحروب كان سببها اشتباه وجه الحق ولهذا اتفق أهل الحق ممن يعتد به فى الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وثبوت عدالتهم انتهى وذكر مثل ذلك الائمة كالطحاوى فى عقيدته والكمال فى المسايرة والزبيدى فى شرح الإحياء وابن العربى فى عواصمه وابن الاثير فى كامله والزرقانى فى شرحه على المواهب والشهاب الالوسى فى الاجوبة العراقية وغيرهم كثير .

وقد ذكر العلماء حكم من انتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سب آل بيته أو أزواجه : فقال القاضى عياض (٤) (وقد اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك فى ذلك الاجتهاد والادب الموجع وروى عنه قتل من قال بضلال أحد منهم . وقال

---

(١) شرح المقاصد .
(٢) النصيف كأمير مكيال دون المد أو هو النصف كالعشير فى العشر كما فى مجمع بحار الانوار
(٣) لوائح الانوار القدسية .
(٤) الشفا .

القاضي أبو يعلى من قذف عائشة بما برأها الله تعالى منه كفر بلا خلاف وحكى الإجماع على هذا غير واحد) والمسألة مبسوطة فى كتاب الاعلام بقواطع الإسلام العلامة المؤلف وفى تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الانام أو أحد من أصحابه الكرام عليهم السلام للمحقق ابن عابدين الحنفى المتوفى سنه ١٢١٨ وفى جميع كتب الفروع عند جميع المذاهب وفى كتب المتكلمين وغيرها .

هذا ماذكره العلماء والمحققون من المتكلمين والفقهاء والمحدثين غير أن ماذكرناه وحكيناه عن أصحاب الملل والنحل عن الشيعة الأمامية والزيدية من أنهم يكفرون أهل السنة لانجده عقيدة عن الامامية والزيدية المتأخرين منهم والمعاصرين . فقد ذكر عالم الشيعة الامامية محمد آل كاشف الغطا(١) مانقل عن أبي عبد الله الصادق فى خبر سفيان بن السمط (الإسلام هو الظاهر الذى عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام رمضان) الحديث . وهو استدلال على أن أهل السنة مؤمنون وكذلك مانقل عن أبي جعفر الباقر فى صحيح حمران بن أعين من جملة حديث (والإسلام ماظهر من قول أو فعل وهو الذى عليه جماعة المسلمين من الناس من الفرق كلها وبه حقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج فخرجوا بذلك عن الكفر وأضيفوا إلى الإيمان) .

وذكر المؤيد بالله يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ أن الزيدية لاتكفر الصحابة ولا تفسقهم لأن الأدلة والإجماع لم ينعقد على ذلك فهو من غير بينة بل هم مخطئون فى النظر(٢) وعلى هذا فليس الخلاف الآن بين أهل السنة وبين الأمامية والزيدية مما يبعد هوة الخلاف أو يوجد البغضاء والفرقة بين المسلمين وهم قلة بين المسيحين واليهود واللادينيين وأعداؤهم أقوياء ألداء فالمسلمون فى حاجة إلى محبة تشملهم وجامعة تجمعهم أصلح الله ذات البين وأزال الغين عن العين .

المحدث بن حجر الهيتمى :

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمى المكى السعدى(٣) الأنصارى الشافعى المحدث الفقيه الصوفى ينسب إلى محلة أبي الهيتم من مديرية الغربية بمصر ويقال النسبة إليها بالثاء المثلثة وقال الأمير فى فهرسته بالمثناة الفوقية نسبة إلى الهياتم من قرى مصر .

---

(١) الفصول المهمة (٢) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين

(٣) نسبة لبنى سعد كما فى النور السافر .

ولد رحمه الله تعالى ببلدته المذكورة سنة ٨٩٩ هـ ومات أبوه وهو صغير فكفله الأمامان الكاملان شمس الدين بن أبي الحمائل وشمس الدين الشناوي ثم نقله الشمس الشناوي من محلة أبي الهيتم إلى مقام سيدي أحمد البدوي بطنطا فقرأ هناك في مبادىء العلوم وحفظ القرآن ثم نقله في سنة ٩٢٤ إلى كعبة العلوم الجامع الازهر فأخذ عن علماء مصر وقتئذ .

شيوخه في العلم والرواية :

أخذ العلم وروى عن أجلة العلماء منهم الشهاب الرملي والشمس اللقاني والشمس السمهودي والشمس المشهدي وعن الطبلاوي والشهاب بن النجار الحنبلي والشهاب بن الصائغ وروى عن القاضي زكريا والمعمر الزين عبد الحق السنباطي والامين الغمري تلميذ ابن حجر العسقلاني وروى عن السيوطي وأبي الحسين البكري ـ وله معجم وسط ومعجم صغير لمشايخه واجازاتهم له والكتب التي رواها عنهم والوسط موجود بدار الكتب المصرية ومن بين هذه الشموس ومن مدرسة هؤلاء الفحول تخرج ونضج العلامة ابن حجر في علوم كثيرة في الفقه والاصول والحديث والتفسير والكلام والتصوف والفرائض والنحو والصرف والمعاني والمنطق والحساب وساعده على التحصيل والإتقان موهبته في الحفظ فانه كان حافظا وكان من محفوظاته المنهاج الفرعي حتى أن نبوغه كان مبكرا فأذن له شيوخه في الإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين وكان رحمه الله متقللا من الدنيا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر شأن السلف الصالح قدم مكة حاجا سنة ٩٣٣ فحج وجاور بها ثم عاد الى مصر ثم حج ثانية بعياله سنة ٩٣٧ ثم انتقل الى مكة للإقامة بها سنة ٩٤٠ وكان فيها أماما للحرمين يدرس ويفتي ويؤلف وذكر الشوكاني(١) في سبب انتقاله الى مكة أنه كان اختصر الروض للمقرى وشرع في شرحه فأخذه بعض الحساد وفتته وأعدمه فعظم عليه الامر واشتد حزنه فانتقل بسبب ذلك الى مكة اهـ ومؤلفاته في مصر ومكة كثيرة نافعة محررة تدور على كتب الفقه منها فتاوى الشافعية في الحجاز واليمن ومصر وغيرها ـ وكان كعبة العلماء يقصدونه للاغتراف من بحره الزخار الصافي والاقتطاف من روضه الناضر ولقد صدق فيه قول الشهاب الخفاجي(٢) (أنه علامة الدهر خصوصا الحجاز . فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته . وتوجهت وجوه الطلب إلى قبلته . إن حدث عن الفقه والحديث . لم تقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث وقد ذكر الخفاجي ان له ابنا اسمه محمد وكنيته أبو الخير يروي عنه بعض اليمنيين والمحدث ابن حجر ترجمة في النور السافر للعيد روس وريحانة الألبا للخفاجي وشذرات الذهب لأبي الفلاح ابن العماد والبدر الطالع للشوكاني وتاج العروس لمرتضى الزبيدي وفهرس

---

(١) البدر الطالع . (٢) ريحانة الالباء .

الفهارس للكتاني وفى فهارس المحدثين ومشيختهم وأثباتهم ومعاجمهم . توفى رحمه الله فى رجب من سنة ٩٧٣ كما فى الشذرات والبدر الطالع وفى سنة ٩٧٤ كما فى المشرع الروى وتاج العروس للزبيدى وفى سنة ٩٦٤ كما فى فهرست الدمنتى الكبير وفى سنة ٩٩٥ عند المحبى (١) والصحيح إنه توفى سنة ٩٧٤ والقطع بأن تاريخ الدمنتى والمحبى لوفاته خطأ كما ذكره الكتانى (٢) واختاره .

وكانت وفاته بمكة ودفن بالمعلاة فى تربة الطبريين روح الله روحه وأفسح ضريحه وقدس سره وأنار رمسه وأدخله الجنة فى عليين مع الانبياء والشهداء والصديقين .

مؤلفاته :

له فى الفقه ـ شرح مختصر الروض ـ شرح مختصر أبى الحسن البكرى ـ تحفة المحتاج شرح المنهاج ـ فتح الجواد شرح الارشاد ـ الامداد شرح الارشاد وهو صغير ـ تحذير الثقات عن أكل القات ـ كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع ـ الإعلام بقواطع الإسلام ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر ـ در الغمامة فى الزر والطيلسان والعمامة والجوهر المنظم فى زيارة قبر النبى المعظم وله فى الحديث ـ شرح المشكاة ـ الفتاوى الحديثية . جزء فى ماورد فى المهدى ـ جزء فى العمامة النبوية ـ الاربعون حديثا فى العدل ـ الاربعون فى الجهاد ـ شرح الاربعين النووية ـ الايضاح شرح أحاديث النكاح ـ الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة وتطهير الجنان واللسان عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان وهما الكتابان اللذان نقوم بنشرهما اسأل الله المعونة على الإتمام ـ وله كتاب الخيرات الحسان فى مناقب أبى حنيفة النعمان والمولد النبوى . شرح الهمزيه ـ المنهج القويم فى مسائل التعليم على ألفية عبد الله بافضل ـ شرح على قطعة من ألفية ابن مالك (٣) وغير ذلك .

ومؤلفاته رضى الله عنه محررة وافيه بموضوعاتها سارت فى الامصار سير الشمس فى المدار

كتبه

عبد الوهاب عبد اللطيف
الاستاذ المساعد بهيئة التدريس
بكلية الشريعة بالازهر

تحريرا فى غرة جمادى الآخرة
من سنة ١٣٧٥

---

(١) فهرس الفهارس
(٢) خلاصة الاثر فى ترجمة عبد العزيز الزمزمى المكى .
(٣) الفوائد البهية للكنوى .

الصواعق المحرقة

في الرد على أهل البدع والزندقة

تأليف

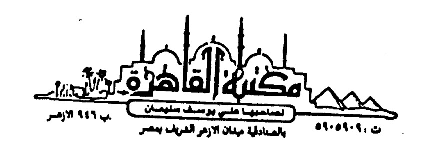
المحدث أحمد بن حجر الهيتمي المكي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ

كتب مقدمته وعلق حواشيه وخرج أحاديثه وراجع أصوله

عبد الوهاب عبد اللطيف

العالمية من درجة أستاذ والمدرس في كلية الشريعة



بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله) الذى اختص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأصحاب كالنجوم ، وأوجب على الكافة تعظيمهم واعتقاد حقية ما كانوا عليه لما منحوه من حقائق المعارف والعلوم (وأشهد) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أندرج بها فى سلكهم المنظوم (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى حباه بسره المكتوم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما دائمين بدوام الحى القيوم (أما بعد) فانى سئلت قديما فى تأليف كتاب يبين حقية خلافة الصديق وإمارة ابن الخطاب فأجبت إلى ذلك مسارعة فى خدمة هذا الجناب فجاء بحمد الله أنموذجا لطيفا ، ومنهاجا شريفا ، ومسلكا منيفا ؛ ثم سئلت فى إقرائه فى رمضان سنة خمسين وتسعمائة بالمسجد الحرام لكثرة الشيعة والرافضة ونحوهما الآن بمكة المشرفة أشرف بلاد الإسلام فأجبت إلى ذلك رجاء لهداية بعض من زل به قدمه عن أوضح المسالك ثم سنح لى أن أزيد عليه أضعاف ما فيه وأبين حقية خلافة الأئمة الاربعة وفضائلهم وما يتبع ذلك مما يليق بقوادمه وخوافيه ، فجاء كتاباً فى فنه حافلا . ومطلبا فى حلل الرصانة والتحقيق رافلا ، ومهندا قاصما لحجج المبطلين وأعناق شرار المبتدعة الضالين لما اشتمل عليه من البراهين العقلية والأدلة الواضحة المنقحة النقلية التى يعقلها العالمون ولا ينكرها إلا الذين هم بآيات الله يجحدون ، نعوذ بالله من أحوالهم ونسأله السلامة من قبائح أقوالهم وأفعالهم أنه الجواد الكريم الرؤف الرحيم (ورتبته) على مقدمات وعشرة أبواب وخاتمة

(المقدمة الأولى) اعلم أن الحامل الداعى لى على التأليف فى ذلك وإن كنت قاصرا عن حقائق ماهنالك ، ما أخرجه الخطيب البغدادى فى الجامع (١) وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال إذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسب أصحابى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عــدلا (٢) وما أخرجه الحاكم (٣) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ماظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه. وأخرج أبو نعيم (٤) أهل البدع

---

(١) هو كتاب (الجامع بين أداب الراوى والسامع) .
(٢) وآخرج نحوه ابن عساكر عن معاذ كما فى زيادات الجامع الصغير . (٣) فى تاريخه
(٤) فى الحلية عن أنس مرفوعا وقال تفرد به المعافى عن الأوزاعى بهذا اللفظ وروى عيسى بن يونس عن الأوزاعي نحوه : ذكره فى ترجمة المعافى أبى مسعود الموصلى .

شر الخلق والخليقة قيل هما(١) مترادفان وقيل المراد بالأول البهائم وبالثانى الناس (وأبو حاتم) الخزاعى فى جزئه (٢) أصحاب البدع كلاب النار (والرافعى) عملٌ قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة (٣) (والطبرانى) من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام (٠) (والبيهق) وابن أبى عاصم فى السنة . أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته (٥) (والخطيب) والديلمى إذا مات صاحب بدعة فقد فتح فى الإسلام فتح (٦) والطبرانى والبيهق والضياء . إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة (٧) (والطبرانى) أن الإسلام يشيع ثم يكون له فترة فمن كانت فترته إلى غلو بدعة فأولئك أهل النار (والبيهق) لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين (٨) (وستتلو) عليك ما تعلم منه علما قطعيا أن الرافضة والشيعة ونحوهما من أكابر أهل البدعة فيتناولهم هذا الوعيد الذى فى هذه الأحاديث على أنه ورد فيهم أحاديث بخصوصهم (وأخرج) المحاملى والطبرانى والحاكم عن عويمر بن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الله اختارنى واختار لى أصحابا فجعل لى منهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا (والخطيب) عن أنس ان الله اختارنى واختار لى أصحابا واختارلى منهم أصهارا وأنصارا فمن حفظنى فيهم حفظه الله ومن آذانى فيهم آذاه الله (٩) (والعقيلى) (١٠) فى الضعفاء عن أنس إن الله اختارنى واختار لى أصحابا وأصهارا وسيأتى قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم (والبغوى) والطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة وابن عساكر عن عياض الأنصارى . احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأنصارى فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه (١١) (وأخرج) أبو ذر الهروى نحوه عن جابر والحسن بن على وابن عمر رضى الله عنهم (وأخرج) الذهبى عن ابن عباس مرفوعا . يكون فى آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم فانهم مشركون . وأخرجه أيضا عن إبراهيم

---

(١) الضمير للخلق والخليقة

(٢) عن أبى أمامة .

(٣) أخرجه الرافعى عن أبى هريرة والديلمى عن ابن مسعود .

(٤) عن عبد الله بن بسر .

(٥) عن ابن عباس وأخرجه ابن ماجه .

(٦) عن أنس .

(٧) عن أنس فى الأوسط وأخرجه ابن فيل .

(٨) وأخرجه ابن ماجه عن حذيفة .

(٩) فى تاريخ الخطيب فى ترجمة محمد بن بشير الدعا عن أنس وفى ترجمة الوليد بن الفضل العنزى بزيادة عن رواية عقيل الاتية .

(١٠) ورواه البيهقى

(١١) والرواية أوشك بدل يوشك .

بن حسن بن حسين بن علي عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال على بن أبى طالب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فى أمتى فى آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون
الاسلام (وأخرج) الدار قطنى عن على عن النبى صلى الله علية وسلم قال سيأتى : من بعدى
قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فاقتلهم فانهم مشركون قال قلت يا رسول الله ما
العلامة فيهم قال يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف . وأخرجه عنه من طريق أخرى
نحوه وكذلك من طريق أخرى وزادعنه ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك
أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما (وأخرج) أيضا من طرق عن فاطمة الزهراء
وعن أم سلمة رضى الله عنهما نحوه قال : ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة (والطبرانى) عن
ابن عباس من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (والطبرانى) عن
على (١) من سب الأنبياء قتل ومن سب أصحابى جلد (والديلمى ، عن أنس إذا أراد الله برجل من
أمتى خيراً ألقى حب أصحابى فى قلبه (٢) (والترمذى) عن عبد الله بن معقل الله الله فى أصحابى
لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن
آذانى فقد آذى الله فبحبى أحبهم ومن آذى الله يوشك أن يأخذه (والخطيب) عن ابن عمر إذا
رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم (وابن عدى) عن عائشة ان شرار أمتى
أجرؤهم على أصحابى (وابن ماجه) عن عمر احفظونى فى أصحابى ثم الذين يلونهم الحديث (٣)
(والشيرازى) فى الألقاب عن أبى سعيد احفظونى فى أصحابى فمن حفظنى فيهم كان عليه من
الله حافظ ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه (والخطيب)
عن جابر والدار قطنى فى الافراد عن أبى هريرة إن الناس يكثرون وأصحابى يقلون فلا
تسبوا أصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله . والحاكم عن أبى سعيد أما إنه لا يدرك قوم بعدكم
صاعكم ولا مدكم (وابن عساكر) عن الحسن مرسلا ماشأنكم وشأن أصحابى ذروا لى أصحابى
فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل أحدهم يوما واحدا
(وأحمد) والشيخان وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد ومسلم وابن ماجه عن أبى هريرة
لا تسبوا أصحابى فو الذى نفسى بيده لو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا
نصيفه (٤) (وأحمد) وأبو داود والترمذى عن ابن مسعود لا يبلغنى أحد من أصحابى
شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر (وأحمد) عن أنس دعوا لى أصحابى فو الذى

---

(١) وعن ابن عباس . (٢) ورواه الترمذى .

(٣) وبقية الحديث ثم يفشوا الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ويحلف وما يستحلف وهو من رواية عمر لا ابنه كما فى النسخة المطبوعة .

(٤) النصيف هو النصف كالعشير فى العشر وقيل مكيال دون المد كما فى مجمع بحار الأنوار للفتنى وسبب الحديث ما كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف .

نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم والدار قطنى من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى (والطبرانى) والحاكم عن عبد الله بن بسر. طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن رأى من رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى وآمن بى طوبى لهم وحسن مآب (وعبد بن حميد) عن أبى سعيد وابن عساكر عن واثلة طوبى لمن رآنى ولمن رأى من رأى من رآنى (١) (والطبرانى) عن ابن عمر لعن الله من سب أصحابى (والترمذى والضياء) عن بريدة ما من أحد من أصحابى يموت بأرض إلا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة (وأبو يعلى) عن أنس مثل أصحابى مثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح (وأحمد ومسلم) عن أبى موسى. النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون (والترمذى والضياء) عن جابر لا تمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى (والترمذى والحاكم) خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث (٢) (والطبرانى) والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير الناس قرنى الذى أنا فيهم ثم الذين يلونهم والآخرون أراذل (٣) (ومسلم) عن أبى هريرة خير أمتى القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث (٤) (والحكيم الترمذى) عن أبى الدرداء خير أمتى أولها وآخرها وفى وسطها الكدر (وأبو نعيم) فى الحلية مرسلا خير هذه الأمة أولها وآخرها فيهم عيسى ابن مريم وبين ذلك نهج أعوج ليسوا منى ولست منهم (٥) (والطبرانى) عن ابن مسعود خير الناس قرنى ثم الثانى ثم الثالث ثم يجيا قوم لا خير فيهم (وابن ماجه) عن أنس أمتى على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة أهل تواصل وتراحم ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج والمرج النجاء النجاء. وله عنه أيضاً كل طبقة أربعون فأما طبقتى وطبقة أصحابى فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الاربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم ذكر نحوه، والحسن

---

(١) ورواه ابن عساكر عن واثلة.

(٢) من رواية عمران بن حصين وتمام الحديث قال عمران رضى الله عنه: فلا أدرى أذكر قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد فى رواية ويحلفون ولا يستحلفون — ورواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وأبو داود. (٣) ورواه الطبرانى.

(٤) وتمامه: ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا.

(٥) رواه الخطيب مرسلا عن عروة بن رويم اللخمى فى الحلية فى ترجمته واللفظ فى النسخة المطبوعة وبين ذلك ثبج أعوج ليس منك ولست منهم وهى كذلك فى النهاية والثبج الوسط من كل شىء وفيها النهج بالتحريك والنهيج الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب وقد نهج بالكسر ينهج وانهجه غيره وانهجت الدابة إذا سرت عليها حتى انبهرت.

بن سفيان وابن منده وأبو نعيم فى المعرفة عن دارم التميمى الطبقة الأولى أنا ومن معى أهل علم ويقين إلى الاربعين والطبقة الثانية أهل بر وتقوى إلى الثمانين والطبقة الثالثة أهل تراحم وتواصل الى العشرين ومائة والطبقة الرابعة أهل تقاطع وتظالم إلى الستين ومائة والطبقة الخامسة أهل هرج ومرج إلى المائتين . ولابن عساكر مثله الا أنه قال فطبقتى وطبقة أصحابى أهل العلم والايمان وقال بدل المرج الحروب . وكفى فخرا لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس حيث قال تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس . فانهم أول داخل فى هذا الخطاب . وكذلك شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث المتفق على صحته خير القرون قرنى . ولامقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الآية وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه . فتأمل ذلك فانك تنجو من قبيح ما اختلقته الرافضة (١) عليهم مما هم بريئون منه كما سيأتى بسط ذلك وإيضاحه فالحذر الحذر من اعتقاد أدنى شائبة من شوائب النقص فيهم معاذ الله . لم يختر الله لأكمل أنبيائه الا أكمل من عداهم من بقية الامم كما أعلمنا ذلك بقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس (ومما) يرشدك إلى أن ما نسبوه اليهم كذب مختلق عليهم أنهم لم ينقلوا شيأ منه باسناد عرفت رجاله ولا عدلت نقلته وانما هو شىء من أفكهم وحمقهم وجهلهم وافترائهم على الله سبحانه وتعالى فإياك أن تدع الصحيح وتتبع السقيم ميلا إلى الهوى والعصبية وسيتلى عليك عن على كرم الله وجهه وعن أكابر أهل بيته من تعظيم الصحابة سيما الشيخان وعثمان وبقية العشرة المبشرين بالجنة مافيه مقنع لمن ألهم رشده وكيف يسوغ لمن هو من العترة النبوية أو من المتمسكين بحبلهم أن يعدل عما تواتر عن إمامهم على رضى الله عنه من قوله إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر وزعم الرافضة لعنهم الله أن ذلك تقية سيتكرر عليك رده وبيان بطلانه وأن ذلك أدى بعض الرافضة الى أن كفر عليا قال لأنه أعان الكفار على كفرهم فقاتلهم الله ما أحمقهم وأجلهم ٥ وروى الطبرانى وغيره عن على رضى الله عنه الله الله فى أصحاب نبيكم صلى الله عليه وسلم فانه أوصى بهم .

(المقدمة الثانية) ٥ اعلم أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن

---

(١) قال ابن طريح النجفى فى مجمع البحرين والروافض فرقة من الشيعة رفضوا أى تركوا زيد بن على حين نهاهم عن الطعن فى الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لايبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب فى كل من غلا فى هذا المذهب وأجاز الطعن فى الصحابة وذكر أدلة تدل بمعنى ترك

رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلافهم فى التعيين لا يقدح فى الإجماع المذكور ولتلك الاهمية لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر خطيباً كما سيأتى فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت لابد لهذا الأمر ممن يقوم به فانظرو وهاتوا آراءكم فقالوا صدقت ننظر فيه . ثم ذلك الوجوب عندنا معشر أهل السنة والجماعة وعند أكثر المعتزلة بالسمع أى من جهة التواتر والاجماع المذكور وقال كثير بالعقل ووجه ذلك الوجوب أنه صلى الله عليه وسلم أمر باقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش للجهاد وحفظ بيضة (١) الاسلام ومالا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا فهو واجب ولأن فى نصبه جلب منافع لا تحصى ودفع مضار لا تستقصى وكل ما كان كذلك يكون واجبا(٢) . أما الصغرى على ما فى شرح المقاصد فتكاد تلحق بالضروريات بل بالمشاهدات بشهادة ما تراه من الفتن والفساد وانفصام أمور العباد بمجرد موت الإمام وان لم يكن على ما ينبغى من الصلاح والسداد . وأما الكبرى فبالاجماع عندنا وبالضرورة عند من قال بالوجوب عقلا من المعتزلة كأبى الحسين والجاحظ والخياط والكعبى وأما مخالفة الخوارج ونحوهم فى الوجوب فلا يعتد بها لأن مخالفتهم كسائر المبتدعة لا تقدح فى الإجماع ولا تخل لما يفيده من القطع بالحكم المجمع عليه ودعوى أن فى نصبه ضررا من حيث إن إلزام من هو مثله بامتثال اوامره فيه اضرارا به فيؤدى الى الفتنة ومن حيث إنه غير معصوم من نحو الكفر والفسوق فان لم يعزل أضر بالناس وان عزل أدى الى محاربته وفيها ضرر أى ضرر باطلة لا ينظر اليها لأن الاضرار اللازم من ترك نصبه أعظم وأقبح بل لا نسبة بينهما ودفع الضرر الأعظم عند التعارض واجب وفرض، انتظام حال الناس بدون إمام محال عادة كما هو مشاهد .

(المقدمة الثالثة)

الامامة تثبت إما بنص من الإمام على استخلاف واحد من أهلها وأما بعقدها من أهل الحل والعقد لمن عقدت له من أهلها كما سيأتى بيان ذلك فى الابواب وإما بغير ذلك كما هو مبين فى محله من كتب الفقهاء وغيرهم (٣) .

---

(١) البيضة المجتمع وموضع السلطان كما فى النهاية ومجمع البحرين شبه ذلك ببيضة الطائر إذا هلكت هلك مافيها من طعم أو فرخ أو شبهه بالخوذة وهى بيضة الحديد .

(٢) قال الفخر الرازى فى كتاب الأربعين بعد ذكر معنى ما تقدم واما أن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان فهذا متفق عليه بين العقلاء اما من يقول بالحسن والقبح العقليين فانه يقول وجوب هذا معلوم فى بداهة العقول واما عند من ينكر ذلك فانه يقول وجوب هذا ثابت باجماع الأنبياء والرسل وباتفاق جميع الأديان .

(٣) قال الرازى ما ملخصه ان امامة أبى بكر انعقدت بالبيعة وصحت بها امامته فالبيعة طريق لحصول الإمامة بخلاف الاثنا عشرية .

واعلم أنه يجوز نصب المفضول مع وجود من هو أفضل منه لإجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على امامة بعض من قريش مع وجود أفضل منه منهم ولأن عمر رضى الله عنه جعل الخلافة بين ستة من العشرة منهم عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم وهما أفضــل أهل زمانهما بعد عمر فلو تعين الأفضل لعين عمر عثمان فدل عدم تعيينه أنه يجوز نصب غير عثمان وعلى مع وجودهما والمعنى فى ذلك أن غير الأفضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الملك وأوفق لانتظام حال الرعية وأوثق فى اندفاع ألفتنة (١) واشتراط العصمة فى الإمام وكونه هاشميا وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه من خرافات نحو الشيعة وجهالاتهم لما سيأتى بيانه وإيضاحه من حقية خلافة أبى بكر وعمر وعثمان مع انتفاء ذلك فيهم ومن جهالاتهم أيضا قولهم ان غير المعصوم يسمى ظالما فيتناوله قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين. وليس كما زعموا إذا الظالم لغة من يضع الشىء فى غير محله وشرعا العاصى وغير المعصوم قد يكون محفوظا فلا يصدر عنه ذنب أو يصدر عنه ويتوب منه حالا توبة نصوحا فالآية لا تتناوله وإنما تتناول العاصى على أن العهد فى الآية كما يحتمل أن المراد به الامامة يحتمل أيضا أن المراد به النبوة أو الامامة فى الدين أو نحوهما من مراتب الكمال وهذه الجهالة منهم إنما اخترعوها ليبنوا عليهما بطلان خلافة غير على وسيأتى مايرد عليهم ويبين عنادهم وجهلهم وضلالهم نعوذ بالله من الفتن والمحن آمين .

الباب الأول

(فى بيان كيفية خلافة الصديق والاستدلال على حقيتها بالادلة

النقلية والعقلية وما يتبع ذلك وفيه فصول)

(الفصل الأول فى بيان كيفيتها) روى الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب بعد القرآن باجماع من يعتد به أن عمر رضى الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج فقال فى خطبته : قــد بلغنى أن فلانا منكم يقول لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن

---

(١) قال الباقلانى فى التمهيد أن الإمام إنما ينصب لدفع العدو وحماية البيضة وسد الخلل وإقامة الحدود واستخراج الحقوق فاذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج والفساد والتغالب وترك الطاعة واختلاف السيوف الخ صار ذلك عذرا واضحا فى العــدول عن الفاضل إلى المفضول ثم ذكر أن ذلك أيضا لا يحتاج إلى كونه معصوما عالما بالغيب وان ظاهر الخبر لايقضى بكونه قرشيا ولا العقل يوجبه وهو يشير إلى الحديث الذى أخرجه أحمد وأبو يعلى والطيالسى الأئمة من قريش ماحكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واسترحموا فرحموا .

امرؤ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فلتة (١) ألا وإنها كذلك إلا أن الله وقى شرها وليس فيكم اليوم من تقطع اليه الاعناق مثل أبى بكر وانه كان من خيرنا حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ان عليا والزبير ومن معهما تخلفوا فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار عنا بأجمعها فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت له يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نؤمهم. أى نقصدهم. حتى لقينا رجلان صالحان فذكرا لنا الذى صنع القوم قالا أين تريدون يامعشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا من الأنصار فقالا لا عليكم أن لا تقربوهم واقضوا أمركم يامعشر المهاجرين فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم فى سقيفة بنى ساعــدة فاذا هم مجتمعون فاذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عبادة فقلت ماله قالوا وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله وقال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم (أى دب قوم منكم بالاستعلاء والترفع علينا) تريدون أن تخزلونا من أصــلنا وتحضنونا من الأمر (أى تنحونا عنه وتستبدون به دوننا) فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت (٢) مقالة أعجبتنى أردت أن أقولها بين يدى أبى بكر وقد كنت أدارى منه بعض الحد (٣) وهو كان أحلم منى وأوقر فقال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه وكان أعلم منى والله ماترك من كلمة أعجبتنى فى تزويرى الا قالها فى بديهته (٤) وأفضل حتى سكت فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم أهله ولم تعرف العرب هذا الامر إلا لهذا الحى من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح فلم أكره ما قال غيرها ولأن والله أقدم فتضرب عنقى لا يقربنى ذلك من اثم أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال قائل من الانصــار ـ أى وهو الحباب بمهملة مضمومة فموحدة ابن المنذر ـ أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ـ أى أنا يشتفى برأيى وتدبيرى وأمنع بجلدتى ولحمتى كل نائبة تنوبهم كما دل على ذلك ما فى كلامه من الاستعارة بالكناية المخيل لها بذكر ما يلائم المشبه به إذ موضوع الجذيل المحكك وهو بجيم فمعجمة تصغير جذل عود ينصب فى العطن لتحتك به الإبل الجرباء والتصغير لتعظيم والعذق بفتح العين النخلة بحملها فاستعارها لما ذكرناه والمرجب بالجيم وغلط من قال بالحاء من قولهم نخلة رجبة وترجيبها ضم أعذاقها إلى سعفاتها وشدها بالخوص لئلا ينفضها الريح أو يصل اليها آكل) . منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى خشيت الاختلاف فقلت أبسط يدك يا أبا بكر فبسط

---

(١) فى رواية بعد فلتة كلة (تمت) . (٢) أى هيأت .
(٣) أى الحدة والغضب . (٤) وفى رواية زيادة مثلها وأفضل منها وما ذكرتكم فيكم .

يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الانصار أما والله ماوجدنا فيما حضرنا أمراهو أوفق من مبايعة أبى بكر خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فاما أن نبايعهم على مالا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد وفى رواية أن أبا بكر احتج على الانصار بخبر الائمة من قريش وهو حديث صحيح ورد من طرق عن نحو اربعين صحابيا . وأخرج النسائى وأبو يعلى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر بن الخطاب فقال يامعشر الانصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرَ أبا بكر أن يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر فقالت الانصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر . وأخرج ابن سعد والحاكم والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى انهم لما اجتمعوا بالسقيفة بدار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر قام خطباء الانصار فجعل الرجل منهم يقول يامعشر المهاجرين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل الرجل منكم يقرن معه رجلا منا فنرى أن يلى هذا الأمر رجلان منا ومنكم فتتابعت خطباؤهم على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال اتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبى بكر فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والانصار وصعد أبو بكر المنبر ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردتَ ان تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فقام فبايعه ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله وختنه على بنته أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله فبايعه . وروى ابن اسحق عن أنس أنه لما بويع فى السقيفة جلس الغدَ على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين اذهما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى أريح عليه حقه إن شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله (وأخرج) موسى بن عقبة فى مغازيه والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال خطب أبو بكر فقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت

راغبا فيها ولا سألتها الله فى سر ولا علانية ولكننى أشفقت من الفتنة ومالى فى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله فقال على والزبير ماغضبنا إلا لانا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها أنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بين الناس وهو حى (وأخرج) ابن سعد عن إبراهيم التيمى ان عمر أتى أبا عبيدة أولا ليبايعه وقال إنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مارأيت لك فهة أى ضعف رأى قبلها منذ أسلمت أتبايعنى وفيكم الصديق وثانى اثنين (وأخرج) أيضا ان إبا بكر قال لعمر ابسط يدك لأبايعك فقال له أنت أفضل منى فأجابه بأنت أقوى منى ثم كرر ذلك فقال عمر فان قوتى لك مع فضلك فبايعه (وأخرج) أحمد أن أبا بكر لما خطب يوم السقيفة لم يترك شيأ أنزل فى الانصار وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم إلا ذكره وقال لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا لسلكت وادى الانصار وقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء . ويؤخذ منه ضعف ماحكاه ابن عبدالبر أن سعدا أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقى الله (وأخرج) أحمد عن أبى بكر انه اعتذر عن قبوله البيعة خشية فتنة يكون بعدها ردة وفى رواية عند ابن اسحق وغيره ان سائله قال له ماحملك على ان تلى امر الناس وقد نهيتنى ان اتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة (وأخرج) أحمد أنه بعد شهر نادى فى الناس الصلاة جامعة وهى أول صلاة نادى لها بذلك ثم خطب فقال : أيها الناس وددت أن هذا كفانيه غيرى ولئن أخذتمونى بسنة نبيكم ماأطيقها ان كان لمعصوما من الشيطان وان كان لينزل عليه الوحى من السماء وفى رواية لابن سعد أما بعد فانى قد وليت هذا الامر وأناله كاره ووالله لوددت أن بعضكم كفانيه ألا وانكم ان كلفتمونى أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحى وعصمه به ألا وإنما انا بشر ولست بخير من أحدكم فراعونى فاذا رأيتمونى استقمت فاتبعونى وإذا رأيتمونى زغت فقومونى واعلموا أن لى شيطانا يعترينى فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لاأوثر فى أشعاركم وابشاركم . وفى أخرى لابن سعد والخطيب أنه قال :أما بعد فانى قد وليت امركم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا فاعلموا أيها الناس ان اكيس الكيس التقى واعجز العجز الفجور وان اقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه وان اضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق ايها الناس إنما انا متبع ولست بمبتدع فان

احسنت فاعينونى واذا انازغت فقومونى ـ قال مالك لايكون احد إماما أبدا إلا على هذا الشرط (واخرج) الحاكم ان اباقحافة لما سمع بولاية ابنه قال هل رضى بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم قال لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت (واخرج) الواقدى من طرق أنه بويع يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم (والطبرانى) عن ابن عمر انه لم يجلس مجلس النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر ولا جلس عمر مجلس أبى بكر ولا جلس عثمان مجلس عمر

﴿ الفصل الثانى فى بيان انعقاد الإجماع على ولايته ﴾

قد علم مما قدمناه أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على ذلك وأن ماحكى من تخلف سعد بن عبادة عن البيعة مردود .

ومما يصرح بذلك أيضا ما أخرجه الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال ماراه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء . وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلف أبو بكر ، فانظر إلى ماصح عن ابن مسعود وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم من حكاية الإجماع من الصحابة جميعا على خلافة أبى بكر ولذا كان هو الأحق بالخلافة عند جميع أهل السنة والجماعة فى كل عصر منا إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وكذلك عند جميع المعتزلة وأكثر الفرق واجماعهم على خلافته قاض باجماعهم على أنه أهل لها مع أنها من الظهور بحيث لاتخفى . فلايقال أنها واقعة يحتمل أنها لم تبلغ بعضهم ولو بلغت الكل لربما أظهر بعضهم خلافا . على أن هذا إنما يتوهم أن لو لم يصح عن بعض الصحابة المشاهدين لذلك الأمر من أوله إلى آخره حكاية الإجماع وأما بعد أن صح عن مثل ابن مسعود حكاية إجماعهم كلهم فلا يتوهم ذلك أصلا سيما وعلى كرم الله وجهه ممن حكى الإجماع على ذلك أيضا كما سيأتى عنه أنه لما قدم البصرة سئل عن مسيره هل هو بعهد من النبى صلى الله عليه وسلم فذكر مبايعته هو وبقية الصحابة لأبى بكر وأنه لم يختلف عليه منهم اثنان ـ وأخرج ـ البيهقى عن الزعفرانى قال سمعت الشافعى يقول أجمع الناس على خلافة أبى بكر وذلك أنه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولوه رقابهم ـ وأخرج ـ أسد السنة عن معاوية بن قرة قال : ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانوا يسمونه الا خليفة رسول الله وما كانوا يجتمعون على خطا ولا ضلالة وأيضا فالأمة اجتمعت على حقية امامة أحد الثلاثة أبى بكر وعلى والعباس ثم انهما لم ينازعاه بل بايعاه فتم بذلك الإجماع له على امامته دونهما إذ لو لم يكن على حق لنازعاه كما نازع على معاوية مع قوة شوكة معاوية عُدة وعددا على شوكة أبى بكر فاذ لم يبال على بها ونازعه فكانت منازعته لأبى بكر أولى وأحرى فحيث لم ينازعه دل على اعترافه بحقية خلافته ولقد سأله العباس فى أن يبايعه فلم يقبل ولو

علم نصا عليه لقبل سيما ومعه الزبير مع شجاعته وبنو هاشم وغيرهم . ومر أن الأنصار كرهوا بيعة أبى بكر وقالوا منا أمير ومنكم أمير فدفعهم أبو بكر بخبر الأئمة من قريش فانقادوا له وأطاعوه وعلى أقوى منهم شوكة وعدة وعددا وشجاعة فلو كان معه نص لكان أحرى بالمنازعة وأحق بالإجابة ولا يقدح فى حكاية الإجماع تأخر على والزبير والعباس وطلحة مدة لأمور منها أنهم رأوا أن الأمر تم بمن تيسر حضوره حينئذ من أهل الحل والعقد (١) ومنها أنهم لما جاؤا وبايعوا اعتذروا كما مر عن الأولين من طرق بأنهم أخروا عن المشورة مع أن لهم فيها حقا لا للقدح فى خلافة الصديق هذا مع الاحتياج فى هذا الأمر لخطره إلى الشورى التامة ولهذا مر عن عمر بسند صحيح أن تلك البيعة كانت فلتة ولكن وقى الله شرها .

ويوافق ما مر عن الأولين من الاعتذار ما أخرجه الدار قطنى من طرق كثيرة أنهما قالا عند مبايعتهما لأبى بكر الا انا أخرنا عن المشورة وانا لنرى أن أبا بكر أحق الناس بها أنه لصاحب الغار وثانى اثنين وانا لنعرف له شرفه وكبره وفى آخرها أنه اعتذر إليهم فقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما قط ولا ليلة ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عز وجل فى سر ولا علانية ولكننى اشفقت من الفتنة ومالى فى الامارة من راحة ولقد قلدت أمرا عظيما إلى آخر ما مر فقبلوا منه ذلك وما أعتذر به ـ وأخرج ـ الدار قطنى أيضا عن عائشة أن عليا بعث لأبى بكر رضى الله عنهما أن ائتنا فأتاهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه وقد اجتمعت بنو هاشم إلى على فخطب ومدح أبا بكر ثم اعتذر عن تخلفه عن البيعة بأنه كان له حق فى المشاورة ولم يشاوره فلما فرغ من خطبته خطب أبو بكر واعتذر بنحو ما تقدم ثم بعد ذلك بايعه على فى يومه فرأى المسلمون أنه قد أصاب وفى الحديث المتفق على صحته التصريح بهذه القصة بأبسط من هذا ـ روى ـ البخارى عن عائشة أن فاطمة أرسلت إلى أبى بكر تسأله عن ميراثها من النبى صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله من المدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر فقال أبو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال وانى والله لا أغير شيأ من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قال الباقلانى فى التمهيد (وليس يجوز لمسلم اتقى الله أن يضيف إلى على بن أبى طالب عليه السلام والزبير بن العوام التأخر عن بيعته بأخبار آحاد واهية يجيئها من ناحية مبهمة [illegible] وعلى أننا نعلم بواضح النظر كذب من ادعى تأخر على والعباس والزبير لأن مثل هذا الخطب [illegible] فى مثل هذا الأمر العظيم يجب اشهارة وظهوره وأن ينقل نقل مثله فكيف حفظت الأمة بأسرها وعلت مخالفة على لأبى بكر وغيره من الصحابة فى حكم أم الولد والتوريث الذى إنما تعلمه الخاصة وذهب عنها تأخره وتأخر الزبير عن البيعة حتى لا يرد إلا ورودا شاذا ضعيفا وتكون الأخبار الكثيرة فى معارضته ومناقضته والعادة جارية بلزوم مثل هذا للقلوب وإطلاق الالسن بذكره واشتهاره وإظهاره دون طيه وكتمانه والسهو عنه والاغفال له)

عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأعملن فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيأ فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها عليّ ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة فلما توفيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتينا معك أحد كراهية ليحضر عمر فقال عمر لا والله ما تدخل عليهم وحدك فقال أبو بكر وما عسيتهم أن يفعلوا بي والله لآتينهم فدخل عليهم أبو بكر فتشهد علي فقال انا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ولكنك استبددت علينا بالأمر وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لنا نصيبا حتى فاضت عينا أبي بكر فلما تكلم أبو بكر قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي من أن أصل قرابتي واما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فاني لم آل فيه عن الخير ولم اترك امرا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها الاصنعته فقال علي لأبي بكر موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر الظهر رقى المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر اليهم ثم استغفر وتشهد علي فعظم حق أبي بكر وحدث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ولا إنكار للذي فضله الله به ولكنا كنا نرى لنا في هذا الأمر – أي المشورة كما يدل عليه بقية الروايات – نصيبا فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى علي قريبا حين راجع الأمر المعروف. فتأمل عذره وقولهم ننفس على أبي بكر خيرا ساقه الله إليه وأنه لا ينكر ما فضله الله به وغير ذلك مما اشتمل عليه هذا الحديث تجده بريئا مما نسبه إليه الرافضة ونحوهم فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم. ثم هذا الحديث فيه التصريح بتأخر بيعة علي إلى موت فاطمة فينافي ما تقدم عن أبي سعيد أن عليا والزبير بايعا من أول الأمر لكن هذا الذي مر عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو الذي صححه ابن حبان وغيره قال البيهقي وأما ما وقع في صحيح مسلم عن أبي سعيد من تأخر بيعته هو وغيره من بني هاشم إلى موت فاطمة رضي الله عنها فضعيف فان الزهري لم يسنده، وأيضا فالرواية الأولى عن أبي سعيد هي الموصولة فتكون أصح اه وعليه فبينه وبين خبر البخاري المار عن عائشة تناف. لكن جمع بعضهم بأن عليا بايع أولا ثم انقطع عن أبي بكر لما وقع بينه وبين فاطمة رضي الله عنها ما وقع في مخلفه صلى الله عليه وسلم ثم بعد موتها بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الأمر أن تخلفه إنما هو لعدم رضاه ببيعته فأطلق ذلك من أطلق ومن ثم أظهر عليّ مبايعته لأبي بكر ثانيا بعد موتها على المنبر لإزالة هذه الشبهة. على أنه سيأتي في الفصل الرابع من فضائل علي. أنه لما أبطأ عن البيعة لقيه أبو بكر

فقال له أكرهت إمارتى فقال لا ولكن آليت لاأرتدى بردائى إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله . فانظر إلى هذا العذر الواضح منه رضى الله عنه تعلم مما قررناه إجماع الصحابة ومن بعدهم على حقية خلافة الصديق وانه أهل لها وذلك كاف لو لم يرد نص عليه بل الإجماع أقوى من النصوص التى لم تتواتر لأن مفاده قطعى ومفادها ظنى كما سيأتى (١) - وحكى - النووى بأسانيد صحيحة عن سفيان الثورى ان من قال ان عليا كان أحق بالولاية فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والانصار وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء . وأخرج الدار قطنى عن عمار بن ياسر نحوه .

الفصل الثالث

(فى النصوص السمعية الدالة على خلافته من القرآن والسنة)

(أما النصوص القرآنية) فمنها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم - أخرج - البيهقى عن الحسن البصرى انه قال هو والله أبو بكر لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام . - وأخرج - يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب فذكر قتال أبى بكر لهم إلى ان قال فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت فى أبى بكر وأصحابه . فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه . وشرح هذه القصة ما أخرجه الذهبى ان وفاة النبى صلى الله عليه وسلم لما اشتهرت بالنواحى ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ومنعوا الزكاة فنهض أبو بكر لقتالهم فأشار عليه عمر وغيره ان تفتر عن قتالهم فقال والله لو منعونى عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى

---

(١) قال الباقلانى فى التمهيد : على أنه لانعرف أحدا روى تأخر على والزبير عن البيعة أياما إلا وقد روى عنه فى هذه القصة رجوعهما إلى بيعته ودخولهما فى صالح مادخل فيه المسلمون وأنهما قالا لاتثريب ياخليفة رسول الله ماتأخرنا عن البيعة إلا أنا كرهنا ألا ندخل فى المشورة - وقال السعد فى شرح المقاصد : أما توقف على رضى الله عنه فى بيعة أبى بكر رضى الله عنه فيحمل على أنه لما أصابه من الحزن والكآبة بفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتفرغ للنظر والاجتهاد فلما نظر وظهر له الحق دخل فيما دخل فيه الجماعة - وفى مطالع الأنظار للاصفهانى : أن عليا كان شجاعا وكان معه أكثر صناديد قريش وساداتهم ولم ينازع فى الخلافة وأن أبا بكر قد نازع عليها الزبير مع شجاعته وأبا سفيان رئيس مكة ورأس بنى أمية وأبو بكر شيخ ضعيف خاشع عديم المال قليل الأعوان وما ذلك إلا لأنه كان مقدما على الصحابة .

الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فمن قالها عصم مني ماله ودمه إلا بحقها وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال إلا بحقها، قال عمر فوالله ماهو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق، وفي رواية أنه لما خرج أبو بكر لقتالهم وبلغ قريب نجد هربت الاعراب فكلمه الناس يؤمّر عليهم رجلا ويرجع فأمر خالدا ورجع ـ وأخرج ـ الدار قطني عن ابن عمر قال لما برز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ علي بزمامها وقال إلى أين ياخليفة رسول الله أقول لك ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شمر سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا وبعث خالدا إلى بني أسد وغطفان فقتل من قتل وأسر من أسر ورجع الباقون إلى الإسلام (١) ثم إلى اليمامة إلى قتال مسيلمة الكذاب فالتقى الجمعان ودام الحصار أياما ثم قتل الكذاب إلى لعنة الله قتله وحشي قاتل حمزة (٢) . وفي السنة الثانية من خلافته بعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وكانوا قد ارتدوا فالتقوا بجواثا فنصر المسلمون . وبعث عكرمة بن أبي جهل الى عمان وكانوا قد ارتدوا وبعث المهاجر بن أمية الى طائفة من المرتدين وزياد بن لبيد الانصاري الى طائفة أخرى ومن ثم أخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والله الذي لا اله الا هو لولا ان أبا بكرا استخلف ماعبد الله ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقيل له مه يا أبا هريرة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه أسامة بن زيد في سبعمائة الى الشأم فلما نزل بذي خشب قبض النبي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب حول المدينة واجتمع اليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا رد هؤلاء توجه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فقال والذي لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مارددت جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده فوجه أسامة لايمر بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا لولا ان لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم فلقوهم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام . قال النووي في تهذيبه واستدل أصحابنا على عظم علم الصديق بقوله في الحديث السابق في الصحيحين والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى النبي صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ـ واستدل ـ الشيخ أبو اسحاق بهذا وغيره في طبقاته على ان أبا بكر اعلم الصحابه لأنهم كلم وقفوا على فهم الحكم في المسئلة الا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم ان قوله هو الصواب

---

(١) استشهد في هذه الواقعة من الصحابة عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم .

(٢) استشهد بهذه الواقعة جماعة من الصحابة يبلغون السبعين منهم سالم مولى أبي حذيفة وزيد ابن الخطاب وثابت بن قيس وأبو دجانة سماك بن حرب وأبو حذيفة بن عتبة .

فرجعوا اليه . قال اعنى النووى :وروينا عن ابن عمر انه سئل من كان يفتى الناس فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما أى لكن أخرج ابن سعد عن القاسم بن محمد قال كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استدل على أعلميته بالخبر الرابع من الاخبار الدالة على خلافته وقال ابن كثير كان الصديق أقرأ أصحابه أى اعلمهم بالقرآن لانه صلى الله عليه وسلم قدمه إماما للصلاة بالصحابة مع قوله يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وسيأتى خبر لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر ان يؤمهم غيره وكان مع ذلك اعلمهم بالسنة كما رجع اليه الصحابة فى غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبى صلى الله عليه وسلم يحفظها ويستحضرها عند الحاجة اليها ليست عندهم. وكيف لا يكون كذلك وقد واظب صحبة رسول الله ﷺ من أول البعثة الى الوفاة وهو مع ذلك من ازكى عباد الله وأفضلهم وإنما لم يروعنه من الاحاديث الا القليل لقصر مدته وسرعة وفاته بعد النبى ﷺ والا فلو طالت مدته لكثر ذلك عنه جدا ولم يترك الناقلون عنه حديثا الا نقلوه ولكن كان الذى فى زمانه من الصحابة لا يحتاج أحد منهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو فى روايته فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم (١) (وأخرج أبو القاسم البغوى عن ميمون بن مهران قال كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الأمر سنة قضى بها فان أعياه خرج فسأل المسلمين وقال أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك بقضاء فربما اجتمع اليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا فان أعياه ان يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤس الناس وخيارهم واستشارهم فان أجمع أمرهم على رأى قضى به وكان عمر يفعل ذلك فان أعياه ان يجد فى القرآن أو السنة نظر هل كان لأبى بكر فيه قضاء فان وجد أبا بكر قد قضى فيه بقضاء قضى به والا دعا رؤس المسلمين فاذا اجتمعوا على أمر قضى به (ومن) الآيات الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (أخرج) ابن أبى حاتم عن جويبران هؤلاء القوم هم بنو حنيفة ومن ثم قال ابن أبى حاتم وابن قتيبة وغيرهما هذه الآية

---

(١) فى تهذيب النووى أن ما روى من الحديث عن أبى بكر ١٤٢ حديثا ومع ذلك فهو حافظ بدليل أن عمر شهد له بأنه لم يترك شيئا أنزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله فى شأنهم إلا ذكره وكذلك روى عنه أكثر الصحابة وما رواه من الأحاديث ذكره السيوطى حديثا حديثا فى تاريخ الخلفاء .

حجة على خلافة الصديق لأنه الذى دعا إلى قتالهم فقال الشيخ أبو الحسن الأشعرى رحمه الله إمام أهل السنة سمعت الامام أبا العباس بن شريح يقول: الصديق فى القرآن فى هذه الآية قال لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبى بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة قال فدل ذلك على وجوب خلافة أبى بكر وافتراض طاعته إذ أخبر الله أن المتولى عن ذلك يعذب عذاباً أليما. قال ابن كثير: ومن فسر القوم بأنهم فارس والروم فالصديق هو الذى جهز الجيوش إليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان وهما فرعا الصديق (فان قلت) يمكن أن يراد بالداعى فى الآية النبى صلى الله عليه وسلم أو على (قلت) لا يمكن ذلك مع قوله تعالى. قل لن تتبعونا: ومن ثم لم يدعوا الى محاربة فى حياته صلى الله عليه وسلم اجماعا كما مر، وأما على فلم يتفق له فى خلافته قتال لطلب الإسلام أصلا بل لطلب الأمانة ورعايه حقوقها وأما من بعده فهم عندنا ظلمة وعندهم كفار فتعين أن ذلك الداعى الذى يجب باتباعه الأجر الحسن وبعصيانه العذاب الأليم أحد الخلفاء الثلاثة وحينئذ فالأزم عليه حقية خلافة أبى بكر على كل تقدير لأن حقية خلافة الآخرين فرع عن حقية خلافته اذ هما فرعاها الناشئان عنها والمترتبان عليها (١) (ومن تلك الآيات أيضا) قوله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ. قال ابن كثير: هـــذه الآية منطبقة على خلافة الصديق (وأخرج) ابن أبى حاتم فى تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهرى قال إن ولاية أبى بكر وعمر فى كتاب الله. يقول الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض الآية (٢) (ومنها) قوله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون. وجـــه الدلالة أن الله تعالى سماهم صادقين ومن شهد له سبحانه وتعالى بالصدق لا يكذب فلزم أن ما أطبقوا عليه من قولهم لأبى بكر ياخليفة رسول الله صادقون فيه فحينئذ كانت الآية ناصة على خلافته. أخرجه الخطيب عن أبى بكر بن عياش وهو استنباط حسن كما قاله ابن كثير (ومنها) قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم. قال الفخر الرازى هذه الآية تدل على إمامة أبى بكر رضى الله تعالى عنه

---

(١) وما يذكره الشيعة من أن المراد بالداعى للقتال هو على قد رده ابن تيمية والذهبى وعبد العزيز الدهلوى على قائله ابن المطهر الحلى بأن المقاتلة على التأويل التى كانت من على ليست مراد الاية بل المراد المقاتلة على الإسلام وما كان فى زمن على إنما كان على طاعة الإمام.

(٢) وإن كانت تنطبق على خلافة الخلفاء الثلاثة لحصول الأمن وإزالة الخوف وتقوية الدين فى خلافتهم والوعد بالاستخلاف هو الخلافة والإمامة فأبو بكر مستخلف وخليفة وإمام بل ولم يقع شىء مما وعد الله به فى خلافة على.

لأنه ذكر أن تقدير الآية اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم . والله تعالى قد بين فى الآية الأخرى ان الذين أنعم عليهم من هم بقوله تعالى: أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ولا شك أن رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر رضى الله عنه فكأن معنى الآية ان الله تعالى أمر أن نطلب الهداية التى كان عليها أبو بكر وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر رضى الله عنه ظالما لما جاز الاقتداء به . فثبت بما ذكرناه دلالة هذه الآية على إمامة أبى بكر رضى الله عنه اه (وأما النصوص) الواردة عنه صلى الله عليه وسلم المصرحة بخلافته والمشيرة اليها فكثيرة جدا (الأول) أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه فقالت أرأيت أن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال إن لم تجدينى فأت أبا بكر (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس قال : جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم تسأله شيأ فقال لها تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت فلم أجدك تعرّض بالموت فقال ان جئت فلم تجدينى فأتى أبا بكر الخليفة من بعدى (الثانى) أخرج أبو القاسم البغوى بسند حسن عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون خلفى أثنا عشر خليفة أبو بكر لا يلبث الا قليلا قال الائمة ، صدر هذا الحديث مجمع على صحته وارد من طرق عدة أخرجه الشيخان وغيرهما فمن تلك الطرق . لا يزال هذا الأمر عزيزا ينصرون على من ناوأهم عليه إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش رواه عبدالله بن احمد بسند صحيح ومنها لا يزال هذا الأمر صالحا ومنها لا يزال هذا الأمر ماضيا رواهما احمد ومنها لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا ومنها ان هذا الامر لا ينقضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفة ومنها لا يزال الإسلام عزيزا منيعا الى أثنى عشر خليفة رواها مسلم ، ومنها للبزار لا يزال أمر أمتى قائما حتى يمضى أثنا عشر خليفة كلهم من قريش زاد أبو داود فلما رجع الى منزله أتته قريش فقالوا ثم يكون ماذا قال ثم يكون الهرج ومنها لابى داود لا يزال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة . وعن ابن مسعود بسند حسن انه سئل كم يملك هذه الائمة من خليفة فقال سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أثنا عشر كعدة نقباء بنى اسرائيل . قال قال القاضى عياض لعل المراد بالاثنى عشر فى هذه الأحاديث وما شابهها انهم يكونون فى مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس الى أن اضطرب أمر بنى أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت تلك الفتن بينهم الى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم . قال شيخ الاسلام فى فتح البارى كلام القاضى هذا أحسن ما قيل فى هذا الحديث وأرجحه لتأييده بقوله فى بعض طرقه الصحيحة كلهم يجتمع عليه الناس والمراد باجتماعهم انقيادهم لبيعته والذى اجتمعوا عليه الخلفاء الثلاثة ثم على الى أن وقع أمر الحكمين فى صفين فتسمى معاوية يومئذ

بالخلافة ثم اجتمعوا عليه عند صلح الحسن ثم على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك . ثم لما مات يزيد اختلفوا الى أن اجتمعوا على عبد الملك بعد قتل ابن الزبير ثم على أولاده الاربعة الوليد فسليمان فيزيد فهشام . وتخلل بين سليمان ويزيد عمر عبد العزيز فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين والثانى عشر الوليدبن يزيد عبد الملك اجتمعوا عليه لما مات عمه هشام فولى نحو أربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيرت الاحوال من يومئذ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك لوقوع الفتن بين من بقى من بنى أمية ولخروج المغرب الاقصى عن العباسيين بتغلب المروانين على الاندلس الى أن تسموا بالخلافة وانفرط الأمر الى أن لم يبق فى الخلافة الا الاسم بعد أن كان يخطب لعبد الملك فى جميع أقطار الأرض شرقا وغربا يمينا وشمالا غلب عليه المسلمون ولا يتولى أحد فى بلد امارة فى شىء الا بأمر الخليفة (١) وقيل المراد وجود اثنى عشر خليفة فى جميع مدة الإسلام الى القيامة يعملون بالحق وان لم يتوالوا (٢) ويؤيده قول أبى الجلد كلهم يعمل بالهدى ودين الحق منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم . فعليه المراد بالهرج الفتن الكبار كالدجال وما بعده وبالاثنى عشر الخلفاء الاربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز قيل ويحتمل أن يضم اليهم المهدى العباسى لانه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى الامويين والطاهر العباسى أيضا لما أوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدى لانه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم . وحمل بعض المحدثين الحديث السابق على مايأتى بعد المهدى لرواية ثم يلى الامر بعده اثنا عشر رجلا ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم لكن سيأتى فى الكلام على الآية الثانية عشرة من فضائل أهل البيت ان هذه الرواية واهية جدا فلا يعول عليها (الثالث) أخرج احمد وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وأخرجه الطبرانى من حديث أبى الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود. وروى أحمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن حذيفة ا‍. لا أدرى ماقدر بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وتمسكوا بهدى عمار

---

(١) ذكر السيوطى بعد هذه العبارة قوله : ومن انفراط الأمر أنه كان فى المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ومعهم صاحب مصر العبيدى والعباس ببغداد خارجا عما كان يدعى الخلافة فى أقطار الأرض من العلوية والخوارج . قال السيوطى : قال يعنى ابن حجر فى الفتح : فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله (ثم يكون الهرج) يعنى القتل الناشىء عن الفتن

(٢) قال السيوطى : يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد فى مسنده الكبير عن أبى الجلد أنه قال : لاتهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة كلهم يعمل بالهدى الخ .

وما حدثكم ابن مسعود فصدقوا والترمذى عن ابن مسعود والرويانى عن حذيفة وابن عدى عن أنس اقتدوا باللذين من بعدى من أصحابى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود (الرابع) اخرج الشيخان عن أبى سعيد الخدرى قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان الله تبارك وتعالى خيّر عبداً بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ذلك العبد ماعند الله فبكى أبو بكر وقال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر اعلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لا تخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لايبقين باب إلاسدّ إلا باب أبى بكر وفى لفظ لهما لا يبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر وفى آخر لعبد الله بن أحمد أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر وفى آخر للبخارى ليس فى الناس أحد أمن علىّ فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ولكن خُلة الإسلام أفضل سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر وفى آخر لابن عدى سدوا هذه الابواب الشارعة فى المسجد الا باب أبى بكر وطرقه كثيرة منها عن حذيفة وأنس وعائشة وابن عباس ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهم .

قال العلماء فى هذه الاحاديث اشارة إلى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه لان الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها (الخامس) أخرج الحاكم وصححه عن أنس قال بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سله إلى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال إلى أبى بكر ومن لازم دفع الصدقة إليه كونه خليفة اذهو المتولى قبض الصدقات (السادس) اخرج مسلم عن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ادعى لى أباك وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويابى الله والمؤمنون الا أبا بكر وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها وفى بعضها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر أكتب لأبى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون فى أبى بكر وفى رواية عن عبد الله بن أحمد أبى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا أبا بكر (السابع) اخرج الشيخان عن أبى موسى الاشعرى قال مرض النبى صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة يارسول الله انه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع ان يصلى بالناس فقال مرى أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مرى أبا بكر فليصل بالناس فانكنّ

صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها قالت لحفصة قولى له يأمر عمر فقالت له فابى حتى غضب وقال أنتن أو انكن أو لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر.

واعلم ان هذا الحديث متواتر فانه ورد من حديث عائشة وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن زمعة وأبى سعيد وعلى ابن أبى طالب وحفصة وفى بعض طرقه عن عائشة . لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وما حملنى على كثرة مراجعته إلا انه لم يقع فى قلبى ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه لن يقوم أحد مقامه الاتشاءم الناس به فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى بكر . وفى حديث ابن زمعه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائبا فتقدم عمر فصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لا لا يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر فيصلى بالناس أبو بكر وفى رواية عنه انه صلى الله عليه وسلم قال له أخرج وقل لابى بكر يصلى بالناس فخرج فلم يجد على الباب إلا عمر فى جماعة ليس فيهم أبو بكر فقال ياعمر صل بالناس فلما كبر وكان صيتا وسمع صلى الله عليه وسلم صوته قال يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر وفى حديث ابن عمر كبر عمر فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره فأطلع رأسه مغضبا فقال أين ابن أبى قحافة . قال العلماء فى هذا الحديث أوضح دلالة على ان الصديق أفضل الصحابة على الاطلاق واحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة قال الاشعرى قد علم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق أن يصلى بالناس مع حضور المهاجرين والانصار مع قوله (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله) فدل على انه كان أقرأهم أى اعلمهم بالقرآن انتهى . وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة. منهم عمر ومر كلامه فى فصل المبايعة ومنهم على فقد أخرج ابن عساكر عنه لقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس وانى لشاهد وما أنا بغائب وما بى مرض فرضينا لدنيانا ما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا

قال العلماء وقد كان معروفا باهلية الامامة فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم (وأخرج) أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال: كان قتال بين بنى عمرو بن عوف فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فاتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يابلال ان حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر اقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى . ووجه ما تقرر من ان الأمر بتقديمه للصلاة كما ذكر. فيه الإشارة أو التصريح بأحقيته بالخلافة أن القصد الذاتى من نصب الإمام العالم اقامة شعائر الدين على الوجه المأمور به من أداء الواجبات وترك المحرمات وأحياء السنن وأماتة البدع وأما الأمور الدنيوية وتدبيرها

كاستيفاء الأموال من وجوهها وإيصالها لمستحقها ودفع الظلم ونحو ذلك فليس مقصودا بالذات بل ليتفرغ الناس لأمور دينهم إذ لايتم تفرغهم له إلا إذ انتظمت أمور معاشهم بنحو الا من على الانفس والأموال ووصول كل ذى حق إلى حقه فلذلك رضى النبى صلى الله عليه وسلم لأمر الدين وهو الامامة العظمى أبا بكر بتقديمه للأمامة فى الصلاة كما ذكرنا ومن ثم أجمعوا على ذلك كما مر (وأخرج) ابن عدى عن أبى بكر بن عياش قال قال لى الرشيد ياأبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق قلت ياأمير المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون قال والله مازدتنى الا عماء قلت ياأمير المؤمنين مرض النبى صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يارسول الله من يصلى بالناس قال مر أبا بكر يصلى بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحى ينزل عليه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجبه فقال بارك الله فيك (الثامن) أخرج ابن حبان عن سفينة لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع فى البناء حجرا وقال لأبى بكر ضع حجرك إلى جنب حجرى ثم قال لعمر ضع حجرك إلى جنب حجر أبى بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى . قال أبو زرعة اسناده لا بأس به وقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه والبيهقى فى الدلائل وغيرهما. وقوله لعثمان ماذكر يردعلى من زعم أن هذا اشارة إلى قبورهم . على أن قوله آخر الحديث هؤلاء الخلفاء بعدى صريح فيما أفاده الترتيب الأول ان المراد به ترتيب الخلافة (التاسع) أخرج الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال رأيت كأنى انزع بدلو بكرة (بسكون الكاف) على قليب (أى بئر) لم تطو فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أى بفتح المعجمة دلوا ممتلئة ماءا أوقريبة من ملئه أو ذنوبين نزعا ضعيفا والله يغفر له) ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا (أى دلوا عظيما) فلم ار عبقريا. أى رجلا قويا شديداً . من الناس يفرى فريه (أى يعمل عمله) حتى روى الناس وضربوا بعطن (والعطن ماتناخ فيه الإبل إذا رويت) وفى رواية لهما بينا أنا نائم رايتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فاخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن وفى أخرى لهما بينا أنا على بئر أنزع منها اذجاءنى أبو بكر وعمر فاخذ أبو بكر الدلو فنزع ذنوبا أوذنوبين وفى نزعه ضعف يغفر الله له ضعفه ثم أخذ ابن الخطاب من يد أبى بكر فاستحالت فى يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن وفى رواية فلم ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفى رواية فاتانى أبو بكر فاخذ الدلو من يدى ليريحنى وفى رواية رأيت الناس اجتمعوا فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف الى آخره * قال النووى فى تهذيبه قال العلماء هذا اشارة

الى خلافة أبى بكر وعمر وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمن عمر وقال فى غيره هذا المنام مثال ما جرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الأمر فقام به أكمل مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الإسلام فى زمنه فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاحهم وأميرهم بالمستسقى منها لهم وفى قوله فأخذ أى أبو بكر الدلو من يدى ليريحنى اشارة إلى خلافة أبى بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام أبو بكر بتدبير أمر الامة ومعاناة أحوالهم وأما قوله وفى نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله فى قصر مدة ولايته وأما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس فى قوله صلى الله عليه وسلم ويغفر الله له نقص ولا اشارة الى أنه وقع ذنب وانما هى كلمة كانوا يقولونها عند الاعتناء بالامر (وأخرج) أحمد وأبو داود عن سمره بن جندب أن رجلا قال يا رسول الله رأيت كأن دلوا أدلى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فاخذ بها فشرب حتى تضلع ثم على فانتشطت (أى اجتذبت ورفعت) فانتضح عليه منها شىء (العاشر) أخرج أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات وابن عساكر عن حفصه أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنت ترمت قدمت أبا بكر قال لست أنا أقدمه ولكن الله قدمه (الحادى عشر) أخرج أحمد عن سفينة وأخرجه أيضا أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون عاما ثم يكون بعد ذلك الملك وفى رواية الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا أى يصيب الرعية فيه عنف وظلم كانهم يعضون فيه عضا ه قال العلماء لم يكن فى الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن ه ووجه الدلالة منه أنه حكم بحقية الخلافة عنه فى أمر الدين هذه المدة دون ما بعدها وحينئذ فيكون هذا دليلا واضحا فى حقية خلافة كل من الخلفاء الاربعة وقيل لسعيد بن جمهان ان بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو زرقاء بل هم ملوك من شر الملوك (فان قلت) ينافى هذا خبر لاثنى عشر خليفة السابق (قلت) لا ينافيه لأن ال هنا للكمال فيكون المراد هنا الخلافة الكاملة ثلاثون سنة وهى منحصرة فى الخلفاء الأربعة والحسن لان مدته هى المكملة للثلاثين والمراد ثم مطلق الخلافة التى فيها كمال وغيره لما مران من جملتهم نحو يزيد بن معاوية وعلى القول الثانى السابق ثم فليس الخلفاء المذكورون على هذا القول خاوين من الكمال ما حواه الخمسة (الثانى عشر) أخرج الدارقطنى والخطيب وابن عساكر عن على قال قال لى رسول الله صلى الله

عليه وسلم سألت الله أن يقدمك ثلاثا فأبى على الا تقديم أبى بكر (الثالث عشر) أخرج ابن سعد عن الحسن قال قال أبو بكر يارسول الله ما أزال أرانى أطأ فى عذرات الناس. قال لتكونن من الناس بسبيل. قال ورأيت فى صدرى كالرقتين. قال سنتين (الرابع عشر) أخرج البزار بسند حسن عن أبى عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول دينكم بدء نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا وجبرية . وجه الدلالة منه أنه أثبت لخلافة أبى بكر أنها خلافة ورحمة أذهى التى وليت مدة النبوة والرحمة وحينئذ فيلزم حقيتها ويلزم من حقيتها حقية خلافة بقية الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وأخرج ابن عساكر عن أبى بكرة قال أتيت عمرو بين يديه قوم يأكلون فرمى ببصره فى مؤخر القوم الى رجل فقال ماتجد فيما يقرأ قبلك من الكتب قال خليفة النبى صلى الله عليه وسلم صديقه (وأخرج) ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال أرسلنى عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصرى اسأله عن أشياء فجئته فقلت له اشفنى فيما اختلف فيه الناس هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر فاستوى الحسن قاعدا فقال أوفى شك هو لا أبالك أى والله الذى لا إله الا هو لقد استخلفه ولهو كان اعلم بالله واتقى له وأشد له مخافة من أن يموت عليها لو لم يؤمره .

الفصل الرابع

(فى بيان أن النبى صلى الله عليه وسلم هل نص على خلافة أبى بكر)

(إعلم) أنهم اختلفوا فى ذلك ومن تأمل الأحاديث التى قدمناها علم من أكثرها أنه نص عليها نصا ظاهرا وعلى ذلك جماعة من المحدثين (١) وهو الحق وقال جمهور أهل السـنة والمعتزلة والخوارج لم ينص على أحد (٢) ويؤيدهم ما أخرجه البزار فى مسنده عن حذيفة

---

(١) قال ابن حزم فى نقط العروس فى أبى بكر : والذى أدين الله به أنه ولى الخلافة بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونص عليه لإجماع أهل الإسلام على تسميته خليفة رسول الله ولم يسم أحد بهذا الاسم أحدا غيره ولا ممن استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ولا من استخلفه على الصلوات فى غزواته وحجته ثم روى قصة المرأة السابقة وفيها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : فأبو بكر فهو نص ـ وفى التراتيب الإدارية للكتانى عن حلولو شارح جمع الجوامع قوله : غير أنه لا نص صريح على خلافة أبى بكر وإلا لما وقع التردد يوم السقيفة .

(٢) قال فى شرح المقاصد : والظاهر ما ذكره المتكلمون من أن هذا المذهب أى النص الجلى مما وضعه هشام بن الحكم ونصره ابن الروندى وأبو عيسى الوراق وإضرابهم ثم رواه أسلافهم الروافض شغفا بتقرير مذهبهم . وحكى القول بالنص الخفى عن الحسن البصرى وذكر الفخر الرازى أنه لم ينقل عن على ذكر النص فى شىء من خطبه ولا نعرفه إلا من الكذابين ولو كان موجودا لعلمناه ولاشتهر .

قال قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا قال: انى إن استخلف عليكم فتعصون خليفتى ينزل عليكم العذاب وأخرجه الحاكم فى المستدرك لكن فى سنده ضعف (١) وما أخرجه الشيخان عن عمر انه قال حين طعن .إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى (يعنى أبا بكر) وان أتركـكم فقد تركـكم من هو خير منى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما أخرجه أحمد والبيهق بسند حسن عن على(٢) أنه لما ظهر على يوم الجمل قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد الينا فى هذه الامارة شيأ حتى رأينا من الرأى أن نستخلف أبا بكر فقام واستقام حتى مضى لسبيله ثم أن أبا بكر رأى من الرأى أن يستخلف عمر فاقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه ثم ان أقواما طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضى الله فيها . والجران بكسر الجيم باطن عنق البعير يقال ضرب بجرانه الشىء أى استقر وثبت (وأخرج) الحاكم وصححه أنه قيل لعلى ألا تستخلف علينا فقال ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم . وما أخرجه ابن سعد عن على أيضا قال قال على لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم نظرنا فى أمرنا فوجدنا النبى صلى الله عليه قد قدم أبا بكر فى الصلاة فرضينا لدنيانا مارضيه النبى ﷺ لديننا فقدمنا أبا بكر وقول البخارى فى تاريخه روى عن ابن جمهان عن سفينة أن النبى ﷺ قال لأبى بكر وعمر وعثمان هؤلاء الخلفاء بعدى قال البخارى ولم يتابع على هذا لأن عمر وعليا وعثمان قالوا لم يستخلف النبى ﷺ انتهى ومر أن هذا الحديث أعنى قوله هؤلاء الخلفاء بعدى صحيح ولا منافاة بين القول بالاستخلاف والقول بعدمه لأن مراد من نفاه أنه لم ينص عند الموت على استخلاف أحد بعينه ومراد من أثبته أنه ﷺ نص عليه وأشار اليه قبل ذلك ولا شك أن النص على ذلك قبل قرب الوفاة يتطرق اليه الاحتمال وان بعد بخلافه عند الموت فلذلك نفى الجمهور كعلى وعمر وعثمان الاستخلاف ويؤيد ذلك قول بعض المحققين من متأخرى الاصوليين معنى لم ينص عليها لأحد لم يأمر بها لأحد على أنه قد يؤخذ مما فى البخارى عن عثمان ان خلافة أبى بكر منصوص عليها والذى فيه فى هجرة الحبشة عنه من جملة حديث أنه قال وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ووالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ثم استخلف الله أبا بكر فوالله ما عصيته ولا غششته ثم استخلف عمر فوالله ماعصيته ولا غششته الحديث . فتأمل قوله فى أبى بكر ثم استخلف الله أبا بكر وفى عمر ثم استخلف عمر تعلم دلالته على ماذكرته من النص على خلافة أبى بكر وإذا أفهم كلامه هذا ذلك مع ما مر عنه من أنها غير منصوص عليها تعين الجمع بين كلاميه بما ذكرناه وكان اشتمال كلاميه على

---

(٣) الضعف فيه من شريك القاضى وقد لينه الذهبى واتهمه بالتشيع ومن أبى اليقظان واسمه عثمان بن عمير .

(٤) فى السيوطى عن عمر بن عثمان .

ذينك مؤيدا للجمع الذى قدمناه وعلى كل فهو صلى الله عليه وسلم كان يعلم لمن هى بعده باعلام الله له ومع ذلك فلم يؤمر بتبليغ الأمة النص على واحد بعينه عند الموت وانما وردت عنه ظواهر تدل على أنه علم باعلام الله له أنها لأبى بكر فأخبر بذلك كما مر وإذا أعلمها فأما أن يعلمها علما واقعا موافقا للحق فى نفس الأمر أو أمرا واقعا مخالفا له وعلى كل حال لو وجب على الأمة مبايعة غير أبى بكر لبالغ رسول الله ﷺ فى تبليغ ذلك الواجب اليهم بأن ينص عليه نصا جليا ينقل مشتهرا حتى يبلغ الأمة ما لزمهم ولما لم ينقل كذلك مع توفر الدواعى على نقله دل على أنه لا نص. وتوهم أن عدم تبليغه لعلمه بأنهم لا يأتمرون بأمره فلا فائدة فيه باطل فان ذلك غير مسقط لوجوب التبليغ عليه ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد مع الذين علم منهم أنهم لا يأتمرون فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عليه ألا ترى أنه بلغ سائر التكاليف للآحاد مع الذين علم منهم أنهم لا يأتمرون فلم يسقط العلم بعدم ائتمارهم التبليغ عنه واحتمال أنه بلغ أمر الامامة سرا واحدا واثنين ونقل كذلك لا يفيد لأن سبيل مثله الشهرة لصيرورته بتعدد التبليغ وكثرة المبلغين أمرا مشهورا إذ هو من أهم الأمور لما يتعلق به من مصالح الدين والدنيا كما مر مع ما فيه من دفع ماقد يتوهم من إثارة فتنة واحتمال انه بلغه مشتهرا ولم ينقل أو نقل ولم يشتهر فيما بعد عصره باطل أيضا اذ لو اشتهر لكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض لتوفر الدواعى على نقل مهمات الدين فالشهرة هنا لازمة لوجود النص فحيث لاشهرة لا نص بالمعنى المتقدم لا لعلى ولا لغيره فلزم من ذلك بطلان ما نقله الشيعة وغيرهم من الأكاذيب وسودوا به أوراقهم من نحو خبر. أنت الخليفة من بعدى وخبر سلموا على على بامرة المؤمنين وغير ذلك مما يأتى. اذلا وجود لما نقلوه فضلا عن اشتهاره كيف وما نقلوه لم يبلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها إذ لم يصل عليه لأئمة الحديث المثابرين على التنقيب عنه كما اتصل لهم كثير مما ضعفوه. وكيف يجوز فى العادة أن ينفرد هؤلاء بعلم صحة تلك الآحاد مع أنهم لم يتصفوا قط برواية ولا بصحبة محدث ويجهل تلك الآحاد مهرة الحديث وسباقه الذين أفنوا أعمارهم فى الرحلات والأسفار البعيدة وبذلوا جهدهم فى طلبه وفى السعى الى كل من ظنوا عنده قليلا منه فلذلك قضت العادة المطردة القطعية بكذبهم واختلافهم فيما زعموه من نص على على صح آحادا عندهم مع عدم اتصافهم برواية حديث ولا صحبة لمحدث كما تقرر. نعم روى آحادا خبر أنت منى بمنزلة هارون من موسى. وخبر من كنت مولاه فعلى مولاه. وسيأتى الجواب عنهما واضحا مبسوطا وأنه لا دلالة لواحد منهما على خلافة على لا نصا ولا إشارة والا لزم نسبة جميع الصحابة إلى الخطأ وهو باطل لعصمتهم من أن يجتمعوا على ضلالة فاجماعهم على

---

(١) قال السعد فى شرح المقاصد : ولو صحت لما خفيت على الصحابة والتابعين والمهرة المتقنين من المحدثين سيما على وأولاده الطاهرين ولو سلم فغايته إثبات خلافته لا نفى خلافة الآخرين .

خلاف ما زعمه أولئك المبتدعة الجهال قاطع بأن ماتوهموه من هذين الحديثين غير مراد، أن لو فرض احتمالهما لما قالوه فكيف وهما لا يحتملانه كما يأتى ه. فظهر أن ما سودوا به أوراقهم من تلك الآحاد لا تدل لما زعموه واحتمال ان ثم نصا غير ما زعموه يعلمه على أو أحد المهاجرين أو الأنصار باطل أيضا والالا ورده العالم به يوم السقيفة حين تكلموا فى الخلافة أو فيما بعده لوجوب إيراده حينئذ. وقولهم: ترك على إيراده مع علمه تقية باطل إذ لا خوف يتوهمه من له أدنى مسكة وأحاطة بعلم أحوالهم فى مجرد ذكره لهم ومنازعته فى الإمامة به كيف وقد نازع من هو أضعف منه وأقل شوكة ومنعة من غير أن يقيم دليلا على ما يقوله. ومع ذلك فلم يؤذ بكلمة فضلا عن أن. يقتل فبان بطلان هذه التقية المشومة عليهم سيما وعلى قد علم بواقعة الحباب وبعدم إيذائه بقول أو فعل مع أن دعواه لا دليل عليها ومع ضعفه وضعف قومه بالنسبه لعلى وقومه. وأيضا فيمتنع عادة من مثلهم أنه يذكره لهم ولا يرجعون اليه كيف وهم أطوع لله وأعمل بالوقوف عند حدوده وأبعد عن اتباع حظوظ النفس لعصمتهم السابقة وللخبر الصحيح خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم وأيضا ففيهم العشرة المبشرون بالجنة ومنهم أبو عبيدة أمين هذه الأمة كما صح من طرق فلا يتوهم فيهم وهم بهذه الأوصاف الجليلة انهم يتركون العمل بما يرويه لهم من تقبل روايته بلا دليل أرجح يعولون عليه معاذ الله أن يجوز ذلك عليهم شرعا أو عادة إذ هو خيانة فى الدين والا لارتفع الأمان فى كل ما نقلوه عنه من القرآن والأحكام ولم يجزم بشىء من أمور الدين مع أنه بجميع أصوله وفروعه انما أخذ منهم على أن فى نسبة على الى الكتم غاية نقص له لما يلزم عليه من نسبته وهو أشجع الناس الى الجبن والظلم، ولهذا التوهم كفره بعض الملحدين كما يأتى فعلم مما تقرر جميعه أنه لا نص على إمامة على حتى ولا بالاشارة، وأما أبو بكر فقد علمت النصوص السابقة المصرحة بخلافته وعلى فرض أن لا نص عليه أيضا ففى إجماع الصحابة عليها غنى عن النص اذهو أقوى منه لأن مدلوله قطعى ومدلول خبر الواحد ظنى وأما تخلف جمع كعلى والعباس والزبير والمقداد عن البيعة وقت عقدها فالجواب عنه مستوفى، وحاصله مع الزيادة، أن أبا بكر أرسل اليهم بعد فجاؤا فقال للصحابة هذا على ولا بيعة لى فى عنقه وهو بالخيار فى أمره ألا فأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم إياى فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه فقال على لانرى لها أحدا غيرك فبايعه هو وسائر المتخلفين.

الفصل الخامس

فى ذكر شبه الشيعة والرافضة ونحوهما وبيان بطلانها بأوضح الأدلة وأظهرها

(الأولى) زعموا أنه صلى الله عليه وسلم لم يول أبا بكر عملا يقيم فيه قوانين الشرع والسياسة فدل ذلك على أنه لا يحسنهما وإذا لم يحسنهما لم تصح أمامته لأن من شرط الإمام أن يكون شجاعا

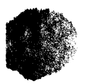
(والجواب عن ذلك) بطلان مازعموه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يوله عملا. ففى البخارى عن سلمة بن الاكوع ، غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات مرة علينا أبو بكر ومرة علينا أسامة، وولاه صلى الله عليه وسلم الحج بالناس سنة تسع وما زعموه من أنه لا يحسن ذلك باطل أيضا كيف وعلى كرم الله وجهه معترف بأنه أشجع الصحابة. فقد أخرج البزار فى مسنده عن على أنه قال : أخبرونى من أشجع الناس قالوا أنت قال أما إنى ما بارزت أحدا إلا انتصفت منه ولكن أخبرونى بأشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر إنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله مادنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه فهذا أشجع الناس ، قال علي ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجئه وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا قال فوالله مادنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويجأ هذا ويتلتل هذا وهو يقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم رفع علىّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبونى فوالله لساعة من أبى بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه (وأخرج) البخارى عن عروة بن الزبير سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ماصنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت : عقبة بن أبى معيط جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم (وأخرج) ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال : لما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله . وأخرج ابن عساكر عن أبى هريرة : قال تباشرت الملائكة يوم بدر : فقالوا أما ترون أن أبا بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش : وأخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم عن على قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبى بكر مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل : قال بعضهم ومن الدليل على أنه أشجع من على أن عليا أخبره النبى صلى الله عليه وسلم بقتله على يد ابن ملجم فكان إذا لقى ابن ملجم يقول له متى تخضب هذه من هذه وكان يقول إنه قاتلى كما يأتى فى أواخر ترجمته ، فحينئذ كان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم يعلم أنه لاقدرة له على قتله فهو معه كأنه نائم على فراش، وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدرى هل يقتل أم لا ، فمن يدخل الى الحرب وهو لا يدرى ذلك يقاسى من الكرب والفر والجزع والفزع مايقاسى بخلاف من يدخلها

كأنه نائم على فراشه انتهى (ومن) باهر شجاعته ماوقع له فى قتال أهل الردة ، فقد أخرج الاسماعيلى عن عمر لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد من ارتد من العرب وقالوا لا نصلى ولا نزكى فاتيت أبا بكر ، فقلت ياخليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فانهم بمنزلة الوحش : فقال رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك جبارا فى الجاهلية خوارا فى الإسلام بماذا شئت أتألفهم بشعر مفتعل أو بسحر مفترى هيهات هيهات مضى النبى صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى والله لأجاهدنهم مااستمسك السيف فى يدى وان منعونى عقالا قال عمر فوجدته فى ذلك أمضى منى وأصرم، وأدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم .

فعلم بما تقرر عظم شجاعته : ولقد كان عنده صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة من العلم بشجاعته وثباته فى الأمر ما أوجب لهم تقديمه للإمامة العظمى إذ هذان الوصفان هما الاهمان فى أمر الإمامة لاسيما فى ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة وغيرهم. ومن الدليل على اتصافه بهما أيضا قوله كما فى الصحيح فى صلح الحديبية لعروة بن مسعود الثقفى حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم كأنى بك وقد فرعنك هؤلاء . امصص بظر اللات أنحن نفر عنه أو ندعه . استبعاد أن يقع ذلك .

قال العلماء وهذا مبالغة من أبى بكر فى سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمته وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار ـ والبظر بموحدة مفتوحة فمعجمة ساكنة قطعة تبقى بفرج المرأة بعد الختان واللات اسم صنم ـ والعرب تطلق هذا اللفظ فى معرض الذم

فانظر كيف نطق لهذا الكافر الشديد القوة والمنعة حينئذ بهذا السب الذى لا سب فوقه عند العرب ولم يخش شوكته مع قوتها بحيث صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عن دخول مكة ذلك العام ووقع الصلح على أن يدخلها من العام القابل ولم يجسر أحد من الصحابة غير الصديق على أن يتفوه لعروة بكلمة مع أنه نسبهم أجمعين إلى الفرار وإنما أجابه الصديق فقط فدل ذلك على أنه أشجعهم كما مر عن على (ومن) شجاعته العظمى قتاله لمانعى الزكاة وعزمه عليه ولو وحده كما قدمته مبسوطا أول الفصل الثالث ومختصرا آنفا فراجعه (ومن ذلك أيضا) قتاله مسيلمة اللعين وقومه بنى حنيفة مع أن الله وصفهم بانهم أولو بأس شديد بناء على أن الآية نزلت فيهم كما قاله جمع من المفسرين منهم الزهرى والكلبى (ومن ذلك أيضا) ثباته عند مصادمة المصائب المدهشة التى تذهل الحكيم لعظمها كثباته حين دهش الناس لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم ذهلوا حتى عمر وهو من هو فى الثبات لجزم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يمت وقال من زعم ذلك ضربت عنقه حتى قدم أبو بكر من مسكنه بالعوالى فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وكشف عن وجهه فعرف أنه مات فأكب عليه يقبله ويبكى ثم



خرج اليهم فاستسكت عمر عن قوله فأبى لما هو فيه من الدهش فتركه وتكلم فانحازوا إليه لعلمهم بعلو شأنه وتقدمه فخطبهم : فقال أما بعد . فمن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم قرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآية : رواه البخارى (١) وغيره فحينئذ صدقوا بوفاته وكرروا هذه الآية كأنهم لم يسمعوها قبل لعظيم ما استولى عليهم من الدهش ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأكملهم عقلا . فقد أخرج تمام وابن عساكر أتانى جبريل : فقال إن الله يامرك أن تستشير أبا بكر . والطبرانى وأبو نعيم وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يسرح معاذا إلى اليمن استشار ناسا من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل انسان برأيه . فقال ماترى يامعاذ فقلت أرى ماقال أبو بكر . فقال ﷺ ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر (وأخرج الطبرانى) بسند رجاله ثقات إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر فهذا دليل على أنه أكملهم عقلا ورأيا بل وعلى أنه أعلمهم ولا مرية فى ذلك .

فثبت بهذه الادلة عظم شجاعته وثباته وكمال عقله ورأيه وعلمه ومن ثم قال العلماء إنه صحب النبى صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى أن توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا الا فيما أذن له فى الخروج فيه من حج أو غزو وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة فى الله ورسوله وقام بنصرته فى غير موضع وله الآثار الجميلة فى المشاهد وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس اه فكيف مع ذلك كله ينسب اليه عدم شجاعة أو عدم ثبات فى الامر كلا بل له فيهما الغاية القصوى والآثار الحميدة التى لا تستقصى فرضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه (الشبهة الثانية) زعموا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قراءة براءة على الناس بمكة عزله وولى عليا فدل ذلك على عدم أهليته (وجوابها) بطلان مازعموه هنا أيضا وانما أتبعه عليا لقراءة براءة لأن عادة العرب فى أخذ العهد ونبذه أن يتولاه الرجل أو أحد من بنى عمه ولذلك لم يعزل أبا بكر عن امرة الحج بل أبقاه أميرا وعليا ماموراله فيما عدا القراءة على ان عليا لم ينفرد بالأذان بذلك . ففى صحيح البخارى ان أبا هريرة . قال بعثنى أبو بكر فى تلك الحجة فى مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . قال حميد بن عبد الرحمن ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فامره أن يؤذن ببراءة . قال أبو هريرة فاذن معنا على يوم النحر فى أهل منى ببراءة أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فتأمله تجد عليا انما أذن مع مؤذنى أبى بكر . ومما يصرح بما ذكرناه أن أبا بكر لما جاء على لم يعزل مؤذنيه فعدم

---

(١) وقد تابع فى خلافته الفتوح وطهر جزيرة العرب من الشرك وأجلا الروم عن الشام وأطرافها وطرد فارس عن حدود السواد وأطراف العراق مع قوتهم وشوكتهم ووفور أموالهم وانتظام أحوالهم .

عزله لهم وجعله أياهم شركاء لعلى صريح فى أن عليا إنما جاء وفاء بعادة العرب التى قلناها لا لعزل أبى بكر وإلا لم يسع أبا بكر أن يبقى مؤذنيه يؤذنون مع على. فاتضح بذلك ما قلناه وأنه لادلالة لهم فى ذلك بوجه من الوجوه غير مايفترفونه من الكذب وينتحلونه من العناد والجهل (الشبهة الثالثة) زعموا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ولاه الصلاة أيام مرضه عزله عنها (وجوابها) ان ذلك من قبائح كذبهم وافترائهم فقبحهم الله وخذلهم كيف وقد قدمنا فى سابع الاحاديث الدالة على خلافته من الاحاديث الصحيحة المتواترة ماهو صريح فى بقائه إماما يصلى إلى أن توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البخارى عن أنس قال ان المسلمين بينهم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى بهم لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا بالنبى صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ثم قبض وقت الضحى من ذلك اليوم فتأمل عظيم افترائهم وحمقهم. على أن صلاته بالناس خلافة عنه صلى الله عليه وسلم متفق عليها ومجمع منا ومنهم على وقوعها فمن ادعى انعزاله عنها فعليه البيان ولا بيان عندهما وإنما الذى انطووا عليه خبائث الافتراء والبهتان: وعن ابن عباس وغيره لم يصل النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته إلا خلف أبى بكر. وأما عبد الرحمن بن عوف فصلى خلفه ركعة واحدة فى سفر ولم يقل أحد قط أنه صلى خلف على فهذه منقبة لأبى بكر أى منقبة وخصوصية أى خصوصية (الرابعة) زعموا أنه أحرق من قال أنا مسلم وقطع يد السارق اليسرى وتوقف فى ميراث الجدة حتى روى له أن لها السدس وأن ذلك قادح فى خلافته (وجوابها) بطلان زعمهم قدح كذلك فى خلافته. وبيانه أن ذلك لا يقدح إلا إذا ثبت أنه ليس فيه أهلية للإجتهاد وليس كذلك بل هو من أكابر المجتهدين بل هو أعلم الصحابة على الإطلاق للأدلة الواضحة على ذلك (منها) ما أخرجه البخارى وغيره أن عمر فى صلح الحديبية سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح قال علام نعطى الدنية فى ديننا فاجابه النبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبى بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يعلم بجواب النبى صلى الله عليه وسلم فأجابه بمثل ذلك الجواب سواء بسواء. (ومنها) ما أخرجه أبو القاسم البغوى وأبو بكر الشافعى فى فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرأب النفاق أى رفع رأسه وارتدت العرب وانحازت الانصار فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبى لهاضها أى فتتها فما اختلفوا فى لفظة الا طار أبى بعبائها وفصلها قالوا أين ندفن رسول الله صلى الله

عليه وسلم فما وجدنا عند أحد فى ذلك علما . فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى يقبض الادفن تحت مضجعه الذى مات فيه ، واختلفوا فى ميراثه فما وجدنا عند أحد فى ذلك علما فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول إنا معشر الانبياء لا نورث ماتركنا صدقة قال بعضهم وهذا أوّل اختلاف وقع بين الصحابة فقال بعضهم تدفنه بمكة مولده ومنشئه وبعضهم بمسجده وبعضهم بالبقيع وبعضهم ببيت المقدس مدفن الانبياء حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم قال ابن زنجويه وهذه سنة تفرد بها الصديق من بين المهاجرين والانصار ورجعوا اليه فيها ومر آنفا خبر أتانى جبريل فقال ان الله يامرك أن تستشير أبا بكر وخبر ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر سنده صحيح وخبر لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره . ومرّ أوّل الفصل الثالث خبر انه وعمر كانا يفتيان الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وعن تهذيب النووى ان أصحابنا استدلوا على عظم علمه بقوله والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة الى آخره وان الشيخ أبا اسحق استدل به على أنه أعلم الصحابة لانهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم فى المسئلة الا هو ثم ظهر لهم ان قوله هو الصواب فرجعوا اليه

لا يقال بل علىّ أعلم منه . للخبر الآتى فى فضائله أنا مدينة العلم وعلى بابها .

لانا نقول سياتى ان ذلك الحديث مطعون فيه وعلى تسليم صحته أو حسنه فابو بكر محرابها ورواية فمن أراد العلم فليأت الباب لا تقتضى الأعلمية فقد يكون غير الأعلم يقصد لما عنده من زيادة الإيضاح والبيان والتفرغ للناس بخلاف الأعلم على ان تلك الرواية معارضة بخبر الفردوس أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلى بابها فهذه صريحة فى أن أبا بكر أعلمهم وحينئذ فالامر بقصد الباب انما هو لنحو ماقلناه لا لزيادة شرفه على ماقبله لما هو معلوم ضرورة ان كلا من الاساس والحيطان والسقف أعلى من الباب . وشذ بعضهم فاجاب بان معنى وعلى بابها أى من العلو على حد قراءة هذا صراط مستقيم برفع على وتنوينه كما قرأ به يعقوب (وأخرج) ابن سعد عن محمد بن سيرين وهو المقدم فى علم تعبير الرؤيا بالاتفاق انه قال كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم (وأخرج الديلمى وابن عساكر امرت ان أولى الرؤيا ياأبا بكر ومن ثم كان يعبر الرؤيا فى زمن النبى ﷺ وبحضرته فقد أخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على ابى بكر فقال :

رايت كأنى استبقت انا وانت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف قال يارسول الله يقبضك الله الى مغفرة ورحمة واعيش بعدك سنتين ونصفا وكان كما عبر فقد عاش بعده سنتين وسبعة أشهر أخرجه الحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما (وأخرج) سعيد بن منصور عن عمرو بن

شرحبيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتنى فى غنم سود ثم أردفتها غنم بيض حتى ماترى السود فيها فقال أبو بكر يا رسول الله أما الغنم السود فانها العرب يسلمون ويكثرون والغنم البيض الأعاجم يسلمون حتى لا يُرى العرب فيهم من كثرتهم فقال رسول الله ﷺ كذلك عبرها الملك سحر .

فثبت بجميع ما قررناه أنه من أكابر المجتهدين بل أكبرهم على الاطلاق. وإذا ثبت أنه مجتهد فلا عتب عليه فى التحريق لأن ذلك الرجل كان زنديقا وفى قبول توبته خلاف ، وأما النهى عن التحريق فيحتمل أنه لم يبلغه ويحتمل أنه بلغه وتأوله على غير نحو الزنديق وكم من أدلة تبلغ المجتهدين ويؤولونها لما قام عندهم لا ينكر ذلك الا جاهل بالشريعة وحاملها وأما قطعه يسار السارق فيحتمل أنه خطأ من الجلاد ويحتمل أنه لسرقة ثالثة ومن أين لهم انها للسرقة الأولى وأنه قال للجلاد اقطع يساره وعلى التنزل فالآية شاملة لما فعله فيحتمل أنه كان يرى بقاءها على اطلاقها وأن قطعه ﷺ اليمنى فى الأولى ليس على الحتم بل الامام مخير فى ذلك وعلى فرض اجماع فى المسئلة فيحتمل أنهم أجمعوا على ذلك بعده بناء على انعقاد الاجماع فى مثل ذلك وفيه خلاف محله كتب الأصول وقراءة ـ أيمانهما ـ يحتمل أنها لم تبلغه فعلى كل تقدير لايتوجه عليه فى ذلك عتب ولا اعتراض بوجه من الوجوه ثم رأيت أن الاحتمال الأول هو الحق الواقع فقد أخرج مالك رضى الله عنه عن القاسم بن محمد أن رجلا من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبى بكر فشكا اليه أن عامل اليمن ظلمه فكان يصلى من الليل فيقول أبو بكر وأبيك ما ليلك بليل سارق ثم انهم افتقدوا حليا لاسماء بنت عميس امرأة أبى بكر فجعل يطوف معهم ويقول اللهم عليك بمن بيَّت أهل هذا البيت الصالح فوجدوا الحلى عند صائغ زعم ان الاقطع جاءه به فاعترف الأقطع أو شهد عليه وأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى وقال أبو بكر والله لدعاؤه على نفسه أشد عندى عليه من سرقته . فاتضح الأمر وبطلت شبهة المعاندين (وأما) توقفه فى مسئلة الجدة الى أن بلغه الخبر فينبغى سياق حديثه فان فيه أبلغ رد على المعترضين .

أخرج أصحاب السنن الأربعة ومالك عن قبيصة قال : جاءت الجدة إلى أبى بكر الصديق تسأله ميراثها فقال: مالك فى كتاب الله وما علمت لك فى سنة نبى الله صلى الله عليه وسلم شيأ فارجعى حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس فقال أبو بكر هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة فانفذه لها أبو بكر ! فتأمل هذا السياق تجده قاضيا بالكمال الاسنى لأبى بكر فانه نظر أولا فى القرآن وفى محفوظاته من السنة فلم يجد لها شيأ ثم استشار المسلمين يستخرج ما عندهم من

شيء حفظوه من السنة فاخرج له المغيرة وابن مسلمة ما حفظاه فقضى به. وطلبه انضمام آخر إلى المغيرة احتياط فقط ، إذ الرواية لا يشترط فيها تعدد وهذا يؤيد ما قدمناه عنه أنه كان إذا جاءه الخصم نظر في القرآن ثم فيما يحفظه من السنة يشاور فيه وهذا هو شان المجتهدين على أنه غير بدعي من المجتهد أن يبحث عن مدارك الأحكام (وأخرج) الدار قطني عن القاسم بن محمد ان جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما أمّ أم وأم أب فاعطى الميراث أم الام فقال له عبد الرحمن بن سهل الانصاري البدري أعطيت التي لو أنها ماتت لم ترثها فقسمه بينهما فتامل رجوعه مع كماله الى الحق لما رآه مع أصغر منه (الخامسة) زعموا أن عمر ذمه والمذموم من مثل عمر لا يصلح للخلافة (وجوابها) ان هذا من كذبهم وافترائهم أيضا ولم يقع من عمر ذم له قط وإنما الواقع منه في حقه غاية الثناء عليه واعتقاد أنه أكمل الصحابة علما ورأيا وشجاعة كما يعلم مما قدمناه عنه في قصة المبايعة وغيرها على ان إمامة عمر انما هي بعهد أبي بكر اليه فلو قدح فيه لكان قادحا في نفسه وامامته. وأما انكاره على أبي بكر كونه لم يقتل خالد بن الوليد لقتله مالك بن نويرة ، وهو مسلم ولتزوجه امرأته من ليلته ودخل بها فلا يستلزم ذماله ولا الحاق نقص به لان ذلك انما هو من انكار بعض المجتهدين على بعض في الفروع الاجتهادية وهذا كان شان السلف وكانوا لا يرون فيه نقصا وانما يرونه غاية الكمال على ان الحق عدم قتل خالد لأن مالكا ارتد ورد على قومه صدقاتهم لما بلغه وفاة رسول الله ﷺ كما فعل أهل الردة وقد اعترف أخو مالك لعمر بذلك. وتزوجه امرأته لعله لانقضاء عدتها بالوضع عقب موته أو يحتمل انها كانت محبوسة عنده بعد انقضاء عدتها عن الأزواج على عادة الجاهلية وعلى كل حال لخالد أتقى لله من أن يظن به مثل هذه الرذالة التي لا تصدر من أدني المؤمنين فكيف بسيف الله المسلول على أعدائه فالحق ما فعله أبو بكر لا ما اعترض به عليه عمر رضى الله تعالى عنهما ويؤيد ذلك أن عمر لما أفضت الخلافة اليه لم يتعرض لخالد ولم يعاتبه ولا تنقصه بكلمة في هذا الأمر قط فعلم أنه ظهر له حقية ما فعله أبو بكر فرجع عن اعتراضه والا لم يتركه عند استقلاله بالامر لأنه كان اتقى لله من أن يداهن في دين الله أحدا (الشبهة السادسة) زعموا ان قول عمر إن بيعة أبي بكر كانت فلتة لكن وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه (١) قادح في حقيتها (وجوابها) ان هذه من غباوتهم وجهالاتهم اذ لا دلالة في ذلك لما زعموه لان معناه ان الاقدام على مثل ذلك من غير مشورة الغير وحصول الا تفاق منه مظنة الفتنة فلا يقدمنَّ أحد على ذلك على اني أقدمت عليه فسلمت على خلاف العادة ببركة صحة النية وخوف الفتنة لو حصل توان في

---

(١) قال السعد والجواب أن المعنى كانت فجأة وبغتة وقى الله شر الخلاف الذى كاد يظهر عندها فمن عاد إلى مثل تلك المخالفة الموجبة لتبديد الكلمة فاقتلوه.

هذا الامر كما مر مبسوطاً فى فصل المبايعة (السابعة) زعموا أنه ظالم لفاطمة بمنعه إياها مخلّف أبيها وأنه لا دليل له فى الخبر الذى رواه. نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. لأن فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث وفيه ماهو مشهور عند الأصوليين وزعموا أيضاً أن فاطمة معصومة بنص إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت. وخبر. فاطمة بضعة منى وهو معصوم فتكون معصومة وحينئذ فيلزم صدق دعواها الارث (وجوابها) أما عن الاول فهو لم يحكم بخبر الواحد الذى هو محل الخلاف وإنما حكم بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنده قطعى فساوى آية المواريث فى قطعية المتن وأما حمله على مافهمه منه فلانتفاء الاحتمالات التى يمكن تطرقها اليه عنه بقرينة الحال فصار عنده دليلا قطعيا مخصصا لعموم تلك الآيات وأما عن الثانى فمن أهل البيت أزواجه على ما يأتى فى فضائل أهل البيت ولسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت وأما بضعة منى فمجاز قطعا فلم يستلزم عصمتها وأيضا فلا يلزم مساواة البعض للجملة فى جميع الأحكام بل الظاهر ان المراد أنها كبضعة منى فيما يرجع للخير والشفقة ودعواها أنه ﷺ نحلها فدك لم تأت عليها الا بعلى وأم أيمن فلم يكمل نصاب البينة على أن فى قبول شهادة الزوج لزوجته خلافا بين العلماء وعدم حكمه بشاهد ويمين أما لعلة لكونه ممن لا يراه ككثيرين من العلماء أو أنها لم تطلب الحلف مع من شهد لها وزعمهم ان الحسن والحسين وأم كلثوم شهدوا لها باطل على ان شهادة الفرع والصغير غير مقبولة وسيأتى عن الإمام زيد بن الحسن بن على بن الحسين رضى الله عنهم أنه صوّب مافعله أبو بكر وقال لو كنت مكانه لحكمت بمثل ما حكم به وفى رواية تأتى فى الباب الثانى ان أبا بكر كان رحيما وكان يكره أن يغير شيأ تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى فدك فقال هل لك بينة فشهد لها على وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقها ثم قال زيد والله لو رفع الأمر فيها إلى لقضيت بقضاء أبى بكر رضى الله عنه وعن أخيه الباقر أنه قيل له أظلمكم الشيخان من حقكم شيأ فقال لا ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمانا من حقنا ما يزن حبة خردلة وأخرج الدار قطنى أنه سئل ما كان يعمل على فى سهم ذوى القربى قال عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر وكان يكره أن يخالفهما (وأما) عذر فاطمة فى طلبها مع روايته لها الحديث فيحتمل أنه لكونها رأت أن خبر الواحد لا يخصص القرآن كما قيل به. فانضح عذره فى المنع وعذرها فى الطلب فلا يشكل عليك ذلك وتأمله فانه مهم. ويوضح ما قررناه فى هذا المحل حديث البخارى فانه مشتمل على نفائس تزيل مافى نفوس القاصرين من شبه وهو: عن الزهرى قال أخبرنى مالك بن أوس بن الحدثان النضرى ان عمر بن الخطاب دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك فى عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستاذنون قال نعم فأدخلهم فلبث قليلا ثم جاء فقال هل لك فى عباس وعلىّ يستأذنان قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بينى

و بين هذا وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير فاستب على وعباس فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر فقال عمر اتئدوا أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركنا صدقة: يريد بذلك نفسه قالوا قد قال ذلك. فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك قالا نعم قال فاني أحدثكم عن هذا الأمر إن الله كان خص رسوله في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره فقال وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب إلى قوله قدير. فكانت هذه خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم والله ما اختارها دونكم ولا استأثر بها عليكم لقد أعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه فأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر يعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم حينئذ، وأقبل على علي والعباس وقال تذكر ان أبا بكر كان فيه كما تقولان والله يعلم أنه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من إمارتي أعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم أني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فجئتني يعني عباسا فقلت لكما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركنا صدقة فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت ان شئتما دفعته إليكما على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت وإلا فلا تكلماني فقلتما ادفعه إلينا بذلك فدفعته إليكما أفتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والأرض لا أقضي فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه إلي فانا أكفيكماه قال فحدثت هذا الحديث عروة بن الزبير فقال صدق مالك بن أوس أنا سمعت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا أردهن فقلت لهن ألا تتقين الله ألم تعلمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا نورث ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه إنما يأكل آل محمد في هذا المال فانتهى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما أخبرتهن قال فكانت هذه الصدقة بيد علي منعها علي عباسا فغلبه عليها ثم كانت بيد الحسن بن علي رضي الله عنهما ثم بيد الحسين ابن علي ثم بيد علي بن الحسين وحسن بن حسن كلاهما كانا يتداولانها ثم بيد زيد بن حسن

رضى الله عنهم وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا . ثم ذكر البخارى بسنده أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما أرضه من فدك وسهمه من خيبر فقال أبو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ماتركنا صدقة إنما يأكل آل محمد فى هذا المال والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلىّ أن أصل من قرابتى .

فتأمل مافى حديث عائشة والذى قبله تعلم حقية ماعليه أبو بكر رضى الله عنه وذلك أن استباب على والعباس صريح فى أنهما متفقان على أنه غير إرث وإلا لكان للعباس سهمه ولعلى سهم زوجته ولم يكن للخصام بينهما وجه فخصامهما إنما هو لكونه صدقة وكل منهما يريد أن يتولاها فاصلح بينهما عمر رضى الله عنهم وأعطاه لهما بعد أن بين لهما وللحاضرين السابقين وهم من أكابر العشرة المبشرين بالجنة أن النبى ﷺ قال لا نورث ماتركنا صدقة وكلهم حتى على والعباس أخبر بأنه يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك فحينئذ أثبت عمر أنه غير إرث ثم دفعه اليهما ليعملا فيه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنة أبى بكر فأخذاه على ذلك وبين لهما أن مافعله أبو بكر فيه كان فيه صادقا بارا راشدا تابعا للحق فصدقاه على ذلك. فهل بقى لمعاند بعد ذلك من شبهة. فان زعم بقاء شبهة قلنا يلزمك أن تغلب علىّ على الجميع وأخذه من العباس ظلم لانه يلزم على قولكم بالإرث أن للعباس فيه حصة فكيف مع ذلك ساغ لعلى أن يتغلب على الجميع ويأخذه من العباس ثم كان فى يد بنيه وبنيهم من بعده ولم يكن منه شىء فى يد بنى العباس فهل هذا من على وذريته الا صريح الاعتراف بأنه صدقة وليس بارث والا لزم عليه عصيان على وبنيه وظلمهم وفسقهم وحاشاهم الله من ذلك بل هم معصومون عند الرافضة ونحوهم فلا يتصور بهم ذنب فاذا استبدوا بذلك جميعه دون العباس وبنيه علمنا أنهم قائلون بانه صدقة وليس بارث وهذا عين مدعانا وتأمل أيضا أن أبا بكر منع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من ثمنهن أيضا فلم يخص المنع بفاطمة والعباس ولو كان مداره على محاباة لكان أولى من محاباة ولده فلما لم يحاب عائشة ولم يعطها شيأ علمنا أنه على الحق المر الذى لايخشى فيه لومة لائم .

وتأمل أيضا تقرير عمر للحاضرين ولعلى والعباس بحديث لا نورث وتقرير عائشة لأمهات المؤمنين به أيضا وقول كل منهما ألم تعلموا ا يظهر لك من ذلك أن أبا بكر لم ينفرد برواية هذا الحديث وأن أمهات المؤمنين وعليا والعباس وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعدا كلهم كانوا يعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك وأن أبا بكر إنما انفرد باستحضاره أولا ثم استحضره الباقون وعلموا أنهم سمعوه منه صلى الله عليه وسلم قال فالصحابة رضوان الله عليهم لم يعملوا برواية أبى بكر وحدها وإن كانت كافية أىّ كفاية فى ذلك وانما عملوا بها وبما انضم اليها من علم أفاضلهم الذين ذكروهم بها أيضا فبان بذلك ايضا

مافعله أبو بكر رضى الله عنه وأنه لاشبهة فيه بوجه من الوجوه وأنه الحق الصدق الذي لايشوبه أدنى شائبة تعصب ولا حمية وأن من خالف فى ذلك فهو كاذب جاهل أحمق معاند لايعبأ الله به ولا بقوله ولا يبالى به فى أى واد هلك نسال الله السلامة فى العقل والدين .

﴿ تنبيه ﴾ لايعارض قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لانورث قوله تعالى وورث سليمان داود لأن المراد ليس وراثة المال بل النبوة والملك ونحوهما، بدليل اختصاص سليمان بالارث مع أن له تسعة عشر أخا ، فلو كان المراد المال لم يختص به سليمان وسياق عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء قاض بما ذكرناه ووراثة العلم قد وقعت فى آيات منها ثم أورثنا الكتاب . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وقوله تعالى فهب لى من لدنك وليا يرثنى لأن المراد ذلك فيها أيضا بدليل وإنى خفت الموالى من ورائى أى أن يضيعوا العلم والدين وبدليل من آل يعقوب وهم أولاده الأنبياء على أن زكريا لم يحك أحد أنه كان له مال حتى يطلب ولدا يرثه ولو سلم فقام النبي صلى الله عليه وسلم يأبى طلب ذلك إذ القصد بالولد احياء ذكر الأب والدعاء له وتكثير سواد الأمة فمن طلبه لغير ذلك كان ملوما سيما إن قصد به حرمان عصبته من إرثه لو لم يوجد له ولد ،

(الثامنة) ◦ زعموا ان النبي ﷺ نص على الخلافة لعلى إجمالا قالوا لانا نعلم قطعا وجود نص جلى وان لم يبلغنا لأن عادته ﷺ فى حياته قاضية باستخلاف على على المدينة عند غيبته عنها حتى لا يتركهم فوضى ـ أى متساوين ـ لا رئيس لهم فاذا لم يخل بذلك فى حياته فبعد وفاته أولى (وجوابها) مر مبسوطاً فى الفصل الرابع بأدلته ومنه انما ترك ذلك لعلمه بان الصحابة يقومون به ويبادرون اليه لعصمتهم عن الخطأ اللازم لتركهم له ومن ثم لم ينص على كثير من الاحكام بل وكلها الى آراء مجتهديهم. على أنا نقول انتفاء النص الجلى معلوم قطعا والا لم يمكن ستره عادة إذ هو مما تتوفر الدواعى على نقله وأيضا لو وجد نص لعلى لمنع به غيره كما منع أبو بكر مع أنه أضعف من على عندهم الأنصار بخبر الائمة من قريش فاطاعوه مع كونه خبر واحد وتركوا الإمامة وادعاءها لأجله فكيف حينئذ يتصور وجود نص جلى يقينى لعلى وهو بين قوم لايعصون خبرا لواحد فى امر الإمامة وهم من الصلابة فى الدين بالمحل الأعلى بشهادة بذلهم الأنفس والأموال ومهاجرتهم الأهل والوطن وقتلهم الأولاد والآباء فى نصرة الدين ثم لا يحتج على عليهم بذلك النص الجلى بل ولا قال احد منهم عند طول النزاع فى أمر الامامة مالكم تتنازعون فيها والنص الجلى قد عين فلانا لها فان زعم زاعم ان عليا قال لهم ذلك فلم يطيعوه كان ضالا مفتريا منكرا للضروريات فلا يلتفت اليه وامّا الخبر الآتى فى فضائل على انه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال انشد الله من شهد يوم غدير خُم الاقام ولا يقوم رجل يقول نبئت او بلغني الا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه فقام سبعة

عشر صحابيا وفى رواية ثلاثون فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث الآتى ومن جملته من كنت مولاه فعلى مولاه فقال صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين فانما قال ذلك علىّ بعد أن آلت اليه الخلافة . لقول أبى الطفيل راويه كما ثبت عند احمد والبزار جمع على الناس بالرحبة يعنى بالعراق ثم قال لهم انشد الله من شهد يوم غدير خم إلى آخرما مر . فاراد به حثهم على التمسك به والنصرة له حينئذ (التاسعة) زعموا وجود نص على الخلافة لعلى تفصيلا وهو قوله تعالى : وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض وهى تعم الخلافة وعلى من اولى الأرحام دون أبى بكر ه (وجوابها) منع عموم الآية بل هى مطلقة فلا تكون نصاً فى الخلافة وفرق ظاهر بين المطلق والعام اذ عموم الاوّل بدلى والثانى شمولى (العاشرة) زعموا أن من النص التفصيلى المصرِّح بخلافة علىّ قوله تعالى إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية . قالوا والولى اما الاحق والأولى بالتصرف كولى الصبى وإما المحب والناصر وليس له فى اللغة معنى ثالث والناصر غير مراد لعموم النصرة لكل المؤمنين بنص : قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض. فلم يصح الحصر بانما فى المؤمنين الموصوفين بما فى الآية : فتعين أنه فى الآية : المتصرف وهو الإمام وقد أجمع أهل التفسير على أن المراد بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . علىّ اذ سبب نزولها أنه سئل وهو راكع فأعطى خاتمهُ وأجمعوا أن غيره كأبى بكر غير مراد فتعين أنه المراد فى الآية فكانت نصا فى أمامته (وجوابها) منع جميع ماقالوه اذ هو حَزْر وتخمين من غير اقامة دليل يدل له . بل الولىّ فيها بمعنى الناصر ويلزم على مازعموه ان عليا أولى بالتصرف حال حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شبهة فى بطلانه وزعمهم الإجماع على ارادة على دون أبى بكر كذب قبيح لأن أبا بكر داخل فى جملة الذين يقيمون الصلاة الخ لتكرر صيغة الجمع فيه فكيف يحمل على الواحد ونزولها فى حق علىّ لاينافى شمولها لغيره ممن يجوز اشتراكه معه فى تلك الصيغة ، وكذلك زعمهم الاجماع على نزولها فى علىّ باطل أيضا . فقد قال الحسن وناهيك به جلالة وإمامة إنها عامة فى سائر المؤمنين ويوافقه ان الباقر وهو من هو سئل عمن نزلت فيه هذه الآية أهو على : فقال على من المؤمنين ولبعض المفسرين : قوله ان الذين آمنوا ابن سلام وأصحابه ولبعض آخر منهم قول انه عُبادة لما تبرأ من حلفائه من اليهود وقال عكرمة وناهيك به حفظا لعلوم مولاه ترجُمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إنها نزلت فى أبى بكر فبطل ما زعموه . وأيضا فحمل الولى على مازعموه لا يناسب ما قبلها وهو لا تتخذوا اليهود الخ إذ الولى فيها بمعنى الناصر جزما ولا مابعدها وهو ومن يتول الله ورسوله الخ إذ التولى هنا بمعنى النصرة فوجب حمل ما بينهما عليها أيضا لتتلاءم أجزاء

الكلام (١) (الحادية عشرة) زعموا ان من النص التفصيلى المصرح بخلافة على قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ـ موضع بالجحفة ـ مرجعه من حجة الوداع بعد ان جمع الصحابة وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد على وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فأحبَّ من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدِرْ الحق معه حيث دار . قالوا فمعنى المولى الأولى أى فلعلى عليهم من الولاء ماله صلى الله عليه وسلم عليهم منه بدليل قوله ألست أولى بكم . لا الناصر وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء له لأن ذلك يعرفه كل أحد : قالوا ولا يكون هذا الدعاء إلا لإمام معصوم مفترض الطاعة : قالوا فهذا نص صريح صحيح على خلافته انتهى . (وجواب هذه الشبهة) التى هى أقوى شبههم يحتاج إلى مقدمة وهى بيان الحديث ومخرجيه . وبيانه أنه حديث صحيح لا مرية فيه وقد أخرجه جماعة كالترمذى والنسائى وأحمد وطرقه كثيرة جدا ومن ثم رواه ستة عشر صحابيا وفى رواية لأحمد أنه سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلى لما نوزع أيام خلافته كما مر وسيأتى ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح فى صحته ولا لمن رده بأن عليا كان باليمن ، لثبوت رجوعه منها وأدراكه الحج مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وقول بعضهم إن زيادة اللهم وال من والاه الخ موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبى كثيرا منها .

وبالجملة فما زعموه مردود من وجوه نتلوها عليك وان طالت لمسيس الحاجة اليها فاحذر ان تسأمها أو تغفل عن تأملها (أحدها) أن فرق الشيعة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدل به على الامامة وقد علم نفيه لما مر من الخلاف فى صحة هذا الحديث بل الطاعنون فى صحته جماعة من أئمة الحديث وعدوله المرجوع اليهم فيه كأبى داود السجستانى وأبى حاتم الرازى وغيرهم فهذا الحديث مع كونه آحادا مختلف فى صحته فكيف ساغ لهم أن يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر فى أحاديث الامامة ويحتجون بذلك ماهذا إلا تناقض

---

(١) الاستدلال بهذه الآية على خلافة على لايتم إلا بناء على أن كلمة إنما للحصر الحقيقى ولو تم الاستدلال لبطل على الشيعة أحد عشر إماما لأن الحصر الحقيقى لا يتحقق فى غير على لعدم استجماع هذه الصفات فيمن بعده من أئمتهم ونمنع أن ولاية الذين آمنوا مرادة فى زمن الخطاب فى عصر النبى عليه السلام البتة لأن الامامة نيابة عن النبى بعد موته والآية لم تحدد لهذه الولاية زمنا فلاتدل إلا على صحة إمامة على ولو بعد الأئمة الثلاثة فلا يصح الاستدلال .

وقولهم أجمع المفسرون على أنها فى على ممنوع فقد روى النقاش المفسر عن الباقر انها فى المهاجرين والأنصار وروى عن عكرمة أنها فى أبى بكر ـ وحديث التصدق بالخاتم فى الصلاة موضوع وعليه الإجماع من العلماء فالقصة إذن مكذوبة بالإجماع .

قبيح وتحكم لا يعتضد بشيء من أسباب الترجيح (ثانيها) لا نسلم أن معنى الولى ما ذكروه بل معناه الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والعتيق والمتصرف في الأمر والناصر والمحبوب وهو حقيقة في كل منها وتعيين بعض معاني المشترك من غير دليل يقتضيه تحكم لا يعتد به وتعميمه في مفاهيمه كلها لا يسوغ لأنه ان كان مشتركا لفظيا بأن تعدد وضعه بحسب تعدد معانيه كان فيه خلاف، والذي عليه جمهور الاصوليين وعلماء البيان واقتضاه استعمالات الفصحاء للمشترك أنه لا يعم جميع معانيه، على أنا لو قلنا بتعميمه على القول الآخر أو بناء على أنه مشترك معنوي بأن وضع وضعا واحداً للقدر المشترك وهو القرب المعنوي من المولى ـ بفتح فسكون ـ لصدقه بكل مما مر فلا يتأتى تعميمه هنا لامتناع إرادة كل من المعتق والعتيق فتعين إرادة البعض ونحن وهم متفقون على صحة إرادة الحب بالكسر وعلى رضي الله عنه سيدنا وحبيبنا . على أن كون المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعا. أما الثاني فواضح وأما الاول فلأن أحدا من أئمة العربية لم يذكر أن مفعلا يأتي بمعنى أفعل وقوله تعالى مأواكم النار هي مولاكم . أي مقركم أو ناصرتكم مبالغة في نفي النصرة كقولهم الجوع زاد من لا زاد له (١) وأيضا فالاستعمال يمنع من أن مفعلا بمعنى أفعل اذ يقال هو أولى من كذا دون مولى من كذا وأولى الرجلين دون مولاهما وحينئذ فانما جعلنا من معانيه المتصرف في الأمور نظرا للرواية الآتية من كنت وليه فالغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه لأن التنصيص عليه أوفى بمزيد شرفه وصدره بألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا ليكون أبعث على قبولهم وكذا بالدعاء لأجل ذلك أيضا ويرشد لما ذكرناه حثه صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة على أهل بيته عموما وعلى علي خصوصا ويرشد اليه أيضا ما ابتدىء به هذا الحديث ولفظه عند الطبراني وغيره بسند صحيح أنه صلى الله عليه وسلم خطب بغدير خم تحت شجرات : فقال أيها الناس أنه قد نبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله وإني لا ظن أني يوشك ان أدعى فاجيب وإني مسؤول وإنكم مسؤلون فماذا أنتم قائلون. قالوا نشهد إنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وان جنته حق وان ناره حق وإن الموت حق وإن البعث حق بعد الموت وإن الساعة آتية لاريب فيها وإن الله يبعث من في القبور . قالوا بلى نشهد بذلك : قال اللهم اشهد . ثم قال يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني عليا اللهم وال

---

(١) جوز أبو زيد اللغوي مجيء المفعل بمعنى أفعل متمسكا في ذلك بقول أبي عبيدة في تفسير (هي مولاكم) أي أولى بكم وجميع أهل اللغة على أنه مخطىء وإلا للزم أن يقال فلان مولى منك بدل أولى منك وهو باطل بالاجماع ولكن أبا عبيدة أراد بيان المعنى يعني النار مقركم ومصيركم والموضع اللائق بكم لا أن المولى بمعنى الأولى .

مَنْ وَالَاه وعَادِ من عَادَاه . ثم قال يا أيها الناس انى فَرَطكم وإنكم واردون على الحوض حوض أعرض مما بين بُصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قِدْحان من فضة وانى سائلكم حين تردون على عن الثقلين فانظروا كيف تخلفونى فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سببٌ طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا وعترتى أهل بيتى فانه قد نبانى اللطيف الخبير انهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض وأيضا فسبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزرى عن ابن اسحق ان عليا تكلم فيه بعض من كان معه فى اليمن فلما قضى ﷺ حجه خطبها تنبيها على قدره وردّا على من تكلم فيه كبريدة لما فى البخارى أنه كان يبغضه وسبب ذلك ما صححه الذهبى أنه خرج معه الى اليمن فرأى منه جفوة فنقّصه للنبى ﷺ فجعل يتغير وجهه ويقول يابريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يارسول الله قال من كنت مولاه فعلى مولاه وأما رواية ابن بريدة عنه لا تقع يابريدة فى علىّ فان عليا منى وأنا منه وهو وليكم بعدى ففى سندها الاجلح وهو وان وثقه ابن معين لكن ضعفه غيره على انه شيعى وعلى تقدير الصحة فيحتمل انه رواه بالمعنى بحسب عقيدته وعلى فرض انه رواه بلفظه فيتعين تأويله على ولاية خاصة نظير قوله ﷺ أقضاكم على على انه وان لم يحتمل التأويل فالإجماع على حقية ولاية أبى بكر وفرعيها قاض بالقطع بحقيتها لأبى بكر وبطلانها لعلى لأن مفاد الاجماع قطعى ومفاد خبر الواحد ظنى ولا تعارض بين ظنى وقطعى بل يعمل بالقطعى ويلغى الظنى على ان الظنى لا عبرة به فيها عند الشيعة كما مر (ثالثها) سلمنا أنه اولى لكن لا نسلم ان المراد انه الأولى بالإمامة بل بالاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ولا قاطع بل ولا ظاهر على نفى هذا الإحتمال بل هو الواقع إذ هو الذى فهمه ابو بكر وعمر وناهيك بهما من الحديث فانهما لما سمعاه قالا له امسيت يا ابن ابى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة اخرجه الدار قطنى واخرج ايضا انه قيل لعمر انك تصنع لعلى شيا لا تصنعه باحد من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال انه مولاى (رابعها) سلمنا انه اولى بالامامة فالمراد المآل والا كان هو الامام مع وجوده ﷺ ولا تعرض فيه لوقت المآل فكان المراد حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافى حينئذ تقديم الائمة الثلاثة عليه لانعقاد الاجماع حتى من على عليه كما مر وللاخبار السابقة المصرحة بأمامة أبى بكر وأيضا فلا يلزم من أفضلية علىّ على معتقدهم بطلان تولية غيره لما مر ان أهل السنة أجمعوا على صحة امامة المفضول مع وجود الفاضل بدليل اجماعهم على صحة خلافة عثمان واختلافهم فى أفضليته على علىّ وان كان أكثرهم على أن عثمان أفضلُ منه كما يأتى وقد صح عن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه أنه قال من زعم ان عليا كان أحق بالولاية من الشيخين فقد خطأهما والمهاجرين والأنصار وما أراه يرفع له عمل مع هذا إلى السماء . نقل ذلك النووى عنه كما مر . ثم قال هذا كلامه وقد كان

حسن اعتقاده فى على رضى الله تعالى عنه بالمحل المعروف انتهى وما أشار اليـه من حسن اعتقـاده فى على مشهور بل أخرج أبو نعيم عن زيد بن الحباب أنه كان يرى رأىَ أصحابه الكوفيين يفضل عليا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فلما صار الى البصرة رجع الى القول بتفضيلهما عليه (خامسها) كيف يكون ذلك نصا على امامته ولم يحتجّ به هو ولا العباس رضى الله تعالى عنهما ولا غيرهما وقت الحاجة اليه وانما احتج به على فى خلافته كما مر فى الجواب على الثامنة من الشبه فسكوته عن الاحتجاج به الى أيام خلافته قاض على من عنده أدنى فهم وعقل بأنه علم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقب وفاة النبى ﷺ على ان عليا نفسه صرح بانه ﷺ لم ينص عليه ولا على غيره كما سيأتى عنه وفى البخارى وغيره حديث خروج على والعباس من عند النبى ﷺ بطوله وهو صريح فيما ذكر من أنه ﷺ لم ينص عند موته على أحد وكل عاقل يجزم بأن حديث من كنت مولاه فعلى مولاه ليس نصا فى امامة على والا لم يحتج هو والعباس الى مراجعته ﷺ المذكورة فى حديث البخارى ولما قال العباس فان كان هذا الأمر فينا علمناه مع قرب العهد جدا بيوم الغدير اذ بينهما نحو الشهرين وتجويز النسيان على سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير مع قرب العهـد وهم مَن هم فى الحفظ والذكاء والفطنة وعدم التفريط والغفلة فيما سمعوه منه ﷺ محال عادى يجزم العاقل بأدنى بديهته بأنه لم يقع منهم نسيان ولا تفريط وأنهم حال بيعتهم لأبى بكر كانوا متذكرين لذلك الحديث عالمين به وبمعناه على أنه ﷺ خطب بعد يوم الغدير وأعلن بحق أبى بكر للحديث الثالث بعد المائة التى فى فضائله فانظره ثم وسيأتى فى الآية الرابعة فى فضائل أهل البيت أحاديث أنه ﷺ فى مرض موته انما حث على مودتهم ومحبتهم واتباعهم وفى بعضها آخر ما تكلم به النبى ﷺ اخلفونى فى أهل بيتى فتلك وصية بهم وشتان ما بينهما وبين مقام الخلافة .

وزعم الشيعة والرافضة بأن الصحابة علموا هذا النص ولم ينقادوا له عنادا ومكابرة بالباطل كما مر وقولهم انما تركها على تقية كذب وافتراء أيضا لما تلوناه عليك مبسوطا فيما مر ومنه أنه كان فى منعة من قومه مع كثرتهم وشجاعتهم ولذا احتج أبو بكر رضى الله تعالى على الانصار لما قالوا منا أمير ومنكم أمير بخبر الائمة من قريش فكيف سلموا له هـــذا الاستدال ولأى شىء لم يقولوا له ورد النص على امامة علىّ فكيف تحتج بمثل هذا العموم وقد أخرج البيهقى عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اه وإنما نبه رحمه الله على الشيعة لأنهم أقل فحشا فى عقائدهم من الرافضة وذلك لأن الرافضة يقولون بتكفير الصحابة لأنهم عاندوا بترك النص على إمامة على

بل زاد أبو كامل (١) من رؤسهم فكفر عليا زاعما انه أعان على كتمان وعلى ستر مالا يتم الدين إلا به . أى لأنه لم يرد عنه قط انه احتج بالنص على إمامته بل تواتر عنه ان أفضل الأمة أبو بكر وعمر وقبل من عمر ادخاله اياه فى الشورى وقد اتخذ الملحدون كلام هؤلاء السفلة الكذبة ذريعة لطعنهم فى الدين والقرآن وقد تصدى بعض الأئمة للرد على الملحدين المحتجين بكلام الرافضة . ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون كيف يقول الله كنتم خير أمة أخرجت للناس وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة أنفس منهم لامتناعهم من تقديم أبى بكر على [على] رضى الله عنه فانظر إلى حجة هذا الملحد تجدها عين حجة الرافضة قاتلهم الله أنى يؤفكون بل هم أشد ضررا على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال كما صرح به على رضى الله عنه بقوله تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجهه ما اشتملوا عليه من افترائهم من قبائح البدع وغايات العناد والكذب حتى تسلطت الملاحدة بسبب ذلك على الطعن فى الدين وائمة المسلمين بل قال القاضى ابو بكر الباقلانى ان فيما ذهبت اليه الرافضة مما ذكر ابطالا للاسلام رأسا لأنه إذا أمكن اجتماعهم على الكتم للنصوص وأمكن فيهم نقل الكذب والتواطؤ عليه لغرض فليمكن ان سائر ما نقلوه من الأحاديث زور ويمكن ان القرآن عورض بما هو أفصح منه كما تدعيه اليهود والنصارى فكتمه الصحابة وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان لأنهم إذا ادعوا ذلك فى هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم اياه فى باقى الأمم أحرى وأولى فتأمل هذه المفاسد التى ترتبت على ما أصله هؤلاء . وقد أخرج البيهقى عن الشافعى رضى الله عنه ما من أهل الاهواء أشهد بالزور من الرافضة وكان إذا ذكرهم عابهم أشد العيب (سادسها) ما المانع من قوله ﷺ فى خطبته السابقة يوم الغدير هذا الخليفة بعدى فعدوله الى ماسبق من قوله من كنت مولاه الخ ظاهر فى عدم إرادة ذلك بل ورد بسند رواته مقبولون كما قاله الذهبى وله طرق عن على رضى الله تعالى عنه قال قيل يا رسول الله من نؤمر فقال ان تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وان تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف فى الله لومة لائم وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم ورواه البزار بسند رجاله ثقات أيضا كما قاله البيهقى فهو يدل على أن أمر الإمام موكول الى من يؤمره المسلمون بالبيعة وعلى عدم النص بها لعلى وقد أخرج جمع كالبزار بسند حسن والإمام أحمد وغيرهما بسند قوى كما قاله الذهبى عن على أنهم لما قالوا له استخلف علينا قال لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ وأخرج البزار ورجاله رجال الصحيح ما استخلف رسول الله ﷺ فأستخلف عليكم

---

(١) أبو كامل هو رئيس فرقة الكاملية من الروافض وكان من جملة من تابعه بشار الشاعر الأعمى وزاد فى بدعته القول بالرجعة وتصويب قول إبليس بتفضيل النار على الأرض .

وأخرجه الدارقطني أيضا وفي بعض طرقه زيادة دخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول استخلف علينا قال لا إن يعلم الله فيكم خيرا يول عليكم خيركم قال على رضى الله عنه فعلم فينا خيرا فولى علينا أبا بكر فقد ثبت بذلك أنه صرح بأن النبي ﷺ لم يستخلف (وأخرج) مسلم أنه قال من زعم أن عندنا شيأ نقرؤه الا كتاب الله وهذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وشيء من الجراحات فقد كذب (وأخرج) جمع كالدار قطني وابن عساكر والذهبي وغيرهم ان عليا لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له اخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتستولى على الأمراء وعلى الأمة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله ﷺ عهده إليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندى عهد من النبي ﷺ عهده إلى في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدق به فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندى منه عهد في ذلك ماتركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره ولقاتلتهما بيدى ولو لم أجد الا بردتى هذه ولكن رسول الله ﷺ لم يقتل قتلا ولم يمت فجاة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن أو بلال يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر ليصلى بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال أنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة عظم الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضى الله تعالى عنه وكان لذلك اهلا لم يختلف عليه منا اثنان وفي رواية فأقام بين أظهرنا الكلمة واحدة والامر واحد لا يختلف عليه منا اثنان وفي رواية فاخترنا لدنيانا من اختاره ﷺ لديننا فأديت الى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني واغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فاخذها بسنة صاحبه وما يعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فاديت له حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني واضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي وأنا أظن ان لا يعدل بي ولكن خشي ان لا يعمل الخليفة بعده شيأ الا لحقه في قبره فأخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها ويرى منها لرهط أنا أحدهم وظننت أن لا يعدلوا بي فاخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيق على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا ميثاق قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فاديت له حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جيوشه وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزو إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي فلما اصيب نظرت فاذا الخليفتان اللذان اخذاها بعهد رسول الله ﷺ اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد اصيب فبايعني اهل الحرمين واهل هذين المصرين اى الكوفة والبصرة فوثب

فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى وكنت أحق بها منه يعنى معاوية (وأخرجه) أيضا هؤلاء واسحاق بن راهويه من طرق أخرى قال الذهبى وهذه طرق يقوى بعضها بعضا قال وأصحها مارواه اسماعيل بن عُلَيّة وذكره وفيه أنه لما قيل لعلى اخبرنى عن مسيرك هذا أعهد عهده اليك النبى ﷺ أم رأى رأيته فقال : بل رأى رأيته (وأخرج) أحمد عنه أنه قال يوم الجمل لم يعهد الينا رسول الله ﷺ عهدا نأخذ به فى الامارة ولكن شىء رأينا من قبل أنفسنا (وأخرج) الهروى والدار قطنى نحوه بزيادة فهذه الطرق كلها عن على متفقة على نفى النص بامامته ووافقه على ذلك علماء أهل بيته فقد أخرج ابو نعيم عن الحسن المثنى ابن الحسن السبط انه لما قيل له ذلك أى ان خبر من كنت مولاه فعلى مولاه نص فى إمامة على فقال اما والله لو يعنى النبى ﷺ بذلك الامارة والسلطان لأفصح لهم به فان رسول الله ﷺ كان انصح الناس للمسلمين ولقال لهم يا أيها الناس هذا ولى امرى والقائم عليكم بعدى فاسمعوا له واطيعوا ما كان من هذا شىء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علىّ امر الله ورسوله ان يقوم به أو يعذر فيه إلى المسلمين أن كان اعظم الناس خطيئة لعلىّ اذ ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك وفى رواية عنه ولو كان هذا الامر كما تقول وان الله اختار عليا للقيام على الناس لكان على اعظم الناس خطيئة أن ترك أمر رسول الله ﷺ ولم يقم به فقال الرجل الم يقل رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلى مولاه فقال الحسن اما والله لو عنى به القيام على الناس والامرة لافصح به وافصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ولقال ايها الناس ان عليا ولىّ امركم من بعدى والقائم فى الناس بأمرى فلا تعصوا امره (وأخرج) الدارقطنى عن أبى حنيفة أنه لما قدم المدينة سأل أبا جعفر الباقر عن أبى بكر وعمر فترحم عليهما فقال له أبو حنيفة انهم يقولون عندنا بالعراق انك تتبرأ منهما فقال معاذ الله كذبوا ورب الكعبة ثم ذكر لأبى حنيفة تزويج على بنته أم كلثوم بنت فاطمة من عمر وأنه لو لم يكن لها أهلا ما زوجه اياها فقال له أبو حنيفة لو كتبت اليهم فقال لا يطيعونى بالكتب وتزويجه إياها يقطع ببطلان مازعمه الرافضة والا لكان قد تعاطى تزويج بنته من كافر على زعمهم الفاسد (سابعها) قولهم هذا الدعاء وهو قوله ﷺ اللهم وال من والاه وعاد من عاداه لا يكون الا لامام معصوم دعوى لا دليل عليها إذ يجوز الدعاء بذلك لأدنى المؤمنين فضلا عن أخصائهم شرعا وعقلا فلا يستلزم كونه إماما معصوما وأخرج أبو ذر الهروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معى وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان ولا قيل بدلالته على إمامة عمر عقب وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ولا على عصمته ثم إن أرادوا بالعصمة ماثبت للأنبياء قطعا فباطل أو الحفظ فهذا يجوز لدون على من المؤمنين ودعواهم وجوبَ عصمةِ الإمام مبنى على تحكيمهم

العقل وهو وما بنى عليه باطل لأمور بينها القاضى أبو بكر الباقلانى فى كتابه فى الامامة أتم بيان وأوفى تحرير وقد أخرج الحاكم وصححه وحسنه غيره عن على أنه قال يهلك فىّ محب مفرط يقرظنى بما ليس فىّ ومبغض مفتر يحمله شنآنى على أن يبهتنى بما ليس فىّ ثم قال وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لأحد فى معصية الله تعالى فعلم به أنه لم يثبت لنفسه العصمة (ثامنها) أنهم اشترطوا فى الإمام أن يكون أفضل الأمة وقد ثبت بشهادة علىّ الواجب العصمة عندهم أن أفضلها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فوجبت صحة إمامتهما كما انعقد عليه الإجماع السابق (الشبهة الثانية عشرة) ه زعموا أن من النص التفصيلى على على قوله صلى الله عليه وسلم له لما خرج إلى تبوك واستخلفه على المدينة أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى قالوا ففيه دليل على أن جميع المنازل الثابتة لهارون من موسى سوى النبوة ثابتة لعلى من النبى صلى الله عليه وسلم وإلا لما صح الاستثناء ومما ثبت لهرون من موسى استحقاقه الخلافة عنه لو عاش بعده إذ كان خليفة فى حياته فلو لم يخلفه بعد مماته لو عاش بعده لكان انقص فيه وهو غير جائز على الأنبياء وأيضا فمن جملة منازله منه أنه كان شريكا له فى الرسالة ومن لازم ذلك وجوب الطاعة لو بقى بعده فوجب ثبوت ذلك لعلى الا أن الشركة فى الرسالة ممتنعة فى حق على فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم عملا بالدليل بأقصى ما يمكن (وجوابها) أن الحديث ان كان غير صحيح كما يقوله الآمدى فظاهر وإن كان صحيحا كما يقوله أئمة الحديث والمعوّل فى ذلك ليس إلا عليهم كيف وهو فى الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وهم لا يرونه حجة فى الإمامة وعلى التنزل فلا عموم له فى المنازل بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث أن عليا خليفة عن النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقوله اخلفنى فى قومى لاعموم له حتى يقتضى الخلافة عنه فى كل زمن حياته وزمن موته بل المتبادر منه ما مر أنه خليفة مدة غيبته فقط وحينئذ فعدم شموله لما بعد وفاة موسى عليه السلام إنما هو لقصور اللفظ عنه لا لعزله كما لو صرح باستخلافه فى زمن معين ولو سلمنا تناوله لما بعد الموت وان عدم بقاء خلافته بعده عزل له لم يستلزم نقصا يلحقه بل إنما يستلزم كمالا له أى كمال لأنه يصير بعده مستقلا بالرسالة والتصرف من الله تعالى وذلك أعلى من كونه خليفة وشريكا فى الرسالة سلمنا أن الحديث يعم المنازل كلها لكنه عام مخصوص إذ من منازل هارون كونه أخا نبيا والعام المخصوص غير حجة فى الباقى أو حجة ضعيفة على الخلاف فيه ثم نفاذ أمر هرون بعد وفاة موسى لو فرض انما هو للنبوة لا للخلافة عنه وقد نفيت النبوّة هنا لاستحالة كون على نبيا فيلزم نفى مسببه الذى هو افتراض الطاعة ونفاذ الأمر فعلم مما تقرر أنه ليس المراد من الحديث مع كونه آحادا لا يقاوم الاجماع إلا إثبات بعض المنازل الكائنة لهرون من موسى

والحديث و سببه سياق يبينان ذلك البعض لما مر أنه إنما قاله لعلى حين استخلفه فقال على كما فى الصحيح أتخلفنى فى النساء والصبيان . كأنه استنقص تركه وراءه فقال له ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى يعنى حيث استخلفه عند توجهه إلى الطور إذ قال له اخلفنى فى قومى وأصلح وأيضا فاستخلافه على المدينة لا يستلزم أولويته بالخلافة بعده من كل معاصريه افتراضا ولا ندبا بل كونه أهلا لها فى الجملة وبه نقول وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرار أخرى غير على كابن أم مكتوم ولم يلزم فيه بسبب ذلك أنه أولى بالخلافة بعده (١) (الشبهة الثالثة عشرة) زعموا أيضا أن من النصوص التفصيلية الدالة على خلافة على قوله صلى الله عليه وسلم لعلى أنت أخى ووصيى وخليفتى وقاضى دينى أى بكسر الدال وقوله أنت سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين وقوله سلموا على علىّ بامرة الناس (وجوابها) مر مبسوطا قبيل الفصل الخامس ومنه أن هذه الأحاديث كذب باطلة موضوعة مفتراة عليه صلى الله عليه وسلم ألا لعنة الله على الكاذبين ولم يقل أحد من أئمة الحديث أن شيأ من هذه الأكاذيب بلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها بل كلهم مجمعون على أنها محض كذب وافتراء فان زعم هؤلاء الجهلة الكذبة على الله ورسوله وعلى أئمة الإسلام ومصابيح الظلام أن هذه الاحاديث صحت عندهم قلنا لهم هذا محال فى العادة إذ كيف تتفردون بعلم صحة تلك مع أنكم لم تتصفوا قط برواية ولا صحبة محدث ويجهل ذلك مهرة الحديث وسباقه الذين أفنوا أعمارهم فى الاسفار البعيدة لتحصيله وبذلوا جهدهم فى طلبه وفى السعى إلى كل من ظنوا عنده شيأ منه حتى جمعوا الأحاديث ونقبوا عنها وعلموا صحيحها من سقيمها ودوّنوها فى كتبهم على غاية من الاستيعاب ونهاية من التحرير وكيف والاحاديث الموضوعة جاوزت مئات الالوف وهم مع ذلك يعرفون واضع كل حديث منها وسبب وضعه الحامل لواضعه على الكذب والافتراء على نبيه صلى الله عليه وسلم فجزاهم الله خير الجزاء وأكمله اذ لولا حسن صنيعهم هذا لاستولى المبطلون والمتمردون المفسدون على الدين وغيروا معالمه وخلطوا الحق بكذبهم حتى لم يتميز عنه فضلوا وأضلوا ضلالا مبينا لكن لما حفظ الله على نبيه صلى الله عليه وسلم شريعته من الزيغ والتبديل بل والتحريف وجعل من أكابر أمته فى كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم لم يبال الذين بهؤلاء الكذبة البطلة الجهلة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ عنها بعدى الا هالك ومن عجيب أمر هؤلاء الجهلة أنا إذا استدللنا عليهم بالأحاديث الصحيحة الدالة صريحا على خلافة أبى بكر

---

(١) لا يصير اسم الجنس المضاف إلى العلم عاما عند كل الأصوليين بل صرحوا أنه يكون للعهد فى نحو غلام زيد واستخلاف هارون مقيد بالغيبة وهو قرينة للعهد لأنه لا يكون بعدها وليس الاستثناء المنقطع دليلا على عموم المستثنى منه وهو هنا منقطع لأنهما نقيضان . وإرادة العموم فى المنازل لا الازمان لا يصح للزوم الكذب فى الخبر .

كخبر اقتدوا باللذين من بعدى وغيره من الاخبار الناصة على خلافته التى قدمتها مستوفاة فى الفصل الثالث قالوا . هذا خبر واحد فلا يغنى فيما يطلب فيه التعيين وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموه من النص على خلافة على أتوا إما بأخبار تدل لزعمهم كخبر من كنت مولاه وخبر أنت منى بمنزلة هرون من موسى مع أنها آحاد وإما بأخبار باطلة كاذبة متيقنة البطلان واضحة الوضع والبهتان لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التى هى أدنى مراتب الآحاد فتأمل هذا التناقض الصريح والجهل القبيح لكنهم لفرط جهلهم وعنادهم وميلهم عن الحق يزعمون التواتر فيما يوافق مذهبهم الفاسد وإن أجمع أهل الحديث والأثر على أنه كذب موضوع مختلق ويزعمون فيما يخالف مذهبهم أنه آحاد وإن اتفق أولئك على صحته وتواتر رُواته تحكما وعنادا وزيغا عن الحق فقاتلهم الله ما أجهلهم وأحمقهم (الشبهة الرابعة عشرة) زعموا أنه لو كان أهلا للخلافة لما قال لهم أقيلونى أقيلونى لأن الانسان لا يستقيل من الشىء إلا إذا لم يكن أهلا له (وجوابها) منع الحصر فيما عللوا به فهو من مفترياتهم وكم وقع للسلف والخلف التورع عن أمور هُمْ لها أهل وزيادة ، بل لا تكمل حقيقة الورع والزهد الا بالاعراض عما تأهل له المعرض وأما مع عدم التأهل فالاعراض واجب لازهد ثم سببه هنا أنه إما خشى من وقوع عجز ما منه عن استيفاء الامور على وجهها الذى يليق بكماله أو أنه قصد بذلك استبانة ما عندهم وأنه هل فيهم من يود عزله فابرز ذلك كذلك ، فرآهم جميعهم لا يودون ذلك أو أنه خشى من لعنته صلى الله عليه وسلم لامام قوم وهم له كارهون فاستعلم أنه هل فيهم أحد يكرهه أولا ـ والحاصل أن زعم أن ذلك يدل على عدم اهليته غاية فى الجهالة والغباوة والحمق فلا ترفع بذلك رأسا (الشبهة الخامسة عشرة) زعموا أيضا أن عليا إنما سكت عن النزاع فى أمر الخلافة لان النبى صلى الله عليه وسلم أوصاه أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسلّ سيفا (وجوابها) أن هذا افتراء كذب وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب عليه إذ كيف يعقل مع هذا الذى زعموه أنه جعله إماما واليا على الامة بعده ومنعه من سل السيف على من امتنع من قبول الحق . ولو كان ما زعموه صحيحا لما سل على السيف فى حرب صفين وغيرها ولما قاتل بنفسه وأهل بيته وشيعته وجالد وبارز الالوف منهم وحده وأعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله ﷺ وأيضا فكيف يتعقلون أنه ﷺ يوصيه بعدم سل السيف على من يزعمون فيهم أنهم يجاهرون بأقبح أنواع الكفر مع ما أوجبه الله من جهاد مثلهم .

قال بعض أئمة أهل البيت النبوى والعترة الطاهرة : وقد تأملت كلماتهم فرأيت قوما أعمى الهوى بصائرهم فلم يبالوا بما ترتب على مقالاتهم من المفاسد ألا ترى إلى قولهم إن عمر قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة فهابت فأسقطت ولدا اسمه المحسن فقصدوا بهذه الفرية

القبيحة والغباوة التى أورثتهم العار والبوار والفضيحة ايغار الصدور على عمر رضى الله عنه ولم يبالوا بما يترتب على ذلك من نسبة على رضى الله عنه الى الذل والعجز والخور بل ونسبة جميع بنى هاشم وهم أهل النخوة والنجدة والأنفة إلى ذلك العار اللاحق بهم الذى لا أقبح منه عليهم بل ونسبة جميع الصحابة رضى الله عنهم إلى ذلك وكيف يسع من له أدنى ذوق أن ينسبهم إلى ذلك مع مااستفاض وتواتر عنهم من غيرتهم لنبيهم ﷺ وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا وقتلوا الآباء والابناء فى طلب مرضاته لا يتوهم الحاق أدنى نقص أو سكوت على باطل بهؤلاء العصابة الكمل الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس ونقص على لسان نبيه فى الكتاب والسنة كما قدمته فى المقدمة الاولى أول الكتاب بواسطة صحبتهم له ﷺ وموته وهو عنهم راض وصدقهم فى محبته واتباعه الا عبدا أضله الله وخذله فباء منه تعالى بعظيم الخسار والبوار وأحله الله تعالى نار جهنم وبئس القرار . نسأل الله السلامة آمين

الباب الثانى

(فيما جاء عن أكابر أهل البيت من مزيد الثناء على الشيخين ليعلم براءتهما مما يقول الشيعة والرافضة من عجائب الكذب والافتراء وليعلم بطلان مازعموه من أن عليا إنما فعل مامر عنه تقية ومداراة وخوفا وغير ذلك من قبائحهم)

(أخرج الدار قطنى عن عبدالله الملقب بالمحض لقب به لانه أول من جمع ولادة الحسن والحسين رضى الله عنهم وكان شيخ بنى هاشم ورئيسهم وولده كان يلقب بالنفس الزكية وكان من أئمة الدين بويع بالخلافة زمن الإمام مالك بن أنس بالمدينة فارسل المنصور جيشا فقتلوه أنه سئل أتمسح على الخفين فقال أمسح فقد مسح عمر فقال له السائل انما أسألك أنت تمسح قال ذلك أعجز لك أخبرك عن عمر وتسألنى عن رأيى فعمر خير منى وملء الأرض مثلى فقيل له هذا تقية فقال نحن بين القبر والمنبر اللهم هذا قولى فى السر والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدى ثم قال من هذا الذى يزعم أن عليا كان مقهورا وان النبى صلى الله عليه وسلم أمره بأمر فلم ينفذه فكفى بهذا إزراء ومنقصة له (وأخرج) الدارقطنى أيضا عن ولده الملقب بالنفس الزكية أنه قال لما سئل عن الشيخين لهما عندى أفضل من على. وأخرج عن محمد الباقر أنه قال أجمع بنو فاطمة رضى الله عنهم على أن يقولوا فى الشيخين أحسن ما يكون من القول (وأخرج) أيضا عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر أن رجلا جاء إلى أبيه زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم فقال: أخبرنى عن أبى بكر فقال عن الصديق فقال وتسميه الصديق فقال ثكلتك أمك قد سماه صديقا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والأنصار ومن لم يسمه صديقا فلا صدق الله عز وجل قوله فى الدنيا والآخرة. إذهب فأحب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

وأخرج أيضا عن عروة عن عبدالله سألت أبا جعفر الباقر عن حلية السيف قال لا بأس به قد حلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سيفه . قال قلت وتقول الصديق قال نعم الصديق نعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله فى الدنيا والآخرة . وأخرجه ابن الجوزى فى صفوة الصفوة وزاد فوثب وثبة واستقبل القبلة فقال. نعم الصديق نعم الصديق نعم الصديق الخبرَ : وأخرج أيضا عن جعفر الصادق أنه قال ما أرجو من شفاعة على شيأ الا وأنا أرجو من شفاعة أبى بكر مثله ولقد ولدنى مرتين . وأخرج أيضا عن زيد بن على أنه قال لمن يتبرأ منهما ما أعلم والله أن البراءة من الشيخين البراءة من على فتقدم أو تأخر . وزيد هذا كان إماما جليلا استشهد فى صفر سنة إحدى وعشرين ومائة ولما صلب عريانا جاءت العنكبوت ونسجت على عورته حتى حفظت عن رؤية الناس فانه استمر مصلوبا مدة طويلة وكان قد خرج وبايعه خلق من الكوفة وحضر اليه كثير من الشيعة فقالوا له أبرأ عن الشيخين ونحن نبايعك فأبى فقالوا انا نرى فضلك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة ، فمن حينئذ سموا الرافضة وسميت الشيعة بالزيدية ،وأخرج الحافظ عمر بن شبة أن زيداً هذا الإمام الجليل قيل له أن أبا بكر انتزع من فاطمة فدك فقال أنه كان رحيما وكان يكره أن يغير شيأ تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته فاطمة رضى الله عنها فقالت له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى فدك فقال هل لك بينة فشهد لها على وأم أيمن فقال لها فبرجل وامرأة تستحقيها ثم قال زيد والله لو رجع الأمر فيها إلى لقضيت بقضاء أبى بكر رضى الله عنه وأخرج عنه أيضا قال انطلقت الخوارج فبرئت ممن دون أبى بكر وعمر ولم يستطيعوا أن يقولوا فيهما شيأ وانطلقتم أنتم فطفرتم -أى وثبتم- فوق ذلك فبرئتم منهما فمن بقى؟ فوالله ما بقى أحد إلا برئتم منه (وأخرج أيضا) وابن عساكر عن سالم ابن أبى الجعد قلت لمحمد بن الحنفية هل كان أبو بكر أول القوم اسلاما قال لا قلت فيم علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبى بكر قال لأنه كان أفضلهم اسلاما حين أسلم حتى لحق بربه (وأخرج) الدار قطنى عن سالم بن أبى حفصة وهو شيعى لكنه ثقة قال سألت أبا جعفر محمد بن على وجعفر بن محمد عن الشيخين فقالا يا سالم تولهما وأبرأ من عدوهما فانهما كانا إمامى هدى وأخرج عنه أيضا قال دخلت على أبى جعفر وفى رواية عن جعفر بن محمد فقال وأراه قال ذلك من أجلى : اللهم إنى أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما اللهم ان كان فى نفسى غير هذا فلا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة (وأخرج) عنه أيضا دخلت على جعفر بن محمد وهو مريض فقال اللهم انى أحب أبا بكر وعمر وأتولاهما اللهم ان كان فى نفسى غير هذا فلا تنالنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم . وأخرج عنه أيضا قال لى جعفر يا سالم أيسب الرجل جده أبو بكر جدى لا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ان لم أكن أتولاهما

ا برأ من عدوهما. وأخرج عن جعفر (١) أيضا أنه قيل ان فلانا يزعم أنك تبرأ من أبي بكر وعمر فقال بريء الله من فلان انى لارجو ان ينفعنى الله بقرابتى من أبي بكر ولقد مرضت فاوصيت إلى خالى عبد لرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضى الله عنهم . وأخرج هو أيضا والحافظ عمر بن شبة عن كثير قلت لأبى جعفر محمد بن على أخبرنى أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيأ : فقال ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ماظلمانا من حقنا مايزن حبة خردلة : قال قلت أفأتولاهما جعلنى الله فداك قال نعم يا كثير تولهما فى الدنيا والآخرة. قال وجعل يصك عنق نفسه ويقول ما أصابك فبعنقى هذا ثم قال بريء الله ورسوله من المغيرة بن سعيد وبيان . فانهما كذبا علينا أهل البيت . وأخرج أيضا عن بسام الصير فى قلت لأبى جعفر ما تقول فى أبى بكر وعمر : فقال والله إنى لأتولاهما وما أدركت أحدا من أهل بيتى ألا وهو يتولاهما . وأخرج أيضا عن الشافعى رضى الله عنه . عن جعفر بن أبى طالب قال ولينا أبو بكر خير خليفة وأرحمه لنا وأحناه علينا ، وفى رواية فما ولينا أحد من الناس مثله ، وفى أخرى فما رأينا قط كان خيرا منه . وأخرج أيضا عن أبى جعفر الباقر أنه قيل له إن فلانا حدثنى : أن على بن الحسين . قال إن هذه الآية . ونزعنا مافى صدورهم من غل . نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى : قال والله إنها لفيهم قيل فاى غل هو قال غل الجاهلية إن بنى تيم وعدى وبنى هاشم كان بينهم شيء فى الجاهلية فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا فأخذ أبا بكر الخاصرة فجعل على يسخن يده ويكمد بها خاصرة أبى بكر فنزلت هذه الآية فيهم : وفى رواية له عنه أيضا قلت لأبى جعفر وسألته عن أبى بكر وعمر : فقال من شك فيهما فقد شك فى السنة ثم ذكر أنه كان بين تلك القبائل شحناء فلما أسلموا تحابوا ونزع الله ذلك من قلوبهم حتى إن أبا بكر لما اشتكى خاصرته سخن على يده وضمده بها فنزلت فيهم . الآية . وأخرج أيضا عن على إن هذه الآية نزلت فى هذه البطون الثلاثة تيم وعدى وبنى هاشم : وقال منهم أنا وأبو بكر وعمر . وأخرج أيضا عن أبى جعفر الباقر أنه قيل له هل كان أحد من أهل البيت يسب أبا بكر وعمر قال معاذ الله بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما (وأخرج) عن أبى جعفر أيضا عن أبيه على بن الحسين رضى الله عنهم أنه قال لجماعة خاضوا فى أبى بكر وعمر ثم فى عثمان ألا تخبرونى أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . قالوا لا قال فأنتم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

---

(١) توفى محمد بن الحنفية سنة ٨١ وعلى زين العابدين بن الحسين سنة ٩٤ وزيد بن على زين العابدين سنة ١٢١ ومحمد الباقر سنة ١١٤ وجعفر الصادق سنة ١٤٨ والنفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على سنة ١٤٥ وموسى الكاظم بن جعفر الصادق سنة ١٧٣ .

إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون : قالوا لا قال أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا فى أحد هذين الفريقينَ وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم (وأخرج) أيضا عن فضيل بن مرزوق سمعت إبراهيم بن الحسن بن الحسين أخا عبد الله بن الحسن : يقول الله قد مَرَقَتْ علينا الرافضة كما مرقت الحَرورِيَّة على علىّ رضى الله عنه (وأخرج) عنه أيضا سمعت حسن بن حسن : يقول لرجل من الرافضة والله لئن أمكنَ الله منكم لنقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف : ولا نقبل منكم توبة (وأخرج) أيضا عن محمد بن حاطب . قال ذكر عثمان عند الحسن والحسين رضى الله عنهم فقالا هذا أمير المؤمنين ـ أى على ـ آتيكم الآن يخبركم عنه إذ جاء على : قال الراوى ما أدرى أسمعهم يذكرون عثمان أو سألوه عنه : فقال عثمان من الذين اتَّقَوْا وآمنوا ثم من الذين اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (وأخرج) عنه أيضا من طرق . قال دخلت على على : فقلت يا أمير المؤمنين انى أردت الحجاز وإن الناس يسألونى فما تقول فى قتل عثمان ، وكان متكئا فجلس . وقال يا ابن حاطب والله إنى لارجو أن أكون أنا وهو كما قال الله تعالى . ونزعنا مافى صدورهم من غلّ الآية (وأخرج) أيضا عن سالم بن أبى الجعد قال كنت جالسا عند محمد بن الحنفية فذكروا عثمان فنهانا محمد : وقال كفوا عنه فغدونا يوما آخر فنلنا منه أكثر ما كان قبل : فقال ألم أنهكم عن هذا الرجل قال وابن عباس جالسٌ عنده : فقال يا ابن عباس تذكر عشيةَ الجمل وأنا عن يمين علىّ وفى يدى الراية وأنت عن يساره إذ سمع هدّة فى المِرْبَد فارسل رسولا فجاء الرسول : فقال هذه عائشة تلعن قتلة عثمان فى المربد فرفع على يديه حتى بلغ بهما وجهه مرتين أو ثلاثا . وقال وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله فى السهل والجبل قال فصدّقه ابن عباس . ثم أقبل علينا . فقال فىّ وفى هذا لكم شاهدا عدل (وأخرج) أيضا عن مروانَ بنِ الحكم أنه قال ما كان أحد أدفع عن عثمان من على فقيل له مالكم تسبونه على المنابر . قال إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك (وأخرج) أيضا عن الحسين بن محمد بن الحنفية أنه . قال يا أهل الكوفة اتقوا الله عز وجل ولا تقولوا لأبى بكر وعمر ماليسا له بأهل إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثانى اثنين وان عمر أعز الله به الدين (وأخرج) أيضا عن جُندب الأسدى أن محمد بنَ عبد الله بن الحسن أتاه قوم من أهل الكوفة والجزيرة فسألوه عن أبى بكر وعمر فالتفت إلىّ . فقال انظر إلى أهل بلادك يسألونى عن أبى بكر وعمر لهما عندى أفضل من على (وأخرج) أيضا عن عبد الله بن الحسن أنه : قال والله لا يقبل الله عز وجل توبة عبد تبرأ من أبى بكر وعمر وإنهما ليعرضان

على قلبي فادعو الله عز وجل لهما أتقرب به إلى الله عز وجل (وأخرج) أيضا عن فُضَيْل بن مرزوق أنه قال قلت لعمر بن الحسين بن على رضى الله عنهم أفيكم إمام تفترض طاعته تعرفون ذلك له من لم يعرف ذلك له فمات مات ميتة جاهلية : فقال لا والله ماذاك فينا . كمن قال هذا فهو كاذب فقلت إنهم يقولون إن هذه المنزلة كانت لعلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى إليه ثم كانت للحسن إن عليا أوصى إليه ثم كانت للحسين بن على ان الحسن أوصى إليه ثم كانت لعلى بن الحسين ان الحسين أوصى إليه ثم كانت لمحمد بن على أى الباقر أخى عمر المذكور ان على بن الحسين أوصى إليه . فقال عمر بن على بن الحسين فوالله ما أوصى أبي بحرفين اثنين فقاتلهم الله لو أن رجلا وصى فى ماله وولده وما يترك بعده ويلهم ماهذا من الدين والله ماهؤلاء إلا متآكلين بنا (وأخرج) أيضا عن عبد الجبار الهمدانى أن جعفرا الصادق أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة . فقال إنكم إن شاء الله من صالحى أهل مصركم فابلغوهم عنى من زعم انى إمام مفترض الطاعة فانا منه برىء ومن زعم إنى ابرأ من أبي بكر وعمر فانا منه برىء (وأخرج) أيضا عنه أنه سئل عنهما . فقال ابرأ ممن ذكرهما إلا بخير فقيل له لعلك تقول ذلك تقية (١) . فقال انا إذا من المشركين ولانالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم (وأخرج) عنه أيضا أنه قال ان الخبثاء من أهل العراق يزعمون أنا نقعُ فى أبي بكر وعمر وهما والداى ، أى لأن أمه أمّ فروة بنت القاسم الفقيه بن محمد بن أبى بكر وأمها اسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر، ومن ثم سبق قوله ولدنى أبو بكر مرتين (وأخرج) أيضا عن أبي جعفر الباقر . قال من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر فقد جهل السنة قال بعض ائمة أهل البيت صدق والله إنما نشأ من الشيعة والرافضة وغيرهما مانشأ من البدع والجهالات من جهلهم بالسنة . وفى الطيوريات بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رجل لعلى بن أبي طالب نسمعك تقول فى الخطبة اللهم اصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم فاغرورقت عيناه : فقال هم حبيباى أبو بكر

---

(١) التقية هى محافظة على النفس أو العرض أو المال من شر الأعداء والاعداء إما أعداء لاختلاف الدين كالكافر والمسلم واما أعداء لغرض دنيوى فأهل السنة لايجوزون ترك الدين فى بلد يخاف من إظهاره بل يوجبون الهجرة إلا لصاحب الضرورة الشرعية فانه يبقى إلى أن يسعى فى حيلة الفرار واختلفوا فى وجوب الهجرة لغرض دنيوى مالم يخف على نفسه هلاكا فانها تجب بلا خلاف .

والشيعة بعضهم يجيزها فى الأقوال والأفعال عند الخوف على النفس أو المال وبعضهم لادنى مخافة . وحملوا على التقية أكثر أفعال الأئمة مما يوافق مذهب أهل السنة وجعلوها أصلا ونسبوا ذلك للانبياء ليتوصلوا بذلك إلى ابطال خلافة الخلفاء الراشدين مع أن فى كتبهم ما يبطل العمل بها ففى نهج البلاغة أن عليا قال (علامة الإيمان إيثار الصدق حيث يضرك) ومثله كثير من رواية الكليني وابان ابن عياش وغيرهما ويلزم من هذا المذهب أن زكريا ويحيي عليهما السلام والحسين رضى الله عنه ليس لهم عند الله فضل لعدم فعل التقية والفضل لجميع المنافقين فى العهد النبوى لفعلها وفى تفسير الألوسي مايرد عليهم من أدلتهم وأدلة أهل السنة .

وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن تبع آثارهما هدى إلى الصراط المستقيم ومن تمسك بهما فهو من حزب الله. فهذه أقاويل المعتبرين من أهل البيت رَوَاها عنهم الأئمة الحفاظ الذين عليهم المعول فى معرفة الأحاديث والآثار وتمييز صحيحها من سقيمها باسانيدهم المتصلة فكيف يسمح المتمسك بحبل أهل البيت ويزعم حبهم ان يعدل عما قالوه من تعظيم أبى بكر وعمر واعتقاد حقيقة خلافتهما وما كانا عليه . وصرحوا بتكذيب من نقل عنهم خلافه ومع ذلك يرى، أن ينسب اليهم ما تبرؤا منه ورأوه ذما فى حقهم حتى قال زين العابدين على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما أيها الناس أحبونا حب الإسلام فوالله مابرح بنا حُبّكم حتى صار علينا عارا ، وفى رواية حتى نقصتمونا الى الناس. أى بسبب مانسبوه اليهم مما هم براء منه فلعن الله من كذب على هؤلاء الائمة ورماهم بالزور والبهتان .

الباب الثالث

فى بيان أفضلية أبى بكر على سائر هذه الامة ثم عمر ثم عثمان ثم على وفى ذكر فضائل أبى بكر الواردة فيه وحده أو مع عمر أو مع الثلاثة أو مع غيرهم وفيه فصول

الفصل الأول

فى ذكرا فضليتهم على هذا الترتيب وفى تصريح على بافضلية الشيخين على سائر الامة وفى بطلان مازعمه الرافضة والشيعة من أن ذلك منه قهر وتقية

(اعلم) أن الذى أطبق عليه عظماء الملة وعلماء الامة أن أفضل هذه الامة أبو بكر الصديق ، ثم عمر . ثم اختلفوا ، فالأكثرون ومنهم الشافعى وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الأفضل بعدهما عثمان ثم على ، وجزم الكوفيون ومنهم سفيان الثورى بتفضيل علىّ على عثمان ، وقيل : بالوقف عن التفاضل بينهما ، وهو رواية عن مالك فقد حكى أبو عبدالله المازرى عن المدونة : أن مالكا رحمه الله سئل أى الناس أفضل بعد نبيهم ؟ فقال : أبو بكر ثم عمر ، ثم قال : أو فى ذلك شك . فقيل له : وعلى وعثمان ؟ فقال : ماأدركت أحدا ممن اقتدى به يفضل أحدهما على الآخر . انتهى ، وقوله رضى الله عنه أو فى ذلك شك يريد ما يأتى عن الاشعرى أن تفضيل أبى بكر ثم عمر على بقية الامة قطعى ، وتوقفه هذا رَجَع عنه فقد حكى القاضى عياض عنه : أنه رجع عن التوقف إلى تفضيل عثمان . قال القرطبى : وهو الأصح إن شاء الله تعالى ، ومال إلى التوقف أمام الحرمين فقال : وتتعارض الظنون فى عثمان وعلى ، ونقله ابن عبدالبر عن جماعة من السلف من أهل السنة منهم مالك ويحيى القطان ويحيى بن معين . قال ابن معين : ومن قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعرف لعلى سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا

شك أن من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلى فضله فهو مذموم ، وزعم ابن عبدالبر أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان مخالف لقول أهل السنة إن عليا أفضل الناس بعد الثلاثة مردود ، بأنه لا يلزم من سكوتهم إذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله ، وأما حكاية أبى منصور البغدادى الاجماع على أفضلية عثمان على على فمدخولة وإن نقل ذلك عنه بعض الحفاظ وسكت عليه لما بيناه من الخلاف. ثم الذى مال اليه أبو الحسن الأشعرى إمامُ أهلِ السنة أن تفضيل أبى بكر على من بعده قطعى، وخالفه القاضى أبو بكر الباقلانى فقال : إنه ظنى ، واختاره إمام الحرمين فى الإرشاد ، وبه جزم صاحب المفهم فى شرح مسلم ويؤيده قول ابن عبدالبر فى الاستيعاب ذكر عبدالرزاق عن معمر قال : لو أن رجلا قال، عمر أفضل من أبى بكر ما عنفته ، وكذلك لو قال على عندى أفضل من أبى بكر وعمر لم أعنفه إذا ذكر فضل الشيخين وأحبهما وأثنى عليهما بما هما أهله. فذكرت ذلك لوكيع فأعجبه واشتهاه اه . وليس ملحظ عدم تعنيف قائل ذلك إلا أن التفضيل المذكور ظنى لا قطعى. ويؤيده أيضا ماحكاه الخطابى عن بعض مشايخه أنه كان يقول : أبو بكر خير وعلى أفضل . لكن قال بعضهم : أن هذا تهافت من القول أى أنه لا معنى للخيرية إلا الأفضلية فان أريد أن خيرية أبى بكر من بعض الوجوه وأفضلية على من وجه آخر لم يكن ذلك من محل الخلاف ولم يكن الأمر فى ذلك خاصا بأبى بكر وعلى بل أبو بكر وأبو عبيدة مثلا يقال فيهما ذلك فان الأمانة التى فى أبى عبيدة وخصه بها صلى الله عليه وسلم لم يخص أبا بكر بمثلها فكان خيرا من أبى بكر من هذا الوجه ، والحاصل : أن المفضول قد توجد فيه مزية بل مزايا لا توجد فى الفاضل. فإن أراد شيخُ الخطابى ذلك وأن أبا بكر أفضل مطلقا إلا أن عليا وجدت فيه مزايا لا توجد فى أبى بكر فكلامه صحيح وإلا فكلامه فى غاية التهافت خلافا لمن انتصر له ووجهه بما لا يجدى بل لا يفهم . فان قلت : ينافى ماقدمته من الاجماع على أفضلية أبى بكر قول ابن عبدالبر أن السلف اختلفوا فى تفضيل أبى بكر وعلى رضى الله عنهما وقوله أيضا قبل ذلك روى عن سلمان وأبى ذر والمقداد وخبّاب وجابر وأبى سعيد الخدرى وزيد بن أرقم أن عليا أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره اه . قلت : أما ماحكاه أولا من أن السلف اختلفوا فى تفضيلهما فهو شىء غريب انفرد به عن غيره ممن هو أجل منه حفظا واطلاعا فلا يعول عليه . فكيف والحاكى لإجماع الصحابة والتابعين على تفضيل أبى بكر وعمر وتقديمهما على سائر الصحابة جماعة من أكابر الأئمة منهم الشافعى رضى الله تعالى عنه كما حكاه عنه البيهقى وغيره. وأن من اختلف منهم إنما اختلف فى على وعثمان . وعلى التنزل فى أنه حفظ مالم يحفظ غيره فيجاب عنه بأن الأئمة إنما أعرضوا عن هذه المقالة لشذوذها ذهابا إلى أن شذوذ المخالف لا يقدح فيه أو رأوا أنها حادثة بعد انعقاد الإجماع فكانت فى حيز الطّرح والرد . على أن المفهوم من كلام ابن عبدالبر أن الإجماع استقر على تفضيل الشيخين على الحسنين وأما ماوقع فى طبقات ابن السبكى الكبرى عن بعض المتأخرين من تفضيل الحسنين من حيث

إنهما بضعة فلا ينافى ذلك ، لما قدمناه أن المفضول قد توجد فيه مزية ليست فى الفاضل على أن هذا تفضيل لا يرجع لكثرة الثواب بل لمزيد شرف، فنى ذات أولاده صلى الله عليه وسلم من الشرف ما ليس فى ذات الشيخين ولكنهما أكثر ثوابا وأعظم نفعا للسلمين والإسلام وأخشى لله واتقى ممن عداهما من أولاده صلى الله عليه وسلم فضلا عن غيرهم ، وأما ما حكاه أعنى ابن عبدالبر ثانيا عن أولئك الجماعة فلا يقتضى أنهم قائلون بأفضلية على على أبى بكر مطلقا بل إما من حيث تقدمه عليه اسلاما بناء على القول بذلك.أو مرادهم بتفضيل علىّ على غيره ما عدا الشيخين وعثمان ، لقيام الأدلة الصريحة الصحيحة على أفضلية هؤلاء عليه .

فان قلت : ما مستند إجماعهم على ذلك . قلت : الاجماع حجة على كل أحد ، وإن لم يُعرف مستنده ،لأن الله عصم هذه الأمة من أن تجتمع على ضلالة ويدل لذلك بل يصرح به قوله تعالى : (ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ، وقد أجمعوا أيضا على استحقاقهم الخلافة على هذا الترتيب ، لكن هذا قطعى كما مر بأدلته مبسوطا .

فان قلت : لِمَ لم يكن التفضيل بينهم على هذا الترتيب قطعيا أيضا حتى عند غير الأشعرى للإجماع عليه . قلت : أما بين عثمان وعلى فواضح للخلاف فيه كما تقدم، وأما بين أبى بكر ثم عمر ثم غيرهما فهو وإن أجمعوا عليه إلا ان فى كون الإجماع حجةً قطعية خلافٌ فالذى عليه الاكثرون أنه حجة قطعية مطلقا فيقدم على الادلة كلها ولا يعارضه دليل أصلا ويكفّر أو يبدّع ويضلل مخالفه . وقال الإمام الرازى والآمدى أنه ظنى مطلقا والحق فى ذلك التفصيل فما اتفق عليه المعتبرون حجة قطعية وما اختلفوا كالإجماع السكوتى والإجماع الذى يردّ مخالفه فهو ظنى.وقد علمت مما قررته لك ان هذا الإجماع له مخالف نادر فهو وان لم يعتد به فى الإجماع على ما فيه من الخلاف فى محله لكنه يورث انحطاطه عن الإجماع الذى لا مخالف له فالأول ظنى وهذا قطعى . وبهذا يترجح ما قاله غير الأشعرى من أن الإجماع هنا ظنى لأنه اللائق بما قررناه من أن الحق عند الأصوليين التفصيل المذكور وكان الأشعرى من الاكثرين القائلين بأنه قطعى مطلقا .

ومما يؤيد أنه هنا ظنى أن المجمعين أنفسهم لم يقطعوا بالأفضلية المذكورة وإنما ظنوها فقط كما هو المفهوم من عبارات الأئمة وإشاراتهم . وسبب ذلك أن المسئلة اجتهادية . ومن مستنده أن هؤلاء الأربعة اختارهم الله لخلافة نبيه وإقامة دينه فكان الظاهر أن منزلتهم عنده بحسب ترتيبهم فى الخلافة.وأيضا ورد فى أبى بكر وغيره كعلى نصوصٌ متعارضة يأتى بسطها فى الفضائل وهى لا تفيد القطع لأنها بأسرها أحاد وظنية الدلالة مع كونها متعارضة أيضا وليس الاختصاص بكثرة أسباب الثواب موجبا لزيادة مستلزمة للافضلية قطعا بل ظنا لأنه تفضل من الله فله أن لا يثيب المطيع ويثيب غيره وثبوت الامامة وان كان قطعيا لا يفيد القطع بالافضلية بل غايته الظن. كيف ولا قاطع على بطلان إمامة المفضول مع وجود الفاضل

لكننا وجدنا السلف فضلوهم كذلك وحسن ظننا بهم قاض بانهم لو لم يطلعوا على دليل فى ذلك لما أطبقوا عليه فلزمنا اتباعهم فيه وتفويض ماهو الحق فيه إلى الله تعالى . قال الآمدى وقد يراد بالتفضيل اختصاص أحد الشيخين عن الآخر باصل فضيلة لاوجود لها فى الآخر كالعالم والجاهل وإما بزيادة فيها لكونه أعلم مثلا وذلك أيضا مقطوع به فيما بين الصحابة إذ مامن فضيلة تبين اختصاصها بواحد منهم الا ويمكن بيان مشاركة غيره له فيها وبتقدير عدم المشاركة فقد يمكن بيان اختصاص الآخر بفضيلة أخرى ولا سبيل إلى الترجيح بكثرة الفضائل لاحتمال أن تكون الفضيلة الواحدة أرجح من فضائل كثيرة إما لزيادة شرفها فى نفسها أو لزيادة كميتها فلا جزم بالافضلية لهذا المعنى أيضا . وأيضا فحقيقة الفضل ماهو فضل عند الله وذلك لايطلع عليه إلا بالوحى . وقد ورد الثناء عليهم ولا يتحقق ادراك حقيقة ذلك الفضل عند عدم دليل قطعى متنا وسندا الا المشاهدون لزمن الوحى وأحواله صلى الله عليه وسلم معهم لظهور القرائن الدالة على التفضيل حينئذ، بخلاف من لم يشهد ذلك، نعم وصل الينا سمعيات أكدت عندنا الظن بذلك التفضيل على ذلك الترتيب لافادتها صريحا أو استنباطا وستأتى مبسوطة فى الفضائل . ويؤيد مامر أنه لا يلزم من الإجماع على الاحقية بالخلافة الاجماع على الأفضلية لأن أهل السنة أجمعوا على أن عثمان أحق بالخلافة من على مع اختلافهم فى أيهما أفضل وقد التبس هذا المقام على بعض من لافطنة عنده فظن ان من قال من الأصوليين ان أفضلية أبى بكر انما ثبتت بالظن لا بالقطع يدل على أن خلافته كذلك وليس كما زعم على أنهم كما صرحوا بذلك صرحوا معه بأن خلافته قطعية فكيف حينئذ يتأتى ماظنه ذلك البعض، هذا ولك أن تقول أن أفضلية أبى بكر ثبتت بالقطع حتى عند غير الأشعرى أيضا بناء على معتقد الشيعة والرافضة وذلك لأنه ورد عن على وهو معصوم عندهم والمعصوم لايجوز عليه الكذب أن أبا بكر وعمر أفضل الأمة قال الذهبى(١) وقد تواتر ذلك عنه فى خلافته وكرسى مملكته وبين الجم الغفير من شيعته ثم بسط الأسانيد الصحيحة فى ذلك قال: ويقال رواه عن على نيف وثمانون نفسا وعدد منهم جماعة ثم قال فقبح الله الرافضة ما أجهلهم انتهى (ومما) يعضد ذلك مافى البخارى عنه أنه قال خير الناس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما ثم رجل آخر فقال ابنه محمد بن الحنفية ثم أنت فقال إنما أنا رجل من المسلمين وصحح الذهبى وغيره طرقا أخرى عن على بذلك وفى بعضها ألا وإنه بلغنى أن رجالا يفضلونى عليهما فمن وجدته فضلنى عليهما فهو مفتر، عليه ماعلى المفترى ألا ولو كنت تقدمت فى ذلك لعاقبت ألا وإنى أكره العقوبة قبل التقدم (وأخرج) الدارقطنى عنه لاأجد أحدا فضلنى على أبى بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى(٢) وصح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن عليا

---

(١) قال الذهبى هذا متواتر عن علي وأخرج ابن عساكر نحوه عن عمر من قوله .
(٢) وأخرجه ابن عساكر أيضا

رضى الله عنه وقف على عمر بن الخطاب وهو مسجى وقال ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحدا أحب إلىّ أن ألقى الله بصحيفته من هـذا المسجى وفى رواية صحيحة أنه قال له وهو مسجى صلى الله عليك. ودعا له، قال سفيان رواية: قيل للباقر أليست الصلاة على غير الأنبياء منهيا عنها فقال هكذا سمعت، وعليه فيوجه باحتمال أن عليا قائلٌ بعدم الكراهة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى، وأخرج أبو بكر الآجرى عن أبى جُحيفة سمعت عليا على منبر الكوفة يقول أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم خيرهم عمر.

(وأخرج) الحافظ أبو ذر الهروى من طرق متنوعة والدار قطنى وغيرهما عنه أيضا دخلت على على فى بيته فقلت ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا ياأبا جحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك ياأبا جحيفة لايجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن، واخباره بكونهما خير الأمة ثبتت عنه من رواية ابنه محمد بن الحنفية، وجاء عنه من طرق كثيرة بحيث يجزم من تتبعها بصدور هذا القول من على، والرافضة ونحوهم لما لم يكن يمكنهم إنكار صدور هذا القول منه لظهوره عنه بحيث لاينكره إلا جاهل بالآثار أو مباهت قالوا إنما قال على ذلك تَقِيَّة ومرّ أن ذلك كذب وافتراء وسيأتى أيضا، وأحسن مايقال فى هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين.

(وأخرج) الدار قطنى أن أباجحيفة كان يرى أن عليا أفضل الأمة فسمع أقواما يخالفونه فحزن حزنا شديدا فقال له علىّ بعد أن أخذ بيده وأدخله بيته ماأحزنك ياأبا جحيفة فذكر له الخبر فقال ألا أخبرك بخير هـذه الأمة خيرها أبو بكر ثم عمر قال أبو جحيفة فأعطيت الله عهدا أن لا أكتم هذا الحديث بعد أن شافهنى به علىّ مابقيت وقول الشيعة والرافضة ونحوهما إنما ذكر علىّ ذلك تقية كذب وافتراء على الله إذ كيف يتوهم ذلك من له أدنى عقل أو فهم مع ذكره له فى الخلاء فى مدة خلافته لأنه قاله على منبر الكوفة وهو لم يدخلها إلا بعد فراغه من حرب أهل البصرة وذلك أقوى ما كان أمرا وأنفذ حُكما وذلك بعد مدة مديدة من موت أبى بكر وعمر قال بعض أئمة أهل البيت، بعد أن ذكر ذلك فكيف يتعقل وقوعُ مثل هذه التقية المشومة التى أفسدوا بها عقائد أكثر أهل البيت النبوى لاظهارهم لهم كمال المحبة والتعظيم فمالوا الى تقليدهم حتى قال بعضهم أعز الأشياء فى الدنيا شريف سنى فلقد عظمت مصيبة اهل البيت بهؤلاء وعظم عليهم اولا وآخرا انتهى وما احسن ما ابطل به الباقر هذه التقية المشومة لما سئل عن الشيخين فقال انى اتولاهما فقيل له انهم يزعمون ان ذلك تقية فقال إنما يُخاف الاحياء ولا يخاف الأموات فعل الله بهشام بن عبدالملك كذا وكذا، اخرجه الدار قطنى وغيره، فانظر ماأبين هذا الاحتجاج وأوضحه من مثل هذا الإمام العظيم المجمع على جلالته وفضله. بل أولئك الأشقياء يدعون فيه العصمة فيكون ما قاله

واجب الصدق، ومع ذلك فقد صرح لهم ببطلان تلك التقية المشومة عليهم واستدل لهم على ذلك بأن اتقاء الشيخين بعد موتهما لاوجه له إذا لاسطوة لهما حينئذ ثم بين لهم بدعائه على هشام الذى هو والى زمنه وشوكته قائمة أنه إذا لم يتقه مع أنه يخاف ويخشى لسطوته وملكه وقوته وقهره فكيف مع ذلك يتقى الأموات الذين لا شوكة لهم ولا سطوة وإذا كان هذا حال الباقر فما ظنك بعلى الذى لا نسبة بينه وبين الباقر فى إقدامه وقوته وشجاعته وشدة بأسه وكثرة عدته وعدده وأنه لا يخاف فى الله لومة لائم ومع ذلك فقد صح عنه بل تواتر كما مر مدح الشيخين والثناء عليهما وأنهما خير الأمة ، ومر أيضا الأثر الصحيح عن مالك عن جعفر الصادق عن أبيه الباقر أن عليا وقف على عمر وهو مسجى بثوبه وقال ماسبق فما أحوج عليا ان يقول ذلك تقية وما احوج الباقر ان يرويه لأبنه الصادق تقية ، وما احوج الصادق أن يرويه لمالك تقية ؟ فتأمل كيف يسع العاقل ان يترك مثل هذا الإسناد الصحيح ويحمله على التقية لشىء لم يصح وإنما هو من جهالاتهم وغباواتهم وكذبهم وحمقهم وما احسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين كعبد الرزاق فانه قال افضل الشيخين بتفضيل على إياهما على نفسه والا لمافضلتهما . كفى به وزرا ان احبه ثم اخالفه (ومما) يكذبهم فى دعوى تلك التقية المشومة عليهم ما اخرجه الدارقطنى ان ابا سفيان بن حرب رضى الله عنه قال لعلى باعلى صوته لما بايع الناس ابا بكر رضى الله عنه يا على غلبكم على هذا الأمر اذل بيت فى قريش اما والله لاملأنها عليه خيلا ورجالا ان شئت ، فقال على رضى الله عنه ياعدو الإسلام واهله فما اضر ذلك للاسلام واهله ، فعلم بطلان ما زعموه وافتروه من ان عليا إنما بايع تقية وقهرا ولو كان لما زعموه ادنى صحة لنقل واشتهر عن على إذ لا داعى لكتمه بل اخرج الدارقطنى . وروى معناه من طرق كثيرة . عن على انه قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد الى رسول الله ﷺ عهد الجاهدت عليه ولو لم اجد الاردائى ولم اترك ابن ابى قحافة يصعد درجة واحدة من منبره ﷺ ولكنه صلى الله عليه وسلم رأى موضعى وموضعه فقال قم فصل بالناس وتركنى فرضينا به لدنيانا كما رضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ومر لذلك مزيد بيان فى خامس الأجوبة عن خبر من كنت مولاه فعلى مولاه وفى الباب الثانى وفى غيرهما فراجع ذلك كله فانه مهم (ومما يلزم) من المفاسد والمساوى والقبائح العظيمة على ما زعموه من نسبة على إلى التقية إنه كان جبانا ذليلا مقهورا أعاذه الله من ذلك وحروبه للبغاة لما صارت الخلافة له ومباشرته ذلك بنفسه ومبارزته للألوف من الأمور المستفيضة التى تقطع بكذب ما نسبه اليه أولئك الحمق والغلاة إذ كانت الشوكة من البغاة قوية جدا ولاشك أن بنى أمية كانوا أعظم قبائل قريش شوكة وكثرة جاهلية وإسلاما وقد كان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه هو قائد المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب وغيرهما وقد قال لعلى لما

بويع أبو بكر ما مر آنفا فرد عليه ذلك الرد الفاحش . وأيضا فبنو تيم ثم بنو عديّ قوما الشيخين من أضعف قبائل قريش فسكوت عليّ لهما مع أنهما كما ذكر وقيامه بالسيف على المخالفين لمّا انعقدت البيعة له مع قوة شكيمتهم أوضحُ دليل على أنه كان دائرا مع الحق حيث دار وأنه من الشجاعة بالمحل الاسنى وأنه لو كان معه وصية من رسول الله ﷺ في أمر القيام على الناس لأنفذ وصية رسول الله ﷺ ولو كان السيف على رأسه مصلتا لا يرتاب في ذلك الا من اعتقد فيه رضى الله عنه ما هو بريء منه (ومما يلزمهم أيضا) على تلك التقية المشومة عليهم أنه رضى الله عنه لا يعتمد على قوله قط لأنه حيث لم يزل في اضطراب من أمره فكل ماقاله يحتمل أنه خالف فيه الحق خوفا وتقية ذكره شيخ الإسلام الغزالى. قال غيره بل يلزمهم ما هو أشنع من ذلك وأقبح كقولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعين الإمامة الا لعلى فمنع من ذلك فقال مروا أبا بكر تقية فيتطرق احتمال ذلك إلى كل ماجاء عنه ﷺ ولا يفيد حينئذ إثبات العصمة شيأ ، وأيضا فقد استفاض عن على رضى الله عنه انه كان لا يبالى بأحد حتى قيل للشافعى رضى الله عنه ما نفّر الناس عن على الا أنه كان لا يبالى بأحد فقال الشافعى انه كان زاهدا والزاهد لا يبالى بالدنيا وأهلها وكان عالما والعالم لا يبالى بأحد وكان شجاعا والشجاع لا يبالى بأحد وكان شريفا والشريف لا يبالى بأحد أخرجه البيهقى . وعلى تقدير أنه قال ذلك تقية فقد انتفى مقتضيها بولايته وقد مر عنه من مدح الشيخين فيها وفي الخلوة وعلى منبر الخلافة مع غاية القوة والمنعة ما تلى عليك قريبا فلا تغفل (وأخرج) أبو ذر الهروى والدار قطنى من طرق، أن بعضهم مر بنفر يسبون الشيخين فأخبر عليا وقال لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترؤا على ذلك فقال على أعوذ بالله ، رحمهما الله ثم نهض فأخذ بيد ذلك المخبر وأدخله المسجد فصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهى بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر البقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها ، ما بال أقوام يذكرون أخوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدىْ قريش وأبوىْ المسلمين وأنا بريء مما يذكرون وعليه معاقب ، صحبا رسول الله ﷺ بالجد والوفاء والجد فى أمر الله يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان لا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأيا ولا يحب كحبهما حبا لما يرى من عزمهما فى أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما تجاوزوا فى أمرهما وسيرتهما رأى رسول الله ﷺ وأمره فى حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن فاضل ولا يبغضهما ويخالفهما الا شقى مارق وحبهما قربة وبغضهما مروق، ثم ذكر أمر النبي ﷺ لأبى بكر بالصلاة وهو يرى مكان على ثم ذكر أنه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبى بكر لعمر ثم قال ألا ولا يبلغنى عن أحد أنه يبغضهما الا جلدته حد المفترى وفى رواية ما اجترؤا على ذلك

أي سب الشيخين ـ الا وهم يرون أنك موافق لهم منهم عبدالله بن سبأ (١) وكان أول من أظهر ذلك فقال على معاذ الله ان اضمر لهما ذلك لعن الله من اضمر لهما الا الحسن الجميل، وسترى ذلك إن شاء الله. ثم أرسل إلى ابن سبأ فسيره إلى المدائن وقال لا تساكنى فى بلدة أبدا. قال الأئمة وكان ابن سبأ هذا يهوديا فأظهر الإسلام وكان كبير طائفة من الروافض وهم الذين أخرجهم على رضى الله عنه لما ادعوا فيه الألوهية (واخرج) الدار قطنى من طرق ان عليا بلغه ان رجلا يعيب ابا بكر وعمر فأحضره وعرض له بعيبهما لعله يعترف ففطن فقال له اما والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ان لو سمعت منك الذى بلغنى او الذى نبئت عنك وثبت عليك ببينة لأفعلن بك كذا وكذا. إذا تقرر ذلك فاللائق بأهل البيت النبوى اتباع سلفهم فى ذلك والإعراض عما يوشيه اليهم الرافضة وغلاة الشيعة من قبيح الجهل والغباوة والعناد فالحذر الحذرَ عما يلقونه اليهم من ان كل من اعتقد تفضيل ابى بكر على على رضى الله عنهما كان كافرا لأن مرادهم بذلك ان يقرروا عندهم تكفير الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم وانه لا مؤمن غيرهم وهذا مؤد إلى هدم قواعد الشريعة من اصلها والغاء العمل بكتب السنة وماجاء عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن صحابته واهل بيته، إذ الراوى لجميع آثارهم واخبارهم وللاحاديث بأسرها بل والناقل للقرآن فى كل عصر من عصر النبى ﷺ والى هلم هُـم الصحابة والتابعون وعلماء الدين إذ ليس لنحو الرافضة رواية ولا دِراية يدرون بها فروع الشريعة وإنما غاية امرهم ان يقع فى خلال بعض الاسانيد من هُـو رافضى او نحوه والكلام فى قبوله معروف عند أئمة الأثر ونقاد السنة فاذا قدحوا فيهم قدحوا فى القرآن والسنة وابطلوا الشريعة رأسا وصار الأمر كما فى زمن الجاهلية الجهلاء. فلعنة الله واليم عقابه وعظائم نقمته على من يفترى على الله وعلى نبيه بما يؤدى إلى ابطال ملته وهدم شريعته وكيف يسع العاقل ان يعتقد كفر الســواد الأعظم من أمــة محمد ﷺ مع إقرارهم بالشهادتين وقبولهم لشريعة محمد ﷺ من غير موجب للتكفير وهب ان عليا أفضل من أبى بكر رضى الله عنهما فى نفس الأمر أليس القائلون بافضلية ابى بكر معذورين لأنهم إنما

---

(١) ذكر ابن عساكر فى تاريخ دمشق ان أصله من اليمن وابن أمـة سوداء وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ودخل دمشق لذلك وأفاض فيه ابن جرير فى تاريخه وهو الذى قال بالنص على الخلافة فى على وأبنائه وأحدث القول برجعة على وأنه فيه الجزء الإلهى وانه هو الذى يجىء فى السحاب ـ قال المقريزى ومن ابن سبأ تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة ـ وذكر أنه كان ينتقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله ونزل البصرة سنة ثلاث وثلاثين فطرده عبد الله ابن عامر منها لـ وعـ ما لته فخرج إلى الكوفة فأخرج منها فنزل بمصر واستقر بها وبث دعاته فى الأمصار وكاتب من مال إليه منهم بالعيب فى ولاتهم.

قالوا بذلك لأدلة صرحت به وهم مجتهدون والمجتهد إذا أخطأ له أجر؟ فكيف يقال حينئذ بالتكفير وهو لا يكون إلا بإنكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة عنادا كالصوم والصلاة وأما ما يفتقر إلى نظر واستدلال فلا كفر بإنكاره وإن أجمع عليه على ما فيه من الخلاف، وانظر إلى إنصافنا معشر أهل السنة والجماعة الذين طهرهم الله من الرذائل والجهالات والعناد والتعصب والحمق والغباوة ،فاننا لم نكفر القائلين بأفضلية علىّ على أبى بكر وإن كان ذلك عندنا خلاف ما أجمعنا عليه فى كل عصر منا إلى النبى صلى الله عليه وسلم على ما مر أوّل هذا الباب، بل أقمنا لهم العذر المانع من التكفير ومن كفّر الرافضة من الأمة فلأمور أخرى من قبائحهم انضمت إلى ذلك فالحذر الحذر من اعتقاد كفر منْ قلبه مملوء بالإيمان بغير مقتض تقليدا للجهال الضلال الغلاة ، وتأمل ما صح وثبت عن على وأهل بيته من تصريحهم بتفضيل الشيخين على على فان هؤلاء الحمق وان حملوه على التقية الباطلة المشومة عليهم فلا أقل من أن يكون عذرا لأهل السنة فى أتباعهم لعلى وأهل بيته فيجتنب اعتقاد الكفر فيهم فانهم لم يشقوا عن قلب على حتى يعلموا أن ذلك تقية بل قرائن أحوالهم وما كان عليه من عظيم الشجاعة والاقدام وأنه لا يخاف أحدا ولا يخشى فى الله لومة لائم قاطعة بعدم التقية فلا أقل أن يجعلوا ذلك منهم شبهة لأهل السنة مانعة من اعتقادهم كفرهم سبحانك هذا بهتان عظيم

(خاتمة) سئل شيخ الإسلام محقق عصره أبو زرعة الولى العراقى عمن اعتقد فى الخلفاء الأربعة الأفضلية على الترتيب المعلوم ولكنه يحب أحدهم أكثر هل يأثم . فأجاب بأن المحبة قد تكون لأمر دينى وقد تكون لأمر دنيوى فالمحبة الدينية لازمة للأفضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينيّة له أكثر فمتى اعتقدنا فى واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوى كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض فى ذلك ولا امتناع، فمن اعترف بأن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على لكنه أحب عليا أكثر من أبى بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك إذ المحبة الدينية لازمة للأفضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبى بكر الا بلسانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلى لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبى بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية على أو لغير ذلك من المعانى فلا امتناع فيه انتهى .

الفصل الثانى

فى ذكر فضائل أبى بكر الواردة فيه وحده وفيها آيات وأحاديث

(أما الايات) فالأولى قوله تعالى :وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده

من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى . قال ابن الجوزى أجمعوا أنها نزلت فى أبى بكر ، ففيها التصريح بأنه اتقى من سائر الأمة والاتقى هو الاكرم عند الله لقوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم والاكرم عند الله هو الأفضل فنتج أنه أفضل من بقية الأمة ولا يمكن حملها على علىّ خلافا لما افتراه بعض الجهلة لأن قوله وما لأحد عنده من نعمة تجزى يصرفه عن حمله على علىّ لأن النبى صلى الله عليه وسلم رباه فله عليه نعمة أىّ نعمة تجزى وإذا خرج علىّ تعين أبو بكر للاجماع على أن ذلك الاتقى هو أحدهما لا غير(١) (وأخرج) ابن أبى حاتم والطبرانى أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله فأنزل الله قوله وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة (الآية الثانية) قوله : والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى أن سعيكم لشتى . أخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف ببردة وعشرة أواق فاعتقه لله فأنزل الله هذه الآية أى ان سعى أبى بكر وأمية وأبىّ لمفترق فرقانا عظيما فشتان ما بينهما (الآية الثالثة) قوله : ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا (وأخرج ابن أبى حاتم) عن ابن عباس أن الضمير فى فأنزل الله سكينته عليه لأبى بكر أى ولا ينافيه وأيده بجنود إرجاع الضمير فى كل ما يليق به وجلالة ابن عباس قاضية بأنه لولا علم فى ذلك نصا لما حمل الآية عليه مع مخالفة ظاهرها له (الآية الرابعة) قوله تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون (أخرج) البزار وابن عساكر ان عليا رضى الله عنه قال فى تفسيرها الذى جاء بالحق هو محمد والذى صدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية بالحق ولعلها قراءة لعلى (الآية الخامسة) قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان (أخرج) ابن أبى حاتم عن ابن شوذب انها نزلت فى أبى بكر (الآية السادسة) قوله تعالى وشاورهم فى الأمر (أخرج) الحاكم عن ابن عباس أنها نزلت فى أبى بكر وعمر ويؤيده الخبر الآتى إن الله أمرنى أن أستشير أبا بكر وعمر (الآية السابعة) قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين . أخرج الطبرانى عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم أنها نزلت فيهما (الآية الثامنة) قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظمات إلى النور (أخرج) عبد بن حميد عن مجاهد لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين

---

(١) الآية نزلت فى أبى بكر كما أخرجه البزار عن الزبير بن العوام وابن جرير وابن المنذر والآجرى وابن أبى حاتم عن عروة والحاكم عن ابن اسحق وقال صحيح على شرط مسلم وقال الفخر الرازى أجمع المفسرون على أن المراد بالأتقى أبو بكر وصيغة التفضيل تقتضى الخصوص ومن عممها احتاج إلى تأويل الأتقى بالتقى وهو مجاز قطعا والمجاز خلاف الأصل ولا يصار اليه إلا بدليل ولا دليل بل الدليل يعارضه وهو سبب النزول وإجماع المفسرين فاللام للعهد وللسيوطى فى ذلك رسالة الحبل الوثيق فى نصرة الصديق .

آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال أبو بكر: يارسول الله ما أنزل الله عليك خيرا إلا شركنا فيه فنزل هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور (الآية التاسعة) قوله تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين، أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ماعملوا ويتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون (أخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك جميعه نزل فى أبى بكر، ومن تأمل ذلك وجد فيه من عظم المنقبة له والمنة عليه مالم يوجد نظيره لأحد من الصحابة رضوان الله عليهم (الآية العاشرة) قوله تعالى : ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين نزلت فى أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم كما مر ذلك عن على بن الحسين رضى الله عنهما (الآية الحادية عشرة) قوله تعالى : ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم. نزلت كما فى البخارى وغيره عن عائشة فى أبى بكر لما حلف أن لاينفق على مسطح لكونه كان من جملة من رمى عائشة بالإفك الذى تولى الله سبحانه براءتها منه بالآيات التى أنزلها فى شأنها ، ولما نزلت قال أبو بكر : بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وعادله بما كان يصنع أن ينفقه عليه . وفى رواية للبخارى أيضا عنها فى حديث الإفك الطويل وأنزل الله تعالى : إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم ـ العشر الآيات كلها ، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق ـ وكان ينفق على مسطح بن إثاثة لقرابته منه وفقره ـ والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال فى عائشة ماقال: فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة وذكرت الآية السابقة ثم قالت . قال أبو بكر : بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا (تنبيه) علم من حديث الافك المشار اليه ان من نسب عائشة إلى الزنا كان كافرا ، وقد صرح بذلك أئمتنا وغيرهم لأن فى ذلك تكذيب النصوص القرآنية ومكذبها كافر باجماع المسلمين وبه يعلم القطع بكفر كثيرين من غلاة الروافض لأنهم ينسبونها إلى ذلك ، قاتلهم الله أنى يؤفكون (الآية الثانية عشرة) قوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين الآية (أخرج) ابن عساكر عن ابن عيينة قال: عاتب الله المسلمين كلهم فى رسول الله إلا أبا بكر وحده فانه خرج من المعاتبة، ثم قرأ : إلا تنصروه فقد نصره الله الآية .

(وأما الأحاديث) فهى كثيرة مشهورة وقدمر فى الفصل الثالث من الباب الأول منها جملة إذ الاربعة عشر السابقة ثم الدالة على خلافته وغيرها من رفيع شأنه وقدره غاية فى كمانه . وغرة فى فضائله وافضاله فلذلك بنيت عليها فى العد هنا فقلت (الحديث الخامس عشر) أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أى الناس أحب اليك؟ قال عائشة، فقلت من الرجال فقال أبوها . فقلت ثم من؟ فقال عمر بن الخطاب فعد رجالا وفى رواية لست أسألك عن أهلك إنما أسألك عن أصحابك (الحديث السادس عشر) أخرج البخارى فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما : كنا فى زمن رسول الله ﷺ لا نعدل بأبى بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم، وفى رواية له أيضا كنا نخيّر بين الناس فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، وفى رواية لأبى داود كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى: أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبرانى فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره . وفى البخارى أيضا عن محمد بن الحنفية قلت لأبى يعنى عليا رضى الله عنهما أى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر . فقلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال ما أنا إلا واحد من المسلمين (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عمر: كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا (وأخرج) أيضا عن أبى هريرة: كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد نبيها: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت .

والترمذى عن جابر ان عمر قال لأبى بكر ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أما انك إن قلت ذلك فلقد سمعته يقول : ماطلعت الشمس على خير من عمر. ومر أنه تواتر عن على خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وانه قال : لا يفضلنى أحد على أبى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى أخرجه ابن عساكر (وأخرج) الترمذى والحاكم عن عمر قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وابن عساكر ان عمر صعد المنبر ثم قال: ألا ان أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه ما على المفترى (الحديث السابع عشر) أخرج عبد بن حميد فى مسنده وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر إلا أن يكون نبيا . وفى لفظ ماطلعت الشمس على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر، وورد ايضا من حديث جابر ولفظه ماطلعت الشمس على أحد منكم افضل منه، وأخرجه الطبرانى وغيره وله شواهد من وجوه اخر تقضى له بالصحة أو الحسن وقد أشار ابن كثير الى الحكم بصحته

(الحديث الثامن عشر) أخرج الطبرانى عن أسعد بن زُرَارة أن رسول الله ﷺ قال : إن روح القدس جبريلَ أخبرنى: إن خير أمتك بعدك أبو بكر (الحديث التاسع عشر) أخرج الطبرانى وابن عدى عن سلمة بن الاكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبى (الحديث العشرون) أخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر (الحديث الحادى والعشرون) أخرج الديلمى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبو بكر منى وأنا منه وأبو بكر أخى فى الدنيا والآخرة (الحديث الثانى والعشرون) أخرج أبو داود والحاكم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أتانى جبريل وأخذ بيدى فارانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى فقال أبو بكر : وددت أنى كنت معك حتى أنظر اليه، فقال أما إنك يا أبا بكر أوّل من يدخل الجنة من أمتى (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الطبرانى عن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن أبا بكر يؤوّل الرؤيا وإن رؤياه الصالحة حظه من النبوّة أى نصيبه من آثار نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم المفاضة عليه لمزيد صدقه وتخليه لها عن سائر حظوظه وأغراضه وعظيم فنائه عن نفسه وأهله (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الديلمى عن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمرت ان أولى الرؤيا أبا بكر (الحديث الخامس والعشرون) أخرج أحمد والبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إنه ليس فى الناس أحداً من علىّ فى نفسه وماله من ابن أبى قحافة : ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا عنى كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر (الحديث السادس والعشرون) أخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لأبى بكر أنت عتيق من النار (الحديث السابع والعشرون) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر : أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار (الحديث الثامن والعشرون) أخرج أبو يعلى فى مسنده وابن سعد والحاكم وصححه عن عائشة رضى الله عنها قالت : انى لفى بيتى ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الفناء والستر بينى وبينهم إذ أقبل أبو بكر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر، وإن اسمه الذى سماه أهله بعبد الله فغلب عليه اسم عتيق (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار ، فمن يومئذ سمى عتيقا (الحديث الثلاثون) أخرج البزار والطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال: كان اسم أبى بكر عبد الله

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنت عتيق الله من النار فسمى عتيقا (تنبيه) يستفاد من هذه الأحاديث ماهو الأصح عند العلماء أن اسم أبى بكر عبد الله وأن لقبه عتيق (الحديث الحادى والثلاثون) أخرج الحاكم بسند جيدأن عائشة قالت : جاء المشركون إلى أبى بكر فقالوا : هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس، قال : وقال ذلك؟ قالوا نعم، فقال: لقد، صدق انى لأصدقه بأبعد من ذلك بخبر السماء غدوة وروحة فلذلك سمى الصديق وورد هذا الحديث أيضا من حديث أنس وأبى هريرة وأم هانىء. أسند الاولين ابن عساكر والثالث الطبرانى (الحديث الثانى والثلاثون) أخرج سعيد بن منصور فى سننه عن أبى وهب مولى أبى هريرة قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسرى به فكان بذى طوى قال : ياجبريل ان قومى لا يصدقونى فقال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق ووصله الطبرانى فى الأوسط عن أبى وهب عن أبى هريرة (وأخرج) الحاكم عن النزال بن سبرة قلنا لعلى يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبى بكر فقال : ذاك أمرؤ سماه الله الصديق على لسان محمد ﷺ لأنه خليفة رسول الله ﷺ رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا . اسناده جيد. وصح عن حكم بن سعيد سمعت عليا يحلف: لانزل الله اسم أبى بكر من السماء الصديق (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج الحاكم عن أنس أن النبي ﷺ قال ماصحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أفضل من أبى بكر (الحديث الرابع والثلاثون) اخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: مالأحد عندنا يد الا وقد كافيناه بها ماخلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وإن صاحبكم أى محمدا صلى الله عليه وسلم خليل الله (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج الشيخان وأحمد والترمذى والنسائى عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة : ياعبد الله هذا خير لك فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة قال أبو بكر : وهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم (الحديث السادس والثلاثون) أخرج الترمذى عن عائشة أن النبى ﷺ قال لا ينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره ، ولهذا الحديث تعلق تام ومناسبة ظاهرة بأحاديث الخلافة الأربعة عشر السابقة (الحديث السابع والثلاثون) أخرج الشيخان وأحمد والترمذى عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فى الغار: يا أبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج عبدان المروزى وابن قانع عن بهز أن النبى ﷺ قال يا أيها الناس احفظونى فى أبى بكر فانه لم يسؤنى منذ صحبنى (الحديث التاسع والثلاثون)

أخرج ابن عساكر عن عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد : لا يرفعن أحد من هذه الأمة كتابه قبل أبي بكر (الحديث الأربعون) أخرج الطبرانى عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله اتخذنى خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، وإن خليلى أبو بكر وفيه معارضة لما مر آنفا وفى رابع أحاديث الخلافة الا أن يحمل ذاك على كمال الخلة وهذا على نوع منها (الحديث الحادى والأربعون) أخرج الحارث والطبرانى وابن شاهين عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ان الله يكره فوق سمائه أن يخطأ أبو بكر فى الأرض ، وفى رواية : إن الله يكره أن يخطأ أبو بكر رجاله ثقات (الحديث الثانى والاربعون) أخرج الطبرانى عن ابن عباس : ما أحد عندى أعظم يدا من أبي بكر، واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته (الحديث الثالث والأربعون) أخرج الطبرانى عن معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رأيت أنى وضعت فى كفة وأمتى فى كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ثم وضع عمر فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها، ثم وضع عثمان فى كفة وأمتى فى كفة فعدلها ثم رفع الميزان (الحديث الرابع والاربعون) أخرج مسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه والحاكم والبيهقى أن رسول الله ﷺ قال : أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وسيأتى تتمته (الحديث الخامس والأربعون) أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: عشرة فى الجنة النبي فى الجنة وأبو بكر فى الجنة الحديث وستأتى تتمته أيضا (الحديث السادس والأربعون) أخرج احمد والضياء عن سعيد بن زيد والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر فى الجنة الحديث وسيأتى بطوله (الحديث السابع والأربعون) اخرج الترمذى عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رحم الله أبا بكر زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الإسلام ما نفعنى مال أبى بكر ، وقوله وحملنى إلى دار الهجرة قد ينافيه حديث البخارى أنه ﷺ لم يأخذ الراحلة من أبى بكر إلا بالثمن الا أن يجمع بأنه أخذها أولا بالثمن ثم أبرأ ابو بكر ذمته الحديث وستأتى تتمته (الحديث الثامن والاربعون) أخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل ابو بكر فسلم وقال : إنى كان بينى وبين عمر بن الخطاب شىء فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته ان يغفر لى فأبى علىّ فأقبلت اليك فقال يغفر الله لك يا ابا بكر يغفر الله لك يا ابا بكر يغفر الله لك يا ابا بكر ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فلم يجده ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعّر (١) حتى اشفق ابو بكر فجثا على ركبتيه فقال يارسول الله ﷺ انا كنت اظلم منه انا كنت اظلم منه ، فقال النبي ﷺ ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت

(١) يتمعر : يتغير . من قولهم مكان أمعر أى جدب لا خصب فيه .

وقال ابو بكر صدقت وواسانى بنفسه وماله فهل انتم تاركولى صاحبى فهل انتم تاركولى صاحبى فما أوذى أبو بكر بعدها (وأخرج) ابن عدى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما نحوه وفيه فقال رسول الله ﷺ لا تؤذونى فى صاحبى فان الله بعثنى بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت ولولا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ولكن أخوة الاسلام (الحديث التاسع والاربعون) اخرج ابن عساكر عن المقدام قال استبّ عقيل بن ابى طالب وابو بكر قال وكان ابو بكر سبابا أو نسابا غير أنه تحرّج من قرابة عقيل من النبى ﷺ فأعرض عنه وشكاه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله ﷺ على الناس فقال الا تدعون لى صاحبى ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب ابى بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر صدقت وامسكتم الأموال وجاد لى بماله وخذلتمونى وواسانى واتبعنى (الحديث الخمسون) أخرج البخارى عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة فقال أبو بكر ان أحد شقّ ثوبى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه فقال رسول الله ﷺ انك لست تصنع ذلك خيلاء (الحديث الحادى والخمسون) أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قال فمن أطعم منكم اليوم مسكينا قال أبو بكر أنا قال : فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبو بكر. انا فقال رسول الله ﷺ ما اجتمعن فى امرىء الا دخل الجنة وفى رواية عن أنس وجبت لك الجنة (الحديث الثانى والخمسون) أخرج البزار عن عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال من أصبح منكم صائما؟ فقال عمر يا رسول الله لم أحدث نفسى بالصوم البارحة فأصبحت مفطرا فقال أبو بكر ولكن حدثت نفسى بالصوم البارحة فأصبحت صائما فقال هل منكم أحد اليوم عاد مريضا فقال عمر يا رسول الله لم نبرح فكيف نعود المريض فقال أبو بكر بلغنى أن أخى عبد الرحمن بن عوف شاك فجعلت طريقى عليه لانظر كيف أصبح فقال هل منكم من أطعم اليوم مسكينا ؟ فقال عمر صلينا يارسول الله لم نبرح فقال أبو بكر دخلت المسجد فاذا سائل فوجدت كسرة من خبز الشعير فى يد عبد الرحمن فأخذتها فدفعتها اليه فقال انت فابشر بالجنة ثم قال كلمة ارضى بها عمر زعم انه لم يرد خيرا قط الا سبقه اليه ابو بكر كذا لفظ هذا الحديث فى النسخة التى رأيتها وفيه مايحتاج إلى التأمل (واخرج) ابو يعلى عن ابن مسعود قال كنت فى المسجد اصلى فدخل رسول الله ﷺ ومعه ابو بكر وعمر فوجدنى ادعو فقال سل تعطه ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا طريا فليقرا بقراءة ابن ام عبد فرجعت إلى منزلى فأتانى ابو بكر فبشرنى ، ثم أتانى عمر فوجد أبا بكر خارجا قد سبقه فقال انك لسباق بالخير (الحديث الثالث والخمسون) اخرج احمد بسند حسن عن ربيعة الاسلمى قال جرى بينى وبين ابى

بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها وندم فقال لى يا ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا فقلت
لا افعل فقال ابو بكر لتقولن أولا ستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
ما إنا بفاعل فانطلق ابو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت اتلوه وجاء اناس من
اسلم فقالوا رحم الله أبا بكر اى شىء يستعدى عليك وهو الذى قال لك ما قال فقلت
تدرون من هذا هذا أبو بكر هذا ثانى اثنين وهذا ذو شيبة المسلمين إياكم لا يلتفت
فيراكم تنصرونى عليه فيغضب فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه
فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة قالوا فما تأمرنا ، قلت ارجعوا وانطلق ابو بكر
، تبعته وحدى حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان فرفع الى
اسه فقال ياربيعة مالك والصديق فقلت يارسول الله كان كذا وكذا فقال لى كلمة كرهتها
فقال لى: قل لى كما قلت لك حتى يكون قصاصا فابيت فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل
لا ترد عليه ولكن قل غفر الله لك ياأبا بكر فقلت غفر الله لك ياأبا بكر . (الحديث
الرابع والخمسون) أخرج الترمذى عن ابن عمر وحسّنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لأبى بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي فى الغار ومؤنسى فى الغار (الحديث الخامس
والخمسون) أخرج البيهقى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن فى الجنة طيرا
كأمثال البخاتى قال أبو بكر : إنها لنا عمة (١) يارسول الله قال أنعم منها من يأكلها
وأنت ممن يأكلها وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس أيضا (الحديث السادس والخمسون)
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بى إلى السماء فما
مررت بسماء إلا وجدت فيها اسمى محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفى وورد هـــذا
الحديث أيضا من رواية ابن عباس وابن عمر وأنس وأبى سعيد وأبى الدرداء وأسانيدها
كلها ضعيفة لكنها ترتقى بمجموعها إلى درجة الحسن (الحديث السابع والخمسون) أخرج
ابن أبى حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبير قال قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم ياأيتها
النفس المطمئنة فقال أبو بكر : يارسول الله ان هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : أما ان الملك سيقولها لك عند الموت (الحديث الثامن والخمسون) أخرج ابن أبى
حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم أو اخرجوا من دياركم قال أبو بكر يارسول الله لو امرتنى أن أقتل نفسى لفعلت
قال صدقت (الحديث التاسع والخمسون) أخرج الطبرانى فى الكبير وابن شاهين فى السنة
عن ابن عباس رضى الله عنهما موصولا وأبو القاسم البغوى قال : حدثنا داود بن عمرو

---

(١) البخاتى جمع بختية وهى انثى الجمال البخت وهى طوال الأعناق واللفظة معربة ، والناعمة
السمينة المترفة .

حدثنا عبد الجبار بن الورد عن ابن أبى مليكة وتابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد أخرجه ابن عساكر وعبد الجبار ثقة وشيخه ابن ابى مليكة إمام إلا انه من هذه الطريق مرسل قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه غديرا فقال لِيَسْبَح كل رجل إلى صاحبه فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فسَبَحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابى بكر حتى اعتنقه فقال :لو كنت متخذا خليلا لا تخذت أبا بكر خليلا ولكنه صاحبي (الحديث الستون) أخرج ابن أبى الدنيا فى مكارم الاخلاق وابن عساكر من طريق صدقة ابن ميمونة القرشى عن سليمان بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال الخير ثلثمائة وستون خصلة إذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة منها بها يدخل الجنة فقال أبو بكر رضى الله عنه : يارسول الله أفىّ شىء منها قال نعم جميعها من كل (واخرج) ابن عساكر من طريق آخر انه صلى الله عليه وسلم قال خصال الخير ثلثمائة وستون فقال : ابو بكر يارسول الله لى منها شىء قال : كلها فيك فهنيئا لك يا ابا بكر (الحديث الحادى والستون) اخرج ابن عساكر من طريق مجمّع الانصارى عن ابيه قال إن كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالإسوار وان مجلس ابى بكر منها لفارغ ما يطمع فيه احد من الناس فاذا جاء ابو بكر جلس ذلك المجلس واقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بوجهه والقى اليه حديثه ويسمع الناس (الحديث الثانى والستون) اخرج ابن عساكر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب ابى بكر وشكره واجب على كل امتى واخرج مثله من حديث سهل بن سعد (الحديث الثالث والستون) اخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس كلهم يحاسبون إلا ابا بكر (الحديث الرابع والستون) اخرج احمد عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال ابى بكر فبكى ابو بكر وقال هل انا ومالى إلا لك يارسول الله (واخرج) ابو يعلى من حديث عائشة رضى الله عنها مرفوعا مثله قال ابن كثير مروى ايضا من حديث على وابن عباس وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم : وأخرجه الخطيب عن ابن المسيب مرسلا وزاد وكان صلى الله عليه وسلم يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى مال نفسه

(واخرج) ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة ان أبا بكر اسلم يوم اسلم وله اربعون الف دينار وفى لفظ اربعون الف درهم فانفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث الخامس والستون) اخرج البغوى وابن عساكر عن ابن عمر قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال يا محمد مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فقال يا جبريل

انفق ماله على قبل الفتح قال : فان الله يقرا عليه السلام ويقول قل له أراض أنت عنى فى فقرك هذا امساخط فقال أبو بكر اسخط على ربى أنا عن ربى راض انا عن ربى راض أنا عن ربى راض وسنده غريب ضعيف جدا (وأخرج) أبو نعيم عن أبى هريرة وابن مسعود مثله وسندهما ضعيف أيضا وابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس (وأخرج) الخطيب بسنده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: هبط جبريل عليه السلام وعليه طنفسة (١) متخلل بها فقلت ياجبريل ماهذا قال إن الله تعالى أمر الملائكة أن تتخلل فى السماء لتخلل أبى بكر فى الأرض قال . ابن كثير وهذا منكر جدا ولولا أن هذا والذى قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما أولى (الحديث السادس والستون) صح عن عمر أنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندى فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك ؟ قلت مثله فأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال : ياأبا بكر ما أبقيت لأهلك قال : أبقيت لهم الله ورسوله فقلت : لا أسبقه إلى شىء أبدا (الحديث السابع والستون) اخرج ابن عساكر انه قيل لابى بكر فى مجمع من الصحابة هل شربت الخمر فى الجاهلية فقال اعوذ بالله فقات ولم قال : كنت اصون عرضى واحفظ مروءتى فان من شرب الخمر كان متضيعا فى عرضه ومروءته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدق ابو بكر صدق ابو بكر وهو مرسل غريب سندا ومتنا (واخرج) ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة قالت : والله ماقال ابو بكر شعراً قط فى جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر فى الجاهلية (واخرج) ابو نعيم بسند جيد عنها قالت لقد حرم ابو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية (الحديث الثامن والستون) اخرج ابو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماكلمت فى الإسلام احد إلا ابى علىّ وراجعنى الكلام إلا ابن ابى قحافة فانى لم اكلمه فى شىء الا قبله واستقام عليه وفى رواية لابن اسحاق مادعوت احدا إلى الإسلام إلا كانت له غنه كبوة وتردّد ونظر الا ابا بكر ماعتم اى (تلبث عنه حين ذكرته) وما تردد فيه قال البيهقى وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع آثاره قبل دعوته فحين دعاه كان سبق له فيه تفكر ونظر فاسلم فى الحال اه

ويؤيد ماقاله ما اخرجه ابو نعيم عن فرات بن السائب قال سألت ميمون بن مهران علىّ أفضلُ عندك أم أبو بكر وعمر قال : فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ثم قال : ماكنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما لله درّهما كانا رأس الإسلام قلت : فأبو بكر كان أول

---

(١) الطنفسة . بكسر الطاء والفاء وبضمها وبكسر الطاء وفتح الفاء البساط الذى له خمل رقيق وجمعه طنافس .

إسلاما أو على قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه وذلك كله قبل أن يولد على. وصح عن زيد بن أرقم . أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر (وأخرج) الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي بكر انه قال ألست أحق الناس بها أي الخلافة ألست أول من أسلم الحديث والطبراني في الكبير وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن الشعبي قال . سألت ابن عباس : أي الناس كان أول إسلاما؟ قال: أبو بكر ألم تسمع إلى قول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلى النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

ومن ثم ذهب خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى أنه أول الناس إسلاما بل ادعى بعضهم عليه الإجماع . وجمع (١) بين هذا وغيره من الأحاديث المنافية له بأنه أول الرجال إسلاما وخديجة أول الناس في النساء وعلى أول الصبيان وزيد أول الأرقاء. وخالف في ذلك ابن كثير فقال : الظاهر ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد زوجته خديجة ومولاه زيد وزوجته أم أيمن وعلى وورقة ويؤيده ماصح عن سعد بن أبي وقاص أنه أسلم قبله أكثر من خمسة قال ولكن كان خيرنا إسلاما (الحديث التاسع والستون) أخرج أبو يعلى وأحمد والحاكم عن على قال قال . لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل (الحديث السبعون) أخرج تمام في فوائده وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر .

الفصل الثالث

في ذكر فضائل أبي بكر الواردة فيه مع ضميمة غيره كعمر
وعثمان وعلى وغيرهم اليه وأفردت بترجمة لما بينها وبين الأولى من
نوع مغايرة باعتبار السياق وأما من حيث إفادته أفضلية أبي بكر وتشريفه
فهي مع ماقبلها جنس واحد فلذا بنيت عدها على عد الأولى فقلت

(الحديث الحادي والسبعون) أخرج الحاكم في الكنى وابن عدى في الكامل والخطيب في تاريخه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين وخير أهل السماء وخير أهل الأرض الا النبيين والمرسلين

---

(٢) أول من جمع هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه كما ذكره السيوطي .

(الحديث الثاني والسبعون) أخرج الطبراني عن أبي الدرداء اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وله طرق أخرى مرت في أحاديث الخلافة (الحديث الثالث والسبعون) أخرج أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فان استطعت أن تموت فمت (الحديث الرابع والسبعون) أخرج البخاري في تاريخه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر (الحديث الخامس والسبعون) أخرج الترمذي عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر (الحديث السادس والسبعون) أخرج أحمد والشيخان والنسائي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة فطلبه الراعي فالتفت اليه الذئب فقال من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وبينا رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته فقالت إني لم اخلق لهذا ولكنني خلقت للحرث قال الناس سبحان الله قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني أومن بذلك وابو بكر وعمر وما ثم ابو بكر وعمر . اى لم يكونا في المجلس شهد لهما صلى الله عليه وسلم بالإيمان لعلمه بكمال إيمانهما . وفي رواية بينا رجل راكب على بقرة فالتفتت إليه فقالت اني لم اخلق لهذا إنما خلقت للحرث فاني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر وبينا رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبه حتى استنقذها منه فقال له الذئب استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لاراعي لها غيري . فاني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر (الحديث السابع والسبعون) أخرج احمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن ابي هريرة ان النبي ﷺ قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما (١) (الحديث الثامن والسبعون) اخرج ابن عساكر عن ابي سعيد ان اهل عليين ليشرف احدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم وانعما (الحديث التاسع والسبعون) اخرج احمد والترمذي عن علي وابن ماجه عنه ايضا وعن ابي جحيفة وابو يعلى في مسنده والضياء في المختارة عن انس والطبراني في الأوسط عن جابر وعن ابي سعيد ان رسول الله ﷺ قال هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والاخرين إلا النبيين

(١) أنعما . أي زادا وفضلا ، تقول أحسنت إلي وأنعمت أي زدت على الإنعام وقيل المعنى صارا إلى النعيم ودخلا فيه كما يقال أشمل إذا دخل في الشمال كذا في النهاية .

والمرسلين يعنى أبا بكر وعمر . وفى الباب عن ابن عباس وابن عمر (الحديث الثمانون) اخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنظلة ان رسول الله ﷺ رأى ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر . وأخرجه الطبرانى من حديث عمر وابن عمر (الحديث الحادى والثمانون) اخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس والخطيب عن جابر وابو يعلى ان رسول الله ﷺ قال أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس (الحديث الثانى والثمانون) أخرج الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال إن الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبى بكر وعمر (الحديث الثالث والثمانون) أخرج الطبرانى عن ابن مسعود قال قال النبى ﷺ إن لكل نبى خاصة من أصحابه وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر (الحديث الرابع والثمانون) أخرج ابن عساكر عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال إن لكل نبى وزيرين ووزيراى وصاحباى أبو بكر وعمر (الحديث الخامس والثمانون) أخرج ابن عساكر عن على والزبير معا أن النبى ﷺ قال خير أمتى بعدى أبو بكر وعمر (الحديث السادس والثمانون) أخرج الخطيب فى تاريخه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيدا كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر وإن أبا بكر فى الجنة مثل الثريا فى السماء (الحديث السابع والثمانون) أخرج البخارى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ ماقدمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما (الحديث الثامن والثمانون) أخرج ابن قانع عن الحجاج السهمى أن رسول الله ﷺ قال من رأيتموه يذكر أبا بكر وعمر بسوء فانما يريد غير الإسلام (الحديث التاسع والثمانون) أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال القائم بعدى فى الجنة والذى يقوم بعده فى الجنة والثالث والرابع فى الجنة (الحديث التسعون) أخرج ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال أربعة لايجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى (الحديث الحادى والتسعون) أخرج الترمذى عن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رحم الله أبا بكر زوّجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وأعتق بلالا من ماله وما نفعنى مال فى الإسلام ما نفعنى مال أبى بكر، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّا لقد تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسّعنا، رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار (الحديث الثانى والتسعون) أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه والضياء عن سعيد بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة فى الجنة النبى فى الجنة وأبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير بن العوّام فى الجنة وسعد بن مالك فى الجنة ، أى وهو ابن أبى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وأخرجه بمعناه أحمد والضياء عن سعيد بن زيد والترمذى عن عبد الرحمن بن عوف (الحديث الثالث والتسعون) أخرج البخارى فى تاريخه

والنسائى والترمذى والحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال نعم الرجل أبو بكر
نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حُضير نعم الرجل
ثابت بن قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح
نعم الرجل سهيل بن بيضاء (الحديث الرابع والتسعون) أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه
وابن حبان والحاكم والبيهقى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرحم أمتى
بأمتى أبو بكر وأشدهم فى دين الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبىّ
ابن كعب وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين
وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح(١) وفى رواية الطبرانى فى الأوسط أرحم أمتى
بأمتى أبو بكر وأرفق أمتى لأمتى عمر وأصدق أمتى حياء عثمان وأقضى أمتى علىّ بن أبى
طالب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل يجىء يوم القيامة أمام العلماء وأقرأ أمتى
أبى بن كعب وأفرضها زيد بن ثابت وقد أوتى عويمر عبادة يعنى أبا الدرداء وفى أخرى
عند ابن عساكر أرحم أمتى أبو بكر الصديق وأحسنهم خلقا أبو عبيدة بن الجراح وأصدقهم
لهجة أبو ذر وأشدهم فى الحق عمر وأقضاهم على رضى الله عنهم أجمعين وفى أخرى عند العقيلى أرحم
هذه الأمة بها أبو بكر وأقواهم فى دين الله عمر وأفرضهم زيد بن ثابت وأقضاهم على بن أبى طالب
وأصدقهم حياء عثمان بن عفان وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح وأقرؤهم لكتاب الله عز
وجل أبى بن كعب وأبو هريرة وعاء من العلم وسلمان عالم لا يدرك ومعاذ بن جبل أعلم الناس بحلال
الله وحرامه وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر. وفى أخرى لأبى
يعلى أرأف امتى بأمتى ابو بكر واشدهم فى الدين عمر واصدقهم حياء عثمان واقضاهم على وافرضهم
زيد بن ثابت واقرؤهم ابى واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ألا وإن لكل امة امينا
وامين هذه الأمة ابو عبيدة بن الجراح (الحديث الخامس والتسعون) اخرج الترمذى عن
أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار
وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع اليه أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فانهما كانا
ينظران إليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما (الحديث السادس والتسعون) أخرج
الترمذى والحاكم عن عمر والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو
آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة (الحديث السابع والتسعون) أخرج الترمذى
والحاكم عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم
عمر (الحديث الثامن والتسعون) أخرج البزار عن أبى أروى الدوسى قال كنت عند النبى ﷺ

---

(١) اسمه عامر بن عبيد الله بن الجراح .

فأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذى أيدنى بكما . وورد هذا أيضا من حديث البراء بن عازب أخرجه الطبرانى فى الأوسط (الحديث المكمل للمائة) أخرج عبدالله بن أحمد فى زوائد الزهد عن أنس مرفوعا إنى لارجو لأمتى فى حبهم لأبى بكر وعمر ما أرجو لهم فى قول لا إله إلا الله (الحديث الأول بعد المائة) أخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ مالبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبى بكر (الحديث الثانى بعد المائة) أخرج احمد عن عبدالرحمن بن غَنْم أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر لو اجتمعتما فى مشورة ماخالفتكما وأخرجه الطبرانى من حديث البراء بن عازب (الحديث الثالث بعد المائة) اخرج الطبرانى عن سهل قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أن أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا له ذلك . أيها الناس إنى راض عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأوّلين فاعرفوا ذلك لهم (الحديث الرابع بعد المائة) أخرج بن سعد عن بسطام بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد بعدى (الحديث الخامس بعد المائة) أخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعا حب أبى بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر (الحديث السادس بعد المائة) اخرج ابن عساكر أيضا أن رسول الله ﷺ قال حب أبى بكر وعمر من السنة (الحديث السابع بعد المائة) أخرج احمد والبخارى والترمذى وأبو حاتم عن أنس قال صعد النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحُداً فرجف بهم فضربه النبى صلى الله عليه وسلم برجله وقال أثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان . وإنما قال له ذلك ليبين ان هذه الرجفة ليست كرجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم لأن تلك رجفة غضب وهذه هزة الطرب ولذا نصّ على مقام النبوّة والصديقية والشهادة الموجبة لسرور مااتصلت به لا لرجفاته فأقر الجبل بذلك واستقر (وأخرج) الترمذى والنسائى والدار قطنى عن عثمان أنه ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض. أى قرار الأرض عند منقطع الجبل . فركضه أى ضربه برجله وقال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصديق وشهيدان (وأخرج) مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسكن حراء فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان وفى رواية له وسعد بن أبى وقاص ولم يذكر عليا وخرجه الترمذى وصححه . ولم يذكر سعدا وفى رواية له كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة وهذه الروايات محمولة على أنها وقائع تكررت ولا نظر إلى المنازعة فيها بأن المخرج متّحد

اصحة أحاديث كل فتعين الجمع بينها بذلك، وفى مسلم من حديث أبى هريرة ما يؤيد التعدد
(الحديث الثامن بعد المائة) أخرج محمد بن يحيى الذهبى فى الزهريات عن أبى ذر قال هجرت
يوما من الأيام فاذا النبى ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فاخبرنى عنه أنه ببيت
عائشة فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكان حينئذ ارى أنه فى وحى فسلمت
عليه فرد علىّ السلام ثم قال لى ماجاء بك قلت الله ورسوله فأمرنى أن أجلس فجلست إلى
جنبه لاأسأله عن شىء إلا ذكره لى فمكث غير كثير فجاء أبو بكر يمشى مسرعا فسلم عليه فرد
عليه السلام ثم قال ماجاء بك قال جاء بى الله ورسوله فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة
مقابل النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك
وجلس إلى جنب أبى بكر ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر ثم قبض رسول الله ﷺ
على حصيات سبع أو تسع أو ماقرب من ذلك فسبّحن فى يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل
فى كف رسول الله ﷺ ثم ناولهن أبا بكر وجاوزنى فسبحن فى كف أبى بكر ثم أخذهن
منه فوضعهن فى الأرض فخرسن وصرن حصى ثم ناولهن عمر فسبحن فى كفه كما سبحن فى كف أبى
بكر ثم اخذهن منه فوضعهن فى الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن فى كفه كنحو ماسبحن
فى كف ابى بكر وعمر ثم أخذهن فوضعهن فى الأرض فخرسن . وأخرجه البزار والطبرانى
فى الأوسط عن أبى ذر أيضا لكن بلفظ تناول النبى ﷺ سبع حصيات فسبحن فى يده حتى
سمعت لهن حنينا ثم وضعهن فى يد أبى بكر فسبحن ثم وضعهن فى يد عمر فسبحن ثم وضعهن
فى يد عثمان فسبحن زاد الطبرانى فسمع تسبيحهن من فى الحلقة ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع
أحد منا . وتأمل سر مافى الرواية الأولى من إعطاء النبى ﷺ إياهن لأبى بكر من يده من
قبل وضعهن بالأرض بخلافه فى عمر وعثمان تعلم ان ذلك كله لمزيد قرب أبى بكر حتى صير
يده ليست أجنبية من يد النبى ﷺ فلم يفصل بينهما بزوال حياة تلك الحصيات بخلافه فى
عمر وعثمان (الحديث التاسع بعد المائة) أخرج الملا فى سيرته أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال إن الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض الصلاة والزكاة
والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج
(الحديث العاشر بعد المائة) أخرج الحافظ النسفى فى مشيخته من حديث أنس أن النبى صلى
الله عليه وسلم قال حب ابى بكر واجب على امتى (الحديث الحادى عشر بعد المائة)
اخرج الشيخان واحمد وغيرهم عن ابى موسى الأشعرى رضى الله عنه انه خرج إلى المسجد
فسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت فى اثره حتى دخل بئرا ريس
فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ
فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس وتوسط قفها اى رأسها فجلست عند الباب فقلت
لأكونن بوابا للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو

بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لأبى بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ فقلت إن يرد الله بفلان خيرا يعنى أخاه يأت به فاذا إنسان يحرك الباب فقلت من هذا على الباب قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئته فقلت أدخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودلى برجليه فى البئر فرجعت فجلس وقلت إن يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء إنسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت إلى النبى ﷺ فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت : ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملىء فجلس وجاهه من الصف الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب تأويلها قبورهم انتهى. وأقول تأويلها أيضا على خلافة الثلاثة على ترتيب مجيئهم ممكن بل هو الموافق لحديث البئر السابق ة رواياته وطرقه فى تاسع الأحاديث الدالة على خلافة ابى بكر ويكون جلوس الشيخين بجانبه صلى الله عليه وسلم وضيق المحل عن عثمان حتى جلس امامهم إشارة إلى عظيم خلافتهما وسلامتهما من تطرق الفتن اليها على اتم الوجوه واكملها وان صدور المؤمنين واحوالهم فيها كانت على غاية من السرور واعتدال الأمر . واما خلافة عثمان فانهما وان كانت صدقا وحقا وعدلا لكن اقترن بها أحوال من احوال بنى امية وسفهائهم كدرت القلوب وشوشت على المسلمين وتولد بسببها تلك الفتن العظيمة . ويؤيد ماذكرته أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك بقوله فى عثمان على بلوى تصيبه ، وتلك البلوى لم تتولد إلا لما ذكرته من قبيح أحوال بنى أمية كما سيأتى بسط ذلك فى مبحث خلافة عثمان وذكر فضائله ومآثره واعلم أنه وقع فى روايات أخر مافيه مخالفة لبعض مامر فى تلك الرواية. فقد أخرج أبوداود نحو تلك الرواية عن أبى سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعى قال : دخل رسول الله ﷺ حائطا من حوائط المدينة . فقال لبلال : أمسك الباب فجاء أبو بكر يستأذن فذكر نحوه . قال الطبرانى : وفى حديث أن نافع بن الحرث هو الذى كان يستأذن ، وهذا يدل على تكرر القصة انتهى ، وهو أظهر من تصويب شيخ الإسلام ابن حجر عدم التعدد وأنها عن أبى موسى الاشعرى ووهّم القول بغيره (الحديث الثانى عشر بعد المائة) أخرج الحافظ عمر بن محمد بن خضر الملافى سيرته أن الشافعى رضى الله عنه روى بسنده أنه صلى الله عليه وسلم قال : كنت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أنواراً على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألف عام فلما خلق

أسكنا ظهره ولم نزل ننتقل فى الأصلاب الطاهرة حتى نقلنى الله تعالى إلى صلب عبدالله ، و نقل أبابكر إلى صلب أبى قحافة و نقل عمر إلى صلب الخطاب و نقل عثمان إلى صلب عفان و نقل عليا إلى صلب أبى طالب ثم اختارهم لى أصحابا ، فجعل أبا بكر صديقا ، وعمر فاروقا ، وعثمان ذا النورين ، وعليا وصيا ، فمن سب أصحابى فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى ، ومن سب الله أكبه الله فى النار على منخريه : (الحديث الثالث عشر بعد المائة) أخرج المحب الطبرى فى رياضه وعهدته عليه أنه ﷺ قال : أخبرنى جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وأدخل الروح فى جسده أمرنى أن آخذ تفاحة من الجنة وأعصرها فى حلقه فعصرتها فى فيه فخلق الله من النطفة الأولى أنت ، ومن الثانية أبابكر ، ومن الثالثة عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة عليا . فقال آدم : يارب من هؤلاء الذين أكرمتهم ؟ فقال الله تعالى : هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك ، وهم أكرم عندى من جميع خلقى . أى أنت أكرم الأنبياء والرسل وهم أكرم أتباع الرسل . فلما عصى آدم ربه قال يارب بحرمة أولئك الأشياخ الخمسة الذين فضلتهم ألا تبت علىّ فتاب الله عليه (الحديث الرابع عشر بعد المائة) أخرج البخارى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : خرجنا مع النبى ﷺ عام حنين فلما التقينا كان للسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بالسيف فقطعت الدرع وأقبل على فضمنى ضمة وجدت منها ريح الموت ثم أدركه الموت فأرسلنى فلحقت عمر فقلت : ما بال الناس ؟ قال : أمرُ الله عز وجل ثم رجعوا لجلس النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه . فقلت من يشهد لى ؟ ثم جلست . فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثله فقلت : من يشهد لى ؟ ثم جلست . ثم قال مثله فقمت فقال مالك يا أبا قتادة فأخبرته . فقال رجل صدق وسلبه عندى فأرضه منى فقال أبو بكر : لاها الله إذاً لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صدق أعطه سلبه فأعطانيه الحديث . وفى رواية له فقال أبو بكر : أصيبغ ـ أى باهمال أوله وإعجام آخره أو عكسه تحقيرا له بوصفه باللون الردى . أو مذمة بسواد اللون وبغيره أو وصفا له بالمهانة والضعف أو تصغير صبغ شاذا ، شبهه به لضعف افتراسه وما يوصف به من الضعف لأنه لما عظم أبا قتادة بجعله كالأسد ناسب أن يصف خصمه بضده ـ وقوله يدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ . قال الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن أبى نصر الحميدى الأندلسى : سمعت بعض أهل العلم . وقد جرى ذكر هذا الحديث فقال : لو لم يكن من فضيلة أبى بكر إلا هذا فانه بثاقب علمه وشدة جزامته وقوة رأيه وإنصافه وصحة تدقيقه وصدق تحقيقه بادر إلى القول بالحق فزجر وأفتى وحكم وأمضى وأخبر فى الشريعة عن المصطفى ﷺ بحضرته وبين يديه بما صدقه فيه وأجرى عليه قوله وهذا من خصائصه الكبرى إلى ما لا يحصى من فضائله الأخرى .

الفصل الرابع

(فيما ورد من كلام العرب والصحابة والسلف الصالح فى فضله)

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشيا ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر رضى الله عنه نحو أرض الحبشة مهاجرا حتى إذا بلغ برك الغماد ـ بفتح الموحدة وكسرها وبالغين المعجمة المكسورة وقد تضم ـ واد فى أقاصى هجر قاله الزركشى، وقال غيره : مدينة الحبشة ـ لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة . فقال أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى . فقال ابن الدغنة : فان مثلك لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكَلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ، فارجع واعبد ربك ببلدك . فرجع وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج رجل يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق . فلم تكذب قريش لجوار ابن الدغنة الحديث بطوله ، وفيه من الخصوصيات لأبى بكر ما لا يخفى على من تأمله فانه اشتمل على هجرته مع النبى ﷺ من مكة إلى المدينة وما وقع له فى تلك السفرة من المآثر والفضائل والكرامات والخصوصيات التى لم يقع نظير واحدة منها لغيره من الصحابة، وينبغى لك أن تتأمل فيما وصفه به ابن الدغنة بين أشراف قريش من تلك الأوصاف الجليلة المساوية لما وصفت به خديجة النبى ﷺ ، فسكت أشراف قريش على تلك الأوصاف ولم يطعنوا فيها بكلمة مع ما هم متلبسون به من عظيم بغضه ومعاداته بسبب إسلامه فان هذا منهم اعتراف أىّ اعتراف بأن أبا بكر كان مشهورا بينهم بتلك الأوصاف شهرة تامة بحيث لا يمكن أحدا أن ينازع فيها ولا أن يجحد شيئا منها ، وإلا لبادروا إلى جحدها بكل طريق أمكنهم لما تحلوا به من قبيح العداوة له بسبب ما كانوا يرون منه من صدق ولائه لرسول الله ﷺ وعظيم محبته له وذبه عنه كما مر طرف من ذلك فى شجاعته . وأخرج البخارى أن عمر قال : أبو بكر سيدنا، والبيهق أنه قال لو وُزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم . وعبدالله بن أحمد أنه قال: إن أبا بكر كان سابقا مبرزا . ومسدد فى مسنده قال : لوَدِدت أنى شعرة فى صدر أبى بكر وابن أبى الدنيا وابن عساكر أنه قال: وددت أنى من الجنة حيث أرى أبا بكر . وأبو نعيم أنه قال : لقد كان ريح أبى بكر أطيب من ريح المسك ، وابن عساكر عن على أنه دخل على أبى بكر وهو مسجى فقال ما أحد لقى الله بصحيفته أحب إلى من هذا المسجى ، وابن عساكر عن عبدالرحمن بن أبى بكر قال : قال رسول الله ﷺ حدثنى عمر بن الخطاب أنه ما سابَقَ أبا بكر إلى خير إلا سبقه أبو بكر ، والطبرانى عن على قال : والذى نفسى بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا

اليه أبو بكر ، والطبرانى عن على قال : قال رسول الله ﷺ لحسان هل قلت فى أبى بكر شيئا ؟ فقال نعم فقال قل وأنا أستمع . فقال :

وثانىَ اثنين فى الغار المنيف وقد ... طافَ العدوّ به إذ صعّد الجبلا
وكان حِبّ رسول الله قد علموا ... من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت ، وهذا يصح أن ينظم فى سلك الأحاديث السابقة لكن الرسالة أخرته إلى هنا ، وابن سعد عن إبراهيم النخعى قال : كان أبو بكر يسمى الأواه لرأفته ورحمته ، وابن عساكر عن الربيع بن أنس قال : مكتوب فى الكتاب الأول مَثَلُ أبى بكر مَثَل القطر أينما وقع نفع ، وقال : نظرنا فى صحابة الأنبياء فما وجدنا نبيا كان له صاحب مثل أبى بكر . وأخرج عن الزهرى أنه قال من فضل أبى بكر أنه لم يشك فى الله ساعة قط ، وأخرج عن أبى حصين قال : ما وُلد لآدم فى ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبى من الأنبياء ، والدينورى وابن عساكر قال : خص الله أبا بكر بأربع خصال لم يخص بها أحدا من الناس ، سماه الصديق ولم يسم أحدا الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله صلى الله عليه ورفيقه فى الهجرة وأمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود ، وابن أبى داود عن أبى جعفر قال كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبى ﷺ ولا يراه ، والحاكم عن ابن المسيب قال كان أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم مكان الوزير فكان يشاوره فى جميع أموره وكان ثانيه فى الإسلام وثانيه فى الغار وثانيه فى العريش يوم بدر وثانيه فى القبر ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا ، والزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال كان أبو بكر أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية بشرف الإسلام ، فكان إليه أمر الديات والغرم وذلك إن قريشا لم يكن لها ملك ترجع الأمور إليه بل كان فى كلّ فصل ولاية عامة تكون لرئيسها فكانت فى بنى هاشم السقاية ، والرفادة ـ ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم وكانت فى عبد الدار الحجابة واللواء والندوة أى لا يدخل البيت أحد إلا باذنهم وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار وإذا اجتمعوا لأمر ابراما ونقضا لا يكون اجتماعهم لذلك إلا فى دار الندوة ولا ينفذ إلا بها وكانت لبنى عبد الدار . ولقد أحسن النووى فى تهذيبه حيث ترجم فيه الصديق بترجمة حسنة أشار فيها مع اختصارها إلى كثير من غرر فضائله ومواهبه التى قدمتها مبسوطة مستوفاة فقال : من جملتها أجمعت الأمة على تسميته بالتصديق لأنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازم الصدق فلم يقع منه هناة ما ولا وقفة فى حال من الأحوال ، وكانت له فى الإسلام المواقف الرفيعة منها قصة يوم ليلة الاسراء وثباته ، وجوابه للكفار فى ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم وترك عياله وأطفاله وملازمته له فى الغار وسائر الطريق، ثم كلامه ببدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر فى تأخر دخول مكة. ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة.، ثم ثباته فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة الناس وتسكينهم ، ثم قيامه فى قضية البيعة لمصلحة المسلمين ، ثم اهتمامه وثباته فى بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه فى ذلك ، ثم قيامه فى قتال أهل الردة ومناظرته الصحابة حتى حجهم بالدلائل وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق وهو قتال أهل الردة، ثم تجهيز الجيوش إلى الشام ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه وأجل فضائله وهو استخلافه عمر وكم للصديق من موقف وأثر ومناقب وفضائل لاتحصى انتهى. وفى التهذيب أنه أحد الذين حفظوا القرآن كله وذكره جماعة غيره واعتمده بعض محقق المتأخرين المطلعين قال : وأما حديث أنس جمع القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة فراده من الانصار ، وأما ما أخرجه ابن أبى داود عن الشعبى قال : مات أبو بكر الصديق ولم يجمع القرآن كله فهو مدفوع أو مؤول على أن المراد جمعه فى المصحف على الترتيب الموجود اليوم، لأن عثمان هو الذى فعل ذلك . ومن فضائله العظيمة جمعه للقرآن فقد أخرج أبو يعلى عن على قال أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر . إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . وأخرج البخارى عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر . فقال: أبو بكر إن عمر أتانى . فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإنى لأرى أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر : فقلت لعمر كيف أفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر . قال زيد وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال أبو بكر إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن ، فقلت كيف تفعلان شيأ لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم . فقال أبو بكر: هو والله خير فلم أزال أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكتاف والعُسُب ـ أى العصى من الجريد ـ وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره : لقد جاءكم رسول إلى آخرها . فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها (ومن خواصه أيضا) أنه أول خليفة فرض له رعيته العطاء . أخرج البخارى عن عائشة قالت لما استخلف أبو بكر قال : لقد علمتم قومى

إن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤنة أهلى وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبى بكر من هذا المال ويحترف للمسلمين فيهِ . وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال لما بويع أبو بكر أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق . فقال عمر : أين تريد ، قال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين . قال فمن أين أطعم عيالى . قال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلق إلى أبى عبيدة . فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكسبهم وكسوة الشتاء والصيف إذا أخلقتَ شيئا رددته . وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وما كساه فى البطن والرأس . وأخرج ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة (وأخرج) الطبرانى عن الحسن بن على بن أبى طالب ، قال لما احتضر أبو بكر . قال يا عائشة انظرى اللَّقحة التى كنا نشرب من لبنها والجفنة التى كنا نصطبغ فيها والقطيفة التى كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين نلى أمر المسلمين . فاذا مت فارديه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر . فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر ولقد أتعبت من جاء بعدك (وأخرج) ابن أبى الدنيا عن أبى بكر بن حفص . قال قال أبو بكر لما احتضر لعائشة : يابنية إنا ولينا أمر المسلمين . فلم نأخذ لنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وإنه لم يبق عندنا من فىء المسلمين لا قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثى بهن إلى عمر (١) .

الباب الرابع فى خلافة عمر وفيه فصول

الفصل الأول فى حقيَّة خلافته

إعلم أنا لا نحتاج فى هذا إلى قيام برهان على حقية خلافة عمر لما هو معلوم عند كلّ ذى عقل وفهم أنه يلزم من حقية خلافة أبى بكر حقية خلافة عمر، وقد قام الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة أبى بكر فيلزم قيامُ الإجماع ونصوص الكتاب والسنة على حقية خلافة عمر لأن الفرع يثبت له من حيث كونه فرعا ماثبت للأصل فحينئذ لا مطمع لأحد من الرافضة والشيعة فى النزاع فى حقية خلافة عمر لما قدمناه من الادلة الواضحة القطعية على حقية خلافة مستخلفه، وإذا ثبت حقيتها قطعا صار النزاع فيها عنادا وجهلا وغباوة وإنكارا

---

(١) أوليات أبى بكر وخصائصه كثيرة ذكر أكثرها المحب الطبرى فى الرياض والسيوطى فى تاريخ الخلفاء . وفى التراتيب الإدارية . أنه أول من سمى خليفة وأنه قيل له ياخليفة الله . فقال: أنا خليفة رسول الله وأطلقه عليه أصحاب رسول الله . قال ابن حزم : ولم يسم أحد من الصحابة أحداً غيره بهذا الاسم ولا ممن استخلفه رسول الله على المدينة أو على الصلوات فى غزواته وحجته

للضروريات ومن هذا وصفه كهؤلاء الجهلة الحمقا حقيق بأن يعرض عنه وعن أكاذيبه وأباطيله فلا يلتفت إليه ولا يعوّل فى شىء من الأمور عليه ـ إذا تحقق ذلك فقدمر أن من أعظم فضائل الصديق استخلافه عمر على المسلمين لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الإسلام ظهورا تاما كما يأتى وتقدم فى تلك الأحاديث التى فى الخلافة التصريح بخلافة عمر فى غير حديث كحديث اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر بطرقه السابقة ، وكحديث أمره صلى الله عليه وسلم لأبى بكر بوضع حجره إلى جنب حجر النبى صلى الله عليه سلم، وأمره لعمر أن يضع حجره إلى جنب أبى بكر ثم أمره لعثمان بوضع حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى ، وكحديث رؤياه صلى الله عليه وسلم أنه ينزع بدلو بكرة على قليب فجاء أبو بكر ونزع دلوا أو دلوين ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا قال صلى الله عليه وسلم . فلم أر عبقريا يفرى فى الناس فريّه، وكحديث الخلافة ثلاثون سنة وكحديث أن أول دينكم بداء نبوّة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة . فهذه الأحاديث كلها فيها دلالة أى دلالة على حقية خلافة عمر رضى الله عنه لو فرض عدم الإجماع عليها فكيف وقد قام الإجماع عليها ودلت عليها النصوص الدالة على خلافة أبى بكر .

الفصل الثانى

فى استخلاف أبى بكر لعمر فى مرض موته وتقدم عليه سبب مرضه

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر . قال كان سبب موت أبى بكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمدا فما زال جسمه ينقص حتى مات، وصح عن ابن شهاب أن أبا بكر والحرث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة (٢) أهديت لأبى بكر . فقال الحرث لأبى بكر ارفع يدك ياخليفة رسول الله والله ان فيها سمّ سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد فرفع يده فلم يزالا عليلَيْن حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة، ولا ينافيه خبر اثبُتْ أحُدُ فانما عليك نبى وصديق وشهيدان لأن اخص او صاف ابى بكر تسميته بالصديق كما علم مما مر فاوثر على وصف الشهادة لاشتراكه ولذلك لم يصف ﷺ نفسه إلا بالنبوة لأنها أخص أوصافه وإلا فهو ﷺ مات بالسم أيضا لما فى الحديث الصحيح أنه ﷺ صرح فى مرض موته انه من اكلة خيبر وان تلك الاكلة لازالت تعاوده ﷺ حتى انقطع ابهره (واخرج) الواقدى والحاكم عن عائشة قالت كان أوّل بدء مرض ابى بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحمّ خمسة عشر يوما لا يخرج إلى صلاة وتوفى يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة .

---

(١) الخزيرة : طعام شبه عصيدة بلحم وهى بلا لحم عصيدة وفى بعض الروايات حريرة بالمهملتين وهى دقيق يطبخ بلبن أو دسم .

(واخرج) الواقدى من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف فقال أخبرنى عن عمر بن الخطاب فقال ماتسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى فقال أبو بكر وإن يكن فقال عبدالرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرنى عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك اللهم علمى به ان سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار فقال أسيد اللهم أعلمه الخير بعدك، يرضى للرضا ويسخط للسخط الذى يسر خير من الذى يعلن ولن يلى هذا الامر أحد أقوى عليه ، منه ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن تولية عمر علينا وقد ترى غلظته، فقال أبو بكر بالله تخوفنى، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عنى ماقلت من وراءك ثم دعا عثمان فقال أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا وانى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيرا فان عدل فذلك ظنى فيه وعلمى به وإن بدل فلكل امرىء ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله. ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما فبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر خاليا فأوصاه بما أوصاه به ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يده فقال اللهم إنى لم أرد بذلك إلا اصلاحهم وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيى فوليت عليهم خيرهم وأقواهم وأحرصهم على ما أرشد لهم، وقد حضرنى من أمرك ماحضر فاخلفنى فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك أصلح واليهم واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره والعزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامرأته أكرمى مثواه ، قيل ويلحق بهم سليمان بن عبد الملك حين استخلف عمر ابن عبد العزيز (وأخرج) ابن عساكر عن يسار بن حمزة قال لما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال أيها الناس : إنى قد عهدت عهدا افترضون به فقال الناس رضينا ياخليفة رسول الله فقام على فقال لانرضى إلا أن يكون عمر قال فانه عمر (وأخرج) ابن سعد عن شداد قال كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : اللهم إنى شديد فلينى وإنى ضعيف فقونى وإنى بخيل فسخنى . قال الزهرى استخلف عمر يوم توفى أبو بكر فقام بالأمر أتم قيام وكثرت الفتوح فى أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها فى أيام خليفة بعده، كيف ومن ذلك أكثر إقليم الشام والعراق وفارس والروم ومصر والإسكندرية والمغرب، وقد أشار

ﷺ بذلك فى سابع الأحاديث المارة الدالة على خلافة الصديق ولفظه عند الشيخين من بعض تلك الطرق عن ابن عمر وأبى هريرة قالا : قال رسول الله ﷺ بينا أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت فى يده غربا فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه(١) حتى روى الناس وضربوا بعطن. ومن ثم أيضا عن العلماء أن هذه إشارة إلى خلافة أبى بكر وعمر وإلى كثرة الفتوح وظهور الإسلام فى زمن عمر .

الفصل الثالث

(فى سبب تسميته بأمير المؤمنين دون خليفة خليفة رسول الله ﷺ)

(أخرج) العسكرى فى الدلائل والطبرانى فى الكبير والحاكم من طريق ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر سليمان بن أبى خيثمة لاى شىء كان يكتب من خليفة رسول الله فى عهد أبى بكر ثم كان عمر كتب أولا ـ من خليفة ـ فمن أول من كتب من أمير المؤمنين رضى الله عنه فقال حدثتنى الشفاء ، وكانت من المهاجرات أن أبا بكر كان يكتب من خليفة رسول الله ﷺ ، وعمر كان يكتب من خليفة خليفة رسول الله حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث اليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله . فبعث اليه لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين فقال عمرو أنتما والله أصبتما اسمه فدخل عليه عمرو فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال ما بدالك فى هذا الاسم لتخرجن مما قلت فأخبره فقال أنت الأمير ونحن المؤمنون لجرى الكتاب بذلك من يومئذ وفى تهذيب النووى أن عديا ولبيدا المذكورين سمياه بذلك أى لأن عمرا لم يقل له ذلك إلا تقليدا لهما ، وقيل أن أول من سماه به المغيرة بن شعبة . (وأخرج) ابن عساكر عن معاوية ابن قرة قال كان يكتب من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرادوا أن يقولوا خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه فقال عمر هذا يطول قالوا لا ولكنا أمرناك علينا وأنت أميرنا قال نعم أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب أمير المؤمنين ولا ينافى ما تقرر أن عبدالله بن جحش فى سريته التى نزل فيها قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية، سمى أمير المؤمنين لان تلك تسمية كانت خاصة ، والكلام فى تسمية الخليفة بذلك فعمر أول من وضع عليه هذا الاسم من حيث الخلافة(٢) .

---

(١) يفرى فريه بتشديد الياء أى يعمل عمله ويقطع قطعه وروى بتخفيف الياء وسكون الراء وأنكر الخليل التثقيل .

(٢) ذكر السيوطى فى المصباح الوهاج أن أبا بكر بعث أسامة على جيش للشام فكان الصحابة يدعونه بأمير المؤمنين وكان عمر يسلم عليه بأمير المؤمنين ثم توارث الخلفاء هذا اللقب .

الباب الخامس

(فى فضائله وخصوصياته وفيه فصول)

(الفصـــل الأول فى إسلامه) . قال الذهبي أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، وكان من أشراف قريش ، واليه فيهم كانت السفارة فكانوا إذا أرادوا حربا بعثوه رسولا ، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر أرسلوه له منافرا ومفاخرا ، وكان إسلامه بعد أربعين رجلا أو تسعة وثلاثين أو خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة أو ثلاث وعشرين امرأة ففرح به المسلمون وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه . وقد أخرج الترمذى عن ابن عمر والطبرانى عن ابن مسعود وأنس أن النبى صلى الله عليه وسلم : قال اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام ـ وأخرج الحاكم عن ابن عباس والطبرانى عن أبى بكر الصديق وثوبان أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب خاصة ـ وأخرج أحمد عن عمر قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت والله هذا شاعر كما قالت قريش فقرأ إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون الآيات فوقع فى قلبى الإسلامُ كلَّ موقع ـ وأخرج ابن ابى شيبة عن جابر قال كان أوّل إسلام عمر انّ عمر قال ضرب اختى المخاضُ ليلا فخرجت من البيت فدخلت فى استار الكعبة فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر فصلى ماشاء الله ثم انصرف فسمعت شيأ لم اسمع مثله فخرج فاتبعته فقال من هذا قلت عمر قال يا عمر ماتدعُنى لا ليلا ولا نهارا فخشيت ان يدعو علىّ فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقال ياعمر استره فقلت لا والذى بعثك بالحق لاعلننَّه كما أعلنتُ الشرك ـ وأخرج أبو يعلى والحاكم والبيهقى عن أنس قال خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بنى زهرة فقال اين تعمد ياعمر ؟ فقال أريد أن أقتل محمدا قال وكيف تأمن من بنى هاشم وبنى زهرة وقد قتلت محمدا قال ما أراك إلا قد صَبوت قال أفلا أدلك على العجب؟ إن ختنك وأختك قد صبئآ وتركا دينك فمشى عمر فأتاهما وعندهما خبَّاب فلما سمع بحس عمر توارى فى البيت فدخل فقال ماهذه الهيَنمة وكانوا يقرؤن طه قالا ماعدا حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبوتما فقال له ختنُـه يا عمر ان كان الحق فى غير دينك فوثب عليه عمر فوطئه وطأ شديدا فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها فنفحها نفحة بيده فدَمِىَ وجهها فقالت وهى غضبَى إن كان الحق فى غير دينك إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فقال عمر أعطونى الكتاب الذى هو عندكم فاقرؤه وكان يقرأ الكتاب فقالت أخته إنك رجس أنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقم واغتسل

وتوضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى حتى انتهى إلى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى. فقال عمر دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج فقال أبشر ياعمر فانى أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخميس : اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصل الدار التى فى أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة هذا عمر ان يرد الله به خيراً يسلم وان لم يكن غير ذلك يكنْ قتله علينا هيّنا ، والنبى صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فخرج حتى أتى الى عمر فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال ما أنت بمنته ياعمر حتى ينزل الله بك من الخزى والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ، فقال عمر : أشهدً أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ، (وأخرج) البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل عن أسلم قال قال لنا عمر : كنت أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا فى يوم حار بالهاجرة فى بعض طريق مكة إذ لقينى رجل فقال عجبا لك ياابن الخطاب أنك تزعم أنك وانك وقد دخل عليك الأمر فى بيتك . قلت : وماذا قال أختك قد أسلمت فرجعت مغضبا حتى قرعت الباب . قيل من هذا ؟ قلت : عمر فتبادروا واختفوا ، وقد كانوا يقرؤن فى صحيفة بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختى تفتح الباب . فقلت ياعدوة نفسها أصبوت؟ وضربت بشىء فى يدى على رأسها ، فسال الدم وبكت فقالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد صبوت قال ودخلت حتى جلست على السرير ، فنظرت إلى الصحيفة فقلت : ماهذا ناولينها فقالت لست من أهلها أنت لا تطهر من الجنابة وهذا كتاب لا يمسه الا المطهرون فما زلت حتى ناولتنيها ففتحتها فاذ فيها : بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه فألقيت الصحيفة ثم رجعت إلى نفسى فتناولتها فاذا فيها سبح لله ما فى السموات والأرض فذعرت فقرأت إلى آمنوا بالله ورسوله فقلت أشهد أن لا إله إلا الله ، فخرجوا إلى مبادرين فكبروا وقالوا أبشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الإسلام باحب الرجلين اليك اما أبو جهل بن هشام وأما عمر ودلونى على النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته بأسفل الصفا فخرجت حتى قرعت الباب فقالوا من ؟ قلت : ابن الخطاب وقد علموا شدتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اجترأ أحد يفتح الباب حتى قال افتحوا له فأخذ رجلان بعضدى حتى أتيانى النبى صلى الله عليه وسلم فقال خلوا عنه ، ثم أخذ بمجامع قميصى وجذبنى اليه قال أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهده فتشهدت فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بفجاج مكة وكانوا مستخفين فلم أشأ أن أرى رجلا يضرب ويضرب الا رأيته ولا يصيبنى من ذلك شىء فجئت خالى، أى أبا جهل بن هشام وكان شريفا، فقرعت عليه

الباب فقال من هذا ؟ قلت ابن الخطاب وقد صبوت ، قال لا تفعل ثم دخل وأجاف الباب دونى فقلت ماهذا شيء . فذهبت الى رجل من عظماء قريش فناديته فخرج إلى فقلت مثل مقالتى لخالى وقال لى مثل ماقال خالى فدخل وأجاف الباب دونى فقلت ماهذا بشيء . إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب فقال لى رجل أتحب ان يعلم باسلامك قلت نعم ، قال فاذا جلس الناس فى الحجر فات فلانا لرجل لم يكن يكتم السر فقل له فيما بينك وبينه انى قد صبوت فانه قلما يكتم السر فجئت وقد اجتمع الناس فى الحجر فقلت له فيما بينى وبينه انى قد صبوت قال اوقد فعلت قلت نعم فنادى باعلى صوته ان ابن الخطاب قد صبأ فبادروا الى فما زلت اضربهم ويضربونى واجتمع على الناس فقال خالى ماهذه الجماعة ، قيل عمر . قد صبا فقام على الحجر فاشار لكل الا إنى قد أجرت ابن أختى فكفوا عنى فكنت لا أشاء أن أرى رجلا من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته فقلت ماهذا شيء حتى يصيبنى فأتيت خالى فقلت جوارك رد عليك فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام .

(الفصل الثانى)

(فى تسميته بالفاروق)

أخرج أبو نعيم فى الدلائل وابن عساكر عن ابن عباس قال : سألت عمر لأى شيء سُميت بالفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليسبه فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابلَ أبى جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشرّ فى وجهه فقال : مالك يا أبا عمارة فرفع القوس فضرب بها أَخْدَعَه(١) فقطعه فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فاذا فلان المخزومى فقلت له أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد قال : إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا منى فقلت من هو ؟ قال أختك وخَتَنُك فانطلقت فوجدت هينمة فدخلت فقلت ماهذا ؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى فضربته وأدميته فقامت إلىّ أختى وأخذت برأسى وقالت قد كان ذلك على رغم أنفك فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت أرونى هذا الكتاب فقالت : إنه لا يمسه إلا المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا إلى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلى قوله له الأسماء الحسنى فتعظمت فى صدرى وقلت من هذا فرّت قريش فأسلمتُ وقلت أين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فانه فى دار الأرقم فأتيت فضربت الباب فاستمع القوم فقال لهم حمزة

---

(١) الأخدعان . عرقان فى جانب العنق .

مالكم قالوا عمر قال افتحوا له الباب فان أقبل قبلنا منه وإن أدبر قتلناه فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يارسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت ففيم الاختفاء فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلىّ وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروقَ يومئذ وفرق بين الحق والباطل (وأخرج) ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضى الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت : رسول الله صلى الله عليه وسلم. وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس قال لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يامحمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر . والبزار والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما أسلم عمر قال المشركون قد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين . والبخارى وغيره عن ابن مسعود قال مازلنا أعزة منذ أسلم عمر . وابن سعد عنه أيضا قال كان إسلام عمر فتحا وكانت هجرته نصرا وكانت إمامته رحمة ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا وسبيلنا (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لايزداد إلا قوة فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لايزداد إلا بعداً . والطبرانى عن ابن عباس بسند حسن أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب . وابن سعد عن صهيب قال لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعى إليه علانية وجلسنا حول البيت حِلقاً وطفنا بالبيت وانتصفنا فمن غلظ علينا رددنا عليه بعض ما يأتى به .

(الفصل الثالث فى هجرته)

أخرج ابن عساكر عن على قال ماعلمت أحدا هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب فانه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى فى يده أسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين خلف المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه من أراد أن تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فما تبعه منهم أحد (وأخرج) عن البراء قال أول من قدم علينا مهاجرا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا فقلنا مافعل رسول الله ﷺ فقال هو على أثرى ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر معه .

(الفصل الرابع فى فضائله)

قد مر منها أربعة وثلاثون حديثا بل أكثر مقرونة ببعض
أحاديث أبى بكر الدالة على خلافته وفضله

(والخامس والثلاثون) الخبر السابق آنفا اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب (والسادس والثلاثون) الخبر السابق آنفا أيضا لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يامحمد لقد استبشر أهل

السماء باسلام عمر (والخبر السابع والثلاثون) الخبر السابق آنفا أيضا لما أسلم عمر قال المشركون لقد انتصف القوم اليوم منا وأنزل الله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فاذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرا فبكى وقال عليك أغار يارسول الله (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج أحمد والشيخان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امراة ابى طلحة وسمعت خشفا(١) امامى فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا بلال ورايت قصرا ابيض بفنائه جارية فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فأردت ان ادخله انظر إليه فذكرت غيرتك (الحديث الاربعون) اخرج الشيخان عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم :قال بينا انا نائم شربت يعنى اللبن حتى انظر إلى الرى يجرى فى اظفارى ثم ناولته عمر قالوا فما أولته يارسول الله قال العلم (الحديث الحادى والأربعون) اخرج احمد والشيخان والترمذى والنسائى عن ابى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم رايت الناس عرضوا علىّ وعليهم قمص فمنها مايبلغ الثدى ومنها مايبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص يجره قالوا فما اولته يارسول الله قال الدين .وفى رواية للحكيم الترمذى على ماذا تؤول هذا يارسول الله وفيها فنهم من كان قميصه إلى سرته ومنهم من كان قميصه إلى ركبته ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه. وقوله الدينَ يجوز فيه النصب والرفع ـ وعبر بدله فى هذه الرواية بالإيمان . وقد قيل فى وجه تعبير القميص بالدين أن القميص يستر العورة فى الدنيا . والدين يسترها فى الآخرة . ويحجبها عن كل مكروه والأصل فيه « ولباس التقوى ذلك خير » واتفق المعبرون على ذلك. أعنى تعبيرَ القميص بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده، وقال ابن العربى إنما أوّله لأنه يستر عورة الجهل كما أن القميص يستر عورة البدن وأما غير عمر فما يبلغ ثديه هو مايستر قلبه عن الكفر وأن عصى وما يبلغ أسفل منه وفرجُه بادٍ هو من لم يستر رجله عن المشى للمعصية والذى يستر رجله هو الذى احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذى يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص. وقال العارف ابن أبى جمرة المراد بالناس فى الحديث مؤمنو هذه الأمة وبالدين . امتثال الأوامر واجتناب النواهى وكان لعمر فى ذلك المقام العالى ، ويؤخذ من هذا الحديث أن كل مايرى فى القميص من حسن أو غيره عبّر بدين لابسه ونقصُه إما لنقص الإيمان أو العمل . وفى الحديث أن أهل الدين يتفاضلون فى الدين بالقلة والكثرة وبالقوّة والضعف وهذا من أمثلة مايحمد فى المنام

---

(١) الخشف والخشفة بسكون الشين الحس والحركة .

ويذم فى اليقظة شرعا أعنى جر القميص ،لما ورد من الوعيد فى تطويـله (الحديث الثانى والأربعون) أخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان . سالكا فجاً قط إلا سلك فجّا غير فجّك (الحديث الثالث والأربعون) أخرج أحمد والبخارى عن أبى هريرة وأحمد ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس مُحَدَّثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر . وأخرج البخارى عن ابن عمر ماسمعت عمر لشىء قط يقول إنى لأظنه كذا إلا كان كما يظنّن ، بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، أى هو سويد بن قاربَ : فقال عمر لقد أخطأ ظنى ، أو إن هذا على دينه فى الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، على بالرجل فدعا به : فقال له ذلك . فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجلا مسلما قال : فانى أعزم عليك إلا ما أخبرتنى : قال كنت كاهنهم فى الجاهلية ، قال فما أعجب ماجاءتك به جنّيتك فى الجاهلية قال بينما أنا يوما فى السوق جاءتنى أعرف منها الفزع فقالت ألم تر الجنّ وإبلاسها (الحديث الرابع والأربعون) أخرج أحمد والترمذى عن ابن عمر وأبو داود والحاكم عن أبى ذر ، وأبو يعلى والحاكم عن أبى هريرة،والطبرانى عن بلال وعن معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه قال ابن عمر وما نزل بالناس أمر قطّ فقالوا وقال ، إلا أنزل القرآن على نحو ماقال عمر (الحديث الخامس والأربعون) أخرج أحمد والترمذى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر والطبرانىُّ عن عصمةَ بنِ مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب وأخرجه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى وغيره،وابن عساكر من حديث ابن عمر (الحديث السادس والأربعون) أخرج الترمذى عن عائشة : إنى لأنظر إلى شياطين الجن والانس قد فرّوا من عمر (وأخرج) ابن عدى عنها رأيت شياطين الإنس والجن فروا من عمر (الحديث السابع والأربعون) أخرج ابن ماجه والحاكم عن أبى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة ، والمصافحة هنا كناية عن مزيد الإنعام والإقبال. ومرّ أن أبا بكر أول من يدخل الجنة أيضا ويُجمع بحمل ماهنا على أن الأولية فى عمر نسبية أى أولُ من يدخلها بعد أبى بكر (الحديث الثامن والأربعون) أخرج ابن ماجه والحاكم عن أبى ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به (الحديث التاسع والأربعون) أخرج أحمد والبزار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه،وأخرجه الطبرانى من حديث عمر بن الخطاب وبلال ومعاوية بن أبى سفيان وعائشة (وأخرج)

ابن منيع فى مسنده عن على قال: كنا أصحاب محمد لانشك أن السكينة (١) تنطق على لسان عمر (الحديث الخمسون) أخرج البزار عن ابن عمر، وأبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة ، وابن عساكر والصعب ابن جثامة أن رسول الله ﷺ قال عمر سراج أهل الجنة (الحديث الحادى والخمسون) أخرج البزار عن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غلق الفتنة وأشار بيده إلى عمر لا يزال بينكم وبين الفتنة باب شديد الغلق ماعاش هـذا بين أظهركم (الحديث الثانى والخمسون) أخرج الطبرانى فى الأوسط والحكيم فى نوادر الأصول والضياءُ عن ابن عباس قال جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم . وقال أقرىء عمرَ السلامَ وأخبره أن غضبه عزّ ورضاه حُكمْ . وفى رواية أتانى جبريل فقال : اقرىء عمر السلام وقل له إن رضاه حكم وإن غضبه عِز (الحديث الثالث والخمسون) أخرج ابن عساكر عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الشيطان يَفْرق من عمر (وأخرج) أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه من طريق بُريدة أن الشيطان ليَفرق منك ياعمر (الحديث الرابع والخمسون) أخرج ابن عساكر وابن عدى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر ولا فى الأرض شيطان إلا وهو يَفرَق عن عمر (الحديث الخامس والخمسون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله باهى بأهل عرفة عامة وباهى بعمر خاصة . وأخرج فى الكبير مثله من حديث ابن عباس (الحديث السادس والخمسون) أخرج الطبرانى والديلمى عن الفضل بن العباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق بعدى مع عمر حيث كان (الحديث السابع والخمسون) أخرج الطبرانى عن سديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الا خرّ لوجهه ، وأخرجه الدار قطنى فى الأفراد من طريق سديسة عن حفصة (الحديث الثامن والخمسون) أخرج الطبرانى عن أبىّ بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل : ليبك الإسلام على موت عمر (الحديث التاسع والخمسون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض عمر فقد أبغضنى ومن أحب عمر فقد أحبنى وان الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة . وأنه لم يبعث الله نبيا الا كان فى أمته محدَّث وإن يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر، قالوا يارسول الله كيف محدَّث . قال تتكلم الملائكة على لسانه إسناده حسن (الحديث الستون) أخرج أحمد والترمذى وابن حبان فى صحيحه والحاكم عن بريدة أن رسول الله

---

(١) السكينة ما تسكن به النفس من الطمأنينة وغيرها كالإلهام أو ما يقع فى النفس من معرفة .

صلى الله عليه وسلم قال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة مادخلت الجنة قط الاسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت : لمن هذا القصر قالوا : لرجل من العرب قلت أنا عربي لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش فقلت : أنا من قريش لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد فقلت : أنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب (الحديث الحادي والستون) أخرج أبو داود عن عمر أن رسول الله ﷺ قال : له لاتنسنا ياأخي من دعائك (الحديث الثاني والستون) أخرج أحمد وابن ماجه عن عمر أيضا أن النبي ﷺ قال له ياأخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا (الحديث الثالث والستون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال الصدق بعدي مع عمر حيث كان (الحديث الرابع والستون) أخرج الطبراني وابن عدي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان (الحديث الخامس والستون) أخرج أحمد والترمذي وابن حبان رضي الله عنه في صحيحه عن أنس وأحمد والشيخان عن جابر وأحمد عن بريدة وعن معاذ أن رسول الله ﷺ قال دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت : لمن هذا القصر قالوا لشاب من قريش فظننت أني أنا هو فقلت : ومن هو قالوا : عمر بن الخطاب فلولا ماعلمت من غيرتك لدخلته (الحديث السادس والستون) أخرج الترمذي والحاكم عن أبي بكر أن النبي ﷺ قال : ما طلعت الشمس على خير من عمر (الحديث السابع والستون) أخرج ابن سعد عن أيوب بن موسى مرسلا قال قال رسول الله ﷺ إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل (الحديث الثامن والستون) أخرج الطبراني عن عصمة بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ويحك إذا مات عمر فان استطعت أن تموت فمت .

الفصل الخامس

في ثناء الصحابة والسلف عليه

أخرج ابن عساكر عن الصديق قال : ماعلى ظهر الأرض رجل أحب إليّ من عمر . وابن سعد عنه أنه قيل له في مرضه ماذا تقول لربك وقد وليّت عمر ؟ قال أقول له وليّت عليهم خيرهم ، والطبراني عن علي قال إذا ذكر الصالحون فحيهلاً (١) بعمر ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر ، وابن سعد عن ابن عمر قال : مارأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ من حين قبض أجدّ ولا أجود من عمر ، والطبراني والحاكم عن ابن مسعود قال : لو أن علم

(١) أصل حي أعجل وهلا بمعنى صله . أوحي بمعنى هلم وهلا أي حثيثا ويراد أسرع عند ذكره وتنوين هلا علم على النكرة

عمر يوضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم . والزبير بن بكار عن معاوية قال : أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن . والحاكم عن على أنه دخل على عمر وهو مسجى فقال : رحمة الله عليك ما من أحد أحب إلى أن ألقى الله بما فى صحيفته بعد صحيفة النبى صلى الله عليه وسلم من هذا المسجى ، وتقدم لهذا طرق عن على والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود قال : إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفهمنا فى دين الله ، والطبرانى عن عمر بن ربيعة أن عمر قال لكعب الأحبار كيف تجد نعتى؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد قال وما قرن من حديد ؟ قال أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم قال ثم مه قال ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ثم قال مه قال ثم يكون البلاء ، وأحمد والبزار والطبرانى عن ابن مسعود قال : فضل عمر بن الخطاب على الناس بأربع بذكر الاسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله «لولا كتاب سبق» . الآية ، وبذكر الحجاب ، أمر نساء النبى ﷺ أن يحتجبن فقالت له زينب وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله « وإذا سألتموهن متاعا » . الآية ، وبدعوة النبى ﷺ اللهم أيد الإسلام بعمر ، وبرأيه فى أبى بكر كان أول من بايعه ، وابن عساكر عن مجاهد قال كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة فى إمارة عمر فلما أصيب بثت .

﴿ الفصـــل السادس ﴾

(فى موافقات عمر للقرآن والسنة والتوراة)

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال كان عمر يرى الرأى فينزل به القرآن ، وأخرج ابن عساكر عن على قال إن فى القرآن لرأيا من رأى عمر ، (وأخرج) ابن عمر مرفوعا ما قال الناس فى شىء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر ، إذا تقرر ذلك فموافقاته كثيرة .
(الأولى والثانية والثالثة) أخرج الشيخان عن عمر قال وافقت ربى فى ثلاث قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » ، وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك (الرابعة) أسارى بدر أخرج عن سالم عن عمر قال وافقت ربى فى ثلاث فى الحجاب ، وفى أسارى بدر ، وفى مقام إبراهيم (الخامسة) تحريم الخمر . أخرج أصحاب السنن والحاكم أن عمر قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تحريمها (السادسة) فتبارك الله أحسن الخالقين . أخرج بن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس قال قال : عمر وافقت ربى فى

أربع نزلت هذه الآية « ولقدخلقنا الإنسان من سلالة من طين . الآية » فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين (السابعة) قصة عبد الله بن أبيّ وحديثها فى الصحيح عنه أى عن عمر قال : لما توفى عبد الله بن أبى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فقمت حتى وقفت فى صدره فقلت يارسول الله أعلى عدوّ الله بن أبى القائل يوم كذا وكذا كذا وكذا فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا . الآية » (الثامنة) قصة الاستغفار . أخبر الطبرانى عن ابن عباس قال لما أكثر رسول الله ﷺ من الاستغفار لقوم من المنافقين قال عمر: سواء عليهم فأنزل الله « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم . الآية » (التاسعة) الاستشارة فى الخروج إلى بدر ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه فى الخروج إلى بدر فأشار عمر بالخروج فنزل قوله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون . الآية » (العاشرة) الاستشارة فى قصة الإفك ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما استشار الصحابة فى قصة الإفك قال عمر من زوّجكها يا رسول الله ؟ قال الله . قال : أفتظن أن ربك دلّس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك (الحادية عشرة) قصته فى الصيام لما جامع زوجته . أخرج أحمد فى مسنده أيضا لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك محرما فى أول الإسلام فنزل « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم . الآية » (الثانية عشرة) قوله تعالى « من كان عدوّا » إلى آخره . أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة أقربها للموافقة ما أخرجه ابن أبى حاتم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أن يهوديا لقى عمر فقال : إن جبريل الذى يذكر صاحبكم عدوّ لنا . فقال عمر : من كان عدوّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدوّ للكافرين، فنزلت على لسان عمر الآية (الثالثة عشرة) فلا وربك لا يؤمنون الآية . أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى الأسود قال اختصم رجلان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى بينهما . فقال الذى قضى عليه : رُدّنا إلى عمر بن الخطاب . فأتيا اليه فقال الرجل : قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا . فقال ردّنا إلى عمر فقال أكذاك قال نعم . فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما فخرج اليهما مشتملا على سيفه فضرب الذى قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال يارسول الله قتل عمر والله صاحبى . فقال : ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن . فأنزل الله « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فأهدر دمَ الرجل وبرىء عمر من قتله وله شاهد موصول (الرابعة عشرة) الاستئذان فى الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائما فقال : اللهم حرم الدخول ، فنزلت آية الاستئذان (الخامسة عشرة) موافقته لقوله تعالى : « ثلة من الأولين وثلة من الآخرين » أخرجه ابن عساكر فى تاريخه

عن جابر وقصتها مذكورة فى أسباب النزول (السادسة عشرة) موافقته فى بعض الأذان ، أخرج ابن عدى فى الكامل من طريق عبد الله بن نافع ، وهو ضعيف عن أبيه عن ابن عمر أن بلالا كان يقول إذا أذن: أشهد أن لا إله إلا الله حىّ على الصلاة فقال له عمر قل فى إثرها أشهد أن محمدا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل كما قال عمر، والحديث الصحيح الثابت فى أول مشروعية الأذان يرد هذا (السابعة عشرة) أخرج عثمان بن سعيد الدارمى من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال : ويل لملك الأرض من ملك السماء . فقال عمر إلا من حاسب نفسه فقال كعب الأحبار والذى نفسى بيده إنها فى التوراة ، فخر عمر ساجدا (١) .

(الفصل السابع)
(فى كراماته)

(الأولى) أخرج البيهقى وأبو نعيم واللالكائى وابن الاعرابى والخطيب عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن قال : وجه عمر جيشا ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية فبينما عمر رضى الله عنه يخطب جعل ينادى ياسارية الجبلَ ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين هزمنا فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبلَ ثلاثا فأسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله قال : قيل لعمر انك تصيح بذلك وذلك الجبل الذى كان سارية عنده بنهاوند من أرض العجم ، وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر رضى الله عنه قال : كان عمر يخطب يوم الجمعة فعرض فى خطبته أن قال يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم ، فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم علىّ ليخرجن مما قال فلما فرغ سألوه فقال : وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل فان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جازوا هلكوا فخرج منى ما تزعمون، إنكم سمعتموه . فقال : فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا ، وأخرج أبو نعيم عن عمر بن الحارث قال : بينا عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة فقال ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن إنه لمجنون، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا ، بينما أنت تخطب اذ أنت تصيح ياسارية الجبل أى شىء هذا؟ قال انى والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت ياسارية الجبل

---

(١) وللسيوطى منظومة تسمى بقطف الثمر فى موافقات عمر . وذكر فى تاريخ الخلفاء أن أبا عبد الله الشيبانى ذكر فى كتابه فضائل الإمامين لعمر أحدا وعشرين موضعا ومنها رفع تلاوة الشيخ والشيخة إذا زنيا

ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى أن جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادي ياسارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه دعوا هذا الرجل فانه مصنوع له (الثانية) أخرج أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال قال عمر بن الخطاب لرجل ما اسمك؟ قال جمرة ،قال ابنُ من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال اين مسكنك ؟قال الحرة قال بأيها قال بذات لظى قال عمر أدرك اهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا ، واخرج مالك فى الموطأ نحوه وكذلك اخرجه آخرون(١) (الثالثة) أخرج أبو الشيخ فى العظمة بسنده إلى قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنّة لايجرى إلا بها قال وما ذاك قالوا إذا كان احد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو إن هذا لايكون فى الإسلام أبدا وإن الإسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا والنيل لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. فكتب له أن قد أصبت بالذى فعلت وإن الإسلام يهدم ما كان قبله وبعث بطاقة فى داخل كتابه وكتب إلى عمر وإنى قد بعثت إليك بطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الله الواحد القهار ان يجريك ، فألقى البطاقة عمرو فى النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فقطع الله تلك السنّة عن اهل مصر إلى اليوم (الرابعة) اخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه بالحديث فيقول له احبس هذه فيقول له كل ماحدثتك حق إلا ما أمرتنى أن أحبسه (وأخرج) أيضا عن الحسين قال إن كان أحد يعرف الكذب إذا حدث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب (الخامسة) اخرج البيهقى فى الدلائل عن أبى هدبة الحمصى قال أخبر عمر أن اهل العراق قد حصبوا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها فى صلاته فلما سلم قال اللهم إنهم قد لبسوا على فألبس عليهم وعجل عليهم بالغلام الثقفى يحكم فيهم بحكم الجاهلية لايقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم قال ابن لهيعة وما وُلد الحجاج يومئذ .

(خاتمة فى نبذ من سيرته) اخرج ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر

---

(١) وأخرجه ابن دريد فى الأخبار المنثورة وابن السكي فى الجامع كما ذكره السيوطى .

فربت جارية فقالوا سُرّية أمير المؤمنين فقال: ماهى لأمير المؤمنين بسرية ولاتحل له، إنها من مال الله فقلنا فماذا يحل له من مال الله تعالى؟ قال إنه لايحل لعمر من مال الله إلاحلتين حلة الشتاء وحلة الصيف وما حج به واعتمر وقوتى وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغنام ولا بأفقرهم ثم أنا بعدُ رجل من المسلمين، وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر قال إنى أنزلت نفسى من مال الله منزلة ولى اليتيم من ماله، إن أيسرت استعففت وإن افتقرت اكلت بالمعروف فان ايسرت قضيت، واحتاج للتداوى بعسل وفى بيت المال عكة فقال إن أذنتم لى وإلا فهى على حرام فأذنوا له.

ومكث زمانا لايأكل من مال بيت المال شيئا حتى أصابته خصاصة فاستشار الصحابة فقال قد شغلت نفسى فى هذا المال فما يصلح لى منه فقال علىّ غداء وعشاء فأخذ بذلك عمر وكانت جملة نفقته فى حجه ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول أسرفنا فى هذا المال.

ولما كلمته حفصة وعبد الله وغيرهما فقالوا لو أكلت طعاما طيبا لكان أقوى لك على الحق قال أكلكم على هذا الرأى قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكنى تركت صاحبىّ على جادة فان تركت جادتهما لم ادركهما فى المنزل.

قال واصاب الناس سنَة فما أكل عامئذ سمنا ولا سمينا. وقال مرة أخرى لمن كلمه فى طعامه ويحك آكل طيباتى فى الدنيا وأستمتع بها.

وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما: كفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما اشتهى، وكان يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف فى الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس بها ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه فى منازل الناس ينتفعون به (وقال) انس رايت بين كتفى عمر اربع رقاع فى قميصه، وقال أبو عثمان الفهرى رأيت على عمر إزارا مرقوعا بأدم ولما حج لم يستظل الا تحت كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء وكان يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياما، وأخذ تبنة من الأرض وقال: ياليتنى هذه التبنة ليتنى لم أك شيئا ليت أمى لم تلدنى، وكان يدخل يده فى وبرة البعير ويقول إنى لخائف أن أسأل عما بك، وحمل قربة على عنقه فقيل له فى ذلك فقال إن نفسى أعجبتنى فأردت أن أذلها، وقال أنس تقرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة وكان قد حرم على نفسه السمن فنقر بطنه باصبعه وقال إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس، ومن ثم تغير لونه فى هذا العام حتى صار آدم، وقال أحب الناس إلىّ من رفع إلىّ عيوبى، وقال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوّف أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد، وجىء له بلحم فيه سمن فأبى أن يأكلهما وقال كل واحد منهما أدم، وانكشف فخذه فرأى به أهل نجران علامة سوداء فقالوا هذا الذى نجد فى كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا

وقال له كعب الأحبار إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة ، وأمر عماله منهم سعد بن أبى وقاص فكتبوا أموالهم فشاطرهم فيها أخذ نصفها وأبقى لهم نصفها أخرج ذلك كله ابن سعد . وأخرج عبد الرزاق عن جابر أنه شكا إلى عمر ما يلقى من النساء فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إنى لأريد الحاجة فتقول لى : ما تذهب إلا إلى فتيات بنى فلان فتنظر إليهن . فقال له عبد الله بن مسعود : ما يكفيك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله خُلق سارة فقيل له إنها خلقت من ضلع أعوج فالبسها على ما كان فيها مالم تر عليها حرمة فى دينها ، ودخل عليه ابن له عليه ثياب حسنة فضربه بالدِّرة حتى أبكاه ، وقال : رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها اليه . وأخرج الخطيب أنه وعثمان كانا يتنازعان فى المسألة حتى يقول الناظر إنهما لايجتمعان أبدا فما يفترقان إلا على أحسنه وأجمله .

الباب السادس

(فى خلافة عثمان رضى الله عنه وتلك تستدعى ذكر عهد عمر إليه بها وسببه ومقدماته توفى رضى الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً)

أخرج الحاكم عن ابن المسيب أنه لما نفر من مِنى وأناخ بالأبطح استلق ورفع يده إلى السماء وقال : اللهم كبر سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيّع ولا مفرّط . فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل ، وقال له كعب : أجدك فى التوراة تقتل شهيدا فقال : وأنّى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟. وأخرج البخارى عنه أنه قال : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك . وأخرج الحاكم أنه خطب فقال : رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين ، وإنى لأراه إلا حضر أجلى وإن قوما يأمرونى أن أستخلف وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته فان عجل بى أمر فالخلافة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . وقال له رجل : ألا تستخلف عبدالله ابن عمر ، فقال له : قاتلك الله ، والله ما أردتَ الله بهذا ، أستخلفُ رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته ، أى لأنه فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقها فى الحيض، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر : مره فليراجعها ، وكان لا يأذن لصبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب اليه المغيرة ابن شعبة وهو على الكوفة يذكر غلاما عنده يحسن أعمالا كثيرة فيها منافع للناس كالحدادة والنقش والتجارة ويصنع الأرحاء . فأذن له فى دخول المدينة ، واسمه أبو لؤلؤة ، وهو مجوسى فجاء لعمر يشتكى من ثقل خراجه ، وهو أربعة دراهم كل يوم فقال له : ما خراجك بكثير ، فانصرف مغضبا وقال : وسع الناس كلهم عدله غيرى ثم بعد يسير أرسل اليه عمر

فقال له : ألم أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحا تطحن بالريح فالتفت إلى عمر عابسا وقال: لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها . فلما ولى قال عمر لأصحابه : أوعدنى العبد آنفا، وكان كذلك فأضمر قتله وأعد خنجرا وشحذه وسمّه ، ثم كمن له فى الغلس بزاوية من زوايا المسجد حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة ، وكان عمر يأمر بتسوية الصفوف قبل الإحرام فجاء أبو لؤلؤة إلى أن دنا من عمر فضربه بذلك الخنجر ثلاثا فى كتفه وفى خاصرته ، فوقع عمر ، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا فمات منهم ستة فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوبا فلما اغتم فيه قتل نفسه ، وحُمل عمر إلى أهله ، وكادت تطلع الشمس فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين وأتى عمر بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقالوا : لا بأس عليك فقال عمر إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت ، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون كنت وكنت فقال أما والله وَدِدْت أنى خرجت منها كفافا لا علىّ ولا لى وإن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لى ، وأثنى عليه ابن عباس فقال : لو أن لى طِلاع الأرض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وقد جعلتها شورى فى عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وأمر صهيبا أن يصلى بالناس وأجل الستة ثلاثا وكانت اصابته يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد . وصح أن الشمس انكسفت(١) يوم موته وناحت الجن عليه (٢) ، وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام ثم قال لابنه عبد الله انظر ما على من الدين فحسبوه فوجدوه ستا وثمانين ألفا أو نحوها فقال ان وفى مال آل عمر أده من أموالهم والا فاسأل فى بنى عدى فان لم تف أموالهم فاسأل فى قريش ، واذهب الى أم المؤمنين عائشة فقل يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه فذهب اليها فقالت : كنت أريده ـ تعنى المكان ـ لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى ، فأتى عبد الله فقال قد أذنت فحمد الله تعالى ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى الستة وقال يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شىء فان أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فانى لم أعزله عن عجز ولا خيانة ثم قال: أوصى الخليفة من بعدي بتقوى الله تعالى وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فى

---

(١) كسوف الشمس لموت عمر رواه الطبرانى عن عبد الرحمن بن يسار قال النور الهيثمى فى مجمع الزوائد ورجاله ثقات وذكر المحب الطبرى عن الحسن بن أبى جعفر أن الأرض أظلمت فجعل الصبى يقول يا أماه : أقامت القيامة ؟ فتقول لا يابنى . ولكن قتل عمر بن الخطاب . وهذا يفسر ما أراده ابن يسار وإلا ففى البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد .
(٢) نياحة الجن أخرجها ابن سعد عن سليمان بن يسار واخرج الحاكم عن مالك بن دينار أنه سمع صوتا بجبل تبالة ينوح عليه بالشعر .

مثل ذلك من الوصية فلما توفى خرجنا به نمشى فسلم عليها عبد الله بن عمر فقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه ورجعوا إجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم . فقال الزبير قد جعلت أمرى إلى على ، وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن ، وقال طلحة قد جعلت أمرى إلى عثمان فخلا هؤلاء الثلاثة فقال عبدالرحمن : أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله اليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه وليحرص على صلاح الأمة ، فسكت الشيخان على وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه إلى والله على أن لا آلوكم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلى وقال : لك من التقدم فى الإسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن قال نعم، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما بايع عثمان وبايعه على ، وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال ، وروى أن الناس كانوا يجتمعون فى تلك الأيام إلى عبد الرحمن يشاورونه ويناجونه فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان أحدا ، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه وقال فى كلامه: إنى رأيت الناس يأبون إلا عثمان . أخرجه ابن عساكر وفى رواية أنه قال : أما بعد ياعلى فانى قد نظرت فى الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلا ، ثم أخذ بيد عثمان فقال نبايعك على سنة الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين بعده فبايعه عبد الرحمن وبايعه المهاجرون والأنصار ، (وأخرج) ابن سعد عن أنس قال : أرسل عمر الى أبى طلحة الأنصارى قبل أن يموت بساعة فقال : كن فى خمسين من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى فانهم فيما أحسب سيجتمعون فى بيت فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم وفى مسند أحمد عن أبى وائل قلت لعبد الرحمن بن عوف كيف بايعتم عثمان وتركتم عليا فقال ما ذنبى ؟ قد بدأت بعلى فقلت أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر فقال فيما استطعت ثم عرضت ذلك على عثمان فقال نعم ، ويروى أن عبد الرحمن قال لعثمان خلوة إن لم أبايعك فمن تشير قال على وقال لعلى إن لم أبايعك فمن تشير على قال عثمان ثم دعا الزبير فقال إن لم أبايعك فمن تشير على فقال على أو عثمان ثم دعا سعدا فقال له من تشير على فأما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن الاعيان فرأى هوى أكثرهم فى عثمان (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود أنه قال لما بويع عثمان أمرنا خير من بقى ولم نأل .

فثبت بذلك جميعه صحة بيعة عثمان وإجماع الصحابة عليها وأنه لامرية فى ذلك ولا نزاع فيه وان عليا رضى الله عنه من جملة من بايعه وقد مر ثناؤه عليه وقول إنه غزا معه وأقام

الحدود بين يديه، ومر أيضا أحاديث كثيرة دالة على خلافته وأنها بعد خلافة عمر فلا نحتاج إلى إعادة ذلك هنا، وأنها فرع عن خلافة عمر التى هى فرع عن خلافة الصديق وقد قام الإجماع وأدلة الكتاب والسنة على حقية خلافة أبى بكر ولزم من ذلك قيامها على حقية خلافة عمر ثم على حقية خلافة عثمان فكانت بيعة صحيحة وخلافة حقا لا مطعن فيها (١).

الباب السابع

(فى فضائله ومآثره وفيه فصول)

(الفصل الأول فى إسلامه وهجرته وغيرهما)

أسلم قديما وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام وهاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولى، والثانية إلى المدينة وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ وماتت عنده فى ليالى غزوة بدر فتأخر عنها لتمريضها باذن رسول الله ﷺ فضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين بذلك، وجاء البشير بنصر المسلمين يوم دفنوها، بالمدينة ثم زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره ولذا سمى ذا النورين فهو من السابقين الأولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ومر أن الصديق جمعه أيضا، وإنما تميز عثمان بجمعه فى المصحف على ترتيبه المعروف اليوم واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى غزوته ذات الرقاع وإلى غطفان قال ابن اسحق، وكان أول الناس اسلاما بعد أبى بكر وعلى وزيد بن حارثة وكان ذا جمال مفرط (وقد أخرج) ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فاذا رقية جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة الى وجه عثمان فلما رجعت سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى: دخلت عليهما قلت: نعم قال: فهل رأيت زوجا أحسن منهما؟ قلت لا يا رسول الله (وأخرج) ابن سعد أنه لما أسلم أخذه عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محدث والله لا أفكك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان: والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته فى دينه تركه (وأخرج) أبو يعلى

---

(١) استدل الباقلانى على صحة عقد عبد الرحمن لعثمان بأن المسلمين وفى مقدمتهم الصحابة رضوا به أميناً بعد تشاورهم أياما وعبد الرحمن من أجلة أهل العقد والحل وخير من يصلح لذلك لسبقه وعلمه وزهده فى الخلافة مع أنه مرضى عنه وأن عثمان أهل لها وقد انقادت له الأمة ورضيته لها وخاطبوه بأمير المؤمنين وأن ما يروى بعد ذلك من شىء فهو باطل وأن مبايعة على له ليست كما يقول الشيعة للتقية فان ذلك شىء باطن لا يترك بما يعلم من الظاهر.

عن أنس قال : أول من هاجر الى الحبشة بأهله عثمان بن عفان فقال رسول الله ﷺ صحبهما الله أن عثمان لأول من هاجر الى الله بأهله بعد لوط (وأخرج) ابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما زوج النبي ﷺ بنته أم كلثوم بعثمان قال لها : أن بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد .

(الفصل الثاني في فضائله)

مر منها جملة فى أحاديث أبي بكر وفضائله ومن جملة مامر مايدل على خلافته وأنها عقب خلافة عمر ومن جملته أيضا أنه وزن بالأمة بعد الشيخين فعدلها ثم رفع الميزان (الحديث الأول) أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة (الحديث الثاني) أخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد أمتى حياء عثمان بن عفان (الحديث الثالث) أخرج الخطيب عن ابن عباس وابن عساكر عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أوحى الى أن أزوج كريمتى يعنى رقية وأم كلثوم من عثمان (الحديث الرابع) أخرج أحمد ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال ان عثمان رجل حيي وانى خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحالة أن لا يبلغ الى حاجته (١)(الحديث الخامس) أخرج أحمد ومسلم عن عائشة أيضا أن رسول الله ﷺ قال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة (الحديث السادس) أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال أن عثمان حيي تستحي منه الملائكة (الحديث السابع) أخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال عثمان أحيا أمتي وأكرمها (الحديث الثامن)أخرج أبو نعيم عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال ان أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان(الحديث التاسع) أخرج أبو يعلى عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال ان عثمان حيي ستير تستحي منه الملائكة (الحديث العاشر) أخرج الطبراني عن أنس أن رسول الله ﷺ قال ان عثمان لأول من هاجر بأهله الى الله بعد لوط (الحديث الحادى عشر) أخرج ابن عدى وابن عساكر عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ انا نشبه عثمان بأبينا ابراهيم (الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني عن أم عياش أن رسول الله ﷺ قال ما زوجت عثمان بأم كلثوم الا بوحى من السماء (٢)

---

(١) كان عليه السلام مضطجعاً على فراش عائشة وعليه مرط لها فأذن لأبي بكر ولعمر وهو على هذه الحال فلما استأذن عثمان جلس عليه السلام وأصلح عليه ثيابه وأمر عائشة أن تجمع عليها ثيابها ثم أذن له فسألته عائشة عن فزعه لعثمان وحده فقال لها الحديث .

(٢) رواه الطبراني فى الكبير والأوسط وقال النور الهيثمي وإسناده حسن لما تقدمه من الشواهد .

(الحديث الثالث عشر) أخرج ابن ماجه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان : ياعثمان هذا جبريل يخبرنى أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها (الحديث الرابع عشر) أخرج أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان : ياعثمان ان الله مقمصك قيصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى ؛ وهذا من الأحاديث الظاهرة فى خلافته الدالة دلالة واضحة على حقيقيتها لنسبة القميص فى الحديث المكنى به عن الخلافة إلى الله تعالى (الحديث الخامس عشر) أخرج أبو يعلى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : عثمان بن عفان ولىّ فى الدنيا وولىّ فى الآخرة (الحديث السادس عشر) أخرج ابن عساكر عن جابر أن النبى ﷺ قال عثمان فى الجنـــة (الحديث السابع عشر) أخرج ابن عساكر عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى خليل فى أمته وان خليلى عثمان بن عفان ، ومر فى أحاديث فضائل الصديق نحو هذا الحديث فى حق الصديق أيضا وإنه لا ينافى الخبر المشهور لوكنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر خليلا (الحديث الثامن عشر) أخرج الترمذى عن طلحة وابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان (الحديث التاسع عشر) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استوجبوا النار الجنة بغير حساب (الحديث العشرون) أخرج الطبرانى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كان بين عثمان ورقية وبين لوط من مهاجر (الحديث الحادى والعشرون) أخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحابَ النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزتهم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة فله الجنة فحفرتها فصدقوه بما قال (الحديث الثانى والعشرون). أخرج الترمذى عن عبدالرحمن بن خباب قال شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يارسول الله علىّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله فنزل رسول الله ﷺ وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره فجعل رسول الله ﷺ يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الترمذي

عن أنس قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع الناس فقال النبي ﷺ ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ونسبة الحاجة الى الله تعالى على طريق الاستعارة والتمثيل المقرر فى علم البيان (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الترمذى عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان. (الحديث السادس والعشرون) أخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة يقرب بها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان فاقبلت اليه بوجهى فقلت هذا قال نعم (الحديث السابع والعشرون) أخرج الترمذى عن عثمان أنه قال يوم الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا فانا صابر عليه وأشار بذلك الى قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر السابق أن الله مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى (الحديث الثامن والعشرون) أخرج الحاكم عن أبى هريرة قال اشترى عثمان الجنة من النبى صلى الله عليه وسلم مرتين حين حفر بئر رومة وحين جهز جيش العسرة (الحديث التاسع والعشرون) اخرج ابن عساكر عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا (الحديث الثلاثون) أخرج الطبرانى عن عصمة بن مالك لما ماتت بنت رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان قال رسول الله ﷺ زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته وما زوجته الا بوحى من السماء (الحديث الحادى والثلاثون) أخرج ابن عساكر عن على قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو أن لى أربعين ابنة لزوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة (الحديث الثانى والثلاثون) أخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر بى عثمان وعندى ملك من الملائكة فقال شهيد يقتله قومه إنا نستحى منه (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج أبو يعلى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله (وأخرج) ابن عساكر عن الحسن أنه ذكر عنده حياء عثمان فقال ان كان ليكون جوف البيت والباب عليه مغلق فيضع ثوبه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج ابن عدى وابن عساكر من حديث أنس مرفوعا إن لله سيفا مغمودا فى غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد ذلك السيف الى يوم القيامة تفرد به عمر بن فائد وله مناكير (١)

---

(١) وفيه أيضاً محمد بن داود بن دينار كما فى تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق فى باب المناقب.

(الفصل الثالث)

(فى نبذ من مآثره وبقية غرر من فضائله وفيما أكرمه الله به من الشهادة التى وعده بها النبي ﷺ وأخبر وهو الصادق المصدوق أنه مظلوم وأنه يومئذ على الهدي)

قال صلى الله عليه وسلم يقتل هذا مظلوما ، وأشار إلى عثمان رضى الله عنه أخرجه البغوى فى المصابيح من الحسان ، والترمذى وقال حسن غريب ، وأخرجه أحمد فكان كما قال صلى الله عليه وسلم فاستشهد فى الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . وفى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف وإن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه يسيل دمه على قوله : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اه وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ياعثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله. لكن قال الذهبى إنه حديث موضوع ، أى قوله فيه وأنت تقرأ إلى آخره ، وأما الإخبار بأصل القتل فصحيح كما فى أحاديث كثيرة . منها حديث البئر السابق آخر فضائل أبى بكر رضى الله عنه ومنها الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فمر رجل فقال : يقتل فيها هذا يومئذ ظلما ، قال ابن عمر راويه : فنظرت فاذا هو عثمان. كان مقتله سنة خمس وثلاثين فى أوسط أيام التشريق وصلى عليه الزبير وكان أوصى إليه ودفن فى حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن به ، وقيل ثامن عشر ذى الحجة يوم الجمعة وقيل لست بقين منه وعمره إثنان وثمانون سنة على خلاف طويل فيه (وأخرج) ابن عساكر عن جمع أن قاتله رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار (وأخرج) أحمد عن المغيرة بن شعبة أنه دخل عليه وهو محصور الحصر الآتى فى الباب الآتى فقال له إنك إمام العامة وقد نزل بك ماترى وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا اختر إحداهن إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية فقال عثمان : أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء وأما أن أخرج إلى مكة فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن أبى ثور الفهرى قال : دخلت على عثمان وهو محصور فقال : لقد اختبأت عند ربى عشرا إنى لرابع أربعة فى الإسلام وأنكحنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فأنكحنى ابنته الأخرى وما تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على فرجى منذ بايعت بها رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وما مرت بى جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن لا يكون عندى شىء فأعتقها بعد ذلك، أى بجملة ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا، ولا زنيت، فى جاهلية ولا إسلام قط ولا تسرقت فى جاهلية ولا إسلام ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن يزيد بن أبى حبيب قال بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان جُنّوا (وأخرج) ابن عساكر عن حذيفة قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان إلا تبع الدجال أن أدركه وإن لم يدركه آمن به فى قبره، وعن ابن عباس لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء، وأخرج أيضا عن الحسن قال قتل عثمان وعلى غائب فى أرض له فلما بلغه قال اللهم إنى لم أرض ولم أمالئ (وأخرج) الحاكم وصححه عن قيس بن عبادة قال سمعت عليا يوم الجمل يقول اللهم أبرأ إليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وأنكرت نفسى وجاؤونى للبيعة فقلت والله إنى لأستحى أن أبايع قوما قتلوا عثمان وإنى لأستحى من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألونى البيعة قلت اللهم إنى مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى وقلت اللهم خذ منى لعثمان حتى ترضى (وأخرج) ابن عساكر عن أبى خلدة الحنفى قال سمعت عليا يقول ان بنى أمية يزعمون أنى قتلت عثمان ولا والله الذى لا إله إلا هو ما قتلت ولا مالأت ولقد نهيت فعصونى (وأخرج) عن سمرة قال إن الإسلام كان فى حصن حصين وأنهم ثلموا فى الإسلام ثلمة عظيمة بقتلهم عثمان لا تنسد إلى يوم القيامة (وأخرج) عبد الرزاق أن عبد الله بن سلام كان يدخل على محاصرى عثمان فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقى الله أجذم لا يدله وإن سيف الله لم يزل مغمودا وإنكم والله إن قتلتموه ليسلنّه الله ثم لا يغمد عنكم أبدا وما قتل نبى قط إلا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل أن يجتمعوا (وأخرج) ابن عساكر عن عبد الرحمن المهدى قال: خصلتان لعثمان ليستا لأبى بكر ولا لعمر رضى الله عنهم صبره على نفسه حتى قتل وجمعه الناس على المصحف (وأخرج) أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عمر أن جهجاه الغفارى قام الى عثمان وهو يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته فما حال الحول حتى أرسل الله فى رجله الأكلة فمات منها (تتمة) نقم الخوارج عليه رضى الله عنه أمورا هو منها برىء (منها) عزله أكابر الصحابة من أعمالهم وولاها دونهم من أقاربه كأبى موسى الأشعرى عن البصرة وعمرو بن العاص عن مصر وعمار بن ياسر عن الكوفة والمغيرة بن شعبة عنها أيضا وابن مسعود عنها أيضا وأشخصه الى المدينة (وجوابه) أنه انما فعل ذلك لأعذار أوجبت عليه ذلك .

فاما أبو موسى فان جند عمله شكوا شحه وجند الكوفة نقموا عليه أنه أمرهم بأمر عمر لهم بطاعته بفتح رامهرمز ففتحوها وسبوا نساءها وذراريها فلما بلغه ذلك قال : إنى كنت أمنتهم فكتبوا لعمر فأمر بتحليفه لحلف فأمر برد ما أخذ منهم فرفعوه لعمر فعتب عليه وقال: لو وجدنا من يكفينا عملك عزلناك فلما توفى عمر اشتد غضب الجندين عليه فعزله عثمان خوف الفتنة .

وأما عمرو بن العاص فلإكثار أهل مصر شكايته وقد عزله عمر لذلك ثم رده لما ظهر له التفصى مما شكوه ، منه وتوليته ابن سرح بدله فهو وإن كان ارتد فى زمنه صلى الله عليه وسلم فأهدر دمه يوم الفتح أسلم وصلح حاله بل ظهرت منه فى ولايته إشارة محمودة كفتح طائفة كثيرة من تلك النواحى وكفاه فخرا أن عبد الله بن عمرو بن العاص قاتل تحت رايته ككثير من الصحابة، بل وجدوه أقوم لسياسة الأمر من عمرو بن العاص ومن أحسن محاسنه لما قتل عثمان أنه لم يقاتل مسلما بعد قتاله المشركين .

وأما عمار فالذى عزله عمر لا عثمان . وأما المغيرة فأنهى لعثمان أنه ارتشى فلما رأى تصميمهم على ذلك ظهر أن المصلحة فى عزله وإن كانوا كاذبين عليه .

وأما ابن مسعود فكان ينقم على عثمان كثيرا فظهرت له المصلحة فى عزله على أن المجتهد لا يعترض عليه فى أموره الاجتهادية، لكن أولئك الملاعين المعترضين لا فهم لهم بل ولا عقل (ومنها) أنه أسرف فى بيت المال حيث أعطى أكثره لاقاربه ،كالحكم الذى رده للمدينة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفاه عنها إلى الطائف، وكاتبه مروان أعطاه مائة ألف، وخمس إفريقية والحرث أعطاه عشرا وما يباع بأسواق المدينة، وجاءه أبو موسى بحلية ذهب وفضة فقسمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال فى ضياعه ودوره (وجواب ذلك) أن أكثر ذلك مختلق عليه ،ورده الحكم إنما كان لكونه صلى الله عليه وسلم وعده بذلك لما استأذنه فنقله للشيخين فلم يقبلاه لكونه واحدا فلما ولى قضى بعلمه كما هو قول أكثر الفقهاء، على أن الحكم تاب مما نفى لأجله، والحق فى مروان لما تعذر نقله من أثاث أفريقية وحيوانها اشتراه من ابى سرح الأمير بمائة ألف فقد نقد أكثر، وسبق مبشرا بفتحها فترك عثمان منه البقية جزاء لبشارته فان قلوب المسلمين كانت فى غاية القلق بشدة أمر افريقية وللإمام أن يعطى البشير مايراه لائقا بتعبه وخطر بشارته وتلك ألف إنما جهزها من مال بيت الحرث، وثروة عثمان جاهلية وإسلاما لا تنكر، وما ذكروه فى العشور صحيح نعم جعل له السوق لينظر فيه بالمصلحة فوقع منه جور فعزله (وقصة) أبى موسى ذكرها ابن إسحق بسند فيه مجهول وهو لا يكون

حجة فى ذلك وغنا عثمان الواسع واتصافه فى غزوة تبوك بما هو مشهور عنه يمنع نسبة ذلك وأقل منه وأكثر إليه، غاية الأمر أنه لو سلم أنه أكثر من إعطاء أقاربه من بيت المال كان اجتهادا منه فلا يعترض به عليه، وزعم أنه منع أن لا يشترى أحد قبل وكيله وأن لا تسير سفينة من البحرين إلا فى تجارته باطل، على أنه كان متبسطا فى التجارات فلعله حمى سفينة أن لا يركب فيها غيره، وفوّض لزيد بن ثابت نظر بيت المال ففضلت منه فضلة فصرفها فى عمارة ما زاده فى مسجده صلى الله عليه وسلم فتقوّلوا أنه صرفها فى عمارة دوره، كما تقولوا أنه حمى لنفسه مع أنه حمى لإبل الصدقة، وأنه أقطع أكثر أراضى بيت المال مع أنه إنما هو فى الإحياء على أنه عوض أشراف اليمن مثل ما تركوه من أراضيهم لما جاءوا إلى المدينة يستمروا بها تجاه الأعداء وذلك فيه مصلحة عامة فلا يعترض به (ومنها) أنه حبس عطاء ابن مسعود وأبى بن كعب ونفى أبا ذر إلى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشام إلى المدينة لما اشتكاه معاوية وهجر ابن مسعود وقال لابن عوف إنك منافق وضرب عمار بن ياسر وانتهك حرمة كعب بن عبدة فضربه عشرين سوطا ونفاه إلى بعض الجبال، وكذلك حرمة الأشتر النخعى (وجواب ذلك) أن حبسه لعطاء ابن مسعود وهجره له فلما بلغه عنه مما يوجب ذلك لاسيما وكل منهما مجتهد فلا يعترض بما فعله أحدهما مع الآخر، نعم زعم أن عثمان أمر بضربه باطل، ولو فرضت صحته لم يكن بأعظم من ضرب عمر لسعد بن أبى وقاص بالدرة على رأسه حيث لم يقم له وقال له إنك لم تهب الخلافة فأردت أن تعرف أن الخلافة لا تهابك ولم يتغير سعد من ذلك فابن مسعود أولى لأنه كان يجيب عثمان بما لا يبقى له حرمة ولا أبهة أصلا بل رأى عمر أبيا يمشى وخلفه جماعة فعلاه بالدرة وقال ان هذا فتنة لك ولهم فلم يتغير أبى، على أن عثمان جاء لابن مسعود وبالغ فى استرضائه فقيل قبله واستغفر له وقيل لا وكذلك ما وقع له مع أبى ذر فانه كان متجاسرا عليه بما يخرم أبهة ولايته فما فعله معه ومع غيره إنما هو صيانة لمنصب الشريعة وحماية لحرمة الدين، وان عذر أبو ذر بقصده منه أن يجرى على ما كان عليه الشيخان، على أنه جاء أن أبا ذر إنما اختار التحوّل اعتزالا للناس مع أمر عثمان له بعدمه، وقوله أقم عندى تغدو عليك اللقاح وتروح فقال لا حاجة لى فى الدنيا وهى قضية باطلة من أصلها، وكذا قضية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وإنما كان متوحشا منه لأنه كان يجيئه كثيرا، ولم يضرب عمارا وإنما ضربه عثمان لما كرر إرسالهم اليه ليجيء الى المسجد حتى يعاتبه فى أشياء نقمها عليه وهو يعتذر اليه فلم يقبل وقد حلف عثمان وغلظ أنه لم يأمرهم بذلك ثم بالغ فى استرضائه وظهر ما يدل على أنه رضى عنه.

وفعله بكعب ما ذكر، فعذره فيه أنه كتب اليه فأغلظ عليه ثم استدرك عثمان ذلك فبالغ فى استرضائه فخلع قميصه ودفع اليه سوطا ليقتص منه فعفا ثم صار من خواصه.

وما فعله بالأشتر معذور فيه فانه رأس فتنة فى زمان عثمان بل هو السبب فى قتله بل جاء أنه هو الذى باشر قتله بيده فأعمى الله بصائرهم، كيف لم يذموا فعل هذا المارق وذموا فعل من شهد له الصادق بأنه الإمام الحق وأنه يقتل شهيدا مظلوما وأنه من أهل الجنة (ومنها) أنه أحرق المصاحف التى فيها القرآن (وجوابه) أن هذا من فضائله لأن حذيفة وغيره أنهوا إليه أن أهل الشام والعراق اختلفوا فى القرآن يقول بعضهم لبعض قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا ، فرأى عثمان أن يجمع الناس على مصحف واحد فأخذ صحف أبى بكر التى جمع القرآن منها فانتسخ منها مصحفا وأمر الناس بالتزام مافيه ثم كتب منه صحفا وأرسلها إلى البلدان وأمر بذلك لاختلاف الأمة ، ومن ثم قال على كرم الله وجهه والله لو وليت لفعلت الذى فعل عثمان وقال لاتسبوا عثمان من جهة ذلك فانه لم يفعله إلا عن ملأ منا وقد بسطت هذه القصة وما فيها من الفوائد فى شرح المشكاة (ومنها) تركه قتل عبيد الله بن عمر بقتله الهرمزان وجفينة وبنتاً صغيرة لأبى لؤلؤة قاتل عمر مع إشارة على والصحابة بقتله (وجواب ذلك) أن جفينة نصرانى وابنة أبى لؤلؤة أبوها مجوسى وأمها حالها مجهول فلم يتحقق إسلامها ، وأما الهرمزان فهو المشير والآمر لأبى لؤلؤة على قتل عمر وجماعة مجتهدون على أن الآمر يقتل كالمأمور ،على أنه خشى ثوران فتنة عظيمة لما أراد قتله لو توفرت فيه الشروط فترك قتل عبيد الله واسترضى أهل الهرمزان (ومنها) إتمامه الصلاة بمنى لما حج بالناس (وجوابه) أن هذه مسألة اجتهادية فالاعتراض بها جهل قبيح وغباوة ظاهرة إذ أكثر العلماء على أن القصر جائز لا واجب (ومنها) أنه كان غادرا لما وقع لهمع محمد بن أبى بكر رضى الله عنه مما يأتى قريبا (وجوابه) أنه حلف لهم كما يأتى فصدقوه إلا من فى قلبه مرض (والحاصل) أنه صح عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أنه على الحق وأن له الجنة وأنه يقتل مظلوما وأمر باتباعه، ومن هو كذلك كيف يعترض عليه بأكثر تلك الترهات أو بجميع مامر من الاعتراضات وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم أشار عليه أن سيتولى الخلافة وأن المنافقين سيراودونه على خلعه وأنه لايطيعهم هذا ، مع ماعلم من سابقته وكثرة إنفاقه فى سبيل الله وغيرهما مما مر فى مآثره رضى الله تعالى عنه .

الباب الثامن

(فى خلافة على كرم الله وجهه ولنقدم عليها قصة قتل عثمان رضى الله عنه لما أنها مترتبة على قتله بمبايعة أهل الحل والعقد له حينئذ كما يأتى)

(أخرج) ابن سعد عن الزهرى قال :ولى عثمان اثنتى عشرة سنة فلم ينقم عليه الناس

مدة ست سنين ، بل كان أحب إلى قريش من عمر لأن عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم توانى فى أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته فى الست الأواخر وأعطاهم المال متأولا فى ذلك الصلة التى أمر الله بها وقال ان أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما كان لهما وإنى أخذته فقسمته فى أقربائى فأنكر عليه ذلك (وأخرج) ابن عساكر عن الزهرى قال قلت لابن المسيب هل أنت مخبرى كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؟ فقال ابن المسيب قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا فقلت كيف، قال لأنه لما ولى كره ولايته نفر من الصحابة لأنه كان يحب قومه فكان كثيرا ما يولى بنى أمية ممن لم يكن له صحبة فكان يجىء من أمرائه ما تنكره الصحابة وكان يستعتب فيهم فلا يعزلهم فلما كان فى الست الأواخر استأثر بنى عمه فولاهم دون غيرهم وأمرهم بتقوى الله ، فولى عبدالله بن أبى سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبى ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة فى قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر ، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبى سرح فكتب إليه كتابا يتهدده فيه فأبى ابن سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان فقتله فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة فى مواقيت الصلاة ماصنع ابن أبى سرح بهم ، فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد وأرسلت عائشة إليه تقول له تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم من عاملك ، ودخل عليه على بن أبى طالب فقال إنما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب عليه حق فأنصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر فكتب عهده وولاه ، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبى سرح ، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذ هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال أصحاب محمد ما قضيتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر فقال له رجل منهم هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبى بكر فبعث فى طلبه رجلا فأخذه وجاء به إليه ، فقال له رجل غلام من أنت فاقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال له بماذا؟ قال برسالة قال معك كتاب قال لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة فاذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبى سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين

والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه، إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقرّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء يتظلم إلى منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى، فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤوهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان، وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقا وغيظا، وقام أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلحقوا بمنازلهم مامنهم أحد إلا وهو مغتم لما قرؤا الكتاب، وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له أهذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب قال: لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به قال له علي: فالخاتم خاتمك، قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به، فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط. فعرفوا أنه خط مروان وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده في الدار فخرج أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من عنده غضابا وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوما قالوا لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجلين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بغير حق، فان يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشى عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فاشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا، قال أفيكم سعد؟ قالوا: لا، ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؟ فبلغ ذلك عليا فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ عليا أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه، وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشُج قنبر مولى

على نخشى محمد بن أبى بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فاخذ بيد الرجلين فقال لهما. إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ماتريد ولكن مروا بنا حتى نتسوّر عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال لهما محمد مكانكما فان معه امرأته، حتى أبدأ كما بالدخول فاذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجّآه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان فى الدار من الجلبة، وصعدت امرأته إلى الناس وقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحا، فبلغ الخبر عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولا فاسترجعوا فقال على لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون اليه فقالوا له نبايعك فمدّ يدك فلا بد من أمير، فقال على ليس ذلك اليكم انما ذلك الى أهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر الا أتى عليا فقالوا مانرى أحدا أحق بها منك مديدك نبايعك فبايعوه، وهرب مروان وولده وجاء علىّ الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لاأدرى دخل عليه رجلان لاأعرفهما ومعهما محمد بن أبى بكر وأخبرت عليا والناس بما صنع، فدعا على محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرنى أبى فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ماقتلته ولا أمسكته. فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما، قال ابن سعد وكانت مبايعة على بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا الى مكة وعائشة رضى الله عنها بها فأخذاها وخرجا الى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك عليا فخرج الى العراق فلقى بالبصرة طلحة والزبير ومن معهم وهى وقعة الجمل وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة والزبير وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفا، وأقام على البصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف الى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ عليا فسار فالتقوا بصفين فى صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتل بها أياما، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون الى مافيها مكيدة من عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابا أن يوافوا رأس الحول باذرح(١) فينظروا فى أمر

(١) أذرح بضم الراء قرية بالشام.

الأمة ، وافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلى إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لاحكم إلا لله، وعسكروا بحروراء(١) فبعث اليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا إلى النهروان(٢) فسار إليهم على فقتلهم وقتل منهم ذا الثدية الذى أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرح فى شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أباموسى الأشعرى مكيدة منه، فتكلم فخلع عليا وتكلم عمرو فأمّر معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا، وصار على فى خلاف من أصحابه حتى صار يعض على يديه ويقول أعصى ويطاع معاوية. هذا ملخص تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة على أن الاختصار فى هذا المقام هو اللائق فقد قال صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أصحابى فأمسكوا وقد أخبر ﷺ بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة رضى الله عنها والزبير عليا كما أخرجه الحاكم وصححه البيهقى عن أم سلمة قالت: ذكر رسول الله ﷺ خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها فقال انظرى ياحميراء أن لا تكونى أنت، ثم التفت إلى على ، فقال ان وليت من أمرها شيأ فارفق (وأخرج) البزار وأبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا أيتكن صاحبة الجمل الاحمر يخرج حتى تنبحها كلاب الحوءب (٣) فيقتل حولها قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت تنجو (وأخرج) الحاكم وصححه والبيهقى عن أبى الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له على أنشدك الله ، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول تقاتله وأنت له ظالم، فمضى الزبير منصرفا، وفى رواية أبى يعلى والبيهقى فقال الزبير بلى ولكن نسيت .

﴿ تنبيه ﴾ علم مما مر أن الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة هو الإمام المرتضى والولى المجتبى على بن أبى طالب باتفاق أهل الحل والعقد عليه كطلحة والزبير وأبى موسى وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبى الهيثم بن التيهان ومحمد بن مسلمة وعمار بن ياسر. وفى شرح المقاصد عن بعض المتكلمين أن الاجماع انعقد على ذلك، ووجه انعقاده فى زمن الشورى، على أنها له أو لعثمان وهذا إجماع على أنه لولا عثمان لكانت لعلى فحين خرج عثمان بقتله من البين علم أنها بقيت لعلى إجماعا، ومن ثم قال إمام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لا إجماع على إمامة على فان الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتنة لأمور أخرى .

---

(١) بلدة بالكوفة .

(٢) بفتح النون وضمها ثلاث قرى بين واسط وبغداد .

(٣) موضع بالبصرة بوزن كوكب :

الباب التاسع

(فى مآثره وفضائله ونبذ من أحواله وفيه فصول)

(الفصل الأول فى إسلامه وهجرته وغيرهما)

أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديما ، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسى وجماعة أنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه ومر الجمع بين هذا الإجماع . والاجماع على أن أبا بكر أول من أسلم ، ونقل أبو يعلى عنه قال : بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء (وأخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد قال لم يعبد الأوثان قط لصغره ، أى ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه وألحق به الصديق فى ذلك ، لما قيل أنه لم يعبد صنما قط ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه أبو الأسود الدؤلى وأبو عبد الرحمن السلمى وعبد الرحمن بن أبى ليلى ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدى عنه أمانته والودائع والوصايا التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد إلا تبوك فانه صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وقال له حينئذ أنت منى بمنزلة هرون من موسى كما مر وله فى جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصابه يوم أحد ست عشرة ضربة وأعطاه النبى ﷺ اللواء فى مواطن كثيرة سيما يوم خيبر ، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتح يكون على يده كما فى الصحيحين وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وانهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجلا وفى رواية أنه تناول بابا من الحصن ـ حصن خيبر ـ فترس به عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو فى يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يلقوه فما استطاعوا

(الفصل الثانى فى فضائله رضى الله عنه وكرم الله وجهه)

وهى كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد : ماجاء لأحد من الفضائل ماجاء لعلى ، وقال اسماعيل القاضى والنسائى وأبو على النيسابورى : لم يرد فى حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان

أكثر ما جاء فى على (١) وقال بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوى وسبب ذلك والله أعلم ان الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلى به على وما وقع من الاختلاف لمّا آل اليه أمر الخلافة، فاقتضى ذلك نصح الأمة باشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للأمة أيضا، ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بنى أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للأمة و نصرة للحق.

ثم اعلم أنه سيأتى فى فضائل أهل البيت أحاديث مستكثرة من فضائله فلتكن منك على ذكر فانه مر فى كثير من الأحاديث السابقة فى فضائل أبى بكر جمل من فضائل علىّ واقتصرت هنا على أربعين حديثا لانها من غرر فضائله (الحديث الأول) أخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص وأحمد والبزار عن أبى سعيد الخدرى والطبرانى عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبيش بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلى والبراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علىّ بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان؟ فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبى بعدى، ومر الكلام على هذا الحديث مستوفى فى الثانى عشر من الشّبه (الحديث الثانى) أخرج الشيخان أيضا عن سهل بن سعد والطبرانى عن ابن عمر وابن أبى ليلى وعمران بن حصين، والبزار عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يذكرون - أى يخوضون ويتحدثون ليلتهم - أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقيل يشتكى عينيه قال فأرسلوا اليه فأتى به فبصق رسول صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرىء حتى كان كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية. وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها كانت فاطمة أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وزوجها على أحب الرجال اليه (الحديث الثالث) أخرج مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال لما نزلت هذه الآية. ندع أبناءنا وابناءكم : دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلى

---

(١) وقال الذهبى فى تلخيص الموضوعات لم يرو لأحد من الصحابة فى الفضائل أكثر مما روى لعلى رضى الله عنه وهى ثلاثة أقسام صحاح وحسان وقسم ضعاف وفيها كثرة وقسم موضوعات وهى كثيرة إلى الغاية ولعل بعضها ضلال وزندقة انتهى وفى كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة : وقال الخليلى فى الارشاد قال بعض الحفاظ تأملت ما وضعه أهل الكوفة فى فضائل على وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف والله أعلم.

(الحديث الرابع) قال صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم (١) من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه الحديث، وقد مر في حادي عشر الشبه وأنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وأن كثيرا من طرقه صحيح أو حسن، ومر الكلام ثم على معناه مستوفى، وروى البيهقي أنه ظهر علي من البعد. فقال ﷺ هذا سيد العرب فقالت عائشة : ألست سيد العرب، فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب، ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. وقال أنه صحيح ولم يخرجاه وله شواهد كلها ضعيفة كما بينه بعض محققي المحدثين : بل جنح الذهبي إلى الحكم على ذلك بالوضع وعلى فرض صحته فسيادته لهم إما من حيث النسب أو نحوه فلا يستلزم أفضليته على الخلفاء الثلاثة قبله لما مر من الادلة الصريحة في ذلك (الحديث الخامس) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل يارسول الله سمهم لنا قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان (الحديث السادس) أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبيش بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني الا أنا أو علي (الحديث السابع) أخرج الترمذي عن ابن عمر آخى النبي ﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة (الحديث الثامن) أخرج مسلم عن علي قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي الى أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا (الحديث التاسع) أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي في الضعفاء وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والحاكم عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن أراد العلم فليأت الباب وفي أخرى عند الترمذي عن علي أنا دار الحكمة وعلي بابها. وفي أخرى عند ابن عدي علي باب علمي. وقد اضطرب الناس في هذا الحديث فجماعة على أنه موضوع منهم ابن الجوزي والنووي وناهيك بهما معرفة بالحديث وطرقه حتى قال بعض محققي المحدثين لم يأت بعد النووي من يدانيه في علم الحديث فضلا عن أن يساويه، وبالغ الحاكم على عادته وقال ان الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين على الحديث أنه حديث حسن ومر الكلام عليه (٢) (الحديث العاشر) أخرج الحاكم وصححه

---

(١) موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وهو بضم الخاء.

(٢) قال السيوطي هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات.

عن على قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء. فضرب صدرى بيده ثم قال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذى فلق الحبة ماشككت فى قضاء بين اثنين قيل: وسبب قوله صلى الله عليه وسلم أقضاكم على السابق فى أحاديث أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع جماعة من أصحابه لجاءه خصمان . فقال أحدهما يارسول الله إن لى حمارا وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حمارى فبدأ رجل من الحاضرين فقال : لاضمان على البهائم . فقال صلى الله عليه وسلم اقض بينهما ياعلى ،فقال على لهما أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدودا والآخر مرسلا فقالا كان الحمار مشدودا والبقرة مرسلة وصاحبها معها ، فقال على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه وأمضى قضاءه. (الحديث الحادى عشر) أخرج ابن سعد عن على أنه قيل له مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قال إنى كنت إذا سألته أنبأنى وإذا سكت ابتدأنى (الحديث الثانى عشر) أخرج الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف على جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس من شجر شتى وأنا وعلى من شجرة واحدة (الحديث الثالث عشر) أخرج البزار عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك (الحديث الرابع عشر) أخرج الطبرانى والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب لم يجترىء أحد أن يكلمه إلا على (الحديث الخامس عشر) أخرج الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال النظر إلى على عبادة ،إسناده حسن (الحديث السادس عشر) أخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبى وقاص . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذانى (الحديث السابع عشر) أخرج الطبرانى بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحب عليا فقد أحبنى ومن أحبنى فقد أحب الله ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ومن أبغضنى فقد أبغض الله (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة ، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبنى (الحديث التاسع عشر) أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال لعلى انك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (الحديث العشرون) أخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن على قال دعانى رسول الله ﷺ فقال ان فيك مثلا من عيسى ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذى ليس به ، ألا وانه يهلك فى اثنان محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض يحمله شنآنى على أن يبهتنى (الحديث الحادى والعشرون) أخرج الطبرانى فى الأوسط عن أم سلمة قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقول على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض (الحديث الثانى والعشرون) أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبى ﷺ قال لعلى أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك ياعلى على هذه يعنى قرنه حتى يبل منه هذه يعنى لحيته، وقد ورد ذلك من حديث على وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم

(أخرج) أبو يعلى عن عائشة . قالت رأيت النبى ﷺ التزم عليا وقبله وهو يقول بأبى الوحيد الشهيد وروى الطبرانى وأبو يعلى بسند رجاله ثقات إلا واحدا منهم فانه موثق أيضا أنه ﷺ قال له يوما من أشقى الاولين . قال الذى عقر الناقة يارسول الله . قال صدقت قال فمن أشقى الآخرين قال لاعلم لى يارسول الله قال الذى يضربك على هذه وأشار ﷺ إلى يافوخه فكان على رضى الله عنه يقول لأهل العراق أى عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم لخضب هذه ـ يعنى لحيته ـ من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضا أن ابن سلام قال له لا تقدم العراق فانى أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف . فقال على وأيم الله لقد أخبرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو الأسود فما رأيت كاليوم قط محارب يخبر بذا عن نفسه؟ (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى قال اشتكى الناس عليا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا . فقال لا تشكوا عليا فوالله إنه لأخيشن فى ذات الله أو فى سبيل الله (الحديث الرابع والعشرون) أخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنى أمرت بسد هذه الأبواب غير باب على : فقال فيه قائلكم وانى والله ماسددت شيأ ولا فتحته ولكنى أمرت بشىء فاتبعته ولا يشكل هذا الحديث بما مر فى أحاديث خلافة أبى بكر من أمره صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ جميعها الا خوخة أبى بكر لأن ذلك فيه التصريح بأن أمره بالسد كان فى مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على أمر متقدم على المرض فلأجل ذلك اتضح قول العلماء أن ذاك فيه إشارة إلى خلافة أبى بكر على أن ذاك الحديث أصح من هذا وأشهر . (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الترمذى والحاكم عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تريدون من على ماتريدون من على ما تريدون من على ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى ومر الكلام فى حادى عشر الشبه على هذا الحديث وبيان معناه ومافيه (الحديث السادس والعشرون) أخرج الطبرانى عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من على (الحديث السابع والعشرون) أخرج الطبرانى عن جابر والخطيب عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب (الحديث الثامن والعشرون) أخرج الديلمى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير اخوتى على

وخير أعمامى حمزة (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الديلمى أيضا عن عائشة والطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال السبّق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد على بن أبى طالب (الحديث الثلاثون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبى طالب (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبى ليلى ان رسول ﷺ قال الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس قال ياقوم اتبعوا المرسلين وحزقيل مؤمن آل فرعون الذى قال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وعلى بن أبى طالب وهو أفضلهم (الحديث الثانى والثلاثون) أخرج الخطيب عن أنس أن النبي ﷺ قال عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب (١) (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج الحاكم عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال على إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج الدار قطنى فى الأفراد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على باب حطة من دخل منه كان مؤمنا ومن خرج منه كان كافرا (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج الخطيب عن البراء والديلمى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على منى بمنزلة رأسى من بدنى (الحديث السادس والثلاثون) أخرج البيهقى والديلمى عن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على يزهو فى الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا (الحديث السابع والثلاثون) اخرج ابن عدى عن على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين (٢) (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج البزار عن انس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال على يقضى دينى (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج الترمذى والحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة لتشتاق الى ثلاثة على وعمار وسلمان (الحديث الأربعون) اخرج الشيخان عن سهل ان النبي صلى الله عليه وسلم وجد عليا مضطجعا فى المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم ابا تراب . فلذلك كانت هذه الكنية احب الكنى اليه لأنه صلى الله عليه وسلم كناه بها ومر ان النبى صلى الله عايه وسلم قال اربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم الا مؤمن ابو بكر وعمر وعثمان وعلى . وأخرج النسائى والحاكم عن على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان كل نبى اعطى سبعة نجباء رفقاء واعطيت

---

(١) الحديث من طريق أحمد بن محمد بن حورى قال ابن الجوزى فى الواهيات لا أصل له وقال الذهبي فيه انه باطل وسنده مظلم كما فى تنزيه الشريعة .

(٢) وروى مثله العقيلى مطولا وفى روايته ابن داهر وليست الآفة منه كما قال ابن حجر ولكن الآفة من غيره وجاء من حديث أبى ليلى الغفارى أخرجه أبو أحمد الحاكم فى الكنى وفيه إسحق بن بشر الكاهلى معدود فى الوضاعين .

أنا اربعة عشر، على والحسن والحسين وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر. الحديث، واخرج ابن المظفر وابن ابى الدنيا عن ابى سعيد الخدرى قال : خرج علينا رسول الله صلى عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه ونحن فى صلاة الغداة فقال إنى تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتى فاستنطقوا القرآن بسنتى فانه لن تعمى ابصاركم ولن تزل اقدامكم ولن تقصر ايديكم ما اخذتم بهما ثم قال أوصيكم بهذين خيرا وأشار إلى على والعباس، لايكف عنهما أحد ولا يحفظهما علىّ إلا أعطاه الله نورا حتى يرد به على يوم القيامة (واخرج) ابن أبى شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال. لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة او تسع عشرة ليلة ثم قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أوصيكم بعترتى خيرا وان موعدكم الحوض والذى نفسى بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولأبعثن اليكم رجلا منى او كنفسى يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه ثم قال هو هذا . وفيه رجل اختلف فى تضعيفه وبقية رجاله ثقات وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته أيها الناس يوشك ان اقبض قبضا سريعا فينطلق بى وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم الا انى مخلف فيكم كتاب ربى عز وجل وعترتى اهل بيتى، ثم اخذ بيد على فرفعها فقال هذا على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض فاسألهما ما خلفت فيهما (واخرج) احمد فى المناقب عن على قال طلبنى النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط فضربنى برجله وقال قم فوالله لأرضينك انت أخى وابو ولدى فقاتل على سنتى من مات على عهدى فهو فى كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت (وأخرج) الدار قطنى أن عليا قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاما طويلا من جملته : أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيرى قالوا اللهم لا . ومعناه ما رواه عنترة عن على الرضا أنه صلى الله عليه وسلم قال له أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول النار هذا إلى وهذا لك ، وروى ابن السماك أن أبا بكر قال له رضى الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له على الجواز

(وأخرج) البخارى عن على رضى الله عنه أنه قال أنا أوّل من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس وفيهم نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر. علىّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة

الفصل الثالث

فى ثناء الصحابة والسلف عليه

(أخرج) ابن سعد عن أبى هريرة : قال قال عمر بن الخطاب على أقضانا (وأخرج)

الحاكم عن ابن مسعود قال : أقضى أهل المدينة على (وأخرج) ابن سعد عن ابن عباس . قال إذا حدثنا ثقة عن على الفتيا لانعدوها ،أى لانتجاوزها (وأخرج) عن سعيد بن المسيب قال عمر بن الخطاب : يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن ، يعنى عليا . وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول سلونى إلا على (وأخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود قال أفرض أهل المدينة وأقضاها على وذكر عند عائشة فقالت : إنه أعلم من بقى بالسنة وقال مسروق انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر وعلى وابن مسعود . وقال عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة كان لعلى ماشئت من ضرس قاطع فى العلم وكان له القدم فى الإسلام والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم والفقه فى السنة والنجدة فى الحرب والجود فى المال (وأخرج) الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ماأنزل الله « ياأيها الذين آمنوا » إلا وعلىّ أميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمد فى غير مكان وماذكر عليا إلا بخير (وأخرج) ابن عساكر عنه . قال مانزل فى أحد من كتاب الله تعالى مانزل فى على وأخرج عنه أيضا قال نزل فى علىّ ثلاثمائة آية (١) (وأخرج) الطبرانى عنه قال كانت لعلى ثمانى عشرة منقبة ماكانت لأحد من هذه الأمة (وأخرج) أبو يعلى عن أبى هريرة قال قال عمر بن الخطاب لقد أعطى على ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلىّ من حمر النعم فسئل ماهى قال : تزويجه ابنته وسكناه فى المسجد لايحل لى فيه مايحل له والراية يوم خيبر . وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه (وأخرج) أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن على قال : مارمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهى وتفل فى عينى يوم خيبر حين أعطانى الراية . ولما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال والله ياأمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى كانت أحوج إليك منك إليها (وأخرج) السلفى فى الطيوريات عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبى عن على ومعاوية فقال : اعلم أن عليا كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه شيئا فلم يجدوه فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيدا منهم له .

الفصل الرابع

فى نبذ من كراماته وقضاياه وكلماته الدالة على علو قدره علما وحكمة وزهدا ومعرفة بالله تعالى

(أخرج) ابن سعد عنه : قال والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا ناطقا (وأخرج) ابن سعد وغيره عن أبى الطفيل قال

(١) الأثران ضعيفان لا موضوعان كما فى تنزيه الشريعة .

قال عليّ سلونى عن كتاب الله فانه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم جبل (وأخرج) ابن أبى داود عن محمد بن سيرين قال: لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ على عن بيعة أبى بكر فلقيه أبو بكر فقال أكرهت إمارتى؟ فقال لا ولكن آليت لا أرتدى بردائى إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله قال محمد ابن سيرين لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم (ومن كراماته الباهرة) أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه وعليّ لم يصل العصر فما سرى عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبى ﷺ: اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت: وحديث ردها صححه الطحاوى والقاضى فى الشفاء وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا على جمع قالوا إنه موضوع(١) وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها فى محل المنع بل نقول كما أن ردها خصوصية كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة على أن فى ذلك أعنى إن الشمس إذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودها ترددا حكيته مع بيان المتجه منه فى شرح العباب فى أوائل كتاب الصلاة قال سبط ابن الجوزى: وفى الباب حكاية عجيبة حدثنى بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أزدشير القباوى الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ الى الشمس وأنشدها:

لاتغربى ياشمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إن أردت ثناءهم أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت (وأخرج) عبد الرزاق عن حجر المرادى قال قال لى على: كيف بك إذا أمرت أن تلعننى؟ قلت: أو كائن ذلك قال نعم قلت فكيف أصنع؟ قال: العنى ولا تبرأ منى قال: فأمرنى محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميرا من قبيل عبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن عليا فقلت إن الأمير أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله، فما فطن لها إلا رجل. أى لأنه إنما لعن الأمير ولم يلعن عليا، فهذا من كرامات على وإخباره بالغيب.

---

(٢) وللسيوطى جزء فى تتبع طرق هذا الحديث سماه كشف اللبس فى حديث رد الشمس وختمه بقوله: ومما يشهد لصحة ذلك قول الشافعى رضى الله عنه وغيره ما أوتى نبى معجزة إلا أوتى نبينا صلى الله عليه وسلم نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست ليوشع ليالى قاتل الجبارين فلا بد أن يكون لنبينا نظير ذلك والقول مبسوط فى ابن كثير وتنزيه الشريعة.

ومن كراماته أيضا أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال له : أدعو عليك إن كنت كاذبا قال : ادع فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره (وأخرج) ابن المدائنى عن مجمع أن عليا كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين . وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الأرغفة الثمانية على السواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضا عما أكله من طعامهما فتنازعا فصاحب الخمسة أرغفة يقول إن له خمسة دراهم ولصاحب الثلاثة ثلاثة وصاحب الثلاثة يدعى أن له أربعة ونصفا فاختصما إلى على ، فقال لصاحب الثلاثة : خذ مارضى به صاحبك وهو الثلاثة فان ذلك خير لك فقال لارضيت إلا بمر الحق فقال على : ليس فى مر الحق إلا درهم واحد فسأله عن بيان وجه ذلك فقال على : أليست الثمانية أرغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة ولا يعلم أكثركم أكلا فتحملون على السواء فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذى لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث والذى له خمسة عشر ثلثا فبقى له سبعة ولك واحد فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك فقال : رضيت الآن .

وأتى برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بأمى فقال : اذهب فأقمه فى الشمس فاضرب ظله(١)

ومن كلامه : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، ماهلك امرؤ عرف قدره ، قيمة كل امرىء مايحسنه من عرف نفسه فقد عرف ربه . كذا نسب هذا إليه والمشهور أنه من كلام يحي بن معاذ الرازى . المرء مخبوء تحت لسانه . من عذب لسانه كثر إخوانه . بالبر يستعبد الحر . بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر الذى قال وانظر إلى ماقال : الجزع عند البلاء تمام المحنة . لاظفر مع البغى لاثناء مع الكبر . لاصحة مع النهم والتخم . لاشرف مع سوء الأدب . لاراحة مع الحسد . لاسودد مع الانتقام . لاصواب مع ترك المشورة . لامروءة للكذوب . لاكرم أعز من التقى ، لاشفيع أنجح من التوبة . لالباس أجمل من العافية . لاداء أعيا من الجهل . المرء عدو ماجهله . رحم الله امرأ عرف قدره . ولم يتعد طوره . إعادة الاعتذار تذكر بالذنب . النصح بين الملأ تقريع . نعمة الجاهل كروضة على مزبلة . الجزع أتعب من الصبر . المسئول حر حتى يعد . أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة . الحكمة ضالة المؤمن . البخل جامع لمساوىء العيوب . إذا حلت المقادير ضلت التدابير . عبد الشهوة أذل من عبد الرق . الحاسد مغتاظ على من لاذنب له . كفى بالذنب شفيعا للمذنب . السعيد من وعظ بغيره . الإحسان يقطع اللسان . أفقر الفقر الحمق . أغنى الغنى العقل الطامع فى وثاق الذل ليس العجب ممن هلك كيف هلك

---

(١) أثر كنس المسجد أخرجه عبد الرزاق فى المصنف عن المدائنى وكذلك الحكاية التى بعده والتى بعدها .

بل العجب ممن نجا كيف نجا . احذروا نفار النعم فما شارد بمردود . أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع، إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه، ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر فى فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه، البخيل يستعجل الفقر ويعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الأغنياء ،لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه ،العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع ،العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال،العلم حاكم والمال محكوم عليه،قصم ظهرى عالم متهتك وجاهل متنسك هذا يفتى وينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه ، أقل الناس قيمة أقلهم علما إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه،وكلامه رضى الله عنه فى هذا الأسلوب البديع كثير تركته خوف الإطالة .

ومن كلامه أيضا كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما فى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها ، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فان للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب .

ومنه. كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لن يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل متقبل .

ومنه . ياحملة القرآن اعملوا به فان العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لاتصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله ومنه لايخافن أحد منكم إلا ذنبه ولا يرجو إلا ربه ولا يستحى من لايعلم أن يتعلم ولا يستحى من يعلم إذا سئل عما لايعلم أن يقول :الله أعلم .

الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

ومنه. الفقيه كل الفقيه من لايقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم فى معاصى الله ولم يؤمنهم عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره .

ومنه . لاخير فى عبادة لاعلم فيها ولا خير فى علم لافهم معه ولا قراءة لاتدبر فيها .

ومنه. ما أبردها على كبدى إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم .

ومنه .من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم مايحب لنفسه .

ومنه . سبع من الشيطان شدة الغضب وشدة العطاس وشدة التثاؤب والقىء والرعاف والنجوى والنوم عند الذكر .

ومنه . الحزم سوء الظن وهو حديث ولفظه إن من الحزم سوء الظن .

ومنه التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب .

وقال ـ لما سئل عن القدر طريق مظلم لاتسلكه ،وبحر عميق لا تلجه ، سر الله قد خفى عليك فلا تفشه أيها السائل إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت؟ قال بل كما شاء. قال فيستعملك كما شاء .

وقال إن للنكبات نهايات لابد لأحد اذا نكب أن ينتهى اليها فينبغى للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضى مدتها فان فى رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة فى مكروهها (وسئل) عن السخاء فقال : ما كان منه ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم وأثنى عليه عدو له فأطراه فقال : إنى لست كما تقول وأنا فوق ما فى نفسك ، وقال جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والنغص فى اللذة ، قيل وما النغص قال لا ينال شهوة حلال الا جاءه ما ينغصه اياها ، وقال له عدو ثبتك الله فقال على صدرك ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكيا يابنى احفظ عنى أربعا وأربعا قال وما هن يا أبت قال إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق قال فالأربع الأخر ؟ قال : إياك ومصاحبة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب واياك ومصادقة البخيل فانه يخذلك فى أحوج ما تكون اليه وإياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه ، وقال له يهودى متى كان ربنا فتغير وجهه وقال لم يكن مكان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية ، فأسلم اليهودى ، وافتقد درعا وهو بصفين فوجدها عند يهودى فحاكمه فيها الى قاضيه شريح وجلس بجنبه وقال لولا أن خصمى يهودى لاستويت معه فى المجلس ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تسووا بينهم فى المجالس وفى رواية أصغروهم من حيث أصغرهم الله ثم ادعى بها فأنكر اليهودى فطلب شريح بينة من على فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لأبيه لاتجوز فقال اليهودى أمير المؤمنين قدمنى الى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وان الدرع درعك (وأخرج) الواقدى عن ابن عباس قال: كان مع على أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فنزل فيه «الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» ، وقال معاوية لضرار بن حمزة صف لى عليا فقال اعفنى فقال أقسمت عليك بالله فقال كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته . وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن . وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد

تكلمه هيبة له . يعظم أهل الدين ويقرّب المساكين . لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ـ أى اللديغ ـ ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى ألى أو إلى تشوفت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لارجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى . معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك .

وسبب مفارقة أخيه عقيل له . أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفى عياله فاشتهى عليه أولاده مريسا فصار يوفّر كل يوم شيئا قليلا حتى اجتمع عنده ما اشترى به سمنا وتمرا وصنع لهم فدعوا عليا اليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال : أو كان يكفيكم ذاك بعد الذى عزلتم منه قالوا نعم ، فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لى أزيد من ذلك . فغضب . فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال تجزع من هذه وتعرضنى لنار جهنم ، فقال لأذهبن إلى من يعطينى تبرا ويطعمنى تمرا فلحق بمعاوية .

وقد قال يوما لولا علم بأنى خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه . فقال له عقيل أخى خير لى فى دينى وأنت خير لى فى دنياى وقد آثرت دنياى وأسأل الله خاتمة خير .

وأخرج ابن عساكر أن عقيلا سأل عليا فقال إنى محتاج وإنى فقير فأعطنى قال اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم فألح عليه فقال لرجل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقال له دق هذه الأقفال وخذ مافى هذه الحوانيت ، قال تريد أن تتخذنى سارقا قال وأنت تريد أن تتخذنى سارقا أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال لآتين معاوية قال أنت وذاك فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به على وما أوليتك ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى أخبركم أنى أردت عليا على دينه فاختار دينه وإنى أردت معاوية على دينه فاختارنى على دينه .
وقال معاوية لخالد بن مَعمَّر لم أحببت عليا علينا قال على ثلاث خصال على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكم ، ولما وصل اليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب إليه ثم أملى عليه :

محمدٌ النبى أخى وصهرى ... وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفرٌ الذى يمسى ويضحى ... يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى ... منوطٌ لحمها بدمى ولحمى

وسبطا أحمد ابناى منها فايكم له سهم كسهمى
سبقتكم إلى الإسلام طرا غلاما ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى : إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان فى علىّ حفظه ليعلم مفاخره فى الإسلام اه ومناقب على وفضائله أكثر من أن تحصى ، ومن كلام الشافعى رضى الله عنه :

إذا نحن فضلنا عليا فاننا روافض بالتفضيل عند ذوى الجهل
وفضل أبى بكر إذا ما ذكرته رميت بنصب عند ذكرى للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما بحبهما حتى أوسد فى الرمل

وقال أيضا رضى الله عنه :

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض دينى ولا اعتقادى
لكن توليت غير شك خير إمام وخير هادى
إن كان حب الولى رفضا فاننى أرفض العباد

وقال أيضا رضى الله عنه :

يا راكبا قف بالمحصب من منى واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافضى

قال البيهقى : وإنما قال الشافعى ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسدا وبغيا ، وله أيضا وقد قال المزنى إنك رجل توالى أهل البيت فلو عملت فى هذا الباب أبياتا فقال :

وما زال كتمانيك حتى كأننى برد جواب السائلين لأعجم
وأكتم ودى مع صفاء مودتى لتسلم من قول الوشاة وأسلم

﴿ الفصل الخامس ﴾
(فى وفاته رضى الله عنه)

سببها أنه لما طال النزاع بينه وبين معاوية رضى الله عنهما انتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرك وعمرو التميميين فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: عليا ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم ، فقال ابن ملجم أنا لكم بعلى وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو ، وتعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر رمضان ، ثم توجه كل منهم إلى مصر صاحبه فقدم ابن ملجم الكوفة فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ووافقه منهم شبيب بن بجرة الأشجعى وغيره ، فلما كانت

ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ عليّ سحرا وقال لابنه الحسن : رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله مالقيت من أمتك خيرا ، فقال لى ادع الله عليهم فقلت اللهم أبدلنى بهم خيرا لى منهم وأبدلهم بى شرا لهم منى ، وأقبل عليه الأوز يصحن فى وجهه فطردوهن فقال دعوهن فأنهن نوائح ، ودخل عليه المؤذن فقال الصلاة فخرج على الباب ينادى : أيها الناس الصلاة الصلاة فشد عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب ، وضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه وهرب ، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من بنى أمية فقتله . وأما ابن ملجم فشد عليه الناس من كل جانب فلحقه رجل من همذان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه ، وأخذ السيف منه وجاء به إلى على فنظر اليه وقال : النفس بالنفس إذا مامت فاقتلوه كما قتلنى وإن سلمت رأيت فيه رأيى ، وفى رواية والجروح قصاص . فأمسك وأوثق . وأقام عليّ الجمعة والسبت وتوفى ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء ، وكفّن فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلا أو بالقرى . موضع يزار الآن ، أو بين منزله والجامع الأعظم أقوال . ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل فى قوصرة وأحرقوه بالنار ، وقيل بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أمّ الهيثم بنت الأسود النخعية وكان عليّ فى شهر رمضان الذى قتل فيه يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول أحب أن ألقى الله وأنا خميص فلما كانت الليلة التى قتل فى صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التى وعدت فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها كما قدمنا فى أحاديث فضائله وعُمِّىَ قبر على لئلا ينبشه الخوارج وقال شريك : نقله ابنه الحسن إلى المدينة . وأخرج ابن عساكر أنه لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله ﷺ فبيناهم فى مسيرهم ليلا إذ ندّ الجمل الذى عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق : هو فى السحاب وقال غيره إن البعير وقع فى بلاد طيء فأخذوه ودفنوه وكان لعلى حين قتل ثلاث وستون سنة ، وقيل أربع وستون ، وقيل خمس وستون ، وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون .

وسئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » فقال : اللهم غفرا هذه الآية نزلت فىّ وفى عمى حمزة وفى ابن عمى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فأما عبيدة فقضى نحبه شهيدا يوم بدر ، وحمزة قضى نحبه شهيدا يوم أحد ، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته ورأسه ، عهد عهده إلىّ حبيبى أبو القاسم ﷺ ، ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضى الله عنهم فقال لهما : أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء

زوى منها عنكما ، وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم أنصارا ، واعملا لله ولا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال له هل حفظت ما أوصيت به أخويك ؟ قال نعم . فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ، ولا توائق أمرادونهما ، ثم قال أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله الى أن قبض كرم الله وجهه ، وروى أن عليا جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال رضى الله عنه :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال هذا والله قاتلى فقيل له ألا تقتله فقال فمن يقتلنى . وفى المستدرك عن السدى قال كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها نظام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علىّ وفى ذلك يقول الفرزدق .

فلم أرَ مهرا ساقه ذو سماحة كمهر نظامٍ بيّن غير معجم

وفى رواية من فصيح واعجم :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب على بالحسام المصمم
فلا مهر أعلى من علىّ وان علا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم (١)

الباب العاشر

(فى خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكرامته وفيه فصول)

(الفصل الأول فى خلافته)

هو آخر الخلفاء الراشدين بنص (٢) جده صلى الله عليه وسلم ، ولى الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياما ، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقا لما أخبر به جده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بقوله . الخلافة بعدى ثلاثون سنة . فان تلك

---

(١) وللنسائى كتاب خصائص على ولأبى عبد الله النزارى فى تاريخه الأنوار العلوية .

(٢) لما رواه البزار والبيهقى فى الاعتقاد كما فى حضرات التجلى لمحمد صديق خان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرفوعاً : الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك . وأخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان قال سعيد ابن جمهان قال لى سفينة أمسك بخلافة أبى بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة على فوجدناها ثلاثين سنة وذكر السيوطى أنه لم يكن فى الثلاثين إلا أيام الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد أقام فى الخلافة نحو ستة أشهر وأياماً وتنازل عنها حقناً للدماء فى سنة إحدى وأربعين .

الستة الاشهر هي المكملة لتلك الثلاثين ، فكانت خلافته منصوصا عليها وقام عليها إجماع من ذكر ، فلا مرية فى حقيتها، ولذا تاب معاوية عنه وأقر له بذلك كما ستعلمه مما يأتى قريبا فى خطبته حيث قال: إن معاوية نازعنى حقا وهو لى دونه،وفى كتاب الصلح والنزول عن الخلافة لمعاوية .وبعد تلك الأشهر الستة سار إلى معاوية فى أربعين ألفا وسار اليه معاوية فلما تراءى الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى ، فكتب إلى معاوية يخبر أنه يصير الأمر اليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضى عنه ديونه ، فأجابه معاوية إلى ما طلب إلا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق أبيض ، وقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه كذا فى كتب السير .

والذى فى صحيح البخارى عن الحسن البصرى رضى الله عنه قال استقبل الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص لمعاوية إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها ـ فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين أى عمرو ،إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بأمور المسلمين من لى بنسائهم من لى بضيعتهم؟ فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الرحمن بن عامر ، فقال إذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه ،فقال لهم الحسن بن على رضى الله عنهما إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها ، قالا له فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال: من لى بهذا قالا : نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه انتهى . ويمكن الجمع بأن معاوية أرسل اليه أولا فكتب الحسن اليه يطلب ما ذكر ولما تصالحا كتب به الحسن كتابا لمعاوية صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماصالح عليه الحسن بن على رضى الله عنهما معاوية بن أبى سفيان صالحه على أن يسلم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى فى شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا،وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وأن لا يبتغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ولا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق أشهد عليه فلان بن فلان وكفى بالله شهيدا .

ولما انبرم الصلح التمس معاوية من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه قد

بايع معاوية وسلم إليه الأمر فأجابه إلى ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال: أيها الناس إن أكيسَ الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور إلى أن قال: وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدى وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثّركم به بعد القلة، إن معاوية نازعنى حقا هولى دونه فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتمونى على أن تسالموا من من سالمنى وتحاربوا من حاربنى فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بينى وبينه وقد بايعته ورأيت أنّ حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم وبقاءكم وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ومما شرح الله به صدره فى هذا الصلح ظهور معجزة النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فى حق الحسن إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله بين فئتين عظيمتين من المسلمين رواه البخارى وأخرج الدولابى أن الحسن قال ان كانت جماجم العرب بيدى يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء لوجه الله، وحقن دماء المسلمين. وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين فى شهر ربيع الأول وقيل الآخر، وقيل فى جمادى الأولى، فكان أصحابه يقولون له ياعار المؤمنين، فيقول العار خير من النار وقال له رجل: السلام عليك يامذّل المؤمنين، فقال لست بمذّل المؤمنين ولكنى كرهت أن أقتلكم على الملك، ثم ارتحل من الكوفة إلى المدينة وأقام بها.

الفصل الثانى فى فضائله

(الحديث الأول) أخرج الشيخان عن البراء، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه، وهو يقول اللهم إنى أحبه فأحبَّه (الحديث الثانى) أخرج البخارى عن أبى بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: إن ابنى هذا سيِّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين (الحديث الثالث) أخرج البخارى عن ابن عمر، قال قال النبى صلى الله عليه وسلم: هما ريحانتاى من الدنيا يعنى الحسنَ والحسينَ (الحديث الرابع) أخرج الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة (الحديث الخامس) أخرج الترمذى عن أسامة بن زيد قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين على وركيه، فقال هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما (الحديث السادس) أخرج الترمذى عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أهل بيتك أحب اليك؟ قال الحسن والحسين (الحديث السابع) أخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: أقبل النبى صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل. فقال نعم المركب ركبتَ ياغلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب

هو . (الحديث الثامن) أخرج ابن سعد عن عبدالله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : أشبه (١) أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم اليه الحسن ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أوقال ظهره فما يُنزِله حتى يكون هو الذي ينزل ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر (الحديث التاسع) أخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع لسانه للحسن بن على فاذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش اليه (الحديث العاشر) أخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال قام الحسن بن على يخطب ، فقام رجل من أزدشنوأة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه على حبوته وهو يقول من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبي ﷺ ماحدثت به أحدا (الحديث الحادى عشر) أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبي بكر ، قال : كان النبي ﷺ يصلى بنا فيجيء الحسن وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره مرة وعلى رقبته فيرفعه النبي ﷺ رفعا رفيقا فلما فرغ من الصلاة قالوا يارسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئا لا تصنعه بأحد ، فقال النبي ﷺ إن هذا ريحانتى وان هذا ابنى سيد وحسبي أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين (الحديث الثانى عشر) أخرج الشيخان عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال اللهم أنى أحبه وأحب من يحبه يعنى الحسن وفى رواية : اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه قال أبو هريرة فما كان أحد أحب إلى من الحسن بعد أن قال رسول الله ﷺ ماقال . وفى حديث أبي هريرة أيضا عند الحافظ السلفى قال مارأيت الحسن بن على قط إلا فاضت عيناى دموعا وذلك أن رسول الله ﷺ خرج يوما وأنا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ على حتى جئنا سوق بنى قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ، ثم قال ادع ابنى قال فاتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله ﷺ يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات . وروى أحمد من أحبنى وأحب هذين يعنى حسنا وحسينا وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة ورواه الترمذى بلفظ كان معى فى الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير مافى قوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) .

---

(١) وروى البخارى عن انس فى الحسين : أشبههم برسول الله رواه عنه ابن سيرين وعنه أيضاً لم يكن أشبه برسول الله من الحسن وروى الترمذى عن على أنه لم ير قبل النبي ولا بعده مثله وجمع الحافظ بين هذه الروايات بأن قول ابن سيرين فى الحسين كان بعد موت الحسن او ان كل واحد منهما أشد شبها فى بعض اعضائه كما أخبر على ان الحسن اشبه رسول الله بما بين الراس إلى الصدر والحسين بما كان اسفل من ذلك والمراد بالمنفى فى قول على الشبه التام فى كل الأعضاء وذكروا من أشبه النبي عليه السلام فبلغوا عشرة نظمهم الحافظ فى الفتح .

الفصل الثالث

فى بعض مآثره

كان رضى الله عنه سيدا كريما حليما زاهدا ذا سكينة ووقار وحشمة ، جوادا ممدوحا وسيأتى بسط شىء من ذلك (أخرج) أبو نعيم فى الحلية أنه قال : إنى لاستحي من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين حجة (وأخرج) الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : لقد حج الحسن خمسا وعشرين حجة ماشيا وإن النجائب لتقاد بين يديه (وأخرج) أبو نعيم أنه خرج من ماله مرتين وقاسم اللهَ تعالى ماله ثلاث مرات حتى إنه كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفا ويمسك خفا ، وسمع رجلا يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه وجاء رجل يشكو عليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان مثريا . فقال ماهذا حق سؤالك يعظم لدى معرفتى بما يجب لك ويكبر على ويدى تعجز عن نيلك ما أنت أهله والكثير فى ذات الله قليل ومافى ملكى وفاء لشكرك فان قبلت الميسورَ ورفعت عنى مؤنة الاحتفال والاهتمام لمَا أتكلفه فعلت فقال : ياابن بنت رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال : هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم وقال مافعلت فى الخمسمائة دينار التى معك قال هى عندى قال أحضرها فأحضرها فدفعها والخمسين ألفا إلى الرجل واعتذر . وأضافته هو والحسينَ وعبدَ الله بنَ جعفر عجوزٌ فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسينُ مثل ذلك وأعطاها عبدُ الله بن جعفر مثلهما ألفى شاة وألفى دينار (وأخرج) البزار وغيره عنه أنه لما استُخلف . بينما هو يصلى إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد ، ثم خطب الناس . فقال ياأهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فما زال يقولها حتى مابقى أحد فى المسجد إلا وهو يبكى (وأخرج) ابن سعد عن عمير بن إسحق أنه لم يسمع منه كلمةَ فُحش إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة فى أرض فقال: ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه قال : فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه ، وأرسل إليه مروان يسبه وكان عاملا على المدينة ويسب عليا كل جمعة على المنبر فقال الحسن لرسوله : ارجع إليه فقل له إنى والله لا أمحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك ولكن موعدى وموعدك الله فان كنت صادقا فجزاك الله خيرا بصدقك وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمة . وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت ثم امتخط بيمينه . فقال له الحسن ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أفٍّ لك فسكت مروان . وكان رضى الله عنه مطلاقا للنساء وكان لا يفارق امرأة إلا وهى تحبه وأحصن تسعين امرأة (وأخرج) ابن سعد عن على أنه قال ياأهل الكوفة لا تزوّجوا الحسن فانه رجل مطلاق فقال رجل من همَدان :

لنزوّجنه فما رضى أمسك وما كرهطلق ، ولما مات بكى مروان فى جنازته : فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعهما تجرعه فقال: إنى كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ، وأشار بيده إلى الجبل (وأخرج) ابن عساكر أنه قيل له إن أبا ذر يقول : الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحبّ من الصحة إلىّ فقال : رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول من اتكل إلى حسن اختيار الله لم يتمنّ أنه فى غير الحالة التى اختار الله له .

وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية فى بعض السنين فحصل له إضاقة شديدة قال . فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى ثم امسكت فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال : كيف أنت ياحسن فقلت بخير ياأبت وشكوت إليه تأخر المال عنى فقال : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ، قلت نعم يارسول الله فكيف أصنع ؟ فقال قل (اللهم اقذف فى قلبي رجاءك واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدا غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى وقصر عنه عملى ولم تنته إليه رغبتى ولم تبلغه مسألتى ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدا من الأوّلين والآخرين من اليقين فخصنى به يا أرحم الراحمين) قال : فوالله ماألححت فيه أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت . الحمد لله الذى لاينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال : ياحسن كيف أنت فقلت بخير يارسول الله وحدثته بحديثى فقال يابنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق . ولما احتضر قال لأخيه ياأخى إن أباك قد استشوف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشوف لها وصُرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى إنها لاتعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له وإنى والله ماأرى أن يجمع الله فينا النبوّة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة رضى الله عنها أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فاذا مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم ، فلما مات أتى الحسين عائشة رضى الله عنها فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى رده أبو هريرة ، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضى الله عنهما

وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى دس إليها يزيد أن تسمه ويتزوّجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت ، فمرض أربعين يوما ، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بماوعدها فقال لها: إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا. وبموته مسموما شهيدا جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبى بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقى فى مقدمة شرح التقريب . وكانت وفاته سنة تسع وأربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال ، والأكثرون على الثانى كما قاله جماعة وغلطّ الواقدي ماعدا الأوّل سيما من قال سنة

ست وخمسين ومن قال سنة تسع وخمسين. وجهد به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال. الله أشد نقمة ان كان الذى أظن وإلا فلا يقتل بى والله برىء ، وفى رواية يا أخى قد حضرت وفاتى ودنا فراقى لك وانى لاحق بربى وأجد كبدي تتقطع وانى لعارف من أين دهيت فانا أخاصمه الى الله تعالى فبحقى عليك لا تكلمت فى ذلك بشىء فاذا أنا قضيت نحبي فقمصنى وغسلنى وكفنى واحملنى على سريرى الى قبر جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أجدد به عهدا ثم ردنى الى قبر جدتى فاطمة بنت أسد فادفنى هناك وأقسم عليك بالله أن لا تريق فى أمرى محجمة دم وفى رواية انى يا أخى سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة فقال : من سقاك قال : ما سؤالك عن هذا تريد أن تقاتلهم أكل أمرهم الى الله ؟ أخرجه ابن عبد البر وفى أخرى لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدى فرأيتنى أقلبها بعود فقال له الحسين : أى أخى من سقاك قال وما تريد إليه أتريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذى أظن فالله أشد نقمة وان كان غيره فلا يقتل بى برىء. ورأى كأن مكتوبا بين عينيه قل هو الله أحد فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال ان صدقت رؤياه فقل ما بقى من أجله فما بقى الا أياما حتى مات. وصلى عليه سعيد بن العاصى لانه كان واليا على المدينة من قبل معاوية ودفن عند جدته بنت أسد بقبته المشهورة وعمره سبع وأربعون سنة كان منها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع سنين ثم مع أبيه ثلاثون سنة ثم خليفة ستة أشهر ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة .

الباب الحادى عشر

فى فضائل أهل البيت النبوى وفيه فصول

ولنقدم على ذلك أصلته . وهو تزويج النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة من على كرم الله وجههما وذاك أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكان سنها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة . وسنه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأراده فمنعه صلى الله عليه وسلم خوفا عليها لشدة غيرتها ، عن أنس كما عند ابن أبى حاتم ولأحمد نحوه قال : جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيئا فانطلقا الى على كرم الله وجهه يأمرانه بطلب ذلك قال على فنبهانى لأمر فقمت أجر ردائى حتى أتيت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال : وعندك شىء قلت فرسى وبدنى ، فقال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها ، فبعتها بأربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال ، أى بلال ابتع لنا بها طيبا ، وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف . وقال لعلى اذا أتتك فلا تحدث شيئا

حتى آتيك ، لجاءت مع أم أيمن فقعدت من جانب البيت وأنا فى جانب وجاء رسول الله ﷺ فقال ههنا أخى فقالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال نعم ودخل ﷺ فقال لفاطمة ائتيني بماء فقامت الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثديها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال لها أدبرى فادبرت فصبه بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك لعلى ثم قال : ادخل بأهلك بسم الله والبركة وفى رواية أخرى عن أنس أيضا عند أبى الخير القزوينى الحاكمى . خطبها بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهم فقال قد أمرنى ربى بذلك ، قال أنس ثم دعانى النبى صلى الله عليه وسلم بعد أيام فقال ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الأنصار ، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان على غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشجَ به الأرحام - أى ألف بينها - وجعلها مختلطة مشتبكة وألزم الأنام فقال عز من قائل « وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » فأمر الله تعالى يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على . ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على فتبسم النبى ﷺ فى وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟ قال قد رضيت بذلك يارسول الله فقال ﷺ جمع الله شملكما وأعز جدّكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب .

(تنبيه) ظاهر هذه القصة لايوافق مذهبنا من اشتراط الإيجاب والقبول فورا بلفظ التزويج أو النكاح دون نحو رضيت ، واشتراط عدم التعليق لكنها واقعة حال محتملة أن عليا قبل فورا لما بلغه الخبر وعندنا أن من زوج غائبا بايجاب صحيح كما هنا فبلغه الخبر فقال فورا قبلت تزويجها أو قبلت نكاحها صح . وقوله ان رضى بذلك ليس تعليقا حقيقيا لأن الأمر منوط برضا الزوج وان لم يذكر فذكره تصريح بالواقع ، ووقع لبعض الشافعية ممن لم يتقن الفقه هنا كلام غير ملائم فليجتنب (تنبيه آخر) أشار الذهبى فى الميزان الى أن هذه الرواية كذب فقال فى ترجمة محمد بن دينار أتى بحديث كذب ولا يدرى من هو انتهى قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان والخبر المذكور أسنده عن أنس قال : بينما أنا عند

النبي صلى الله عليه وسلم إذ غشيه الوحي فلما سرّي عنه قال إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع أبا بكر وعمرو سمّى جماعة من المهاجرين وبعددهم من الأنصار فلما أخذوا مجالسهم خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله المحمود بنعمته فذكر الخطبة والعقد وقدر الصداق وذكر البشر والدعاء . أخرجه ابن عساكر في ترجمته عن أبي القاسم النسيب بسند له إلى محمد بن شهاب بن أبي الحياء عن عبد الملك بن عمر عن يحيي بن معين عن محمد هذا عن هشيم عن يونس بن عبد عن الحسين عن أنس قال : ابن عساكر غريب ثم نقل عن محمد بن طاهر أنه ذكره في تكملة الكامل والراوي فيه جهالة انتهى وبه يعلم أن إطلاق الذهبي كونه كذبا فيه نظر وإنما هو غريب في سنده مجهول وسيأتي في الآية الثانية عشرة بسط يتعلق بذلك وفيه عن النسائي بسند صحيح مايرد على الذهبي ويبين أن للقصة أصلا أصيلا فليكن منك على ذُكر(١) .

الفصل الأول

﴿في الآيات الواردة فيهم﴾

الآية الأولى قال الله تعالى « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير ضمير عنكم وما بعده ، وقيل نزلت في نسائه لقوله واذكرن مايتلى في بيوتكن، ونسب لابن عباس ومن ثم كان مولاه عكرمة ينادي به في السوق وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم وحده وقال آخرون نزلت في نسائه لأنهن في بيت سكناه ولقوله تعالى واذكرن مايتلى في بيوتكن وأهل بيته نسبه وهم من تحرم الصدقة عليهم ، واعتمده جمع ورجحوه وأيده ابن كثير بأنهن سبب النزول وهو داخل قطعا إما وحده على قول أو مع غيره على الأصح وورد في ذلك أحاديث منها مايصلح متمسكا للأول ومنها مايصلح متمسكا للآخر وهو أكثرها فلذا كان هو المعتمد كما تقرر .

ولنذكر من تلك الأحاديث جملة فنقول (أخرج) أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأخرجه ابن جرير مرفوعا بلفظ أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ، وأخرجه الطبراني أيضا ولمسلم أنه صلى الله عليه وسلم أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم جعل على هؤلاء كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي - أي خاصتي - أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت أم سلمة وأنا معهم قال إنك على خير ، وفي رواية

---

(١) هذه الرواية أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه وحكم ابن الجوزي بوضعها قال السيوطي وأخرجها ابن عساكر وذكر أن هذا الخبر من وضع محمد بن دينار العرقي في رواية أنس ووضعه أيضا على جابر وقال ابن عراق قال الذهبي في تلخيصه : فيه من الركة أشياء والله أعلم وذكره في القسم الذي لم يخالف فيه ابن الجوزي من تنزيه الشريعة .

أنهُ قال بعد تطهيرا . أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدوٌ لمن عاداهم وفى أخرى ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد مجيد ، وفى أخرى أن الآية نزلت ببيت أم سلمة فأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو مامر وفى أخرى أنهم جاؤا واجتمعوا فنزلت فان صحتا حمل على نزولها مرتين ، وفى أخرى أنه قال اللهم أهلى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وأن أم سلمة قالت له ألست من أهلك قال بلى وأنه أدخلها الكساء بعد ماقضى دعاءه لهم وفى أخرى أنه لما جمعهم ودعالهم بأطول مما مرقال واثلة وعلى يارسول الله فقال اللهم وعلى واثلة ، وفى رواية صحيحة قال واثلة وأنا من أهلك قال وأنت من أهلى قال واثلة أنها لمن أرجى ماأرجو ، قال البيهقى وكأنه جعله فى حكم الأهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لاتحقيقا وأشار المحب الطبرى إلى أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف الروايات فى هيئة اجتماعهم ، وماجللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة وأزواجه ، ويؤيد ذلك رواية أنه قال نحو ذلك لهؤلاء وهم فى بيت فاطمة ، وفى رواية أنه ضم إلى هؤلاء بقيــة بناته وأقاربه وأزواجه ، وصح عن أم سلمة فقلت يارسول الله أنا من أهل البيت فقال بلى إن شاء الله .

وذهب الثعلبى إلى أن المراد من أهل البيت فى الآية جميع بنى هاشم . ويؤيده الحديث الحسن أنه ﷺ اشتمل على العباس وبنيه بمُلاءة ثم قال يارب هذا عمى وصنو أبى وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائطُ البيت فقال آمين وهى ثلاثا ، وفى رواية فيها من وثقه ابن معين وضعفه غيره . ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتا وذلك قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا والحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون فى الآية لأنهم المخاطبون بها ولما كان أهل بيت النسب تخفى ارادتهم منها بين صلى الله عليه وسلم بما فعله مع من مرّ أن المراد من أهل البيت هنا مايعم أهل بيت سكناه كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بنى هاشم والمطلب وقد ورد عن الحسن من طرق بعضها سنده حسن وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فبيت النسب مراد فى الآية كبيت السكنى ومن ثم أخرج مسلم عن زيد بن أرقم أنه لما سئل أنساؤه من أهل بيته ؟ فقال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم فأشار الى أن نساءه من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات وخصوصيات أيضا لامن أهل بيت نسبه وانما أولئك من حرمت عليهم الصدقة .

ثم هذه الاية منبع فضائل أهل البيت النبوى لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدئت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى فى أمرهم على اذهاب الرجس الذي

هو الاثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة وسيأتى فى بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه الهام الإنابة الى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكا ولذا لم تتم للحسن عُـوضوا عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم الى أن قطب الأولياء فى كل زمن لايكون الامنهم وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسى كما نقله عنه تلميذه التاج بن عطاء الله ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض ـ بل والنفل على قول لمالك ـ عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبىء عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه وعوضوا عنها خمس خمس الفىء والغنيمة المنبىء عن عز الآخذ وذل المأخوذ منه ومن ثم كان المعتمد دخول أهل بيت النسب فى الآية ولذا اختصوا بمشاركته ﷺ فى تحريم صدقة الفرض الزكاة والنذر والكفارة وغيرها وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال، وأشار ﷺ بحرمة النفل أيضا وإن كان على جهة عامة أو غير متقوم على الأصح واختار الماوردى حل صلاته فى المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة ، واستدل الشافعى رضى الله عنه لحل النفل لهم بقول الباقر لما عوتب فى شربه من سقايات بين مكة والمدينة إنما حرم علينا الصدقة المفروضة، ووجهه أن مثله لايقال من قبل الرأى لتعلقه بالخصائص فيكون مرسلا لأن الباقر تابعى جليل وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم ، وتحريم ذلك يعم بنى هاشم والمطلب ومواليهم قيل وأزواجه ، وهو ضعيف ، وإن حكى ابن عبد البر الإجماع عليه ، ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم الأخذ الا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرى كدين أو سفر كما هو مقرر فى الفقه ، وفى خبر أنها تحل لبعض بنى هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه ، وشربه ﷺ من سقاية زمزم واقعة حال تحتمل أن الماء الذى فيها من نزعه ﷺ أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس، وحكمة ختم الآية بتطهيرا المبالغة فى وصولهم لأعلاه وفى رفع التجوز عنه ، ثم تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد الى أنه ليس من جنس مايتعارف ويؤلف ، ثم أكد ﷺ ذلك كله بتكرير طلب مافى الآية لهم بقوله اللهم هؤلاء أهل بيتى الى آخر مامر وبادخاله نفسه معهم فى العدّ لتعود عليهم بركة اندراجهم فى سلكه، بل فى رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة الى علِى قدرهم ، وأكده أيضا بطلب الصلاة عليهم بقوله فاجعل صلاتك إلى آخر مامر ، وأكده أيضا بقوله أنا حرب لمن حاربهم الى آخر مامر أيضا ، وفى رواية أنه قال بعد ذلك ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى ، وفى أخرى والذى نفسى بيده لايؤمن عبد بى حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوىّ فأقامهم مُـقام نفسه ومن ثم صح أنه ﷺ قال إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى، وألحقوا به أيضا فى قصة المباهلة فى آية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » الآية فغدا ﷺ محتضنا الحسن آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد فى آية المباهلة كما أنهم من

جملة المراد بآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » فالمراد بأهل البيت فيها وفى كل ما جاء فى فضلهم أو فضل الآل أو ذوى القربى جميع آله ﷺ وهم مؤمنو بنى هاشم(١) والمطلب وخبر آلى كل مؤمن تقى ضعيف بالمرة ولو صح لتأيدبه. جمع بعضهم بين الأحاديث بأن الآل فى الدعاء لهم فى نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقى وفى حرمة الصدقة عليهم مختص بمؤمن بنى هاشم والمطلب وأيد ذلك الشمول بخبر البخارى ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثا اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ، وفى قول ان الآل هم الأزواج والذرية فقط .

(الآية الثانية) قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما . صح عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال . قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره فسؤالهم بعد نزول الآية واجابتهم باللهم صلى على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية والا لم يسالوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يجابوا بما ذكر ، فلما أجيبوا به دل على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به وأنه صلى الله عليه وسلم أقامهم فى ذلك مقام نفسه لأن القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مر فى الكساء قال اللهم إنهم منى وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه ويروى : لاتصلوا على الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء قال تقولون : اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا ينافى ماتقرر حذف الآل فى الصحيحين قالوا يا رسول الله : كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على إبراهيم إلى آخره لأن ذكر الآل ثبت فى روايات أخر وبه يعلم أنه ﷺ قال ذلك كله لحفظ بعض الرواة مالم يحفظه الآخر ثم عطف الأزواج والذرية على الآل فى كثير من الروايات يقتضى أنهما ليسا من الآل وهو واضح فى الأزواج بناء على الأصح فى الآل أنهم مؤمنو بنى هاشم والمطلب ، وأما الذرية فمن الآل على سائر الأقوال فذكرهم بعد الآل للإشارة إلى عظيم شرفهم(١) روى أبو داود : من سره أن يكتال بالمكيال

---

(١) ذكر السخاوى فى القول البديع اختلاف العلماء فى المراد بالآل فى صيغة الصلاة على النبى عليه السلام فى التشهد قال فالمرجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة وذكر إنه اختيار الجمهور ونص الشافعى وأن مذهب أحمد أنهم أهل بيته وقيل المراد أزواجه وذريته قال : وتعقب بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة فيحمل على أن بعض الرواة حفظ مالم يحفظه غيره والمراد بالآل فى التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية فبذلك يجمع بين الأحاديث .

الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على النبي محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ،وقولهم علمنا كيف نسلم عليك أشاروا به إلى السلام عليه فى التشهد كما قاله البيهقى وغيره ويدل له خبر مسلم أمرنا الله أن نصلى عليك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أننا لم نسأله ثم قال ﷺ قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ،وزاد آخره والسلام كما قد علمتم أى من العلم ، ويروى من التعليم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة وصح أن رجلا قال: يارسول الله أما السلام عيك فقد عرفناه فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا صلى الله عليك فصمت صلى الله عليه وسلم حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله فقال : إذا أنتم صليتم علىّ فقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمى وعلى آل محمد الحديث . لا يقال تفرد به ابن اسحق ومسلم لم يخرج له إلا فى المتابعات. لأنا نقول الائمة وثقوه وإنما هو مدلس فقط وقد زالت علة التدليس بتصريحه فيه بالتحديث فاتضح أن ذلك خرج مخرج البيان للأمر الوارد فى الآية ويوافقه قوله : قولوا فانها صيغة أمر وهو للوجوب وما صح عن ابن مسعود يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه فهذا الترتيب منه لا يكون من قبل الرأى فيكون فى حكم المرفوع وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء ومحل البداءة بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد . وبهذا كله اتضح قول الشافعى رضى الله عنه بوجوب الصلاة على النبي ﷺ فى التشهد لما علمت منه أنه صح عنه ﷺ الأمر بوجوبها فيه ومن أنه صح عن ابن مسعود تعيين محلها وهو بين التشهد والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذى ذهب اليه الشافعى هو الحق الموافق لصريح السنة ولقواعد الأصوليين ويدل له أيضا أحاديث صحيحة كثيرة استوعبتها فى شرحى الرشاد والعباب مع بيان الرد الواضح على من شنع على الشافعى وبيان أن الشافعى لم يشذّ بل قال به قبله جماعة من الصحابة كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبى مسعود البدرى وغيرهم. والتابعين كالشعبى والباقر وغيرهم كاسحاق بن راهُوَيه وأحمد بل لمالك قول موافق للشافعى رجحه جماعة من أصحابه ، قال شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلا ما نقل عن إبراهيم النخعى مع إشعاره بأن غيره كان قائلا بالوجوب انتهى . فزعم أن الشافعى شذ وأنه خالف ذلك فقهاء الأمصار مجرد دعوى باطلة لا يلتفت اليها ولا يعول عليها .ومن ثم قال ابن القيم أجمعوا على مشروعية الصلاة عليه ﷺ فى التشهد وإنما اختلفوا فى الوجوب والاستحباب ففى تمسك من لم يوجبها بعمل السلف نظر لأنهم كانوا يأتون بها فى صلاتهم فان أريد بعملهم

اعتقادهم احتاج إلى نقل صريح عنهم بعدم الوجوب وأنى يوجدذلك قال وأما قول عياض إن الناس شنعوا على الشافعي فلا معنى له فأى شناعة فى ذاك لأنه لم يخالف فى ذلك نصا ولا إجماعا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولله در القائل حيث قال :

وإذا محاسنى اللاتى أدلّ بها صارت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر

واعلم أن النووى نقل عن العلماء كراهة إفراد الصلاة والسلام عليه ومن ثم قال بعض الحفاظ : كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم . فقال : أما تتم الصلاة فى كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت عليه وسلمت ، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لأن السلام سبقها فى التشهد فلا إفراد فيه ، وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام فى مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبرانى فى الدعاء مرفوعا وكذا فى غيره وإنما حذف فى بعض المواطن اختصارا وكذا حذف الآل (١) (وقد أخرج) الديلمى أنه صلى الله عليه وسلم : قال الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته اللهم صل على محمد وآله، وكأن قضية الأحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل فى التشهد الأخير كما هو قول الشافعى خلافا لما يوهمه كلام الروضة وأصلها ورجحه بعض أصحابه ومال إليه البيهقى . ومن ادعى الاجماع على عدم الوجوب فقدسها لكن بقية الأصحاب قد ذهبوا إلى أن اختلاف تلك الروايات من أجل أنها وقائع متعددة فلم يوجبوا إلا مااتفقت الطرق عليه وهو أصل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ومازاد فهو من قبيل الأكمل ، ولذا استدلوا على عدم وجوب قوله كما صليت على إبراهيم بسقوطه فى بعض الطرق وللشافعى رضى الله عنه .

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لاصلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه (٢) (الآية الثالثة) قوله تعالى :سلام على آل ياسين . فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بذلك سلام على آل محمد وكذا قاله الكلبى ، وعليه فهو صلى الله عليه وسلم داخل بالطريق الأولى أو النص كما فى اللهم صل على

---

(١) قال السخاوى : قال شيخنا وفيه أى فى قول النووى ـ نظر : نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى فى وقت وسلم فى وقت آخر فانه يكون ممتثلا

(٢) ذكر السخاوى مذاهب العلماء فى حكم الصلاة على النبى عليه السلام وأنها عشرة وذكر إختلافهم فى الوجوب العينى أو الكفائى وفى المجلس مرة أو كلما ذكر اسمه الشريف وذكر أدلتهم مع البسط والتحقيق فى القول البديع وابن القيم فى جلاء الأفهام .

آل أبي أوفى لكن أكثر المفسرين على أن المراد الياس عليه السلام وهو قضية السياق.

(تنبيه) لفظ السلام في نحو هذه الجملة خبر مراد به الإنشاء والطلب على الأصح، والطلب يستدعي مطلوبا منه فطلبه تعالى من غيره محال، فالمراد بسلامه تعالى على عباده إما بشارتهم بالسلامة وإما حقيقة الطلب فكأنه طلب من نفسه، إذ سلامه تعالى يرجع لكلامه النفسي الأزلي وتضمنه الطلب منه لإنالة السلامة الكاملة للمسلم عليه غير محال إذ هي طلب نفسي مقتض لتعلق الإرادة به والطلبُ من النفس معقول يعلمه كل أحد من نفسه، فالحاصل أنه تعالى طلب لهم منه إنالتهم السلامة الكاملة فيتعلق ذلك بهم في الوقت الذي أراد الله تعالى تخصيصهم به كما في أمره ونهيه المتعلقين بنا مع قدمهما. وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم يساوونه في خمسة أشياء، في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال سلام على آل ياسين وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة. قال تعالى طه أي يا طاهر وقال ويطهركم تطهيرا وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى (الآية الرابعة) قوله تعالى وقفوهم إنهم مسؤولون أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وقفوهم انهم مسؤلون عن ولاية علي، وكأن هذا هو مراد الواحدي بقوله روي في قوله تعالى وقفوهم إنهم مسؤلون أي عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأن الله أمر نبيه ﷺ أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرا إلا المودة في القربى، والمعنى أنهم يسئلون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة انتهى وأشار بقوله: كما أوصاهم النبي ﷺ إلى الأحاديث الواردة في ذلك وهي كثيرة وسيأتي منها جملة في الفصل الثاني.

ومن ذلك حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه وإني تارك فيكم الثَّقَلين، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات. فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم (وأخرج) الترمذي وقال حسن غريب أنه ﷺ قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما (وأخرجه)

أحمد فى مسنده بمعناه ، ولفظه إنى أوشك أن أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثَّقَلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بم تخلفونى فيهما . وسنده لا بأس به وفى رواية أن ذلك كان فى حَجَّة الوداع وفى أخرى مثله يعنى كتاب الله كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم ـ أى أهل بيته ـ كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب . وذكر ابن الجوزى لذلك فى العلل المتناهية وهم أو غفلة عن استحضار بقية طرقه بل فى مسلم عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم غدير خُم ـ وهو ماء بالجحفة ـ كما مر وزاد أذكركم الله فى أهل بيتى قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه؟ قال لا أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده وفى رواية صحيحة انى تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتى عترتى زاد الطبرانى انى سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم وفى رواية كتاب الله وسنتى وهى المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة له فاغنى ذكره عن ذكرها والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة ثم اعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا ومر له طرق مبسوطة فى حادى عشر الشبه وفى بعض تلك الطرق انه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة وفى أخرى أنه قاله بالمدينة فى مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه وفى أخرى أنه قال ذلك بغدير خم وفى أخرى أنه قال لما قام خطيبا بعد انصرافه من الطائف كما مر ولا تنافى إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك فى تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة وفى رواية عند الطبرانى عن ابن عمر آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم اخلفونى فى أهل بيتى وفى أخرى عند الطبرانى وأبى الشيخ إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته قلت ماهن قال حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى وفى رواية للبخارى عن الصديق من قوله ياأيها الناس ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته أى احفظوه فيهم فلا تؤذوهم (وأخرج) ابن سعد والملافى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم قال استوصوا باهل بيتى خيرا فانى أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار وأنه قال من حفظنى فى أهل بيتى فقد اتخذ عند الله عهدا (وأخرج) الأول أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا والثانى حديث فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون

(وأخرج) أحمد خبر : الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت ، وفى خبر حسن ألا إن عيبتى وكرشى أهل بيتى والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم .

(تنبيه) سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته ، وهى بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الادنون ثقلين لأن الثقل كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والاسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية ، ولذا حث صلى الله عليه وسلم على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت وقيل : سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما ، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم انما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها وسيأتى الخبر الذى فى قريش وتعلموا منهم فانهم أعلم منكم فاذا ثبت هذا العموم لقريش فاهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش (١) وفى أحاديث الحث على التمسك باهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أمانا لأهل الأرض كما يأتى ويشهد لذلك الخبر السابق: فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى الى آخره . ثم أحق من يتمسك به منهم أمامهم وعالمهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر على عترة رسول الله ﷺ أى الذين حث على التمسك بهم فخصه لما قلنا وكذلك خصه صلى ﷺ بما مر يوم غدير خم . والمراد بالعيبة والكرش فى الخبر السابق آنفا انهم موضع سره وأمانته ومعادن نفائس معارفه وحضرته إذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى فيه مما به القوام والصلاح لأن الأول لما يحرز فيه نفائس الأمتعة ، والثانى مستقر الغذاء الذى به النمو وقوام البنية وقيل هما مثلان لاختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة ، إذ مظروف الكرش باطن والعيبة ظاهر وعلى كل فهذا غاية فى التعطف عليهم والوصية بهم . ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم أى فى غير الحدود وحقوق الآدميين ، وهذا أيضا محمل لخبر الصحيحين أقيلوا ذوى الهيآت عثراتهم ، ومن ثم ورد فى رواية إلا الحدود ، وفسرهم الشافعى بأنهم الذين لا يعرفون الشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر ، وقيل من إذا أذنب تاب (الآية الخامسة) قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . أخرج الثعلبى فى تفسيرها عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه قال : نحن حبل الله الذى قال الله فيه « واعتصموا بحبل الله جميعا

---

(١) يوصف أهل البيت بأربعة ألفاظ الآل وأهل البيت وذو القربى والعترة وقيل فى العترة إنهم العشيرة وقيل الذرية كما فى الزرقانى على المواهب .

ولا تفرقوا » ، وكان جده زين العابدين إذا تلا قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » يقول دعاء طويلا يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير فى أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى أن قال: فالى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة ، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة ، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم فى الكتاب

(الآية السادسة) قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » . أخرج أبو الحسن المغازلى عن الباقر رضى الله عنه أنه قال فى هـــذه الآية نحن الناس والله .

(الآية السابعة) قوله تعالى « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » أشار صلى الله عليه وسلم إلى وجود ذلك المعنى فى أهل بيته وانهم أمان لأهل الأرض كما كان هو صلى الله عليه وسلم أمانا لهم ، وفى ذلك أحاديث كثيرة يأتى بعضها ، ومنها النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف . وفى رواية ضعيفة أيضا أهل بيتى أمان لأهل الأرض فاذا هلك أهل بيتى جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون ، وفى أخرى لأحمد فاذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض . وفى رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين : النجوم أمان لأهل الارض من الغرق وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس ، وجاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضا : إنما مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا . وفى رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق . وفى رواية هلك وإنما مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له ، وفى رواية غفر له الذنوب . وقال بعضهم يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان علماؤهم لانهم الذين يهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من الآيات ما يوعدون ، وذلك عند نزول المهدى لما يأتى فى أحاديثه أن عيسى يصلى خلفه ويقتل الدجال فى زمنه وبعد ذلك تتابع الآيات ، بل فى مسلم أن الناس بعد قتل عيسى الدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضه فيبقى شرار فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا الحديث . قال ويحتمل وهو الاظهر عندى أن المراد بهم سائر أهل البيت فان الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبى صلى الله عليه وسلم جعل

دوامها بدوامه ودوام أهل بيته ، لانهم يساوونه فى أشياء مر عن الرازى بعضها ولانه قال فى حقهم : اللهم إنهم منى وأنا منهم ولانهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم بضعته فأقيموا مقامه فى الامان انتهى ملخصا ، ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر أن من أحبهم وعظمهم شكرا لنعمة مشرفهم صلى الله عليه وسلم وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم وهلك فى مفاوز الطغيان ، ومر فى خبر : إن من حفظ حرمة الإسلام وحرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة رحمه . حفظ الله تعالى دينه ودنياه ، ومن لا لم يحفظ دنياه ولا آخرته . وورد يرد الحوض أهل بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين السبابتين ويشهد له خبر : المرء مع من أحب . وبباب حطة أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذى هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سببا للمغفرة وجعل لهذه الامة مودة أهل البيت سببا لها كما سيأتى قريبا (الآية الثامنة) قوله تعالى « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » قال ثابت البنانى اهتدى الى ولاية أهل بيته صلى الله عليه وسلم ، وجاء ذلك عن أبى جعفر الباقر أيضا . وأخرج الديلمى مرفوعا إنما سميت ابنتى فاطمة لان الله فطمها ومحبيها عن النار(١) . وأخرج أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسنين وقال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة ولفظ الترمذى وقال حسن غريب ، وكان معى فى الجنة . ومعنى المعية هنا معيّة القرب والشهود لا معية المكان والمنزل . وأخرج ابن سعد عن على أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوّل من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين . قلت يارسول الله : فمحبونا ؟ قال من ورائكم . ومر فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه أنه أول من يدخل الجنة . وفى فضائل عمر رضى الله عنه ذلك أيضا ، ومر الجمع بينهما بما يعلم به محمل هذا الحديث .

ولا تتوهم الرافضة والشيعة قبحهم الله من هذه الاحاديث انهم يحبون أهل البيت لانهم أفرطوا فى محبتهم حتى جرهم ذلك الى تكفير الصحابة وتضليل الامة ، وقد قال على : يهلك فىّ محب مفرط يقرظنى بما ليس فىّ ، ومر خبر لا يجتمع حب على وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن وهؤلاء الضالون الحمقى أفرطوا فيه وفى أهل بيته فكانت محبتهم عارا عليهم وبوارا قاتلهم الله أنى يؤفكون . وأخرج الطبرانى بسند ضعيف أن عليا أتى يوما البصرة بذهب وفضة فقال أبيضا وأصفرا غرّى غيرى غرى أهل الشام غدا اذا ظهروا عليك فشق قوله ذلك على الناس

---

(١) الحديث من رواية أبى هريرة قال ابن الجوزى : فيه محمد بن زكريا الغلابى وهو من عمله وقال ابن عراق وفيه أيضا بشر بن ابراهيم الأنصارى وجاء من حديث على قلت يا رسول الله لم سميت فاطمة قال إن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة أخرجه ابن عساكر وفى سنده من ينظر فيه كما فى تنزيه الشريعة .

فذكر ذلك له فأذن فى الناس فدخلوا عليه فقال ان خليلى صلى الله عليه وسلم قال يا على انك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين ثم جمع على يده الى عنقه يريهم الاقماح وشيعته هم أهل السنة لانهم الذين أحبوهم كما أمر الله ورسوله وأما غيرهم فاعداؤه فى الحقيقة لان المحبة الخارجة عن الشرع الحائدة عن سنن الهدى هى العداوة الكبرى فلذا كانت سببا لهلاكهم كما مر آنفا عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وأعداؤهم الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة لانهم متأولون فلهم أجر وله هو وشيعته أجران رضى الله تعالى عنهم . ويؤيد ما قلناه من أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة ونحوهما ليسوا من شيعة على وذريته بل من أعدائهم كما أخرجه صاحب المطالب العالية عن على ومن جملته : أنه مر على جمع فأسرعوا اليه قياما فقال من القوم ؟ فقالوا من شيعتك يا أمير المؤمنين . فقال لهم خيرا ثم قال يا هؤلاء مالى لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فامسكوا حياء فقال له من معه نسألك بالذى أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم فقال شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع نجعوا لله بطاعته وخضعوا اليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم رامقين أسماعهم على العلم بربهم نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالتى نزلت منهم فى الرخاء رضوا عن الله تعالى بالقضاء فلولا الاجال التى كتب الله تعالى لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا إلى لقاء الله والثواب وخوفا من أليم العقاب عظم الخالق فى أنفسهم وصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون ، صبروا أياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فاعجزوها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا يعظون أنفسهم بامثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يمجدون جبارا عظيما ويجأرون اليه فى فكاك رقابهم هذا ليلهم فأما نهارهم فحكماء بررة علماء أتقياء براهم خوف باريهم فهم كالقداح تحسبهم مرضى أو قد خولطوا وما هم بذلك بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فاذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون له بالقليل ، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة فى دين ، وحزما فى لين وإيمانا فى يقين . وحرصا على علم وفهما فى فقه . وعلما فى حلم وكيسا فى قصد ، وقصدا فى غنى وتجملا فى فاقة وصبرا فى شفقة وخشوعا فى عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء فى حق ورفقا فى كسب . وطلبا فى حلال ونشاطا فى هدى واعتصاما فى شهوة لا يغره ماجهله ولا يدع احصاء ماعمله يستبطىء نفسه فى العمل وهو من صالح عمله على وجل

يصبح وشغله الذكر ويمسى وهمه الشكر يبيت حذرا من سنة الغفلة ويصبح فرحا بما أصاب من الفضل والرحمة ورغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والعلم بالحلم دائما نشاطه بعيدا كسله قريبا أمله قليلا زلله متوقعا أجله عاشقا قلبه شاكرا ربه قانعا نفسه محرزا دينه كاظما غيظه آمنا منه جاره سهلا أمره معدوما كبره بيناصبره كثيرا ذكره لا يعمل شيئا من الخير رياء ولا يتركه حياء . أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا ، الا هؤلاء شوقا اليهم فصاح بعض من معه ـ وهو همام بن عباد بن خيثم وكان من المتعبدين ـ صيحة فوقع مغشيا عليه فحركوه فاذا هو فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه . فتأمل وفقك الله لطاعته وأدام عليك من سوابغ نعمه وحمايته هذه الأوصاف الجلياة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة تعلم أنها لا توجد إلا فى أكابر العارفين لأئمة الوارثين فهؤلاء هم شيعة على رضى الله تعالى عنه وأهل بيته . وأما الرافضة والشيعة ونحوهما أخوان الشياطين وأعداء الدين وسفهاء العقول ومخالفو الفروع والأصول ومنتحلوا الضلال ومستحقو عظيم العقاب والنكال فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس المطهرين من شوائب النقص والدنس لانهم أفرطوا وفرطوا فى جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين فى مهالك الضلال والاشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللعين وخلفاء أبنائه المتمردين فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين وكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط بخلق من أخلاقهم ولا عمل فى عمره بقول من أقوالهم ولا تأسى فى دهره بفعل من أفعالهم ولا تأهل لفهم شىء من أحوالهم ليست هـذه محبة فى الحقيقة بل بغضة عند أئمة الشريعة والطريقة إذ حقيقه المحبة طاعة المحبوب وإيثار محابّـه ومرضاته على محاب النفس ومرضـاتها والتأدب بآدابه وأخلاقه ومن ثم قال علىّ كرم الله وجهه لا يجتمع حب وبغض أبى بكر وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان (الآية التاسعة) قوله تعالى : فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العـلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . قال فى الكشاف لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم علىّ وفاطمة والحسنان لأنها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه ، وعلى خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة فى الدنيا والآخرة .

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميما للفائدة فنقول : صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال على المنبر : ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة ، وإنى أيها الناس فرَط لكم على الحوض . وفى رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن قائلا قال

لبريدة ان محمدا ان يغنى عنك من الله شيئا فخطب ثم قال : ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا ينفع بل حتى ـ جبا وحكم ـ أى هما قبيلتان من اليمن إنى لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع حتى إن إبليس ليتطاول طمعا فى الشفاعة (١) (وأخرج) الدارقطنى أن عليا يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم : أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرحم منى ومن جعله صلى الله عليه وسلم نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيرى قالوا اللهم لا الحديث (وأخرج) الطبرانى ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب علىّ بن أبى طالب (وأخرج) أبو الخير الحاكمى وصاحب كنوز المطالب فى بنى أبى طالب أن عليا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وعنده العباس فسلم فرد عليه صلى الله عليه وسلم السلام وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال له العباس أتحبه قال ياعم والله لله أشد حبا له منى إن لله عز وجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وجعل ذريتى فى صلب هذا زاد الثانى فى روايته إنه إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسماء أمهاتهم سترا عليهم إلا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم ، وأبو يعلى والطبرانى أنه صلى الله عليه سلم قال كل بنى أم ينتمون إلى عَصَبة إلا ولد فاطمة فانا وليهم وأنا عصبتهم وله طرق يقوى بعضها بعضا . وقول ابن الجوزى بعد أن أورد ذلك فى العلل المتناهية أنه لا يصح غير جيد كيف وكثرة طرقه ربما توصله إلى درجة الحسن . بل صح عن عمر أنه خطب أم كلثوم من على فاعتل بصغرها وبأنه أعدها لابن أخيه جعفر فقال له: ما أردت الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببى ونسبى وكل بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فانى أنا أبوهم وعصبتهم ، وفى رواية أخرجها البيهقى والدارقطنى بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن عليا عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقيه عمر رضى الله تعالى عنهما فقال له : يا أبا الحسن أنكحنى ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : قد حبستهن لولد أخى جعفر فقال عمر: إنه والله ماعلى وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فانكحنى يا أبا الحسن، فقال : قد انكحتكها ، فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال هنونى قالوا بمن يا أمير المؤمنين ، قال بام كلثوم بنت على وأخذ يحدث

---

(١) ألف ابن عابدين رسالة فى ذلك تسمى العلم الظاهر فى نفع النسب الطاهر ذكر فيها من السنة مايدل على المطلوب ثم قال : ولا يعارض ذلك أيضا ما تقدم من الأحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم كل سبب ونسب منقطع لأنه صلى الله عليه وسلم لا يملك لأحد من الله شيئاً لا ضراً ولا نفعاً ولكن الله يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه الله له .

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلا صهرى وسببى ونسبى وإنه كان لى صحبة فأحببت أن يكون لى معها سبب . وبهذا الحديث المروى من طريقة أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت فى أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم . لكن لاعجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولى على عقولهم جهلة الروافض فادخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحس إذ من مارس العلماء وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن عليا زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال فى العقل وفساد فى الدين وفى رواية للبيهقى أن عمر لما قال : فاحببت أن يكون لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب، قال على للحسنين زوجا عمكما فقالا هى امرأة من النساء تختار لنفسها فقام على مغضبا فأمسك الحسن ثوبه وقال لاصبر لنا على هجرانك ياأبتاه فزوجاه . وفى رواية أن عمر صعد المنبر فقال أيها الناس انه والله ماحملنى على الإلحاح على على فى ابنته إلا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل حسب ونسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا حسبى ونسبى وسببى وصهرى فامَرَ بها علىّ فزينت وبعث بها اليه فلما رآها قام اليها وأجلسها فى حجره وقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها : قولى لأبيك قد رضيت قد رضيت فلما جاءت قال لها ماقال لك فذكرت له جميع مافعله وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيدا مات رجلا . وفى رواية أنه لما خطبها اليه قال حتى إستأذن فاستاذن ولد فاطمة فاذنوا له وفى رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياأبتاه من بعد عمر صحب رسول الله ﷺ وتوفى وهو عنه راض ثم ولى الخلافة فعدل، فقال له أبوه صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمرا دونكما ثم قال لها انطلق إلى أمير المؤمنين فقولى له إن أبى يقرئك السلام ويقول لك إنا قد قضينا حاجتك التى طلبت فأخذها عمر وضمها اليه وأعلم من عنده أنه تزوجها فقيل له إنها صبية صغيرة فذكر الحديث السابق . وفى آخره أردت أن يكون بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب وصهر، وتقبيله وضمه لها على جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حدا تشتهى حتى يحرم ذلك ولولا صغرها لما بعث بها أبوها ذلك، ثم حديث عمر هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر قال الذهبى واسناده صالح .

(تنبيه) علم مما ذكر فى هذه الأحاديث عظيم نفع الانتساب اليه ﷺ ولا ينافيه مافى أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته وأن القرب اليه يوم القيامة انما هو بالتقوى فمن ذلك الحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص وطلب منهم ان ينقذوا أنفسهم من النار الى أن قال يافاطمة بنت محمد ياصفية بنت

عبدالمطلب يا بنى عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها (وأخرج) ابو
الشيخ عن ابن حبان: يابنى هاشم لا يأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم وتأتون
بالدنيا على ظهوركم لا أغنى عنكم من الله شيئا (وأخرج) البخارى فى الأدب المفرد إن
أوليائى يوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب لا تأتى الناس بالأعمال وتأتون
بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يامحمد فأقول هكذا وهكذا وأعرض فى كلا عطفيه
(وأخرج) الطبرانى إن أهل بيتى هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بى وليس كذلك إنما أوليائى
منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا (وأخرج) الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه
يقول: سمعت رسول الله ﷺ جهارا غير سرّ يقول: إن آل بنى فلان ليسوا بأوليائى إنما
ولى الله وصالح المؤمنين، زاد البخارى لكن لهم رحم سأبلها ببلالها - يعنى سأصلها بصلتها -
ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبرى وغيره من العلماء أنه ﷺ لا يملك لأحد شيئا لا نفعا
ولا ضرا لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة
فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه كما أشار إليه بقوله: غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها وكذا
معنى قوله: لا أغنى عنكم من الله شيئا، أى بمجرد نفسى من غير ما يكرمنى به الله من نحو شفاعة
أو مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا
أولى الناس حظا فى تقوى الله وخشيته. ثم أومأ إلى حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة
عليهم، وقيل هذا قبل علمه بأن الانتساب إليه ينفع وبأنه يشفع فى إدخال قوم الجنة بغير
حساب ورفع درجات آخرين وإخراج قوم من النار، ولما خفى ذلك الجمع عن بعضهم حمل
حديث «كل سبب ونسب» على أن المراد أن أمته ﷺ يوم القيامة ينسبون إليه بخلاف أمم
الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعيد. وإن حكاه وجها فى الروضة، بل يرده مامر من استناد
عمر إليه فى الحرص على تزوجه بأم كلثوم وإقرار علىّ والمهاجرين والأنصار له على ذلك.
ويرده أيضا ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كما مر. وغضبه ﷺ لما قيل إن قرابته
لا تنفع على أن فى حديث البخارى ما يقتضى نسبة بقية الأمم إلى أنبيائهم فان فيه يجىء نوح
عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى: «هل بلغت» فيقول: أى رب نعم فيقول لأمته:
هل بلغكم، الحديث. وكذا جاء فى غيره واعلم أنه استفيد من قوله ﷺ فى الحديث السابق
إن أوليائى منكم المتقون وقوله إنما ولى الله وصالح المؤمنين أن نفع رحمه وقرابته وشفاعته
للمذنبين من أهل بيته وإن لم تنتف لكن ينتفى عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله
لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه بارتكابهم ما يسوءه ﷺ عند عرض عملهم عليه ومن ثم
يعرض صلى الله عليه وسلم عمن يقول له منهم يوم القيامة يامحمد كما فى الحديث السابق وقد
قال الحسن بن الحسن السبط لبعض الغلاة فيهم: ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وان

عصيناه فأبغضونا . ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب اليه منا، والله إنى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين وإن يؤتى المحسن منا أجره مرتين وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى : « يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » .

(خاتمة) علم من الأحاديث السابقة اتجاه قول صاحب التلخيص من أصحابنا: من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم وأولاد بنات غيره لاينسبون الى جدهم من الكفاءة وغيرها، وأنكر ذلك القفال وقال لاخصوصية بل كل أحد ينسب اليه أولاد بناته ويرده الخبر السابق كل بنى أمٍّ ينتمون الى عَصَبة الى آخره . ثم معنى الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم الذى هو من خصوصياته أنه يطلق عليه أنه أب لهم وأنهم بنوه حتى يعتبر ذلك فى الكفاءة فلا يكافىء شريفة هاشمى غير شريف . وقولهم إن بنى هاشم بالمطلب أكفاء محله فيما عدا هذا الصورة كما بينته بما فيه فى إفتاء طويل مسطر فى الفتاوى . وحتى يدخلون فى الوقف على أولاده والوصية لهم ، وأما أولاد بنات غيره فلا يجرى فيهم مع جدهم لأمهم هذه الأحكام . نعم يستوى الجد للأب والأم فى الانتساب اليهما من حيث تطلق الذرية والنسل والعقب عليهم فأراد صاحب التلخيص بالخصوصية مامر وأراد القفال بعدمها هذا وحينئذ فلا خلاف بينهما فى الحقيقة (١) .

ومن فوائد ذلك أيضا أنه يجوز أن يقال للحسنين أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أب لهما اتفاقا، ولايجرى فيه القول الضعيف لأنه لايجوز أن يقال له صلى الله عليه وسلم أب المؤمنين ولا عبرة بمن منع ذلك حتى فى الحسنين من الأمويين للخبر الصحيح الآتى فى الحسن إن ابنى هذا سيد. ومعاوية وإن نقل عنه ذلك لكن نقل عنه مايقتضى أنه رجع عن ذلك وغير معاوية من بقية الأمويين المانع لذلك لايعتد به . وعلى الأصح فقوله تعالى: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم إنما سيق لانقطاع حكم التبنى لا لمنع هذا الإطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين فى الاحترام والإكرام (الآية العاشرة) قوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال : رضى محمد صلى الله عليه وسلم أن لايدخل أحد من أهل بيته النار وقاله السدى انتهى (وأخرج) الحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لايعذبهم (وأخرج) الملا سألت ربى أن لايدخل النار أحد من أهل بيتى فأعطانى ذلك (وأخرج) أحمد فى

---

(١) ذكر التاجى فى كتابه شرف الأسباط الأدلة على شمول البنوة والذرية لأولاد البنات وأعقابهم حفدة وأسباطا وتوسع فى ذلك وذكر فتاوى العلماء فى باب الوقف بأن الذرية والعقب والنسل والبنين والأولاد تتناول أولاد البنات .

المناقب أنه صلى الله عليه وسلم قال : يامعشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة مابدأت إلا بكم (وأخرج) الطبرانى عن على قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أول من يرد على الحوض أهل بيتى ومن أحبنى من أمتى ، وهو ضعيف والذى صح أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين، فان صح الاول أيضا حمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء (وأخرج) المخلص والطبرانى والدارقطنى: أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الانصار ثم من آمن بى واتبعنى من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولا أفضل . وعند البزار والطبرانى وغيرهما أول من أشفع له من أمتى من أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف. ويجمع بينهما بان ذاك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان، فيحتمل أن المراد البداءة فى قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا فى الأنصار ثم من بعدهم ومن أهل مكة بذلك على هذا الترتيب ومن أهل الطائف بذلك كذلك (وأخرج) تمام والبزار والطبرانى وأبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة؟أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار وفى رواية فحرمها الله وذريتها على النار(١) (وأخرج) الحافظ أبو القاسم الدمشقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يافاطمة لم سميت فاطمة قال على : لم سميت فاطمة يارسول الله ؟ قال : إن الله قد فطمها وذريتها من النار (وأخرج) النسائى أن ابنتى فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار (وأخرج) الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه صلى الله عليه وسلم قال لها : إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك . وورد أيضا ياعباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك . وصح يابنى عبد المطلب وفى رواية يابنى هاشم إنى قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم رحماء نجباء وسالته أن يهدى ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم (وأخرج) الديلمى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر بن أبى طالب والحسن والحسين والمهدى ، وفى حديث ضعيف عن على شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فقال لى أما

---

(١) أخرج بن عدى من حديث ابن مسعود من طريق عمر بن غياث مرفوعا إن فاطمة أحصلت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وابن غياث من شيوخ الشيعة ضعفه الدارقطنى والذهبى وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبرانى من قول الرسول لفاطمة : إن الله غير معذبك ولا ولدك . قال فى مجمع الزوائد رجاله ثقات . وخصه محمد الرضا بالحسن والحسين وعم الولد أبو كريب فيمن أطاع من أولادها فى النسب . وأما الحديث الذى بعده فقد تقدم القول فيه وأما حديث إن ابنتى فاطمة حوراء فأخرجه الخطيب وليس بثابت وفيه غير واحد من المجهولين ورواية أسماء أيضاً بأنها لم تر لفاطمة حيضا ولا نفاسا . أورده المحب الطبرى فى ذخائر العقبى وهو باطل كما ذكره ابن عراق .

ترضى أن تكون رابع أربعة ، أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا (وأخرج) أحمد فى المناقب أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : أما ترضى انك معى فى الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا . ومر عن على فى الآية التاسعة بيان صفة تلك الشيعة فراجع ذلك فانه مهم ، وبه تبين لك ان الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس لأنه استولى على عقولهم فأضلها ضلالا مبينا (واخرج) الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى اول اربعة يدخلون الجنة انا وانت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وازواجنا خلف ذرياتنا وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا ، وسنده ضعيف لكن يشهد له ما صح عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن معه فى درجته وان كانوا دونه فى العمل ثم قرأ « والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم » الآية (واخرج) الديلمى ياعلى ان الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك فأبشر فانك الأنزع البطين وهو ضعيف، وكذا خبر انت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وان عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين، ضعيف أيضا ، ومر بيان صفات شيعته فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة ونحوهما « قاتلهم الله انى يؤفكون »

(الآية الحادية عشرة) قوله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » (أخرج) الحافظ جمال الدين الذرندى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية لما نزلت قال ﷺ لعلى : هو أنت وشيعتك تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتى عدوك غضابا مقمحين . قال : ومن عدوى ؟ قال : من تبرأ منك ولعنك . وخبر السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم . قيل ومن هم يارسول الله ؟ قال : شيعتك ياعلى ومحبوك. فيه كذاب، واستحضر مامر فى صفات شيعته واستحضر أيضاً الأخبار السابقة فى المقدمات أول الباب فى الرافضة (وأخرج) الدار قطنى ياأبا الحسن أما أنت وشيعتك فى الجنة وإن قوما يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام ، ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فقاتلهم فانهم مشركون قال الدار قطنى : لهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة ، ثم أخرج عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: كانت ليلتى وكان النبى ﷺ عندى فأتته فاطمة فتبعها على رضى الله عنهما فقال النبى ﷺ : ياعلى أنت وأصحابك فى الجنة أنت وشيعتك فى الجنة إلا أنه ممن يحبك أقوام يصغرون الإسلام يلفظونه يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم لهم نبز يقال لهم الرافضة فجاهدهم فانهم مشركون، قالوا يارسول الله : ما العلامة فيهم ؟ قال : لايشهدون جمعة ولا جماعة ، ويطعنون على السلف . ومن ثم قال موسى بن على بن الحسين بن على وكان فاضلا عن أبيه عن جده

إنما شيعتنا من أطاع الله ورسـوله وعمل أعمالنا (الآية الثانية عشرة) قوله تعالى : « وإنه لعلم للساعة » . قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه الآية نزلت فى المهـدى وستأتى الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوى وحينئذ فى الآية دلالة على البركة فى نسل فاطمة وعلى رضى الله عنهما وأن الله ليخرج منهما كثيرا طيبا وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة . وسر ذلك أنه ﷺ أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم . ودعا لعلى بمثل ذلك وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه (وأخرج) النسائى بسند صحيح أن نفرا من الأنصار قالوا لعلى رضى الله عنـه لو كانت عندك فاطمة فدخـل على النبى ﷺ يعنى ليخطبها ، فسلم عليه فقال له ماحاجة ابن أبى طالب ، قال فذكرت فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا وأهلا فخرج إلى الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا له : ماوراءك قال ماأدرى غير أنه قال لى مرحبا وأهلا ، قالوا يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب فلما كان بعد مازوجـه قال له ياعلى إنه لابد للعرس من وليمة قال سعد رضى الله عنه عندى كبش وجمع له رهط من الأنصار آصُعا من ذرة فلما كان ليلة البناء قال : ياعلى لاتحـدِث شيئا حتى تلقانى فدعا صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ به ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما فقال اللهم بارك لهما فى نسلهما وفى رواية فى شملهما ـ وهو بالتحريك الجماع ـ وفى أخرى شبليهما قيل وهو مصحف فان صحت فالشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه صلى الله عليه وسلم على أنها تلد الحسنين فأطلق عليهما شبلين وهما كذلك (وأخرج) أبو على الحسن بن شاذان أن جبريل جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من على فدعا صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه فقال الحمـد لله المحمود بنعمته الخطبة المشهورة(١) ثم زوج عليا وكان غائبا وفى آخرها لجمع الله شملهما وطيب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وآمن الأمة ، فلما حضر على تبسم صلى الله عليه وسـلم وقال له إن الله أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك ؟ فقال : قد رضيتها يارسول الله ، ثم خر على ساجدا لله شكراً فلما رفع رأسه قال له صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضى الله عنه والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وأخرج أكثره أبو الخير القزوينى الحاكمى . والعقد له مع غيبته سائغ لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن ينكح من شاء لمن شـاء بلا إذن لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، على أنه يحتمل أنه

---

(١) هذه القصة وهذه الخطبة أخرجها الخطيب فى تلخيص المتشابه من حديث أنس وابن عساكر من حديث جابر والروايتان باطلتان وفى الرواية الثانية محمد بن دينار العرقى كما فى تنزيه الشريعة .

بحضور وكيله ويحتمل أنه إعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها، يحتمل أنه إخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهى واقعة حال محتملة .

وأخرج أبو داود السجستانى أن أبا بكر خطبها فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عمر فأعرض عنه فأتيا عليا فنبهاه الى خطبتها فجاء فخطبها فقال صلى الله عليه وسلم مامعك فقال فرسى وبدنى قال : أما فرسك فلا بد لك منه وأما بدنك فبعها وأتنى بها ، فباعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها فى حجره فقبض منها قبضة وأمر بلالا أن يشترى بها طيبا ، ثم أمرهم أن يجهزوها فعمل لها سرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيبا يعنى رملا وأمر أم أيمن أن تنطلق الى ابنته وقال لعلى لاتعجل حتى آتيك ثم أتاهم صلى الله عليه وسلم فقال لأم أيمن ههنا أخى قالت أخوك وتزوجه ابنتك قال : نعم فدخل على فاطمة ودعا بماء فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه ، ثم نضح على رأسها وبين ثديها وقال : اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، ثم قال لعلى : ائتنى بماء فعلمت مايريد فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسى وبين كتفى وقال : اللهم إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم . ثم قال ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته ، وأخرج أحمد وأبو حاتم نحوه وقد ظهرت بركة دعائه صلى الله عليه وسلم فى نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتى ولو لم يكن فى الآتين الا الإمام المهدى لكفى وسيأتى فى الفصل الثانى ـ جملة مستكثرة من الأحاديث المبشرة به . ومن ذلك ماأخرجه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى وآخرون : المهدى من عترتى من ولد فاطمة . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه : لولم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلا من عترتى وفى رواية رجلا من أهل بيتى يملؤها عدلا كما ملئت جورا ،وفى رواية لمن عدا الاخير ،لا تذهب الدنيا ولا تنقضى حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى . وفى أخرى لأبى داود والترمذى لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما وأحمد وغيره المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة والطبرانى المهدى منا يختم الدين بنا كما فتح بنا والحاكم فى صحيحه يحل بأمتى فى آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لايجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلا من عترتى أهل بيتى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يحبه ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لاتمسك فيها شيئا يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانيا أو تسعا يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره . وروى الطبرانى والبزار نحوه وفيه: يمكث فيكم سبعا أو ثمانيا فان أكثر فتسعا . وفى رواية

لأبى داود والحاكم يملك فيكم سبع سنين وفى أخرى للترمذى: إن فى أمتى المهدى يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا فيجىء إليه الرجل فيقول : يامهدى أعطنى أعطنى فيحثى له فى ثوبه ما استطاع أن يحمله ،وفى رواية فيلبث فى ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع ، سنين وسيأتى أن الذى اتفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غير شك(١) (وأخرج) أحمد ومسلم يكون فى آخر الزمان خليفة يحثى المال حثيا ولا يعده عدا ، وابن ماجه مرفوعا يخرج ناس من المشرق، فيوطئون للمهدى سلطانه،وصح أن اسمه يوافق اسم النبى ﷺ واسم أبيه ،اسم أبيه وأخرج ابن ماجه: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بنى هاشم فلما رآهم ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت مانزال نرى فى وجهك شيئاً نكرهه ، فقال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء شديدا وتطريدا حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملؤها قسطا كما ملأوها جورا فن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج فان فيها خليفة الله المهدى، وفى سنده من هو سىء الحفظ مع اختلاطه فى آخر عمره (وأخرج) أحمد عن ثوبان مرفوعا إذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فأتوها ولو حَبْوا على الثلج فان فيها خليفة الله المهدى وفى سنده ضعيف له مناكير . وإنما أخرج له مسلم متابعة ولا حجة فى هذا والذى قبله لو فرض أنهما صحيحان لمن زعم أن المهدى ثالث خلفاء بنى العباس (وأخرج) نصير بن حماد مرفوعا.هو رجل من عترتى يقاتل على سنتى كما قاتلت أنا على الوحى (وأخرج) أبو نعيم ليبعثن الله رجلا من عترتى أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلا يفيض المال فيضا (وأخرج) الرويانى والطبرانى وغيرهما : المهدى من ولدى وجهه كالكوكب الدرى اللون لون عربى والجسم جسم إسرائيلى يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير فى الجو يملك عشرين سنة .

وأخرج الطبرانى مرفوعا يلتفت المهدى وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدى تقدم فصل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلى خلف رجل من ولدى، الحديث وفى صحيح ابن حبان فى إمامة المهدى نحوه ، وصح مرفوعا ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا إن بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله هذه الامة (وأخرج) ابن ماجه والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال . لايزداد الأمر إلا

---

(١) هذه الرواية الصحيحة ترد قول الشيعة بأنه محمد بن الحسن العسكرى وما وجد فى كتب الشعرانى بأنه هو مدسوس عليه . واختلاف الروايات فى أنه من ولد الحسن أو الحسين يمكن الجمع بينهما بأنه من ولد الحسن أو الحسين وللاخر فيه ولادة من جهة أمهاته . وكذلك يقال فى رواية إنه من ولد العباس . ولا يعرف اسم آمه من طريق صحيح .

شدة ولا الدنيا إلا إدبارا ولا الناس إلا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدى الا عيسى بن مريم — أى لا مهدى على الحقيقة سواه لوضعه الجزية واهلاكه الملل المخالفة لملتنا — كما صحت به الأحاديث ،أولامهدى معصوما إلاهو ولقد قال إبراهيم بن ميسرة لطاوس:عمر بن عبد العزيز المهدى قال لا إنه لم يستكمل العدل كله أى فهو من جملة المهديين وليس الموعود به آخر الزمان وقد صرح أحمد وغيره بأنه من المهديين المذكورين فى قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . ثم تأويل حديث لا مهدى الا عيسى إنما هو على تقدير ثبوته وإلا فقد قال الحاكم أوردته تعجبا لا محتجا به ،وقال البيهقى تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم انه مجهول ، واختلف عنه فى اسناده وصرح النسائى بأنه منكر ، وجزم غيره من الحفاظ بأن الأحاديث التى قبله أى الناصة على أن المهدى من ولد فاطمة أصح إسنادا (وأخرج) ابن عساكر عن على : إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الابدال فمن أهل الشام . وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال : يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليهم بعث من الشأم فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب . والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل فى الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض (وأخرج) الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما فى الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك والمراد أنه يتشعب منهما قبيلتان ويكون من نسلهما خلق كثير ومنا المهدى (١) (وأخرج) ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يملك جبل الديلم والقسطنطينية وصح عند الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما: منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدى .فان أراد بأهل البيت مايشمل جميع بنى هاشم ويكون الثلاثة الأول من نسل العباس والأخير من نسل فاطمة فلا إشكال فيه . وإن أراد أن هؤلاء الأربعة من نسل العباس أمكن حمل المهدى فى كلامه على ثالث خلفاء بنى العباس لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز

---

(١) أحاديث المهدى كثيرة متواترة الف فيها كثير من الحفاظ منهم ابو نعيم وقد جمع السيوطى ما ذكره ابو نعيم وزاد عليه فى العرف الوردى فى اخبار المهدى وللمؤلف ابن حجر فيه كتاب المختصر فى علامات المهدى المنتظر .

فى بنى أمية لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة ، ولأنه جاء فى الحديث الصحيح أن اسم المهدى يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه، اسم أبيه والمهدى هذا كذلك لأنه محمد بن عبد الله المنصور ويؤيد ذلك خبر ابن عدى المهدى من ولد العباس عمى . لكن قال الذهبي تفرد به محمد بن الوليد مولى بنى هاشم وكان يضع الحديث ولا ينافى هذا الحمل وصف ابن عباس للمهدى فى كلامه بأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع فى زمنه وتلق الأرض أفلاذ كبدها . أى أمثال الاسطوان من الذهب والفضة . لأن هذه الأوصاف يمكن تطبيقها على المهدى العباسى وإذا أمكن حمل كلامه على ماذكرناه لم يناف الأحاديث الصحيحة السابقة أن المهدى من ولد فاطمة لأن المراد بالمهدى فيها الآتى آخر الزمان الذى يأتم به عيسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم. ورواية أنه يلى الأمر بعد المهدى اثنا عشر رجلا : ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم واهية جدا . كما قاله شيخ الإسلام والحافظ الشهاب ابن حجر أى مع مخالفتها للأحاديث الصحيحة أنه آخر الزمان وأن عيسى يأتم به ، ولخبر الطبرانى سيكون من بعدى خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ثم من بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا . ثم يؤمر القحطانى فوالذى بعثنى بالحق ماهو دونه ، وفى نسخة ما يقوونه على ماحملنا عليه كلام ابن عباس ، يمكن أن يحمل على مارواه هو عن النبى صلى الله عليه وسلم : لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدى وسطها ، أخرجه أبو نعيم فيكون المراد به المهدى العباسى ثم رأيت بعضهم قال المراد بالوسط فى خبر لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها وسطها والمسيح بن مريم آخرها ماقبل الآخر (وأخرج) أحمد والماوردى أنه ﷺ قال : ابشروا بالمهدى رجل من قريش من عترتى يخرج فى اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا ويرضى عنه ساكن الأرض والسماء ويقسم المال صحاحا بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر مناديا فينادى من له حاجة إلىّ فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول : أنا رسول المهدى إليك لتعطينى مالا فيقول أحث فيحثى مالا يستطيع أن يحمله فيلق حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمل فيخرج به فيقول : أنا كنت أجشع أمة محمد نفسا كلهم دعى إلى هذا المال فتركه غيرى فيرد عليه فيقول إنا لا نقبل شيئا أعطيناه فيلبث فى ذلك ستا أو سبعا أو ثمانيا أو تسع سنين ولا خير فى الحياة بعده (١)

---

(١) اختفاء العسكرى وظهوره لخواص شيعته يناقض ماروى عن ابى عبدالله الحسين بأنه لا يعرفه إلا الأولياء وما يروى عن الباقر من ظهوره واختفائه هو ما ذكره علماء السنة من انه يغيب غيبة طويلة واخرى قصيرة يختفى بجبال الطائف ثم يظهر ويختفى بجبال مكة ولا يسمى ظهور العسكرى لخواص شيعته ظهوراً وليس بسرداب بذى طوى كما يقولونه ولظهوره علامات ذكرها

(تنبيه) الأظهر أن خروج المهدى قبل نزول عيسى وقيل بعــــده : قال أبو الحسين الآجرى قد تواترت الاخبار واستفاضت بكثرة رواتها على المصطفى صلى الله عليه وسلم بخروجه وانه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلا وأنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلى عيسى خلفه انتهى وماذكره من أن المهدى يصلى بعيسى هو الذى دلت عليه الأحاديث كما علمت وأما ماصححه السعد التفتازانى من أن عيسى هو الامام بالمهدى لأنه أفضل . فامامته أولى فلا شاهد له فيما علله به لأن القصـد بامامة المهدى لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعا لنبينا كما بشريعته غير مستقل بشىء من شريعة نفسه واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذى اقتدى به فيه من اذاعة ذلك واظهاره مالا يخفى على أنه يمكن الجمـع بان يقال ان عيسى يقتدى بالمهدى أولا لإظهار ذلك الغرض ثم بعدذلك يقتدى المهدى به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان :

وروى ابو داود فى سننه انه من ولد الحسن وكأن سره ترك الحسن الخلافة لله عزوجل شفقة على الأمة لجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة اليها من ولده ليملأ الارض عدلا ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدا ومع ذلك لاحجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدى هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن العسكرى ثانى عشر الأئمة الآتين فى الفصل الآتى على اعتقاد الامامية .

ومما يرد عليهم ماصح أن اسم أبى المهدى يوافق اسم أبى النبى صلى الله عليه وسلم، واسم أبى محمد الحجة لا يوافق ذلك ويرده أيضا قول على مولد المهدى بالمدينة ومحمد الحجة هذا إنما ولد بسُرَّ مَنْ رَأى سنة خمس وخمسين ومائتين . ومن المجازفات والجهالات زعم بعضهم أن رواية أنه من أولاد الحسن ورواية اسم أبيه اسم أبى كل منهما وهم . وزعمه أيضا أن الأمة اجتمعت على أنه من أولاد الحسين وأنى له بتوهيم الرواة بالتشهى ونقل الإجماع بمجرد التخمين والحسد والقائلون من الرافضة بأن الحجة هـذا هو المهدى يقولون لم يخلف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما آتاها يحيى عليه الصلاة والسلام صبيا وجعله إماما فى حال الطفولية كما جعل عيسى . كذلك توفى أبوه بسر من رأى وتَسَتَّر هو بالمدينة ، وله غيبتان صغرى من منذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته . وكبرى وفى آخرها يقوم وكان فقده يوم الجمعة سنة ست وتسعين ومائتين . فلم يدر أين ذهب خافَ على نفسه فغاب؟ قال ابن خلكان : والشيعة ترى فيه أنه المنتظر والقائم

السيوطى والبرزنجى فى الأشاعة واختلاف الروايات فى مدة حكمه من خمس سنين إلى اربعين جمع بينها ابن حجر فى القول المختصر بأن الكل صحيح وإن ماسكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر على كل المدة والأقل على غاية الظهور :

المهدى وهو صاحب للسرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرادب بسر من رأى، دخله فى دار أبيه وأمه تنظر اليه سنة خمس وستين ومائتين وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج اليها وقيل دخله وعمره أربع وقيل سبعة عشر انتهى ملخصا والكثير على أن العسكرى لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدل طلبه أن أخاه لاولد له وإلا لم يسعه الطلب. وحكى السبكى عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكرى وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لاثباته، وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه. وجعفر هذا ضللته فرقة من الشيعة ونسبوه للكذب فى ادعائه ميراث أخيه. ولذا سموه واتبعته فرقة وأثبتوا له الإمامة. والحاصل أنهم تنازعوا فى المنتظر بعد وفاة العسكرى على عشرين فرقة وأن الجمهور غير الامامية على أن المهدى غير الحجة هذا. إذ تغيب شخص هذه المدة المديدة من خوارق العادات فلو كان هو لكان وصفه صلى الله عليه وسلم بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك مما مر.

ثم المقرر فى الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته، فكيف ساغ لهؤلاء الحمق المغفلين أن يزعموا أمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتى الحكم صبيا مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يخبر به، ماذلك إلا مجازفة وجراءة على الشريعة الغراء قال بعض أهل البيت: وليت شعرى من المخبر لهم بهذا وماطريقه، ولقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل. على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولى الالباب ولقد أحسن القائل.

ما آن للسرادب أن يلد الذى كلمتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكمُ العفاء فانكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

وزعمت فرقة من الشيعة أن الإمام المهدى هو أبو القاسم محمد بن على بن عمر بن الحسين السبط، حبسه المعتصم فنقبت شيعته الحبس وأخرجوه وذهبوا به فلم يعرف له خبر. وفرقة أن الإمام المهدى محمد بن الحنفية، قيل فقد بعد أخويه السبطين وقيل قبلهما وأنه حى بجبال رضوى، ولم تعد الرافضة من أهل البيت زيد بن على بن الحسين مع أنه إمام جليل من الطبقة الثالثة من التابعين، بايعه كثيرون من الكوفة وطلبت منه الرافضة أن يتبرأ من الشيخين لينصروه فقال: بل أتولاهما فقالوا إذاً نرفضك. فقال اذهبوا فأنتم الرافضة. فسموا بذلك من حينئذ وكان جملة من تابعه خمسة عشر ألفا. وعند مبايعتهم. قال له بعض بنى العباسى ياابن عم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففى أهل بيتك لك أتم العبر وفى خذلانهم إياهم كفاية. ولما أبى إلا الخروج تقاعد عنه جماعة ممن بايعه وقالوا الإمام جعفر الصادق ابن أخيه الباقر فلم يبق معه إلا مائتا رجل وعشرون رجلا، فجاء الحجاج بجموعه فهزم زيدا وأصابه سهم فى جبهته فمات فدفن بأرض نهر وأجرى الماء عليه: ثم علم الحجاج به فنبشه ثم بعث برأسه وصلب جثته سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة واستمر مصلوبا حتى مات هشام بن عبد الملك

وقام الوليد فدفنه وقيل بل كتب لعامله اعمد إلى عجل أهـــل العراق لحرقه ثم انسفه فى اليمّ نسفا ففعل به ذلك . وروى النبي صلى الله عليه وسلم مستندا إلى جذعه المصلوب عليه وهو يقول للناس هـكذا يفعلون بولدى، وروى غير واحد أنهم صلبوه مجردا فنسجت العنكبوت على عورته فى يومه . ولم يعدّوا أيضا اسحاق بن جعفر الصـادق مع جلالة قدره حتى كان سفيان بن عيينة يقول عنه حدثنى الثقة الرضى . وذهبت فرقة من الشيعة إلى إمامته . ثم من عجيب تناقض الرافضة أنهم لم يدّعـــوها لزيد واسحاق مع جلالتهما وادعاء زيد لها ومن قواعدهم أنها تثبت لمن ادعاها من أهل البيت وأظهر خوارق العادة الدالة على صدقه وادعوها لمحمد الحجة مع أنه لم يدعها ولا أظهر ذلك ، لغيبته عن أبيه صغيرا على مازعموا واختفائه بحيث لم يره إلا آحاد زعموا رؤيته وكذبهم غيرهم فيها وقالوا لا وجود له أصلا كما مر فكيف يثبت له ذلك بمجرد الإمكان . ويكتفى العاقل بذلك فى باب العقائد . ثم أى فائدة فى إثبات الإمامة لعاجز عن أعبائها . ثم ماهى الطريق المثبتة لأن كل واحد من الأئمة المذكورين ادعى الامامة بمعنى ولاية الخلق وأظهر الخوارق على ذلك، مع أن الطافح من كلماتهم الثابتة دال على أنهم لا يدعون ذلك بل يبعدون منه وإن كانوا أهلا له، ذكر ذلك بعض أهل البيت النبوى الذين طهر الله قلوبهم من الزيغ والضلال ونزه عقولهم من السفه وتناقض الآراء لتمسكهم بوضح البرهان وصحيح الاستدلال وألسنتهم عن الكذب والبهتان الموجب لأولئك غاية البوار والنكال (الآية الثالثة عشرة) قوله تعالى وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (أخرج) الثعلبى فى تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الأعراف موضع عالٍ من الصراط عليه العباس وحمزة وعـــلى بن أبى طالب وجعفر ذو الجناحين . يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسـواد الوجوه . وأورد الديلمى وابنه معا لكن بلا إسناد أن عليا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارزق من أبغضنى وأهل بيتى كثرة المال والعيال . كفاهم بذلك أن يكثر مالهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم . وحكمة الدعاء عليهم بذلك أنه لا حامل على بغضه صلى الله عليه وسلم وبغض أهل بيته إلا الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد فدعا عليهم ﷺ بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته فلا يكون إلا نقمة عليهم لكفرانهم نعمة من هُدُوا على يديه إيثارا الدنيا بخلاف من دعاله صلى الله عليه وسلم بتكثير ذلك كأنس رضى الله عنه إذا القصد به كون ذلك نعمة عليهم فيتوصل به إلى مارتبه عليه من الأمور الأخروية والدنيوية النافعة .

(الآية الرابعة عشرة) قوله تعالى قل لا أسالكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إلى قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت ويعلم ما يفعلون .

اعلم أن هذه الآية مشتملة على مقاصد وتوابع (المقصد الأول) فى تفسيرها (أخرج)

أحمدو الطبرانى وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا : يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم . قال على وفاطمة وابناهما ، وفى سنده شيعى غال لكنه صدوق . وروى أبو الشيخ وغيره عن على كرم الله وجهه فينا آل حم آية لايحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى (وأخرج) البزار والطبرانى عن الحسن رضى الله عنه من طرق بعضها حسان أنه خطب خطبة من جملتها من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ثم تلا: واتبعت ملة آبائى إبراهيم الآية ثم قال أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال : وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم : فقال فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى، وفى رواية الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم وأنزل فيهم قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت (وأخرج) الطبرانى عن زين العابدين أنه لما جىء به أسيرا عقب مقتل أبيه الحسين رضى الله عنهما وأقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة . فقال له ماقرأت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى . قال وأنتم هم قال نعم وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربى رحمه الله .

رأيت ولائى آل طه فريضة   على رغم اهل البعد يورثنى القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى   بتبليغه إلى المودة فى القربى

(وأخرج) أحمد عن ابن عباس فى ـ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ـ قال: المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم. ونقل الثعلبى والبغوى عنه أنه لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى، قال قوم فى نفوسهم مايريد إلا أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم أنهم اتهموه فانزل أم يقولون افترى على الله كذبا الآية فقال القوم يارسـول الله إنك صادق فنزل وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ونقل القرطبى وغيره عن السدى أنه قال فى قوله تعالى إن الله لغفور شكور غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم . ورأى ابن عباس حمل القربى فى الآية على العموم ففى البخارى وغيره عنه أن ابن جبير لما فسر القربى بآل محمد قال له : عجلت ـ أى فى التفسير ـ إنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن فى قريش إلا كان له فيه قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بينى وبينكم من القرابة . وفى رواية عنه قل لا أسألكم على ما أدعوكم عليه أجرا إلا المودة تودونى بقرابتى فيكم وتحفظونى فى ذلك ، وفى أخرى عنه إنهم لما أبوا أن يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال صلى الله عليه وسلم: ياقوم إذا أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى ولا تؤذونى وتبعه على ذلك عكرمة فقال : كانت

قريش تصل الأرحام فى الجاهلية . فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى الله خالفوه وقاطعوه فامرهم بصلة الرحم التى بينهم وبينه . فقال إن لم تحفظونى فيما جئت به فاحفظونى لقرابتى فيكم وجرى على ذلك أيضا قتادة والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ويؤيده أن السورة مكية . ورواية نزولها بالمدينة لما فخرت الأنصار على العباس وابنه ضعيفة . وعلى فرض صحتها تكون نزلت مرتين ومع ذلك فهذا كله لا ينافى مامر من تخصيص القربى بالآل لان من ذهب إليه كابن جبير اقتصر على أخص أفراد القربى وبين أن حفظهم آكد من حفظ بقية تلك الأفراد ، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودته ﷺ وحفظه بالأولى لأنه إذا طلب حفظهم لأجله لحفظه هو أولى بذلك وأحرى ، ولذا لم ينسب ابن جبير إلى الخطأ بل إلى العجلة ، أى عن تأمل أن القصد من الآية العموم والأهم منها أولا وبالذات وده صلى الله عليه وسلم .

ومما يؤيد أنه لامضادة بين تفسيرى ابن جبير وابن عباس أن ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا فافهم صحة إرادة كل منهما فيها ، بل جاء عن ابن عباس مايوافق تفسير ابن جبير وهو روايته للحديث الذى ذكرنا أن فى سنده شيعيا غاليا ولا ينافى ذلك كله أيضا تفسيرها بأن المراد إلا التودد إلى الله . لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس مرفوعا لاأسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، ووجه عدم المنافاة أن من جملة مودة الله سبحانه والتقرب إليه مودة رسوله وأهل بيته . وذكر بعض معانى اللفظ لا ينافى مالا يضاده منها فضلا عما يومىء ويشير إليه . وقيل الآية منسوخة لأنها نزلت بمكة والمشركون يؤذونه ، أمرهم بمودته وصلة رحمه . فلما هاجر إلى المدينة وآواه الانصار ونصروه ألحقه الله باخوانه من الانبياء فأنزل : « قل ماسألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله ، ورده البغوى بأن مودته ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أى الباقية على ممر الأبد فلم يجز ادعاء بنسخ الآية الدالة على ذلك لأن هذا الحكم الذى دلت عليه باق مستمر فكيف يدعى رفعه ونسخه . وإلا المودة استثناء منقطع ـ أى لكنى أذكركم أن تودوا القرابة التى بينى وبينكم ـ فليس ذلك أجرا فى مقابلة أداء الرسالة حتى تكون هذه الآية منافية للآية المذكورة التى استدلوا بها على النسخ . وقد بالغ الثعلبى فى الرد عليهم فقال وكفى قبحا بقول من زعم أن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته ﷺ منسوخ انتهى ويصح دعوى أنه متصل بخبر الملا فى سيرته : إن الله جعل أجرى عليكم المودة فى القربى وإنى سائلكم عنهم غداً : وحينئذ فتسمية ذلك أجرا مجاز .

المقصد الثانى

فيما تضمنته تلك الآية من طلب محبة آله ﷺ وأن ذلك من كمال الإيمان

ولنفتتح هذا المقصد بآية أخرى ثم نذكر الأحاديث الواردة فيه قال الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » .

(أخرج) الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية أنه قال فى تفسير هذه الآية : لايبقى مؤمن إلا وفى قلبه ودّ لعلىّ وأهل بيته . وصح أنه ﷺ قال : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله عز وجل وأحبوا أهل بيتى لحبى، وذكر ابن الجوزى لهذا فى العلل المتناهية وهم (وأخرج) البيهقى وأبو الشيخ والديلمى إنه ﷺ قال : لايؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من نفسه وتكون أهلى أحب إليه من أهله وتكون ذاتى أحب إليه من ذاته (وأخرج) الديلمى أنه ﷺ قال : أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن والحديث . وصح أن العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مايلقون من قريش من تعبيسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً حتى احمر وجهه وعرق مابين عينيه وقال والذى نفسى بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله . وفى رواية صحيحة أيضا مابال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لايدخل قلبَ رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى ، وفى أخرى والذى نفسى بيده لايدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله، أترجو مرادٌ شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب . وفى أخرى لن يبلغوا خيرا حتى يحبوكم لله ولقرابتى . وفى أخرى ولا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبدالمطلب وبقى له طرق أخرى كثيرة .

وقدمت بنت أبى لهب المدينة مهاجرة فقيـــل لها لاتغنى عنك هجرتك أنت بنت حطب النار، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فاشتد غضبه ثم قال على منبره: مابال أقوام يؤذونى فى نسبى وذوى رحمى ،ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله أخرجه ابن أبى عاصم والطبرانى وابن منده والبيهقى بألفاظ متقاربة وسميت تلك المرأة فى رواية درّة وفى أخرى سبيعة ، فاما هما لواحدة اسمان أو لقب واسم أو لامرأتين وتكون القصة تعددت لها ، وخرج عمرو الأسلمى وكان من أصحاب الحديبية مع على رضى الله عنهما إلى اليمن فرأى منه جفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته فقال له النبى ﷺ لقد آذيتنى ، فقال أعوذ بالله أن أوذيك يارسول الله، فقال بل من آذى عليا فقد آذانى أخرجه أحمد ، زاد ابن عبد البر من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن

آذى عليا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله . وكذلك وقع لبُريدة أنه كان مع على فى اليمن فقدم مغاضبا عليه وأراد شكايته بجارية أخذها من الخمس ، فقيل له أخبره ليسقط على من عينيه ورسول الله ﷺ يسمع من وراء الباب فخرج مغضبا فقال: ما بال أقوام ينتقصون عليا ، من أبغض عليا فقد أبغضنى ومن فارق عليا فقد فارقنى إن عليا منى وأنا منه خلق من طينتى وأنا خلقت من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » يا بُريدة أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية الى آخر الحديث أخرجه الطبرانى وفيه حسين الأشقر ومر أنه شيعى غال . وفى خبر ضعيف أنه ﷺ قال : الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا . ويوافقه قول كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز ليس أحد من أهل بيت النبى ﷺ إلا له شفاعة (واخرج) ابو الشيخ والديلمى من لم يعرف حق عترتى والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث إما منافق واما ولد زانية وإما امرؤ حملت به امه فى غير طهر (واخرج) الديلمى من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبنى ومن أحبنى أحب أصحابى وقرابتى . ومر فى الاية الثامنة ماله كبير تعلق بما نحن فيه فراجعه (وأخرج) أبو بكر الخوارزمى أنه ﷺ خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال بشارة اتتنى من ربى فى أخى وابن عمى وابنتى بأن الله زوّج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعنى صِكاكا بعدد محبّى أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور ، دفع الى كل ملك صكا فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة فى الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت الا دفعت اليه صكا فيه فكاكه من النار فصار اخى وابن عمى وابنتى فكاك رقاب رجال ونساء من امتى من النار (واخرج) الملاّ لا يحبنا اهل البيت إلا مؤمن تقى ولا يبغضنا الا منافق شقى . ومر خبر احمد والترمذى من أحبنى وأحب هذين يعنى حسنا وحسينا واباهما وامهما كان معى فى الجنة . وفى رواية فى درجتى زاد داود ومات متبعا لسنتى ، وبها يعلم ان مجرد محبتهم من غير اتباع للسنة كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم بالسنة لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير ، بل تكون عليه وبالا وعذابا أليما فى الدنيا والآخرة . وقد مر عن على فى الآية الثامنة بيان صفات شيعته الذين تنفعهم محبته ومحبة أهل بيته فراجع تلك الاوصاف فانها نقضى على هؤلاء المنتحلين حبهم مع مخالفتهم بانهم وصلوا الى غاية الشقاوة والحماقة والجهالة والغباوة رزقنا الله دوام محبتهم واتباع هديهم آمين .

وأما خبر يا على إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب والعيوب وجوههم كالقمر ليلة البدر فموضوع كأحاديث كثيرة من هذا النمط بينها ابن الجوزى

فى موضوعاته (٢)(وأخرج) الثعلبي فى تفسير : قل لا أسالكم عليه أجرا إلاالمودة فى القربى حديثا طويلا من هذا النمط قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر آثار الوضع لائحة عليه . وحديث من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو فى عليين : ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو فى الدرجة التى تليها . ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو فى الدرجة التى تليها فى سنده رافضى غال فى الرفض ورجل آخر متروك .

المقصد الثالث

فيما أشارت إليه من التحذير من بغضهم

صح أنه صلى الله عليه وسلم قال : والذى نفسى بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار (وأخرج) أحمد مرفوعا : من أبغض أهل البيت فهو منافق (وأخرج) هو والترمذى عن جابر : ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا . وخبرُ من ابغض أحدا من أهل بيتى فقد حرم شفاعتى موضوع . وهكذا خبر من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا وإن شهد أن لا إله إلا الله فهو موضـــوع أيضا كما قاله ابن الجوزى كالعقيلى وغير هذين مما مر وما يأتى مغن عنهما (وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن الحسن رضى الله عنه مرفوعا لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار وفى رواية له ضعيفة أيضا من جملة قصة طويلة أنت السابُّ عليا لئن وردتَ عليه الحوض وما أراك تَرِده لتجدنه مشمرا حاسرا عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الطبرانى : ياعلى معك يوم القيامة عصا من عصى الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض . وأحمد. أعطيت فى على خمسا هن أحب إلى من الدنيا وما فيها . أما واحدة فهو بين يدى الله حتى يفرغ من الحساب وأما الثانية : فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته وأما الثالثة : فواقف على حوضى يسقى من عرف من أمتى الحديث . ومر خبر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى إن عدوك يردون علىّ الحوض ظماء مقمحين (وأخرج) الديلمى مرفوعا بغض بـــنى هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق وصحح الحاكم خبر أنه صلى الله عليه وسلم قال : يابنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وأن يهدى ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جودا وفى رواية نجدا من النجدة ـ الشجاعة وشدة البأس ـ نجباء رحماء فلو أن رجلا صفن بين الركن والمقام ـ أى جمع قدميه ـ فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار ، وصح أيضا أنه ﷺ قال ستة لعنتهم ولعنهم

---

(١) وهى فى تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق والفوائد المجموعة للشوكانى وفى الأحاديث المتقدمة بعض منها مما اختلف فى وضعه .

الله وكل نبي بحاب: الزائد فى كتاب الله عزوجل، والمكذب بقدر الله، والمتسلط على أمتى بالجبروت ليــذل من أعز الله ويعز من أذل الله والمستحل حرمة الله وفى رواية لحرم الله والمستحل من عترتى ماحرم الله ، والتارك للسنة وفى رواية زيادة سابع وهو المستأثر بالفىء.
(وأخرج) أحمد عن أبى دجانة كان يقول : لا نسبوا عليا ولا أهل هذا البيت إن جاراً لنا قدم من الكوفة فقال ألم تروا هــذا الفاسق ابن الفاسق إن الله قتله يعنى الحسين فرماه الله بكوكبين فى عينيه وطمس الله بصره .

(تنبيه) قال القاضى فى الشفاء ماحاصله من سب أبا أحد منذريته ﷺ ولم تقم قرينة على إخراجه ﷺ من ذلك قتل ، وعلم من الأحاديث السابقةوجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرح البيهقى والبغوى وغيره أنها من فرائض الدين بل نص عليه الشافعى فيما حكى عنه من قوله .

يا أهل بيت رسـول الله حبكم　　فرض من الله فى القرآن أنزله

وفى ثوثيق عرى الإيمان للبزار عن الإمام الحولى ماحاصله ،إن خواص العلماء يجدون فى قلوبهم مزية تامة بمحبته ﷺ ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة ثم بمحبة أولاد العشرة المبشرين بالجنة ثم أولاد بقية الصحابة وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم بالأمس لورأوهم وينبغى الإغضاء عن انتقادهم ومن ثم ينبغى أن الفاسق من أهـل البيت لبدعة أو غيرها إنما تُبغض أفعاله لاذاته لأنها بضعة منه صلى الله عليه وسـلم وإن كان بينه وبينها وسائط (١) (وأخرج) أبو سعيد فى شرف النبوّة وابن المثنى أنه ﷺ قال : يافاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . فمن آذى أحدا من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم لانه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرض لرضاها وإذا صرح العلماء بأنه ينبغى إكرام سكان بلده ﷺ وإن تحقق منهم إبتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم بضعة منه وروى فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا أنه كان بينهم وبين الأب الذى حفظ فيه سبعة أو تسعة آباء ومن ثم قال جعفر الصادق : احفظونا فينا ماحفظ الله العبد الصالح فى اليتيمين وما انتقد ذريته ﷺ محب لمحمد ﷺ .

---

(١) ذكر أحمد شاه ولى الله الدهلوى فى كتابه التفهيمات الإلهية : إنى رأيت أرواح أئمة أهل البيت فى حظيرة القدس بأتم وجه وأجل وضع . وعلمت أن منكرم والمشاحن لهم فى خطر عظيم لكن وجوههم منصرفة إلى الباطن والخلافة لا تستتب إلا لمن كان وجهه منصرفا إلى الظاهر فبهذا السبب طلبوا الخلافة وما نالوها على وجهها وكذلك كل من له رسوخ قدم فى حظيرة القدس فان الإنكار عليه وإضمار الوحر منه يورث الخزى فى البعد من الله تعالى .

المقصد الرابع

مما أشارت اليه الآية الحث على صلتهم وادخال السرور عليهم (أخرج) الديلمى مرفوعا من أراد التوسل الىّ وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى ويدخل السرور عليهم. وورد عن عمر من طرق أنه قال للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن على رضى الله عنهما فتباطأ عليه الزبير فقال أما علمت أن عيادة بنى هاشم فريضة وزيارتهم نافلة أراد أن ذلك فيهم آكد منه فى غيرهم لا حقيقة الفريضة . فهو على حدّ قوله ﷺ غسل الجمعة واجب (وأخرج) الخطيب مرفوعا يقوم الرجل للرجل الا بنى هاشم فانهم لا يقومون لأحد (وأخرج) الطبرانى مرفوعا أنه من اصطنع الى أحد من ولد عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلى مكافاته غد إذا لقينى. زاد الثعلبى فى رواية لكن فى سندها كذاب وحرمت الجنة على من ظلمنى فى أهل بيتى وآذانى فى عترتى . وفى خبر ضعيف أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه (وأخرج) الملا فى سيرته أنه صلى الله عليه وسلم أرسل أبا ذر ينادى عليا فرأى رحى تطحن فى بيته وليس معها أحد فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين فى الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمد صلى الله عليه وسلم

(وأخرج) أبو الشيخ من جملة حديث طويل ، يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله ﷺ وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل .

المقصد الخامس

مما أشارت إليه الآية من توقيرهم وتعظيمهم والثناء عليهم ومن ثم كثر ذلك من السلف فى حقهم اقتداء به ﷺ فانه كان يكرم بنى هاشم كما مر ، ودرج على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم (أخرج) البخارى فى صحيحه عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتى ، وفى رواية أحب إلى من قرابتى ، وفى أخرى والله لئن أصلكم أحب إلى من أن أصل قرابتى لقرابتكم من رسول الله ﷺ ولعظم الذى جعله الله له على كل مسلم . وهذا قاله رضى الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضى الله عنها عن منعه إياها ماطلبت منه من تركة النبى ﷺ وقد مر الكلام على ذلك فى الشبه مبسوطا (وأخرج) أيضا عنه ارقبوا محمدا ﷺ فى أهل بيته ، وصح عنه أيضا أنه حمل الحسن على عنقه مع ممازحته لعلى رضى الله عنهم . بقوله وهو حامل له بأبى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك ، ويوافقه قول أنس كما فى البخارى عنه : لم يكن أحد أشبه بالنبى ﷺ من الحسن لكنه قال ذلك فى الحسين رضى الله عنهم وطريق الجمع بينهما قول على كما أخرجه الترمذى وابن حبان عنه : الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الرأس إلى الصدر

والحسين أشبه بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك، وورد في جماعة من بني هاشم وغيرهم أنهم يشبهونه صلى الله عليه وسلم أيضا . وقد ذكرت عدتهم في شرحي لشمائل الترمذي (وأخرج) الدارقطني أن الحسن جاء لأبي بكر رضي الله عنهما وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنزل عن مجلس أبي فقال : صدقت والله إنه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى : فقال علي رضي الله عنه أما والله ما كان عن رأيي فقال: صدقت والله ما أتهمتك فانظر لعظم محبة أبي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن حيث أجلسه على حجره، وبكى ووقع للحسن نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقال له منبر أبيك والله لا منبر أبي : فقال علي والله ما أمرت بذلك فقال عمر : والله ما اتهمناك ،زاد ابن سعد أنه أخذه فأقعده إلى جنبه وقال وهل أنبت الشعر على رؤسنا إلا أبوك ، أي إن الرفعة ما نلناها إلا به (وأخرج) العسكري عن أنس قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ أقبل عليّ فسلم ثم وقف ينظر موضعا يجلس فيه فنظر صلى الله عليه وسلم في وجوه الصحابة أيهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال له ههنا يا أبا حسن فجلس بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر فعُرف السرور في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال يا أبا بكر انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل (وأخرج) ابن شاذان عن عائشة أن أبا بكر فعل نظير ذلك مع العباس أيضا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وتأسى في ذلك به صلى الله عليه وسلم فقد أخرج البغوي عن عائشة رضي الله عنها لقد رأيت من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس أمرا عجيبا (وأخرج) الدارقطني أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاء العباس بن عبد المطلب تنحى أبو بكر وجلس العباس مكانه

(وأخرج) ابن عبد البر أن الصحابة كانوا يعرفون للعباس فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه رضي الله عنهم وكان أبو بكر يكثر النظر الى وجه علي فسألته عائشة . فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ،النظر الى وجه علي عبادة . ومر نحو هذا وأنه حديث حسن ، ولما جاء أبو بكر وعلي لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام قال علي تقدم يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه عليّ مني كمنزلتي من ربي أخرجه ابن السمان .

(وأخرج) الدار قطني عن الشعبي قال : بينما أبو بكر جالس إذ طلع علي فلما رآه قال : من سره أن ينظر إلى أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقاً عند رسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا الطالع (وأخرج) أيضاً أن عمر رأى رجلا يقع في علي فقال : ويحك أتعرف عليا هذا ابن عمه وأشار إلى قبره ﷺ والله ما آذيتَ إلا هذا في قبره

وفى رواية فانك إن أبغضته آذيت هذا فى قبره . وسنده ضعيف (وأخرج) أيضا عن ابن المسيب قال قال عمر رضى الله تعالى عنهما : تحببوا إلى الأشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم من السفلة واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية على رضى الله تعالى عنه (وأخرج) البخارى أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمد ﷺ إذا قحطنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون .

وفى تاريخ دمشق إن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقَوْا فقال عمر لأستسقينّ غداً بمن يسقينى الله به فلما أصبح غداً للعباس فدق عليه الباب فقال : مَنْ ؟ قال عمر . قال : ماحاجتك ؟ قال : اخرج حتى نستسق الله بك ، قال : اقعد فأرسل إلى بنى هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم ، فأتوه فأخرج طيباً فطيبهم ثم خرج وعلىّ أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلفَ ظهره فقال ياعمر لاتخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله وأثنى عليه وقال اللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت مانحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت فى أوله تفضل علينا فى آخره . قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحا فما وصلنا إلى منازلنا إلا خَوْضاً فقال العباس أنا المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات وأشار إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى (وأخرج) الحاكم أن عمر لما استسقى بالعباس خطب فقال : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس مايرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول الله ﷺ فى عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى الله عز وجل فيما نزل بكم (وأخرج) ابن عبد البر من وجوه عن عمر أنه لما استسقى به . قال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين الخير .

وفى رواية لابن قتيبة اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكثرة رجاله فانك تقول وقولك الحق « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا » فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك فى عمه فقد دنونا به إليك مستشفعين (وأخرج) ابن سعد أن كعبا قال لعمر إن بنى إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصَبَة نبيهم فقال عمر هذا العباس انطلقوا بنا إليه فأتاه فقال ياأبا فضل ماترى ماالناس فيه وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر . وقال : اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبيك ثم دعا العباس (وأخرج) ابن عبد البر أن العباس لم يمر بعمر وعثمان رضى الله عنهم راكبين إلا نزلا حتى يجوز إجلالا لعم رسول الله ﷺ أن يمشى وهما راكبان (وأخرج) الزبير بن بكار عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر زمن ولايتهما كان لايلقاه واحد منهما راكبا إلا نزل وقاد

دابته ومشى معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه (وأخرج) ابن أبي الدنيا أن عمر لما أراد أن يفرض للناس قالوا له : ابدأ بنفسك فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول الله ﷺ فلم يأت قبيلته إلا بعد خمس قبائل ،وفرض للبدريين خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلاما ولم يشهد بدرا خمسة آلاف وللعباس اثنى عشر ألفاً وللحسنين كاً بيهما،ومن ثم قال ابن عباس إنه كان يحبهما لأنه فضلهما فى العطاء على أولاده (وأخرج) الدار قطنى أنه قال لفاطمة: مامن الخلق أحد أحب إلينا من أبيك،وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك (وأخرج) أيضاً أن عمر سأل عن على ، فقيل له ذهب إلى أرضه فقال اذهبوا بنا إليه . فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون فقال له على: ياأمير المؤمنين أرأيت لو جاءك قوم من بنى إسرائيل فقال لك أحدهم أنا ابن عم موسى ﷺ أكانت له عندك أثرة على أصحابه ؟ قال نعم . قال: فأنا والله أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، قال فنزع عمر رداءه فبسطه فقال : لاوالله لايكون لك مجلس غيره حتى نفترق . فلم يزل جالسا عليه حتى تفرقوا ، وذكر على له ذلك إعلاما بأن مافعله معه من مجيئه إليه وعمله معه فى أرضه وهو أمير المؤمنين إنما هو لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم،فزاد عمر فى إكرامه وأجلسه على ردائه (وأخرج) أيضا أن عمر سأل عليا عن شىء فأجابه فقال له عمر : أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن (وأخرج) أيضا أن الحسن استأذن على عمر فلم يأذن له ، فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له،فمضى الحسن فقال عمر علىّ به ، فجاء فقال يا أمير المؤمنين قلت إن لم يؤذن لعبد الله لايؤذن لى ، فقال أنت أحق بالإذن منه وهل أنبت الشعر فى الرأس بعد الله إلا أنتم . وفى رواية له إذا جئت فلا تستأذن (وأخرج) أيضا أنه جاء أعرابيان يختصمان فأذن لعلى فى القضاء بينهما فقضى فقال أحدهما:هذا يقضى بيننا ؟ فوثب اليه عمر وأخذ بتلبيبه وقال ويحك ماتدرى من هذا ؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن(وأخرج) أحمد أن رجلا سأل معاوية عن مسألة فقال اسأل عنها عليا فهو أعلم فقال: ياأمير المؤمنين جوابك فيها أحب الىّ من جواب على .قال بئس ماقلت:لقد كرهت رجلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزه بالعلم عزّا، ولقد قال له:أنت منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى . وكان عمر اذا أشكل عليه شىء أخذ منه . وأخرجه آخرون بنحوه لكن زاد بعضهم: قم لا أقام الله رجليك ـ ومحا اسمه من الديوان ـ ولقد كان عمر يسأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل عليه شىء قال ههنا على . وصلى زيد بن ثابت على جنازة أمه كما قاله ابن عبد البر فقربت له بغلته ليركب فأخذ ابن عباس بركابه فقال:خل عنك ياابن عم رسول الله فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، لأنه كان يأخذ عنه العلم فقبّل زيد يده

وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ . وصح عنه أنه كان يأتي لبيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث فيجده قائلا فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فاذا خرج ورآه قال : يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك؟ ألا أرسلت إلى فآتيك ، فيقول :لا. أنا أحق أن آتيك وحج ابن عباس مع معاوية رضي الله عنهما ، وكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم . وقال عمر بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن بن حسين : إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فاني أستحي من الله أن يراك على بابي . ولما دخلت عليه فاطمة بنت علي وهو أمير المدينة أخرج من عنده وقال لها ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إليّ منكم، ولأنتم أحب إلى من أهل بيتي وقال أبو بكر بن عياش كما في الشفاء لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن أخرّ من السماء إلى الأرض أحب إليّ من أن أقدمهما عليه .

ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكا رضي الله عنه ونال منه وحمل مغشيا عليه وأفاق قال :أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال : خفت أن أموت وألقى النبي صلى الله عليه وسلم وأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي . ولما قدم المنصور المدينة أراد إقادة من جعفر فقال : أعوذ بالله ،والله ما ارتفع منه سوط إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ودخل عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه فقال : إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما فاطمة بضعة مني يسرني مايسرها ، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها

(وأخرج) الخطيب أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان اذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم . وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعظم أهل البيت كثيرا ويتقرب بالانفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل انه بعث الى متستر منهم باثني عشر ألف درهم وكان يحض أصحابه على ذلك . ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيت . فأجاب عن ذلك بما قدمناه عنه من النظم البديع وله أيضا .

آل النبي ذريعتي وهمُ إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

وقارف الزهري ذنبا فهام على وجهه . فقال له زين العابدين : قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته فرجع الى أهله وماله .

(خاتمة) فيما أخبر به ﷺ مما حصل على آله ومما أصاب منبيهم من الانتقام الشديد، وفى آداب أخرى (قال) ﷺ إن أهل بيتى سيلقون بعدى من أمتى قتلا وتشريدا، وإن أشد قومنا انا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم صححه الحاكم لكن فيه إسمعيل والجمهور على أنه ضعيف لسوء حفظه وممن وثقه البخارى فقد نقل الترمذى عنه أنه ثقة مقارب الحديث ومن أشد الناس بغضا لأهل البيت مروان بن الحكم، وكأن هذا هو سر الحديث الذى صححه الحاكم أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال: كان لا يولد لأحد مولود الا أتى به النبى ﷺ فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية رضى الله تعالى عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بن أبى بكر سنة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك. والذى قال لوالديه أف لكما. فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت: كذب والله ما هو به ولكن رسول الله صلى عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه ثم روى عن عمرو بن مرّة الجهنى ـ وكانت له صحبة رضى الله تعالى عنه ـ أن الحكم ابن العاص استأذن على رسول الله ﷺ فعرف صوته، فقال ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ماهم يترفهون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق. قال ابن ظفر وكان الحكم هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل كذا ذكر ذلك كله الدميرى فى حياة الحيوان ولعنته ﷺ للحكم وابنه لا تضرهما لأنه ﷺ تدارك ذلك بقوله مما بينه فى الحديث الآخر. إنه بشر يغضب كما يغضب البشر وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة. وما نقله عن ابن ظفر فى أبى جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه فى الحكم فانه صحابى وقبيح أىّ قبيح أن يرمى صحابى بذلك فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام ومرّ فى أحاديث المهدى أنه ﷺ رأى فتية من بنى هاشم فاغرورقت عيناه وتغير لونه ثم قال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا (وأخرج) ابن عساكر اوّل الناس هلاكا قريش واوّل هلاك قريش هلاك أهل بيتى ونحوه للطبرانى وابى يعلى.

(واعلم) انه يتأكد فى حق الناس عامة واهل البيت خاصة رعاية أمور (الأول): الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية فانه لا فائدة فى نسب من غير علم. ودلائل الحث على الاعتناء بالعلوم الشرعية وآدابها وآداب العلماء والمتعلمين وتفصيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الأئمة فلا نطول به (الثانى) ترك الفخر بالآباء وعدم التعويل عليهم من غير اكتساب للعلوم الدينية. فقد قال تعالى إن أكرمكم عند الله اتقاكم. وفى البخارى وغيره انه ﷺ سئل أى الناس

أكرم؟ فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم ، وروى ابن جرير وغيره إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إلا عن أعمالكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وروى أحمد أنه ﷺ قال : انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى .

(وأخرج) أيضا من جملة خطبته ﷺ وهو بمنى يا أيها الناس إن ربكم واحد وان أباكم واحد ولا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، خيركم عند الله أتقاكم (وأخرج) القضاعى وغيره مرفوعا: من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .وهو فى مسلم من جملة حديث ، وسبق فى هذا الباب تخصيصه ﷺ لأهل بيته بالحث على تقوى الله وخشيته وتحذيرهم على أن لا يكون أحد أقرب إليه منهم بالتقوى يوم القيامة، وأن لا يؤثروا الدنيا على الآخرة اغترارا بأنسابهم ، وأن أولياءه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة المتقون من كانوا حيث كانوا وقد ذكر أهل السير أن زيد بن موسى الكاظم خرج على المأمون فظفر به فأرسله إلى أخيه الآتى على الرضا، فوبخه بكلام كثير من جملته، ما أنت قائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حله، أغرك حمق أهل الكوفة، وأن رسول الله ﷺ قال إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، هذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لى ولك ،والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله ، فان أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله إنك إذا لأكرم على الله منهم انتهى. فتأمل ذلك فما أعظم موقعه ممن وفقه الله من أهل هذا البيت المكرم، فان من تأمل ذلك منهم لم يغتر بنسبه ورجع إلى الله سبحانه عما هو عليه مما لم يكن عليه المتقدمون الأئمة من آبائه، واقتدى بهم فى عظم مآثرهم وزهدهم وعباداتهم وتحليهم بالعلوم السنية والأحوال والخوارق الجليلة أعاد الله علينا من بركاتهم وحشرنا فى زمرة محبيهم آمين (وأخرج) أبو نعيم عن محمد الجواد الآتى ابن على الرضا المتقدم آنفا أنه سئل عن حديث: إن فاطمة أحصنت فرجها الحديث للذكور فقال بما مر عن أبيه: ذاك خاص بالحسن والحسين . ولما استشار زيد أباه زين العابدين فى الخروج نهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيانى إلا قتل فكان كما قال أبوه كما مرت قصته فى هذا الباب (وأخرج) أحمد وغيره ما حاصله أنه ﷺ كان اذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها ففى مرة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطين وستر باب بيتها فقدم ﷺ ودخل عليها ثم خرج وقد عرف الغضب فى وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلك لما رأى ما صنعته فأرسلت به اليه ليجعله فى سبيل الله فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله فى الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء ثم قام فدخل ﷺ عليها ، زاد أحمد أنه ﷺ أمر ثوبان أن

يدفع ذلك إلى بعض أصحابه وبأن يشترى لها قلادة من عصب وسوارين من عاج وقال : إن هؤلاء أهل بيتى ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا فتأمل ذلك تجد الكمال ليس إلا بالتحلى بالزهد والورع والدأب فى الطاعات ، والتخلى عن سائر الرذالات وليس فى التحلى بجمع الأموال ومحبة الدنيا والترفع بها إلا غاية المتاعب والنقائص والمثالب، ولقد طلق على الدنيا ثلاثا وقال : لقد رقعت مدرعتى هذه حتى استحييت من راقعها، ومر فى فضائله طرف من ذلك (الثالث) تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم خير الامم بشهادة قوله تعالى :كنتم خير امة اخرجت للناس، وخير هذه الأمة بشهادة الحديث المتفق على صحته: خير القرون قرنى. وقد قدمت فى المقدمة الاولى من هذا الكتاب من الاحاديث الدالة على فضلهم وكمالهم ووجوب محبتهم واعتقاد كمالهم وبراءتهم من النقائص والجهالات والإقرار على باطل ما تقربه العيون وتزول به عمن أراد الله توفيقه وهدايته ما توالى عليه من المحن والغبون والفتون، فاحذر أن تكون إلا مع السواد الأعظم من هذه الأمة أهل السنة والجماعة وأن تتخلف مع أولئك المتخلفين عن الكمالات إخوان الاهوية والبدع والضلال والحمق والجهالات فلا ينفعك حينئذ نسب وربما سلبت الاسلام فألحقت بأبى جهل وأبى لهب (الرابع) اعلم أن ما أصيب به الحسين رضى الله تعالى عنه فى يوم عاشوراء كما سيأتى بسط قصته إنما هو الشهادة الدالة على حظوته ورفعته ودرجته عند الله وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلا بالاسترجاع امتثالا للأمر وإحرازا لما رتبه تعالى عليه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم ، وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين والا لكان يوم وفاته صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وأحرى (١) أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت أو الجهال المقابلين الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة والشرّ بالشر من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيدا واظهار الزينة فيه كالخضاب والاكتحال ، ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات واعتقادهم أن ذلك من السنة والمعتاد ، والسنة ترك ذلك كله فانه لم يرد فى ذلك شىء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع له (وقد سئل) بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء . فقال لم يرد فيه حديث صحيح عنه صلى الله عليه وسلم. ولا عن أحد من أصحابه ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم ولم

---

(١) وما فى كتاب المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة لعبد الحسين الموسوى لا ينهض دليلا على جواز شىء من ذلك لضعف ثبوته ودلالته

يرد فى الكتب المعتمدة فى ذلك صحيح ولا ضعيف ، وما قيل إن من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل لم يمرض كذلك ومن وسع على عياله فيه وسع الله عليه سائر سنته وأمثال ذلك مثل فضل الصلاة فيه وأنه كان فيه توبة آدم واستواء السفينة على الجودى وإنجاء إبراهيم من النار وإفداء الذبيح بالكبش ورد يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع إلا حديث التوسعة على العيال، لكن فى سنده من تكلم فيه (١) فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسما وأولئك لرفضهم يتخذونه مأتما وكلاهما مخطىء مخالف للسنة كذا ذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ (٢) وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة ،مع روايته خبر: ان من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا ، لكنه قال إنه منكر ، ومن ثم أورده ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق الحاكم قال بعض الحفاظ ، ومن غير تلك الطريق . ونقل المجد اللغوى عن الحاكم أن سائر الأحاديث فى فضله ـ غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق ـ والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب كله موضوع (٣) ومفترى ، وبذلك صرح ابن القيم أيضا فقال : حديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص يوم عاشوراء بالكحل ، وما مر من أن التوسعة فيه لها أصل هو كذلك فقد أخرج حافظ الإسلام الزين العراقى فى أماليه من طريق البيهقى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته ، ثم قال : عقبه هذا حديث فى إسناده لين لكنه حسن على رأى غير ابن حبان ، وله طريق آخر صححه الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وفيه زيادات منكرة ، وظاهر كلام البيهقى أن حديث التوسعة حسن على رأى غير ابن حبان أيضا فانه رواه من طرق عن جماعة من الصحابة مرفوعا ثم قال : وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة لكنها إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت

---

(١) حديث التوسعة على العيال . صححه العراقى والحافظ ابن ناصر . وله طرق كثيرة بعضها على شرط مسلم ورواية ابن عبد البر صحيحة والضعيف منها إذا ضم إلى بعضه يتقوى ببعض كما ذكره السخاوى والسيوطى وألف العراقى فيه جزءا لخصه السيوطى فى التعقبات وذكر ابن الجوزى أن إسناده فيه مجهول ، وهو سليمان بن أبى عبدالله ولكن ابن حبان قد وثقه

(٢) قال ابن كثير : وقد أسرف الرافضة فى دولة بنى بويه فى حدود الأربعمائة وماحولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد فى يوم عاشوراء . ويذر الرماد والتبن فى الطرقات والأسواق . وتعلق المسوح على الدكاكين . ويظهر الناس الحزن والبكاء . وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشان ، ثم تخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات فى الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة . وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بنى أمية لأنه قتل فى دولتهم اهـ

(٣) قال ابن رجب فى لطائف المعارف : كل ما روى فى فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال فى يوم عاشوراء موضوع لم يصح .

قوة ، وإنكار ابن تيمية أن التوسعة لم يرد فيها شيء عنه صلى الله عليه وسلم لما علمت ، وقول أحمد إنه حديث لايصح أى لذاته ، فلاينفى كونه حسنا لغيره والحسن لغيره يحتج به كما بين فى علم الحديث .

(الخامس) ينبغى لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لاينتسب اليه صلى الله عليه وسلم أحد إلا بحق ، ولم تزل أنساب أهل البيت النبوى مضبوطة على تطاول الأيام، وأحسابهم التى بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام ، قد ألهم الله من يقوم بتصحيحها فى كل زمان، ومن يعتنى بحفظ تفاصيلها فى كل أوان . خصوصا أنساب الطالبيين والمطلبيين ، ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بنى فاطمة من بين ذوى الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهاراً لمزيد شرفهم قيل وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم ـ أى ويدل عليه مايأتى فى ترجمة على الجواد من أنه عهد إليه بالخلافة فاتخذ لهم شعارا أخضر وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين فى جمعهم ونحوها والأحمر مختلف فى تحريمه والأصفر شعار اليهود فى آخر الأمر ـ ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبنى العباس . فبقى ذلك شعار الأشراف العلويين من بنى الزهراء ، لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة ثوب خضراء توضع على عمائمهم شعارا لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون أن يمتازوا على الناس بعصائب خُضْر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد كمصر والشام وغيرهما (١) ، وفى ذلك يقول ابن جابر الأندلسى الأعمى نزيل حلب، وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالأعمى والبصير :

جعلوا لأبناء الرسول علامة　　إن العلامة شأنُ من لم يُشْهَر
نور النبوّة فى كريم وجوههم　　تغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ومن أحسنه قول الأديب محمد بن إبراهيم ابن بركة الدمشقى المزنى :

أطراف تيجان أتت من سندس　　خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهمُ بها　　شرفا ليعرفهم من الأطراف

---

(١) كان يطلق فى الصدر الأول اسم الشريف على كل من كان من أهل البيت من أولاد على أو أولاد جعفر أو عقيل أو العباس وجرى على هذا الإصطلاح الذهبي فيمن يؤرخ له منهم . وقصره الفاطميون على ذرية الحسنين فقط . ويطلق فى بغداد على كل عباسي . وما صنعه الذهبي أولى كما قاله السيوطى ولبس العلامة الخضراء لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره إلا لغرض شرعى كما ذكره السيوطى فى العجالة الزرنبية وأما العمامة الخضراء فأحدثها محمد الشريف المتولى باشا مصر سنة أربع بعد الألف كما ذكره الخفاجى

هذا وقد ورد التحذير العظيم عن الانتساب إلى غير الآباء وأنه كافر ملعون ، فنى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من انتسب إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . والاحاديث فى ذلك كثيرة مشهورة فلا نطيل بذكرها ، أعاذنا الله من الكذب عليه وعلى أنبيائه وأوليائه وحشرنا فى زمرة أهل هذا البيت النبوى المعظم المكرم ، فاننا من محبّيهم وخَدَمة جنابهم ، ومن أحب قوما رجى أن يكون معهم بنص الحديث الصحيح ، وهـذا هو علالة الضعيف المقصر مثلى عن أن يعمل بأعمال الصادقين أو يتحلى بعلىّ أحوال المخلصين ، لكن سعة الرجاء فى مواهب ذى الجلال والإكرام ، تفيض إن شاء الله علينا غاية القبول والإنعام ، إنه أكرم كريم ، وأرحم رحيم .

﴿ الفصل الثانى ﴾

(فى سرد أحاديث واردة فى أهل البيت ومر أكثر هذا فى الفصل الأول ولكن قصدت سردها فى هذا الفصل ليكون ذلك أسرع للاستحضار)

(الحديث الأول) : أخرج الديلمى عن أبى سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اشتد غضب الله على من آذانى فى عترتى . وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن يُنسأ - أى يؤخر - فى أجله وأن يمتع بما خوله الله فليخلفنى فى أهلى خلافة حسنة فمن لم يخلفنى فيهم بتر عمره . وورد علىّ يوم القيامة مسودا وجهه . (الحديث الثانى) أخرج الحاكم عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وفى رواية للبزار عن ابن عباس ، وعن ابن الزبير ، وللحاكم عن أبى ذر أيضا مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . (الحديث الثالث) أخرج الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما : أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى من أهل اليمن ثم من سائر العرب ثم الاعاجم ومن أشفع له أولا أفضل (الحديث الرابع) أخرج الحاكم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خيركم خيركم لاهلى من بعدى (الحديث الخامس) أخرج الطبرانى والحاكم عن عبدالله بن أبى أوفى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربى أن لا أتزوج إلى أحد من أمتى ولا يتزوج إلى احد من امتى إلا كان معى فى الجنة فأعطانى ذلك . (الحديث السادس) اخرج الشيرازى فى الالقاب عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سالت ربى ان لا ازوج إلا من اهل الجنة ولا اتزوج الا من اهل الجنة (الحديث السابع) اخرج ابو القاسم بن بشران فى أماليه عن عمران بن حصين ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال : سالت ربى أن لايدخل أحدا من أهل بيتى النار فأعطانى (الحديث الثامن) أخرج الترمذى والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى (الحديث التاسع) أخرج ابن عساكر عن علىّ كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صنع إلى أهل بيتى يدا كافأته عليها يوم القيامة (الحديث العاشر) أخرج الخطيب عن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من صنع صنيعة إلى أحد من خَلَف عبد المطلب فى الدنيا فعلىّ مكافأته إذا لقينى . (الحديث الحادى عشر) أخرج ابن عساكر عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من آذى شعرة منى فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله . (الحديث الثانى عشر) أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى (الحديث الثالث عشر) أخرج الحاكم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ ، أن لا يعذبهم (الحديث الرابع عشر) أخرج ابن عدى والديلمى عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال اثبتكم على الصراط أشدكم حبًا لأهل بيتى ولأصحابى (الحديث الخامس عشر) أخرج الترمذى عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

(الحديث السادس عشر) أخرج الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أنا حرب لمن حاربهم وسَلمٌ لمن سالمهم (الحديث السابع عشر) أخرج ابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتى قطعوا حديثهم ، والذى نفسى بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتى (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والترمذى عن على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة .

(الحديث التاسع عشر) أخرج ابن ماجه والحاكم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة ، أنا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى (الحديث العشرون) أخرج الطبرانى عن فاطمة الزهراء رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : لكل بنى أنثى عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم (الحديث الحادى والعشرون) أخرج الطبرانى عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : كل بنى أنثى فان عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فانى أنا عصبتهم وأنا أبوهم (الحديث الثانى والعشرون) أخرج الطبرانى

عن فاطمة ان النبى ﷺ قال : كل بنى انثى ينتمون إلى عصبتهم الا ولد فاطمة فانى انا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم (الحديث الثالث والعشرون) اخرج احمد والحاكم عن المسور ان النبى ﷺ قال : فاطمة بضعة منى يغضبنى ما يغضبها ويبسطنى ما يبسطها وان الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى (الحديث الرابع والعشرون) اخرج البزار وابو يعلى والطبرانى والحاكم عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

(ومما يندرج) فى هذا السلك وسلك الخلفاء الأربعة السابق ذكرهم الأحاديث الواردة فى قريش، لأنهم كلهم من قريش وهم ولد النضر بن كنانة فان ما ثبت للأعم ثبت للأخص فلذا أثبتها على عــــد ما مر وأخرتها الى هنا لتعم جميع قريش فقلت (الحديث الخامس والعشرون) اخرج الشافعى واحمد رضى الله عنهما عن عبد الله بن حنطب قال : خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال : ايها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها

(الحديث السادس والعشرون) أخرج البيهقى عن جبير بن مطعم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا أيها الناس لا تتقدموا قريشا فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فانهم أعلم منكم ،لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذى لها عند الله عز وجل

(الحديث السابع والعشرون) أخرج الشيخان عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم والناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاســلام إذا فقهوا (الحديث الثامن والعشرون) أخرج البخارى عن معاوية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه فى النار (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الطبرانى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمان لأهل الأرض من الغرق القوس وأمان لأهل الأرض من الأختلاف الموالاة لقريش . قريش أهل الله فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس ـ والقوس هو المشهور بقوس قزح سمى به لأنه أول ما رؤى فى الجاهلية على قزح جبل بالمزد لفة، أو لأن قزح هو الشيطان ومن ثم قال علىّ لا تقل قوس قزح قزح هو الشيطان ولكنها قوس الله تعالى هى علامة كانت بين نوح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وبين ربه عز وجل وهى أمان لأهل الأرض من الغرق (الحديث الثلاثون) أخرج ابن عرفة العبدى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله (الحديث الحادى والثلاثون) أخرج مسلم والترمذى وغيرهما عن واثلة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله اصطفى كنانة من بنى إسمعيل واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم . وفى رواية إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم واتخذه خليلا

واصطفى من ولد إبراهيم اسمعيل ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزارا ثم اصطفى من نزار مضر
ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم
اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ثم اصطفانى من بنى عبد المطلب (الحديث الثانى والثلاثون)
أخرج أحمد بسند جيد عن العباس قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مايقول الناس
فصعد المنبر فقال : من أنا قالوا أنت رسول الله فقال : أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، إن
الله خلق الخلق فجعلنى من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلنى من خيرهم فرقة وخلق القبائل
فجعلنى من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلنى من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وأنا خيركم نفسا

(الحديث الثالث والثلاثون) أخرج أحمد والمحاملى والمخلص والذهبى وغيرهم عن عائشة
قالت . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام : قلبت مشارق الأرض
ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد ﷺ وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد
بنى أب أفضل من بنى هاشم (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج أحمد والترمذى والحاكم عن
سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من يرد هوان قريش أهانه الله (الحديث الخامس
والثلاثون) أخرج أحمد ومسلم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش
فى الخير والشر (الحديث السادس والثلاثون) أخرج أحمد عن ابن مسعود أن النبى صلى الله
عليه وسلم قال : (أما بعد) يامعشر قريش فانكم أهل هذا الأمر مالم تعصوا الله فاذا عصيتموه
بعث الله عليكم من يلحوكم كما يلحى هذا القضيب (الحديث السابع والثلاثون) أخرج أحمد
ومسلم عن معاوية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا الأمر فى قريش لايعاديهم أحد
إلا أكبه الله ماأقاموا الدين (الحديث الثامن والثلاثون) اخرج احمد والنسائى والضياء عن
انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ماان
استرحموا رحموا وان استحكموا عدلوا وان عاهدوا وفوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا (الحديث التاسع والثلاثون)
أخرج الطبرانى عن جابر بن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون بعدى اثنا عشر
أميرا كلهم من قريش (الحديث الأربعون) اخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم أن النبى
صلى الله عليه وسلم قال : أعطيت قريش مالم يعط الناس أعطوا ماأمطرت السماء وما جرت
به الانهار وما سالت به السيول (الحديث الحادى والاربعون) اخرج الخطيب وابن
عساكر عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ
طباق الارض علما اللهم كما اذقتهم عذابا أذقهم نوالا . وهذا العالم هو الشافعى رضى الله عنه كما
قاله احمد وغيره لانه لم يحفظ لقريش من انتشر علمه فى الآفاق ماحفظ للشافعى (الحديث
الثانى والاربعون) اخرج الحاكم والبيهقى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الائمة من قريش

أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها، وإن أمرت عليكم قريش عبداً حبشياً مجدّعاً فاسمعوا له وأطيعوا، مالم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه، فإن خير بين إسلامه، أي تركه وضرب عنقه فليقدم عنقه (الحديث الثالث والأربعون) أخرج أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: انظروا قريشاً فخذوا من قولهم وذروا فعلهم (الحديث الرابع والأربعون) أخرج البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي عن أم هانىء أن النبي ﷺ قال: فضل الله قريشاً بسبع خصال، لم يعطها أحداً قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل الله قريشاً أني منهم، وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم. لإيلاف قريش. وفي رواية للطبراني فضل الله قريشاً بسبع خصال، فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد غيرهم من العالمين وهي، لإيلاف قريش، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية.

الفصل الثالث

﴿ في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها ﴾

(الحديث الأول) أخرج أبو بكر في الغيلانيات عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق (الحديث الثاني) أخرج أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش أيها الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الجنة(١) (الحديث الثالث) أخرج أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن، ثم لا آذن ثم لا آذن إلا إن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما يؤذيها (الحديث الرابع) أخرج الشيخان عن فاطمة أن النبي ﷺ قال لها إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنا لك (الحديث الخامس) أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن ابن الزبير أن النبي ﷺ قال: إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها (الحديث السادس) أخرج الشيخان عنها أن النبي

---

(١) أخرجه الحاكم وتمام في فوائده وابن بشران والخطيب وأبو بكر الشافعي وأبو الفتح الأزدي وحكم ابن الجوزي بوضعه والصحيح أنه ضعيف لا موضوع كما ذكره ابن عراق.

صلى الله عليه وسلم قال لها : يافاطمة ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين (الحديث السابع) أخرج الترمذى والحاكم عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أحبّ أهلى إلىّ فاطمة (الحديث الثامن) أخرج الحاكم عن أبى سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران (الحديث التاسع) عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلى : فاطمة أحب إلىّ منك وأنت أعز علىّ منها (الحديث العاشر) أخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى عن عمر وعن على وعن جابر وعن أبى هريرة وعن أسامة بن زيد وعن البراء ، وابن عدى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة (الحديث الحادى عشر) أخرج ابن عساكر عن على وعن ابن عمر ، وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ، والطبرانى عن قرة وعن مالك ابن الحويرث ، والحاكم عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ابناى هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما (الحديث الثانى عشر) أخرج أحمد والترمذى والنسائى وابن حبان عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أما رأيت العارض الذى عرض لى قبل ذلك هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم على ويبشرنى أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة (الحديث الثالث عشر) أخرج الطبرانى عن فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أما حسن فله هيبتى وسؤددى وأما حسين فإن له جراءتى وجودى (الحديث الرابع عشر) أخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا (الحديث الخامس عشر) أخرج ابن عدى وابن عساكر عن أبى بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن ابنى هذين ريحانتاى من الدنيا (الحديث السادس عشر) أخرج الترمذى وابن حبان عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذان ابناى وابنا ابنتى اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما (الحديث السابع عشر) أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : صدق الله ورسوله « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما (الحديث الثامن عشر) أخرج أبو داود عن المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال : هذا منى يعنى الحسن ، وحسين من على (الحديث التاسع عشر) أخرج البخارى وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى والحاكم عن أبى سعيد أن النبي ﷺ قال : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابنىْ الخالة عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا ، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم (الحديث العشرون) أخرج أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال : الحسن منى والحسين من

على (الحديث الحادى والعشرون) أخرج الطبرانى عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال : الحسن والحسين سيفا العرش وليسا بمعلقين (الحديث الثانى والعشرون) أخرج أحمد والبخارى وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى بكرة أن النبى ﷺ قال : إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين يعنى الحسن (الحديث الثالث والعشرون) أخرج البخارى فى الأدب المفرد والترمذى وابن ماجه عن يعلى بن مرة أن النبى ﷺ قال : حسين منى وأنا منه أحب الله من أحب حسينا ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحب أهل بيتى إلىّ الحسن والحسين (الحديث الخامس والعشرون) أخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى (الحديث السادس والعشرون) أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن (الحديث السابع والعشرون) أخرج البغوى وعبد الغنى فى الإيضاح عن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : سمى هارون ابنيه شبرا وشبيرا وإنى سميت ابنى الحسن والحسين بما سمى به هارون ابنيه (وأخرج) ابن سعد عن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سميت العرب بهما فى الجاهلية (الحديث الثامن والعشرون) أخرج ابن سعد والطبرانى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أخبرنى جبريل أن ابنى الحسين يقتل بعدى بأرض الطف وجاءنى بهذه التربة فأخبرنى أن فيها مضجعه (الحديث التاسع والعشرون) أخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحرث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل فأخبرنى أن أمتى ستقتل ابنى هذا يعنى الحسين وأتانى بتربة من تربة حمراء (وأخرج) أحمد لقد دخل على البيت ملك لم يدخل على قبلها فقال لى : إن ابنك هذا حسينا مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التى يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء (الحديث الثلاثون) أخرج البغوى فى معجمه من حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال استأذن ملك القطر ربه أن يزورنى فأذن له وكان فى يوم أم سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة احفظى علينا الباب لا يدخل أحد فبينا هى على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه ؟ قال نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذى يقتل به فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته فى ثوبها قال ثابت : كنا نقول إنها كربلاء وأخرجه أيضاً أبو حاتم فى صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً لكن فيه أن الملك جبريل فان صح فهما واقعتان وزاد الثانى أيضا أنه

صلى الله عليه وسلم شمها وقال ريح كرب وبلاء والسهلة بكسر أوله رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفى رواية الملا وابن أحمد فى زيادة المسند ، قالت ثم ناولنى كفا من تراب أحمر وقال إن هذا من تربة الأرض التى يقتل بها فتى صار دما فاعلى أنه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته فى قارورة عندى وكنت أقول إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم وفى رواية عنها فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما وفى أخرى ثم قال يعنى جبريل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قارورة قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول :

أيها القاتلون جهلا حسينا ... أبشروا بالعذاب والتذليل
قد لُعنتم على لسان ابن داو ... د وموسى وحامل الإنجيل

قالت فبكت وفتحت القارورة فاذا الحصيات قد جرت دما (وأخرج) ابن سعد عن الشعبى قال مر على رضى الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى - قرية على الفرات - فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه ثم قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال كان عندى جبريل آنفا وأخبرنى أن ولدى الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمنى إياه فلم أملك عينى أن فاضتا ورواه احمد مختصرا عن على قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم الحديث وروى الملا ان عليا مر بقبر الحسين فقال : ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكى عليهم السماء والأرض (واخرج) ايضاً انه صلى الله عليه وسلم كان له مشربة درجتها فى حجرة عائشة يرقى إليها إذا أراد لقى جبريل فرقى إليها وأمر عائشة ان لا يطلع عليها أحد فرقى حسين ولم تعلم به فقال جبريل من هذا ؟ قال : ابنى فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله على فخذه فقال جبريل ستقتله امتك فقال صلى الله عليه وسلم : ابنى ، قال : نعم وإن شئت اخبرتك الأرض التى يقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف بالعراق فاخذ منها تربة حمراء فاراه إياها وقال هذه من تربة مصرعه .

(وأخرج) الترمذى أن أم سلمة رأت النبى صلى الله عليه وسلم باكيا وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال : قتل الحسين آنفا وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال : دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم فنظروا فوجدوه قد قتل فى ذلك اليوم فاستشهد الحسين كما قال له صلى الله عليه وسلم بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن أنس النخعى وقيل غيره يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة وأشهر ، ولما قتلوه بعثوا

برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس فبيناهم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم :

أترجو أمة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس . أخرجه منصور بن عمار . وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة ، وأنه مكتوب فى كنيسة من أرض الروم لايدرى من كتبه (١) . وذكر أبو نعيم الحافظ فى كتاب دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت : لما قتل الحسين بن علىّ أمطرت السماء دما فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دما ، وكذا روى فى أحاديث غير هذه ، ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضا أن السماء اسودت اسودادا عظيما حتى رؤيت النجوم نهارا ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط(٢) (وأخرج) أبو الشيخ أن الورس الذى كان فى عسكرهم تحول رمادا وكان فى قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله . وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمالا ممن انقلب ورسه رمادا ، أخبرها بذلك . ونحروا ناقة فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل النيران ، فطبخوها فصارت مثل العلقم ، وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت ولم يرفع حجر فى الشـــام إلا رؤى تحته دم عبيط (وأخرج) عثمان بن أبى شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا ، ونقل ابن الجوزى عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة فى السماء ، وقال أبو سعيد مارفع حجر من الدنيا إلا وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقى أثره فى الثيـاب مدة حتى تقطعت ، وأخرج الثعلبى وأبو نعيم مامر من أنهم مطروا دما . زاد أبو نعيم فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دما . وفى رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جىء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دما (وأخرج) الثعلبى أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها وقال غيره : احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك ، وأن ابن سيرين قال : أخبرنا أن الحمرة التى مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين ، وذكر ابن سعد أن هذه الحمرة لم تر فى السماء قبل قتله قال ابن الجوزى : وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية . فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهارا لعظم الجناية . قال : وأنين عباس وهو مأسور ببدر منع النبى صلى الله عليه وسلم النوم فكيف بأنين الحسين . ولمـــا أسلم وحشى قاتل حمزة قال له النبى صلى الله عليه وسلم غيب وجهك عنى فانى لا أحب أن أرى من

---

(١) فى الرواية أنه وجد فى حفيرة احتفرها رجل من نجران . أخرجه الحاكم أبو عبد الله فى أماليه . قال ابن الجوزى من وضع مثل هذا فقد ألقى جلباب الحياء عن وجهه .

(٢) الدم العبيط : الطرى غير النضيج .

قتل الأحبة . قال : وهذا والإسلام يجب ما قبله ، فكيف بقلبه صلى الله عليه وسلم أن يرى مَن ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال . وما مر من أنه لم يُرفع حجر في الشام أو الدنيا إلا رؤى تحته دم عبيط ، وقع يوم قتل عليّ أيضا كما أشار إليه البيهقي بأنه حكى عن الزهري أنه قدم الشام يريد الغزو فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحته دم ثم قال له : لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به قال فما أخبرت به إلا بعد موته ، وحكى عنه أيضا أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضا . قال البيهقي : والذي صح عنه أن ذلك حين قتل الحسين ، ولعله وجد عند قتلهما جميعا انتهى(١) (وأخرج) أبو الشيخ أن جمعا تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت ، فقال شيخ أنا أعنت وما أصابني شيء ، فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات ، ومع ذلك فلم يزل به حتى مات (وأخرج) منصور بن عمار أن بعضهم ابتلي بالعطش . وكان يشرب راوية ولا يروى ، وبعضهم طال ذكره حتى كان إذا ركب الفرس لواه على عنقه كأنه حبل . ونقل سبط ابن الجوزي عن السدي أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا أنه ما تشارك أحد في دم الحسين إلا مات أقبح موتة ، فكذب المَضِيف بذلك ، وقال إنه ممن حضر ، فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار في جسده فأحرقته . قال السدي . فأنا والله رأيته كأنه حممة ، وعن الزهري لم يبق ممن قتله إلا من عوقب في الدنيا إما بقتل أو عمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة ، وحكى سبط ابن الجوزي عن الواقدي أن شيخا حضر قتله فقط فعمي ، فسئل عن سببه فقال إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم حاسرا عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع ، ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه ، ثم لعنه وسبه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى(٢) (وأخرج) أيضا أن شخصا منهم علق في لبب فرسه رأس الحسين بن علي فرؤى

---

(١) قال ابن كثير : ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذبا فاحشاً من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بدت النجوم . وما رفع حجر إلا وجد تحته دم وأن أرجاء السماء احمرت . وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم . وأن الكواكب ضرب بعضها بعضا . وأمطرت السماء دما أحمر ونحو ذلك . وقال أيضاً : وللشيعة والرافضة في صفة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة . وذكر أن ذلك من رواية أبي مخنف لوط بن يحيي . وقد كان شيعيا وهو ضعيف الحديث عند الأئمة . وقال أيضا وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام فكانوا يطبخون الحبوب ويغتسلون ويلبسون أفخر الثياب ويتخذونه عيداً عناداً للروافض .

(٢) قال ابن كثير . وأما الأحاديث في الفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابهم الجنون . ومن المستبعد وقوع ما أخرجه منصور في الحادثة الثانية .

بعد أيام ووجهه أشد سوداً من القار . فقيل له : إنك كنت أنضر العرب وجها فقال: ما مرّت على ليلة من حين حملت تلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسفعني كما ترى ، ثم مات على أقبح حالة (وأخرج) أيضا أن شيخا رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم وبين يديه طشت فيها دم والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه فقلت : ماحضرت . فقال لى هويت فأومأ إلى بأصبعه فأصبحت أعمى ، ومر أن أحمد روى أن شخصا قال : قتل الله الفاسق ابن الفاسق الحسين ؛ فرماه الله بكوكبين فى عينيه فعمى ، وذكر البارزى عن المنصور أنه رأى رجلا بالشام وجهه وجه خنزير فسأله فقال، إنه كان يلعن عليا كل يوم ألف مرة . وفى الجمعة أربعة آلاف مرة وأولاده معه ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكرمنا ما طويلا من جملته أن الحسن شكاه إليه فلعنه ثم بصق فى وجهه فصار موضع بصاقه خنزيرا وصار آية للناس (وأخرج) الملاعن أم سلمة أنها سمعت نوح الجن على الحسين . وابن سعد عنها انها بكت عليه حتى غشى عليها . وروى البخارى فى صحيحه والترمذى عن ابن عمر. أنه سأله رجل عن دم البعوض طاهر او لا ؟ فقال له : ممن انت ؟ قال من اهل العراق . فقال : انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : هما ريحانتاى من الدنيا .

وسبب مخرجه: أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له البيعة على الحسين، ففر لمكة خوفا على نفسه فسمع به اهل الكوفة، فأرسلوا اليه ان يأتيهم ليبايعوه ويمحو عنهم ماهم فيه من الجور ، فنهاه ابن عباس و بين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فأبى، فنهاه ان لايذهب بأهله فأبى، فبكى ابن عباس وقال: واحبيباه، وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال : استودعك الله من قتيل . ونهاه ابن الزبير ايضا فقال له حدثنى ابى إن لمكة كبشا به يستحل حرمتها ، فما احب ان اكون انا ذلك الكبش * ومر قول أخيه الحسن له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص، وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على اخيه الحسن رضى الله عنهما ، ولما بلغ مسيره اخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه ، ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره ، وقدّم امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر الفا . وقيل اكثر من ذلك ، وامر يزيد ابن زياد فجاء إليه وقتله وارسل براسه إليه فشكره وحذره من الحسين، ولقى الحسين فى مسيره الفرزدق فقال له بيّن لى خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء ، وسار الحسين وهو غير عالم بما جرى لمسلم حتى كان على ثلاث من القادسية ، تلقاه بالخبر ابن يزيد التميمى فقال له: ارجع فما تركت لك خلفى خيرا ترجوه ،

وأخبره الخبر وقدوم بن زياد واستعداده لهم بالرجوع . فقال أخو مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثارنا أو نقتل ، فقال لاخير فى الحياة بعدكم ، ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثامن المحرم سنة إحدى وستين ، وكان لما شارف الكوفة سمع به اميرها عبدالله ابن زياد فجهز إليه عشرين الف مقاتل . فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى . فقاتلوه ، وكان اكثر الخارجين لقتاله كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم اخلفوه وفروا عنه إلى أعدائه إيثارا للسحت العاجل على الخير الآجل . فحارب أولئك العدد الكثير ومعه من إخوته واهله نيف وثمانون نفسا فثبت فى ذلك الموقف ثباتا باهرا مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامهم ورماحهم إليه . ولما حمل عليهم وسيفه مصلت فى يده أنشد يقول :

أنا ابن علىّ الحبرِ من آل هاشم ... كفانى بهذا مفخرا حين أفخر
وجدّى رسول الله أكرمُ من مشى ... ونحن سراج الله فى الناس يزهر
وفاطمة أمى سلالة أحمد ... وعمّىَ يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهُدى والوحى والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه ، إذ هو الشجاع القرم الذى لا يزول ولا يتحوّل . ولما منعوه وأصحابه الماء ثلاثا قال له بعضهم : أنظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا . فقال له الحسين : اللهم اقتله عطشا فلم يرو مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشا . ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصاب حنكه فقال : اللهم أظمئه فصار يصيح : الحرّ فى بطنه والبرد فى ظهره ، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك إلى أن انقدّ بطنه : ولما استحر القتل بأهله — فانهم لا زالوا يقتلون منهم واحدا بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين — صاح الحسين أما ذابّ يذبّ عن حريم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ خرج يزيد بن الحرث الرّياحى من عسكر أعدائه راكبا فرسه : وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أوّل من خرج عليك فانى الآن من حزبك ، لعلى أنال بذلك شفاعة جدك ، ثم قاتل بين يديه حتى قتل ، فلما فنى أصحابه وبقى بمفرده حمل عليهم وقتل كثيرا من شجعانهم ، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه ، فصاح كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء فكفوا ، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح وسقط إلى الأرض ، فحزوا رأسه يوم عاشوراء عام أحد وستين ، ولما وضعت بين يدى عبدالله بن زياد أنشد قاتله :

املأ ركابى فضة وذهبا ... فقد قتلت الملك المحجّبا

ومن يصلى القبلتين فى الصبا　　وخيرهم اذ يذكرون النسبا

قتلت خير الناس أمّا وأبا

فغضب ابن زياد من قوله ، وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته؟ والله لانلت منى خيرا ولألحقنك به . ثم ضرب عنقه، وقتل معه من أخوته وبنى أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا وقيل أحدوعشرون ،قال الحسن البصرى ما كان على وجه الارض يومئذ لهم شبيه

ولما حملت رأسه لابن زياد جعله فى طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به فى أنفه ،ويقول مارأيت مثل هذا حسنا ان كان لَحسَن الثغر. وكان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذى وغيره . وروى ابن أبى الدنيا أنه كان عنده زيد بن أرقم فقال له أرفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل ما بين هاتين الشفتين ثم جعل زيد يبكى، فقال ابن زياد أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك . فنهض وهو يقول أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وامرتم ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم ويستعبدنّ شراركم ، فبعداً لمن رضى بالذلة والعار . ثم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا ، رأيت رسول الله ﷺ أقعد حَسَناً على فخذه اليمنى وحُسَينا على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال : اللهم إنى أستودعك إياهما وصالح المؤمنين، فكيف كانت وديعة النبى صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد . وقد انتقم الله من ابن زياد هذا ، فقد صح عند الترمذى أنه لما جىء برأسه ونصب فى المسجد مع رؤس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤس حتى دخلت فى منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثا ، وكان نصبها فى محل نصبه لرأس الحسين وفاعل ذلك به هو المختار بن أبى عبيد ، تبعه طائفة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين وأرادوا غسل العار عنهم ، ففرقة منهم تبعت المختار . فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح القتلات وقتل رئيسهم عمر بن سعد،وخص شمر- قاتل الحسين على قول- بمزيد نكال وأوطؤا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين وشكر الناس للمختار ذلك، لكنه أنبأ آخرا عن خبث قبيح حتى زعم أنه يوحى إليه وأن ابن الحنفية هو المهدى. ولما نزل ابن زياد الموصل فى ثلاثين ألفا جهز له المختار سنة تسع وستين طائفة قتلوه هو وأصحابه على الفرات يوم عاشوراء، وبعث برؤسهم للمختار فنصبت فى المحل الذى نصب فيه رأس الحسين ثم حولت إلى مامرّ حتى دخلتها تلك الحية (ومن عجيب الاتفاق) قول عبد الملك بن عمير دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين رضى الله عنه على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس كذلك ، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فيه فوجدت رأس المختار عنده كذلك، ثم دخلت

على عبدالملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك فقال: لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدمه .

ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا آل الحسين إلى يزيد . فلما وصلت إليه قيل إنه ترحم عليه وتنكر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيه إلى المدينة ، وقال سبط ابن الجوزى وغيره المشهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكت الرأس بالخيزران، وجُمع بأنه أظهر الاول وأخفى الثانى، بقرينة أنه بالغ فى رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه . قال ابن الجوزى وليس العجب إلا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبى صلى الله عليه وسلم على أقتاب الجمال ـ أى موثقين فى الحبال والنساء مكشفات الرؤس والوجوه ـ وذكر أشياء من قبيح فعله . وقيل بل كانت الرأس فى خزائنه لأن سليمان بن عبد الملك رأى النبى ﷺ فى المنام يلاطفه ويبشره، فسأل الحسن البصرى عن ذلك فقال لعلك صنعت إلى آله معروفا . قال نعم وجدت رأس الحسين فى خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابى وقبرته ، فقال له الحسن هو ذلك سبب رضاه صلى الله عليه وسلم عليك فأمر سليمان للحسن بجائزة سنية . ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر كان عنده رسول قيصر فقال متعجبا ، إن عندنا فى بعض الجزائر فى دير حافر حمار عيسى، فنحن نحج إليه كل عام من الأقطار وننذر النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم ، فأشهد أنكم على باطل : وقال ذمى آخر بينى وبين داود سبعون أبا ، وأن اليهود تعظمنى وتحترمنى وأنتم قتلتم ابن نبيكم . ولما كانت الحرس على الرس كلما نزلوا منزلا وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهب فى دير فسأل عنه فعرفوه به فقال : بئس القوم أنتم هل لكم فى عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندى هذه الليلة قالوا نعم ، فأخذه وغسله وطيبه ووضعه على فخذه إلى عنان السماء ، وقعد يبكى إلى الصبح ثم أسلم، لأنه رأى نورا ساطعا . من الرأس إلى السماء ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت . وكان مع أولئك الحرس دنانير أخذوها من عسكر الحسين ففتحوا أكياسها ليقتسموها فرأوها خزفا وعلى أحد جانبى كل منها ـ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ـ وعلى الآخر : وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، وسيأتى فى الخاتمة الكلام فى أنه هل يجوز لعن يزيد أو يمتنع ـ وسيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأسارى فبكى أهل الكوفة ، فجعل زين العابدين بن الحسين يقول : ألا إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذى قتلنا .

(وأخرج) الحاكم من طرق متعددة أنه صلى الله عليه وسلم قال: قال جبريل قال الله تعالى إنى قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفا وإنى قاتل بدم الحسين بن على سبعين ألفا ولم

يصيبْ ابن الجوزي فى ذكْره لهذا الحديث فى الموضوعات (١) وقتل هذه العدة بسببه لايستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين له ، فان فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك .

(وزين العابدين) هذا هو الذى خلّف أباه علما وزهدا وعبادة وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه ، فقيل له فى ذلك فقال ألا تدرون بين يديْ مَن أقف . وحكى أنه كان يصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة ، وحكى ابن حمدون عن الزهرى أن عبد الملك حمله مقيدا من المدينة بأثقلة من حديد ووكل به حَفَظَة فدخل عليه الزهرى لوداعه فبكى وقال : وددت أنى مكانك فقال : أتظن أن ذلك يكربنى لوشئت لما كان، وإنه ليذكرنى عذاب الله ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال: لاجزت معهم على هذا يومين من المدينة. فما مضى يومان إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه، قال الزهرى فقدمت على عبد الملك فسألنى عنه فأخبرته فقال قد جاء فى يوم فقده الأعوان فدخل علىّ فقال ما أنا وأنت، فقلت أقم عندى فقال لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبى منه خيفة، أى ومن ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بنى عبد المطلب، وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سرا فى حقنا بنى عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك، وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقا لتاريخ كتابه للحجاج ووجد مخرج الغلام موافقا لمخرج رسوله للحجاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره فسر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله أن لا يخليه مع صالح دعائه (وأخرج) أبو نعيم والسّلفى لما حج هشام بن عبد الملك فى حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر من الزحام فنصب له منبر الى جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أعيان أهـــل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ قال لا أعرفه مخافة أن يرغب أهل الشام فى زين العابدين فقال الفرزدق أنا أعرفه ثم أنشد

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هـــذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقىّ النقىّ الطاهر العلَم
إذا رأته قريش قال قائـــلها ... إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

القصيدة المشهورة ومنها :

هـذا ابن فاطمة ان كنت جاهلـه ... بجده أنبياء الله قد ختموا
فليس قولك من هـــذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرتَ والعجم

---

(١) رواه أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات بسند موضوع وأخرجه الحاكم من طريق ستة أنفس عن أبى نعيم وقال صحيح ووافقه الذهبى فى تلخيصه وقال على شرط مسلم .

ثم قال :

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

فلما سمعها هشام غضب ، وحبس الفرزدق بعسفان وأمر له زين العابدين باثنى عشر ألف درهم ، وقال : اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به فقال : إنما امتدحته لله لا لعطاء فقال زين العابدين رضى الله عنه: إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده ، فقبلها الفرزدق ثم هجا هشاما فى الحبس فبعث فأخرجه . وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى إنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له : إياك أعنى فقال وعنك أعرض أشار إلى آية : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . وكان يقول ما يسرنى بنصيبى من الذل حمر النعم . توفى وعمره سبع وخمسون منها سنتان مع جده على ثم عشر مع عمه الحسن ثم أحدى عشرة مع أبيه الحسين . وقيل سمه الوليد بن عبد الملك ، ودفن بالبقيع عند عمه الحسن عن أحد عشر ذكرا وأربع إناث .

وارثه منهم عبادة وعلما وزهادة (أبو جعفر محمد الباقر) سمى بذلك : من بقر الأرض أى شقها وأثار مخبآتها ومكامنها ، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ، مالا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه . صفا قلبه وزكا علمه وعمله ، وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله ، وله من الرسوم فى مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين ، وله كلمات كثيرة فى السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة . وكفاه شرفا أن ابن المدينى روى عن جابر أنه قال له وهو صغير : رسول الله ﷺ يسلم عليك فقيل له وكيف ذاك قال : كنت جالسا عنده والحسين فى حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه على إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده ، ثم يولد له ولد اسمه محمد فان أدركته يا جابر فأقرئه منى السلام . توفى سنة سبع عشرة عن ثمان وخمسين سنة مسموما كأبيه ، وهو علوى من جهة أبيه وأمه ، ودفن أيضا فى قبة الحسن والعباس بالبقيع وخلف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم .

(جعفر الصادق) ومن ثم كان خليفته ووصيه ، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته فى جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانين وأبى حنيفة وشعبة وأيوب السختيانى ، وأمه فروة بنت القاسم محمد بن أبى بكر كما مر ، وسعى به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعى به يشهد قال له : أتحلف قال : نعم ! يحلف بالله العظيم إلى آخره ، فقال : أحلفه يا أمير المؤمنين بما أراه؟ فقال له حلفه

فقال له: قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولى وقوتى لقد فعل جعفر كذا وكذا . وقال كذا وكذا ، فامتنع الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه . فقال أمير المؤمنين لجعفر لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة ، ثم انصرف فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنية وللحكاية تتمة . ووقع نظير هذه الحكاية ليحيى بن عبد الله بن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بأن شخصا زبيريا سعى به للرشيد فطلب تحليفه فتلعثم فزبره الرشيد فتولى يحيى تحليفه بذلك فما أتم يمينه حتى اضطرب وسقط لجنبه فأخذوا برجله وهلك، فسأل الرشيد يحيى عن سر ذلك فقال : تمجيد الله فى اليمين يمنع المعاجـلة فى العقوبة.وذكر المسعودي أن هذه القصة كانت مع أخى يحيى هذا الملقب بموسى الجون، وأن الزبيرى سعى به للرشيد فطال الكلام بينهما ثم طلب موسى تحليفه فحلفه بنحو ما مر، فلما حلف قال موسى: الله أكبر حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عن جده على أن النبى ﷺ قال ما حلف أحد بهذه اليمين . أى وهى تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولى وقوتى ما فعلت كذا وهو كاذب ، إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث والله ما كذبت ولا كذبت، فوكل علىّ يا أمير المؤمنين فان مضت ثلاث ولم يحدث بالزبيرى حادث فدمى لك حلال ، فوكل به . فلم يمض عصر ذلك اليوم حتى أصاب الزبيرى جذام فتورم حتى صار كالزق ، فما مضى إلا قليل وقد توفى. ولما أنزل فى قبره انخسف قبره وخرجت رائحة مفرطة النتن فطرحت فيه أحمال الشوك فانخسف ثانيا فأخبر الرشيد بذلك فزاد تعجبه ، ثم أمر لموسى بألف دينار وسأله عن سر تلك اليمين فروى له حديثا عن جده على عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من أحد يحلف بيمين يمجد الله فيها إلا استحيا من عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازعَ الله فيها حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث . وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليلة يصلى ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الاصوات بموته ، ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبى فى عمه زيد :

صلبنا لـكم زيدا على جذع نخلة ‏ ‏ ‏ ولم نر مهديا على الجذع يصلب

قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد (ومن مكاشفاته) أن ابن عمه عبدالله المحض كان شيخ بنى هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية ، ففى آخر دولة بنى أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه ، وأرسل لجعفر ليبايعهما فامتنع ، فاتهم أنه يحسدهما فقال :والله ليست لى ولا لهما إنها لصاحب القباء الاصفر ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم وكان المنصور العباسى يومئذ حاضرا وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا . وسبق جعفرا إلى ذلك والده الباقر. فانه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدته فقال له : وملكنا قبل ملككم قال نعم قال ويملك أحد من ولدى قال نعم قال فمدة بنى أمية أطول أم مدتنا ؟ قال : مدتكم وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالاكرة ، هذا

ماعهد إلى أبي فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض تعجب من قول الباقر (وأخرج) أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال سمعت الليث بن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس فاذا رجل جالس يدعو فقال يارب يارب، حتى انقطع نفسه ثم قال : ياحي ياحي ياحي حتى انقطع نفسه ثم قال الهي إني أشتهي العنب فاطعمنيه اللهم وان بردای قد خلقا فاكسني، قال الليث فوالله مااستتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنبا وليس على الأرض يومئذ عنب وإذا بردان موضوعان لم أر مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم فقلت لأنك دعوت وكنت أؤمن فقال تقدم وكل، فتقدمت وأكلت عنبا لم آكل مثله قط ما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة، فقال لا تدخر ولا تخبأ منه شيئاً ثم أخذ أحد البردين ودفع إلي الآخر فقلت أنا بي غنى عنه فائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده فلقيه رجل بالمسعى فقال أكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله فاني عريان فدفعهما اليه فقلت من هذا قال جعفر الصادق فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه انتهى .

توفي سنة أربع وثمانين ومائة مسموما أيضا على ما حكى ، وعمره ثمان وستون سنة ودفن بالقبة السابقة عند أهله عن ستة ذكور وبنت .

منهم : (موسى الكاظم) وهو وارثه علما ومعرفة وكمالا وفضلا سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفا عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم ، وسأله الرشيد كيف قلتم إنا ذرية رسول الله ﷺ وأنتم أبناء علي فتلا ، ومن ذريته داود وسليمان الى أن قال وعيسى، وليس له أب وأيضا قال تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية، ولم يدع النبي ﷺ عند مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فكان الحسن والحسين هما الأبناء (ومن بديع كراماته) ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي أنه خرج حاجا سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفردا عن الناس ، فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلا على الناس لأمضين إليه ولأوبخنه فمضى اليه فقال يا شقيق اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم. الآية فأراد أن يحالله فغاب عن عينيه فما رآه إلا بواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فجاء اليه ليعتذر فخفف في صلاته وقال: وإني لغفار لمن تاب وآمن الآية ، فلما نزلوا زمالة رآه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فطغى الماء له حتى أخذها فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منه فيها وشرب، فقال له أطعمني من فضل مارزقك الله تعالى فقال، ياشقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت منها، فاذا سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه

ولا أطيبُ ريحا فشبعت ورويت ، وأقمت أياماً لا أشتهى شرابا ولا طعاما ثم لم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق . ولما حج الرشيد سعى به اليه وقيل له ان الاموال تحمل اليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه سنة ، ثم كتب له الرشيد فى دمه فاستعفى وأخبر أنه لم يدع على الرشيد وأنه ان لم يرسل بتسليمه والا خلى سبيله فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسدى بن ساهك بتسليمه وأمره فيه بأمر فجعل له سما فى طعامه وقيل فى رطب فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام ، وعمره خمس وستون سنة . وذكر المسعودى أن الرشيد رأى عليا فى النوم معه حربة وهو يقول ان لم تخل عن الكاظم والا نحرتك بهذه فاستيقظ فزعا وأرسل فى الحال والى شرطته اليه باطلاقه وثلاثين ألف درهم وأنه يخيره بين المقام فيكرمه او الذهاب الى المدينة ولما ذهب اليه قال له رأيت منك عجبا وأخبره أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعلمه كلمات قالها فما فرغ منها إلا وأطلق ، قيل وكان موسى الهادى حبسه أولا ثم أطلقه لأنه رأى عليا رضى الله عنه يقول ـ فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ـ فانتبه وعرف أنه المراد فأطلقه ليلا فقال له الرشيد حين رآه جالسا عند الكعبة . أنت الذى تبايعك الناس سرا فقال : أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم . ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم سمعها من حوله ، فقال الكاظم السلام عليك يا أبت فلم يحتملها وكانت سببا لإمساكه له وحمله معه إلى بغداد ، وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا ميتا مقيدا ودفن جانب بغداد الغربى ، وظاهر هذه الحكايات التنافى إلا أن يحمل على تعدد الحبس وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكرا وأنثى ، منهم .

(على الرضا) وهو أنبههم ذكرا وأجلهم قدرا . ومن ثَمَّ أحله المأمون محل مهجته وأنكحه ابنته وأشركه فى مملكته وفوض إليه أمر خلافته ، فانه كتب بيده كتابا سنة إحدى ومائتين بأن عليا الرضا ولىّ عهده وأشهد عليه جمعا كثيرين . لكنه توفى قبله فأسف عليه كثيرا . وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنباً ورمانا مبثوثا ويموت . وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلم يستطع فكان ذلك كله كما أخبر به .

ومن مواليه . معروف الكرخى . أستاذ السرىّ السَّقَطى لأنه أسلم على يديه وقال لرجل ياعبد الله ارض بما يريد واستعد لما لابد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام . رواه الحاكم . وروى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبى حبيب قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى المنزل الذى ينزل الحجاج ببلدنا ، فسلمت عليه فوجدت عنده طبقا من خوص المدينة فيه تمر صيحانى فناولنى منه ثمانى عشرة فتأولت أن أعيش عدتها ، فلما كان بعد عشرين يوما

قدم أبو الحسين علىّ الرّضا من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه فمضيت نحوه فاذا هو جالس فى الموضع الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فيه وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحانى ، فسلمت عليه فاستدنانى وناولنى قبضة من ذلك التمر فاذا عدتها بعدد ما ناولنى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت زدنى فقال : لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك .

ولما دخل نيسابور كما فى تاريخها وشق سوقها وعليه مظلة لا يُرى من ورائها تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازى ومحمد بن أسلم الطوسى ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى ، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه ويروى لهم حديثا عن آبائه فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة ، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه والناس بين صارخ وباك ومتمرغ فى التراب ومقبل لحافر بغلته فصاحت العلماء : معاشر الناس أنصتوا فأنصتوا واستملى منه الحافظان المذكوران فقال : حدثنى أبى موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال : حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حدثنى جبريل قال سمعت رب العزة يقول لا إله إلا الله حصنى فمن قالها دخل حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى . ثم أرخى الستر وسار فعُد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً . وفى رواية أن الحديث المروى ، الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، ولعلهما واقعتان . قال أحمد : لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته . ونقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك ، فدل على على الرضا فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسنين على السباع فلتلق للسباع ، فعرض عليها بذلك فاعترفت بكذبها ، ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجئ بها فى صحن قصره ثم دعاه فلما دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى فى الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت وتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه ، ثم ربضت فصعد للمتوكل وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فاتبعه المتوكل بجائزة عظيمة ، فقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال أتريدون قتلى ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك .

ونقل المسعودى أن صاحب هذه القصة هو ابن ابن على الرضا ، هو على العسكرى وصُوب لأن الرضا توفى فى خلافة المأمون اتفاقا ولم يدرك المتوكل ، وتوفى رضى الله عنه وعمره خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت أجلهم .

(محمد الجواد) لكنه لم تطل حياته.

ومما اتفق أنه بعدموت أبيه بسنة راقف والصبيان يلعبون فى أزقة بغداد إذ مر المأمون ففروا ووقف محمد وعمره تسع سنين ، فألقى الله محبته فى قلبه فقال له ياغلام مامنعك من الانصراف، فقال له مسرعا ياأمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فاوسعه لك وليس لى جرم فاخشاك والظن بك حسن أنك لاتضر من لاذنب له، فاعجبه كلامه وحسن صورته فقال له : ما اسمك واسم أبيك ؟ فقال : محمد بن على الرضا فترحم على أبيه وساق جواده. وكان معه بُزاة للصيد ، فلما بعد عن العمار أرسل بازا على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو فى منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب، ورأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلا محمدا ، فدنا منه وقال له ما فى يدى فقال ياأمير المؤمنين إن الله تعالى خلق فى بحر قدرته سمكا صغارا يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى فقال له أنت ابن الرضا حقا ، وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ فى إكرامه ، فلم يزل مشفقا به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه ، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفا من أنه يعهد إليه كما عهد إلى أبيه ، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علما ومعرفة وحلما مع صغر سنه فنازعوا فى اتصاف محمد بذلك ، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشىء كثير إن قطع لهم محمدا، فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة : أحسنت أبا جعفر فان أردت أن تسأل يحيى ولو مسئلة واحدة، فقال له ما تقول فى رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراما ثم حلت له ارتفاعه ثم حرمت عليه عند الظهر ثم حلت له عند العصر ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء ثم حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر، فقال يحيى لاأدرى، فقال محمد هى أمة نظرها أجنبى بشهوة وهى حرام ثم اشتراها ارتفاع النهار فاعتقها الظهر وتزوجها العصر وظاهر منها المغرب وكفر العشاء وطلقها رجعيا نصف الليل وراجعها الفجر . فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوجه فى ذلك المجلس بنته أم الفضل ، ثم توجه بها إلى المدينة فأرسلت تشتكى منه لأبيها أنه تسرى عليها ، فأرسل إليها أبوها إنا لم نزوجك له لنحرم عليه حلالا فلا تعودى لمثله، ثم قدم بها يطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين ، وتوفى فيها فى آخر القعدة ودفن فى مقابر قريش فى ظهر جده الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة ـ ويقال إنه سم أيضا ـ عن ذكرين وبنتين أجلهم .

(على العسكرى) سمى بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى

وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فتعرف بالعسكرى وكان وارث أبيه علما وسخاء . ومن ثم جاءه أعرابى من أعراب الكوفة وقال : إنى من المتمسكين بولاء جدك وقد ركبنى دين أثقلنى حمله ولم أقصد لقضائه سواك، فقال كم دينك فقال عشرة آلاف درهم فقال طب نفسا بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ دينا عليه ، وقال له ائتنى به فى المجلس العام وطالبنى بها وأغلظ علىّ فى الطلب، ففعل فاستمهله ثلاثة أيام فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألفا فلما وصلته أعطاها الأعرابى، فقال يا ابن رسول الله إن العشرة آلاف أقضى بها أربى فأبى أن يسترد منه من الثلاثين شيئا ، فولى الأعرابى وهو يقول الله أعلم حيث يجعل رسالاته . ومر أن الصواب فى قضية السباع الواقعة من المتوكل أنه هو الممتحن بها وأنها لم تقربه بل خضعت واطمانت لما رأته ، ويوافقه ما حكاه المسعودى وغيره أن يحى بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى الديلم ثم أتى به الرشيد وأمر بقتله ألقى فى بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه وهابت الدنو منه فبنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حى، توفى رضى الله عنه بسر من رأى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن بداره وعمره أربعون وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام بها إلى أن قضى عن أربعة ذكور وأنثى ، أجلهم .

(أبو محمد الحسن الخالص) وجعل ابن خلكان هذا هو العسكرى ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه، أنه رآه وهو صبى يبكى والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما فى أيديهم فقال أشترى لك ما تلعب به ؟ فقال : يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقال له فلماذا خلقنا قال للعلم والعبادة، فقال له من أين لك ذلك ؟ قال من قول الله عز وجل « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون » . ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن مغشيا عليه فلما أفاق قال له، ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك، فقال إليك عنى يا بهلول إنى رأيت والدتى توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإنى أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم . ولما حبس قحط الناس بسرّ من رأى قحطا شديدا فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت ، ثم فى اليوم الثانى كذلك فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر باحضار الحسن الخالص، وقال له أدرك أمة جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهلكوا ، فقال الحسن يخرجون غدا وأنا أزيل الشك إن شاء الله، وكلم الخليفة فى إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم، فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء فأمر الحسن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمى فأخذه من يده وقال استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك فقال الخليفة للحسن : ما هذا يا أبا محمد ؟ فقال :

هذا عظم نبى ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف من عظم نبى تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره. وأقام عزيزا مكرما وصلات الخليفة تصل اليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثمانية وعشرون سنة ويقال إنه سم أيضا ولم يخلف غير ولده (أبى القاسم محمد الحجة) وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القاسم المنتظر قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ومر فى الآية الثانية عشرة قول الرافضة فيه إنه المهدى وأوردت ذلك مبسوطا فراجعه فانه مهم (١).

(الخاتمــة)

(فى بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة فى الصحابة رضوان الله عليهم
وفى قتال معاوية وعلىّ وفى حقّية خلافة معاوية بعد نزول
الحسن له عن الخلافة وفى بيان اختلافهم
فى كفر ولده يزيد وفى جواز لعنه وفى توابع
وتتمات تتعلق بذلك)

وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم، إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة، وتردوا بأردية الحماقة والغباوة، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين، وركبوا متن عمياء، وخبطوا خبط عشواء، فباؤا من الله بعظيم النكال، ووقعوا فى أهوية الوبال والضلال، ما لم يداركهم الله بالتوبة والرجعة فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة. أماتنا الله على محبتهم وحشرنا فى زمرتهم آمين.

(اعلم) أن الذى أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة باثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناء عليهم، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم فى آيات من كتابه منها قوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شىء يعادل شهادة الله لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده

---

(١) اختلف النسابون فى أولاد سيدنا على وفى أولاد أولاده اختلافا كثيراً وتجده بينا إذا قارنت ما ذكر من ذلك فى ذخائر العقبى وصحاح الأخبار وغاية الاختصار وجمهرة ابن حزم وذكروا أن المعقبين من أولاد سيدنا على خمسة وأن عقب الحسن من زيد والحسن المثنى وأعقب الحسن المثنى من خمسة منهم عبد الله المحض وأعقب المحض فى ستة. وذكروا أن الحسين لم يعقب إلا من على الأصغر وهو على زين العابدين كما فى الرياض المستطابة للعامرى وكذلك السيدة زينب ولدت عليا وأم كلثوم ورقية وقيل وجعفراً وعوناً وعباساً.

وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى، فاذا شهد تعالى فيهم بأنهم
خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به، وإلا كان مكذبا لله فى أخباره ولا شك
أن من ارتاب فى حقية شىء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافرا باجماع المسلمين ، ومنها قوله
تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » والصحابة فى هذه الآية
والتى قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة ، فانظر
إلى كونه تعالى « خلقهم عدولا وخيارا ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة » وحينئذ
فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو ستة أنفس منهم
كما زعمته الرافضة قبحهم الله ولعنهم وخذلهم، ما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء
والبهتان ، ومنها قوله تعالى : « يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم
وبأيمانهم » فأمنهم الله من خزيه ولا يأمن من خزيه فى ذلك اليوم إلا الذين ماتوا والله سبحانه
ورسوله عنهم راض، فأمنهم من الخزى صريح فى موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان
وفى أن الله لم يزل راضيا عنهم وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله تعالى :
« لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » فصرح تعالى برضاه عن أولئك
وهم ألف ونحو أربعمائة ، ومن رضى عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر ، لأن العبرة بالوفاة
على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام، وأما من علم موته على
على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضى عنه ، فعلم أن كلا من هذه الآية وما قبلها
صريح فى رد ما زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز، إذ يلزم من الإيمان
به الإيمان بما فيه وقد علمت أن الذى فيه أنهم خير الأمم وأنهم عدول خيـــار وأن الله
لا يخزيهم وأنه رضى عنهم فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما فى القرآن ومن كذب بما فيه
مما لا يحتمل التأويل كان كافرا جاحدا ملحدا مارقا ، ومنها قوله تعالى : « والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » وقوله تعالى
« يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » وقوله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك
هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون
فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه
فأولئك هم المفلحون . والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم » . فتأمل ما وصفهم الله من
هذه الآيات تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه .
ومنها قوله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا

سجّدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » . فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية ، فان قوله تعالى محمد رسول الله ، جملة مبينة للمشهود به فى قوله ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق إلى شهيدا ، ففيها ثناء عظيم على رسوله ثم ثنّى بالثناء على أصحابه بقوله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم . فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار وبالرحمة والبرّ والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم ، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الاخلاص وسعة الرجاء فى فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه وبأن آثار ذلك الاخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت فى وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ومن ثم قال مالك رضى الله تعالى عنه : بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا ، وقد صدقوا فى ذلك فان هذه الأمة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما فى الكتب كما قال الله تعالى فى هذه الآية ـ ذلك مثلهم ـ أى وصفهم ـ فى التوراة ومثلهم ـ أى وصفهم ـ فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه ـ أى فراخه ـ فآزره ـ أى شده وقواه ـ فاستغلظ ـ أى شب فطال ـ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ـ أى يعجبهم قوّته وغلظه وحسن منظره ـ فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، آزروه وأيّدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ، ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك فى رواية عنه بكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة قال : لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعى رضى الله تعالى عنهما فى قوله بكفرهم ، ووافقه أيضا جماعة من الأئمة ، والأحاديث فى فضل الصحابة كثيرة وقد قدمنا معظمها فى أول هذا الكتاب ، ويكفيهم شرفا أى شرف ، ثناء الله عليهم فى تلك الآيات كما ذكرناه ، وفى غيرها ورضاه عنهم وأنه تعالى وعدهم جميعهم ـ لا بعضهم إذ من فى منهم لبيان الجنس لا للتبعيض ـ مغفرة وأجرا عظيما ، ووعد الله صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مبدل لكلماته . وهو السميع العليم .

فعلم أن جميع ماقدمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث الكثيرة الشهيرة فى المقدمة يقتضى القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق ، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شىء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من

الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطعَ بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم والمعدلين الذين يجيؤن من بعدهم ، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم ، وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجلّ شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق والقرآن حق وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق وقال ابن حزم الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعا، قال تعالى: لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . فثبت أن جميعهم من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى وهي الجنة ، ولا يُتوهم أن التقييد بالإنفاق أو القتال فيها وبالإحسان في الذين اتبعوهم باحسان يُخرج من لم يتصف بذلك منهم لأن تلك القيود خرجت مَخرَج الغالب فلا مفهوم لها، على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم . وزعم الماوردي (١) اختصاص الحكم بالعدالة بمن لازمه ونصره دون من اجتمع به يوما أو لغرض، غير موافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء ، قال شيخ الإسلام العلائي: هو قول غريب يخرج كثيرا من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل ابن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ممن وَفد عليه صلى الله عليه وسلم ولم يقُم عنده إلا قليلا وانصرف ، والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر انتهى .

ومما ردّ به عليه، أن تعظيم الصحابة وإن قل اجتماعهم به صلى الله عليه وسلم كان مقررا

---

(١) ونقل هذا المذهب عن جماعة من الأصوليين منهم المازري وإليه يميل السعد التفتازاني وهو مردود بما ذكرناه في المقدمة وبأنه يخالف مذهب الأكثرين كالبخاري والخطيب وغيرهما. والمؤلف يرد بذلك على المبتدعة والمعتزلة الذين يفسقون من قاتل عليا من أهل العراق والشام وقد صرحوا بذلك في طلحة والزبير وهما من المبشرين بالجنة وفي عائشة رضي عنها وجميع الصحابة ممن كان على عهد علي إما مقاتل معه أوله أو معتزل عن المعسكرين فلم يقاتله وامتنع عن قتاله جماعة . منهم أصحاب ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص واعتزل الفريقين حذيفة وابن مسلمة وأبو ذر وعمران بن حصين وأبو موسى الأشعري والجميع مجتهد متأول لا يخرجه ما وقع منه عن العدالة . لأن عليا كان يأذن في قبول شهادتهم والصلاة معهم لعلمه أنهم مجتهدون فيما وقع منهم .

عند الخلفاء الراشدين وغيرهم ، وقد صح عن أبي سعيد الخدري أن رجلا من أهل البادية تناول معاوية في حضرته وكان متكئا فجلس، ثم ذكر أنه وأبا بكر ورجلا من أهل البادية نزلوا على أبيات فيهم امرأة حامل، فقال البدوي لها أبشرك أن تلدي غلاما، قالت نعم قال إن أعطيتني شاة ولدت غلاما. فأعطته فسمع لها أسجاعا ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم القصة قام فتقايأ كل شيء أكل ، قال ثم رأيت ذلك البدوي قد أتي به عمر وقد هجا الانصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري ما قال فيها لكفيتكموه انتهى. فانظر توقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم تعلم أن فيه أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء. كما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه . وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم :قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين ،وفي رواية أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل .

(واعلم) أنه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمة . فذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة . واحتج على ذلك بخبر طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات . وبخبر عمر رضي الله تعالى عنه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أي الخلق أفضل إيمانا؟ قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيمانا وبحديث مثل أمتي مثل المطر لا يُدري آخره خير أم أوله . وبخبر ليدركن المسيح أقواما إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها . وبخبر يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال : بل منكم ، وبما روي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن اكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها فكتب إليه سالم : إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر ، لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر : فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية قال : وخبر خير الناس قرني ليس على عمومه . لأنه جمع المنافقين وأهل الكبائر الذين قام عليهم وعلى بعضهم الحدود انتهى . والحديث الأول لا شاهد فيه للأفضلية

والثانى ضعيف فلا يحتج به. لكن صحح الحاكم وحسن غيره خبر: يارسول الله، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى .

والجواب عنه وعن الحديث الثالث فانه حديث حسن له طرق قد يرتقى بها إلى درجة الصحة وعن الحديث الرابع فانه حسن أيضا وعن الحديث الخامس الذى رواه أبو داود والترمذى : أن المفضول قد يكون فيه مزية لا توجد فى الفاضل . وأيضا بمجرد زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية المطلقة . وأيضا الخيرية بينهما انما هى باعتبار مايمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين . فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتى على بعض الصحابة فى ذلك . وأما مااختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم ورؤية ذاته المشرقة المكرمة فأمر من وراء العقل اذ لا يسع أحدا أن يأتى من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك وناهيك به جلالة وعلما أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : الغبار الذين دخل أنف معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة: أشار بذلك الى أن فضيلة صحبته صلى الله عليه وسلم ورؤيته لا يعدلها شىء. وبذلك علم الجواب عن استدلال أبى عمر بقضية عمر ابن عبد العزيز وأن قول أهل زمنه له : أنت أفضل من عمر إنما هو بالنسبة لما تساويا فيه ان تصور من العدل فى الرعية وأما من حيث الصحبة ومافاز به عمر من حقائق القرب ومزايا الفضل والعلم والدين الذى شهد له بها النبى صلى الله عليه وسلم فأنى لابن عبد العزيز وغيره أن يلحقوه فى ذرة من ذلك : فالصواب ماقاله جمهور العلماء سلفا وخلفا لما يأتى . وعلم من قول أبى عمر إلا اهل بدر والحديبية أن الكلام فى غير أكابر الصحابة ممن لم يفز إلا بمجرد رؤيته صلى الله عليه وسلم وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من بعده وان مَنْ بعده لو عمل ماعساه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل مايقرب من هذه الخصوصية فضلا عن أن يساويها هذا فيمن لم يفز إلا بذلك فما بالك بمن ضم إليها أنه قاتل معه صلى الله عليه وسلم أو فى زمنه بأمره أو نقل شيئاً من الشريعة الى من بعده أو أنفق شيئاً من ماله بسببه فهذا مما لا خلاف فى ان احداً من الجائين بعده لا يدركه ومن ثم قال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .

(ومما) يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف من أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة والمقربين ما قدمته من فضائل الصحابة ومآثرهم أول الكتاب وهو كثير فراجعه ، ومنه حديث الصحيحين : لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ما بلغ مثل مد أحدهم ولا نصيفه . وفى رواية لهما : فان أحدكم بكاف الخطاب ،وفى رواية

للترمذى : لو أنفق أحدكم الحديث، والنّصيف بفتح النون لغة فى النصف . وروى الدارمى وابن عدى وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم قال: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن ذلك أيضا الخبر المتفق على صحته ، خير القرون أو الناس أو أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . والقرن أهل زمن واحد متقارب اشتركوا فى وصف مقصود ويطلق على زمن مخصوص، وقد اختلفوا فيه من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، إلا التسعين والمائة والعشرة فلم يحفظ قائل بهما وما عداهما قال به قائل ، وأعدل الأقوال قول صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن ، والمراد بقرنه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الإطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثى كما جزم به مسلم فى صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح ، وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبي لمطابقته للحديث الصحيح ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر : على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد ، وفى رواية مسلم ، أرأيتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالته . والقول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح وعلى التنزل فمعناه استكملها بعد ذلك لا أنه بقى بعدها مائة سنة كما قال الأئمة، وما قاله جماعة فى رتن الهندى ومعمر المغربى ونحوهما ، فقد بالغ الأئمة سيما الذهبى فى تزييفه وبطلانه ، قال الأئمة ولا يروج ذلك على من له أدنى مسكة من العقل (١) وأما أفضلية قرنه صلى الله عليه وسلم على من يليه وهم التابعون بالنسبة إلى المجموع لا إلى كل فرد خلافا لابن عبد البر وكذا يقال فى التابعين رضوان الله عليهم أجمعين وتابعيهم .

(ثم الصحابة أصناف) مهاجرون ، وأنصار وخلفاؤهم ، ومن أسلم يوم الفتح أو بعده فأفضلهم إجمالا المهاجرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور وأما تفصيلا فسباق الأنصار أفضل من جماعة من متأخرى المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار ثم هم بعد ذلك يتفاوتون فرب متأخر إسلاما كعمر أفضل من متقدم كبلال . وقال أبو منصور البغدادى من أكابر أئمتنا أجمع أهل السنة أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمر فعثمان فعلى

---

(١) ذكر العلماء فى كتب الموضوعات بابا خاصا بالكذابين الذين ادعوا لقاء النبى صلى الله عليه وسلم وذكروا منهم سرباتك الهندى وجبير بن الحارث ومعمر بن بريك وقيس الأشج وعثمان بن الخطاب البلوى وخوط بن مرة ورتن الهندى وقد ألف الذهبي جزءا فى رتن وأخباره وقال : ولئن صححنا وجوده وظهوره بعد ستمائة فهو إما شيطان تبدى فى صورة بشر فادعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات أو شيخ ضال أسس لنفسه بيتاً فى جهنم بكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذكره الصفدى فى تقوية أخبار رتن قد رده القاضي برهان الدين بن جماعة .

فبقية العشرة المبشرين بالجنة فأهل بدر فباق أهل أحدفباق أهل بيعة الرضوان بالحديبية
فباق الصحابة ، انتهى ومر اعتراض حكاية الإجماع بين عليّ وعثمان إلا إن أراد بالإجماع
فيهما إجماع أكثر أهل السنة فيصح ما قاله حينئذ ، هذا وقد أخرج الأنصارى عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال ياأبا بكر ليت أنى لقيت إخوانى . فقال أبو بكر
يارسول الله نحن إخوانك قال : لا أنتم أصحابى إخوانى الذين لم يرونى وصدقوابى وأحبونى
حتى إنى لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده قالوا يارسول الله أنحن إخوانك قال لا أنتم
أصحابى ألا تحب ياأبا بكر قوما أحبوك بحبى إياك فأحبهم ما أحبوك بحبى إياك وقال ﷺ
من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبنى ومن أحبنى أحب أصحابى وقرابتى . رواه
الديلمى . وقال ﷺ يا أيها الناس احفظونى فى أحبائى وأصهارى وأصحابى لا يطالبنكم الله
بمظلمة أحد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى وقال ﷺ الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم
غرضاً بعدى من أحبهم فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى
فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه ورواه المخلص الذهبى فهذا الحديث وما قبله خرج
مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب فى حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه أيضا
إشارة إلى أن حبهم إيمان وبغضهم كفر لان بغضهم إذا كان بغضا له ﷺ كان كفرا بلانزاع
لخبر لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه من حيث
أنزلهم منزلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليه ﷺ وفيه أيضا أن محبة من أحبه النبى صلى الله
عليه وسلم كآله وأصحابه رضى الله تعالى عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما أن محبته صلى الله عليه وسلم علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض
من أبغضهم وسبهم علامة على بغض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعداوته وسبه وبغضه
ﷺ وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه فمن أحب شيئاً أحب من يحب وأبغض
من يبغض قال الله تعالى : لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادن من حاد الله ورسوله
فحب اولئك أعنى آله صلى الله عليه وسلم وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات المتعينات
وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم
بالمشى على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال ، ومزيد الثناء
عليهم وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد أثنى الله عليهم فى آيات
كثيرة من كتابه المجيد ، ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء ، ومنه الاستغفار لهم قالت عائشة
رضى الله تعالى عنها أمروا بأن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم . رواه مسلم وغيره ،
على أن فائدة المستغفر عائد أكثرها اليه إذ يحصل بذلك مزيد الثواب قال سهل بن عبد الله
التسترى وناهيك به علما وزهدا ومعرفة وجلالة لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من
لم يوقر أصحابه .

(ومما) يوجب أيضا الإمساك عما شجر أى وقع بينهم من الاختلاف والإضطراب صفحا عن أخبار المؤرخين سيما جهلة الرافض وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين فى أحد منهم ، فقد قال ﷺ إذا ذكر أصحابى فأمسكوا والواجب أيضا على كل من سمع شيئا من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسبه إلى أحد منهم بمجرد رؤيته فى كتاب أو سماعه من شخص، بل لا بد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى أحدهم ، فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور فى مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده وقد مر لذلك منه جملة فى بعضهم وما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات ، وأما سبهم والطعن فيهم فان خالف دليلا قطعيا كقذف عائشة رضى الله عنها أو إنكار صحبة أبيها كان كفرا ، وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقا .

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ماجرى بين معاوية وعلى رضى الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلى فى الخلافة للاجماع على حقيتها لعلى كما مرّ ، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علىّ تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه فامتنع علىّ ظنا منه أن تسليمهم اليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علىّ يؤدى إلى اضطراب وتزلزل فى أمر الخلافة التى بها انتظام كلمة أهل الإسلام سيما وهى فى ابتدائها لم يستحكم الامر فيها فرأى على رضى الله عنه أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه فى الخلافة ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين . ثم بعد ذلك يلتقطهم واحدا فواحدا ويسلمهم إليهم ، ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على على ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، وأيضا فالذين تمالؤا على قتل عثمان كانوا جموعا كثيرة كما علم مما قدمته فى قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم جمع من أهل مصر ، قيل سبعمائة وقيل ألف وقيل خمسمائة وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا كلهم المدينة وجرى منهم ماجرى بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف ، فهذا هو الحامل لعلى رضى الله عنه على الكف عن تسليمهم لتعذره كما عرفت ويحتمل أن عليا رضى الله عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه رضى الله تعالى عنه لإنكارهم عليه أمورا كجعله مروان ابن عمه كاتبا له ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبى ﷺ منها . وتقديمه أقاربه فى ولاية الأعمال، وقضية محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما السابقة فى مبحث خلافة عثمان مفصلة ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه جهلا منهم وخطأ ، والباغى إذا انقاد إلى الإمام العدل لا يؤاخذ بما أتلفه فى حال الحرب عن تأويل دما كان أو مالا كما هو المرجح من قول الشافعى رضى الله عنه وبه قال جماعة آخرون من العلماء ، وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه ، فإن الذى

ذهب اليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم ، وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهدا لإن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد ؛ ولا ينافى هذا ما هو المقرر فى مذهب الشافعى رضى الله عنه من أن لهم شوكة دون تأويل لا يضمنون ما أتلفوه فى حال القتال كالبغاة لأن قتل السيد عثمان رضى الله عنه لم يكن فى قتال فانه لم يقاتل بل نهى عن القتال حتى إن أبا هريرة رضى الله عنه لما أراده قال له عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة ألا رميت بسيفك إنما تراد نفسى وسأقى المسلمين بنفسى كما أخرجه ابن عبد البر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة . .

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضا أن معاوية رضى الله عنه لم يكن فى أيام على خليفة وإنما كان من الملوك وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده ، وأما على فكان له أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته بل عشرة أجور لحديث إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله عشرة أجور ، واختلفوا فى إمامة معاوية بعد موت على رضى الله عنه فقيل :صار إماما وخليفة لأن البيعة قد تمت له وقيل لم يصر إماما لحديث أبى داود والترمذى والنسائى الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا وقد انقضت الثلاثون بوفاة علىّ ، وأنت خبير بما قدمته أن الثلاثين لم تتم بموت على ، وبيانه أنه توفى فى رمضان سنة أربعين من الهجرة والأكثرون على أن وفاته سابع عشر ووفاة النبى صلى الله عليه وسلم ثانى عشر ربيع الأول فبينهما دون الثلاثين بنحو ستة أشهر وتمت الثلاثون بمدّة خلافة الحسن بن على رضى الله عنهما فاذا تقرر ذلك فالذى ينبغى كما قاله غير واحد من المحققين أن يحمل قول من قال بامامة معاوية عند وفاة علىّ على ما تقرر من وفاته بنحو نصف سنة لمّا سلم له الحسن الخلافة ، والمانعون لإمامته يقولون لا يعتد بتسليم الحسن الأمر اليه لأنه لم يسلمه إلا للضرورة لعلمه بأنه أعنى معاوية لا يسلم الأمر للحسن وأنه قاصد للقتال والسفك إن لم يسلم الحسن الأمر اليه فلم يترك الأمر اليه إلا صونا لدماء المسلمين ، ولك رد ما وجه به هؤلاء ما ذكر بأن الحسن كان هو الامام الحق والخليفة الصدق ، وكان معه من العدة والعدد ما يقاوم مَن مع معاوية فلم يكن نزوله عن الخلافة وتسليمه الأمر لمعاوية اضطراريا بل كان اختياريا ، كما يدل عليه ما مر فى قصة نزوله من أنه اشترط عليه شروطا كثيرة فالتزمها ، ووفى له بها ، وأيضا فقد مر عن صحيح البخارى أن معاوية هو السائل للحسن فى الصلح ، ومما يدل على ما ذكرته حديث البخارى السابق عن أبى بكر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول : إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فانظر إلى ترجيه صلى الله عليه وسلم الاصـــلاح به وهو

صلى الله عليه وسلم لا يرجو إلا الأمر الحق الموافق للواقع، فترجيه للاصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة، وإلا لو كان الحسن باقيا على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله إصلاح ولم يحمد الحسن على ذلك، ولم يترج صلى الله عليه وسلم مجرد النزول من غير أن يترتب عليه فائدته الشرعية، وهو استقلال المنزول له بالأمر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة وقيامه بأمور المسلمين، فكان ترجيه صلى الله عليه وسلم لوقوع الاصلاح بين أولئك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن، فيه دلالة أى دلالة على صحة مافعله الحسن وعلى أنه مختار فيه، وعلى أن تلك الفوائد الشرعية وهى صحة خلافة معاوية وقيامه بأمور المسلمين وتصرفه فيها بسائر ماتقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق. كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية: اللهم اجعله هاديا مهديا، وأخرج أحمد فى مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب. وأخرج ابن أبي شيبة فى المصنف والطبرانى فى الكبير عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية ما زلت أطمع فى الخلافة منذ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية إذا ملكت فأحسن (١). فتأمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له فى الحديث الأول بأن الله يجعله هاديا مهديا، والحديث حسن كما علمت، فهو مما يحتج به على فضل معاوية وأنه لاذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنها مبنية على اجتهاد وأنه لم يكن له إلا أجر واحد لأن المجتهد إذا أخطأ لاملام عليه ولاذم يلحقه بسبب ذلك لأنه معذور ولذا كتب له أجر. ومما يدل لفضله الدعاء له فى الحديث الثانى بأن يعلم ذلك ويوقى العذاب ولاشك أن دعاءه صلى الله عليه وسلم مستجاب فعلمنا منه أنه لاعقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب بل له الأجر كما تقرر. وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم فئته المسلمين وساواهم بفئة الحسن فى وصف الاسلام فدل على بقاء حرمة الاسلام للفريقين وأنهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الاسلام وأنهم فيه على حد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قررناه من أن كلا منهما متأول تأويلا غير قطعي البطلان وفئة

---

(١) قال ابن راهويه لايصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فضل معاوية بن أبي سفيان شىء وقال السيوطي أصح ما ورد فى فضل معاوية رضى الله عنه حديث ابن عباس أنه كان كاتب النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخرجه مسلم فى صحيحه وبعده حديث العرباض: اللهم علمه الكتابة. وبعده حديث بن أبى عميرة. اللهم اجعله هادياً مهدياً. ذكر ذلك ابن عراق فى تنزيه الشريعة. وقال السيوطي فى تاريخ الخلفاء. وقد ورد فى فضله أحاديث قلما تثبت. وأما حديث إذا ملكت فأحسن فرواه البيهقى من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف. قال الحافظ فى فتح البارى وقد صنف ابن أبى عاصم فى مناقبه جزءا وكذلك أبو عمر غلام ثعلب وأبو بكر النقاش وبقية القول سنبسطه فى التعليق على كتاب تطهير الجنان فانه به أليق.

معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغى لافسق به لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه وتأمل أنه صلى الله عليه وسلم أخبر معاوية بأنه يملك وأمره بالاحسان تجد فى الحديث إشارة إلى صحة خلافته وأنها حق بعد تمامها له بنزول الحسن له عنها فان أمره بالاحسان المترتب على الملك يدل على حقية ملكه وخلافته وصحة تصرفه ونفوذ أفعاله من حيث صحة الخلافة لا من حيث التغلب لأن المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر ولا أن يؤمر بالاحسان فيما تغلب عليه بل إنما يستحق الزجر والمقت والاعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله . فلو كان معاوية متغلبا لأشار له صلى الله عليه وسلم إلى ذلك أو صرح له به فلما لم يشر له فضلا عن أن يصرح إلا بما يدل على حقية ماهو عليه علمنا أنه بعد نزول الحسن له خليفة حق وإمام صدق. ويشير إلى ذلك كلام أحمد. فقد أخرج البيهقى وابن عساكر عن ابراهيم بن سويد الأرمنى قال قلت لأحمد بن حنبل من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى قلت فمعاوية قال لم يكن أحد أحق بالخلافة فى زمان على من على فأفهم كلامه أن معاوية بعد زمان على ـ أى وبعد نزول الحسن له ـ أحق الناس بالخلافة . وأما ما أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف عن سعيد بن جمهان قال قلت لسفينة إن بنى أمية يزعمون أن الخلافة فيهم فقال كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشر الملوك وأول الملوك معاوية فلا يتوهم منه أن لا خلافة لمعاوية، لأن معناه أن خلافته وإن كانت صحيحة إلا أنه غلب عليها مشابهة الملك لأنها خرجت عن سَنن خلافة الخلفاء الراشدين فى كثير من الأمور فهى حقة وصحيحة من حين نزول الحسن له واجتماع الناس أهل الحل والعقد عليه وتلك من حيث إنه وقع فيها أمور ناشئة عن اجتهادات غير مطابقة للواقع لا يأثم بها المجتهد لكنها تؤخر عن درجات ذوى الاجتهادات الصحيحة المطابقة للواقع وهم الخلفاء الأربعة والحسن رضى الله عنهم فمن أطلق على ولاية معاوية أنها ملك أراد من حيث ما وقع فى خلالها من تلك الاجتهادات التى ذكرناها ومن أطلق عليها أنها خلافة أراد أنه بنزول الحسن له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار خليفة حق مطاعا يجب له من حيث الطواعية والانقياد ما يجب للخلفاء الراشدين قبله .

ولا يقال ينظر ذلك فيمن بعده لأن أولئك ليسوا من أهل الاجتهاد بل منهم عصاة فسقة ولا يعدون من جملة الخلفاء بوجه بل من جملة الملوك بل من أشرارهم الا عمر بن عبد العزيز فانه ملحق بالخلفاء الراشدين وكذلك ابن الزبير. وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سبه ولعنه فله فيه أسوة أى أسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فانه لم يصدر الا من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالى الله بهم فى أى واد هلكوا فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان ، وأقام على رؤسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان ، ما يقمعهم عن الخوض في تنقيص أولئك الأئمة الأعيان ، ولقد

استعمل بمعاوية عمر وعثمان رضى الله عنهم وكفاه ذلك شرفا ، وذلك أن أبابكر لما بعث الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبى سفيان فلما مات أخوه يزيد استخلفه على دمشق فأقره ثم أقره عمر ثم عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة قال كعب الأحبار : لن يملك أحد هذه الأمة ماملك معاوية . قال الذهبي : توفى كعب قبل أن استخلاف معاوية وصدق كعب فيما نقله فان معاوية بقى خليفة عشرين سنة لاينازعه أحد الأمر فى الأرض بخلاف غيره ممن بعده فانه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك انتهى وفى إخبار كعب بذلك قبل استخلاف معاوية دليل على أن خلافته منصوص عليها فى بعض كتب الله المنزلة فان كعبا كان حبرها فله من الاطلاع عليها والاحاطة باحكامها مافاق سائر أحبار أهل الكتاب وفى هذا من التقوية لشرف معاوية وحقية خلافته بعد نزول الحسن له مالايخفى ، وكان نزوله له عنها واستقراره فيها من ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة احدى وأربعين فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة فيه على خليفة واحد (١) .

(اعلم) أن أهل السنة اختلفوا فى تكفير يزيد بن معاوية وولى عهده من بعده فقالت طائفة إنه كافر لقول سبط ابن الجوزى وغيره المشهور : إنه لما جاءه رأس الحسين رضى الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكت رأسه بالخيزران وينشد أبيات الزبعرى :

• ليت أشياخى ببدر شهدوا • الابيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر ، وقال ابن الجوزى فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا على أقتاب الجمال ، وذكر أشياء من قبيح مااشتهر عنه . ورده الرأس الى المدينة وقد تغيرت ريحه ثم قال . وماكان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار الرأس ، فيجوز أن يفعل هذا بالخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ولو لم يكن فى قلبه أحقاد جاهلية ، وأضغان بدرية ، لاحترم الرأس لما وصل اليه وكفنه ودفنه وأحسن إلى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقالت طائفة ليس بكافر لان الاسباب الموجبة للكفر لم يثبت عندنا منها شىء والاصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم مايخرجه عنه وماسبق أنه المشهور يعارضه ماحكى أن يزيد لما وصل اليه رأس الحسين قال رحمك الله ياحسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الارحام وتنكر لابن زياد وقال

---

(١) قال أبو بكر بن العربى فى العواصم عند الكلام على حديث الخلافة ثلاثون : وهذا حديث لايصح ولو صح فهو معارض ثم قال : فان قيل ألم يكن فى الصحابة أقعد بالأمر من معاوية . قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهى أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور وإصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق . وقد شهد له فى صحيح الحديث بالفقه وشهد بخلافته فى حديث أم حرام أن ناساً من أمته يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة . وكان ذلك فى ولايته .

قد زرع لى العداوة فى قلب البر والفاجر ورد نساء الحسين ومن بقى من بنيه مع رأسه الى المدينة ليدفن الرأس بها وأنت خبير بانه لم يثبت موجب واحدة من المقالتين والاصل أنه مسلم فناخذ بذلك الاصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه ومن ثم قال جاعة من المحققين إن الطريقة الثابتة القويمة فى شأنه التوقف فيه وتفويض أمره إلى الله سبحانه لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات السرائر وهواجس الضمائر ، فلا نتعرض لتكفيره أصلا لان هذا هو الأحرى والأسلم ، وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فقد أخرج أبو يعلى فى مسنده بسند لكنه ضعيف عن أبى عبيدة قال رسول الله ﷺ لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد ، وأخرج الرويانى فى مسند عن أبى الدرداء قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول أول من يبدل سنتى رجل من بنى أمية يقال له يزيد ، وفى هذين الحديثين دليل أىّ دليل لما قدمته أن معاوية كانت خلافته ليست كخلافة من بعده من بنى أمية فانه صلى الله عليه وسلم أخبر أن أول من يثلم أمر أمته ويبدل سنته يزيد ، فأفهم أن معاوية لم يثلم ولم يبدل وهو كذلك لما مر أنه مجتهد ، ويؤيد ذلك ما فعله الإمام المهدى كما عبر به ابن سيرين وغيره وعمر بن العزيز بأن رجلا نال من معاوية بحضرته فضربه ثلاثة أسواط مع ضربه لمن سمى ابنه يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا كما سيأتى فتأمل فرقان ما بينهما وكان مع أبى هريرة رضى الله عنه علم من النبي صلى الله عليه وسلم بما مر عنه ﷺ فى يزيد فانه كان يدعو : اللهم إنى أعوذ بك من رأس الستين ، وإمارة الصبيان ، فاستجاب الله فتوفاه له سنة تسع وخمسين وكانت وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستين فعلم أبو هريرة بولاية يزيد فى هذه السنة فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بذلك ، وقال نوفل بن أبى الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال ، قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال : تقول أمير المؤمنين فأمر به فضرب عشرين سوطا ، ولإسرافه فى المعاصى خلعه أهل المدينة فقد اخرج الواقدى من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا ان نرمى بالحجارة من السماء ان كان رجلا ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة ، وقال الذهبى ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر واتيانه المنكرات أشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله فى عمره . وأشار بقوله ما فعل إلى ماوقع منه سنة ثلاث وستين فانه بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل لهم جيشا عظيما وأمرهم بقتالهم فجاؤا اليهم وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ماوقعة الحرة . ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم واحد، قتل فيها خلق من الصحابة ومن غيرهم فانا لله وإنا إليه راجعون

وبعد اتفاقهم على فسقه اختلفوا فى جواز لعنه بخصوص اسمه ، فأجازه قوم منهم ابن الجوزى ونقله عن أحمد وغيره فانه قال فى كتابه المسمى بالرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد سألنى سائل عن يزيد بن معاوية فقلت له يكفيه ما به فقال . أيجوز لعنه فقلت قد أجازه العلماء الورعون منهم أحمد بن حنبل فانه ذكر فى حق يزيد عليه اللعنة ثم روى ابن الجوزى عن القاضى أبى يعلى الفرا أنه روى فى كتابه المعتمد فى الأصول باسناده إلى صالح بن أحمد ابن حنبل قال قلت لأبى إن قوما ينسبونا إلى تولى يزيد فقال يابنى وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، ولم لا يلعن من لعنه الله فى كتابه، فقلت وأين لعن الله يزيد فى كتابه فقال فى قوله تعالى فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ـ فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل ، وفى رواية فقال يا بنى ما أقول فى رجل لعنه الله فى كتابه فذكره قال ابن الجوزى . وصنف القاضى أبو يعلى كتابا ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد ثم ذكر حديث من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها انتهى . والحديث الذى ذكره رواه مسلم ووقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبى وإباحة المدينة ما هو مشهور ، حتى فض نحو ثلاثمائة بكر وقتل من الصحابة نحو ذلك ومن قرأ القرآن نحو سبعمائة نفس وأبيحت المدينة أياما وبطلت الجماعة من المسجد النبوى أياما واختفت أهل المدينة أياما فلم يمكن أحدا دخول مسجدها حتى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره صلى الله عليه وسلم . تصديقا لما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم ولم يرض أمير ذلك الجيش الا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خول له إن شاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة على كتاب الله وسنة رسوله فضرب عنقه، وذلك فى وقعة الحرة السابقة ، ثم سار جيشه هذا إلى قتال ابن الزبير فرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار فأى شىء أعظم من هذه القبائح التى وقعت فى زمنه ناشئة عنه ، وهى مصداق الحديث السابق لا يزال أمر امتى قائما بالقسط حتى يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد ، وقال آخرون لا يجوز لعنه إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه وبه أفتى الغزالى وأطال فى الانتصار له وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا بما صرحوا به من أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا أن علم موته على الكفر كأبى جهل وأبى لهب وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه حتى إن الكافر الحى المعين لا يجوز لعنه لأن اللعن هو الطرد عن رحمة الله المستلزم لليأس منها وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا وان كان كافرا فى الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام، وصرحوا أيضاً بانه لا يجوز لعن فاسق مسلم معين وإذا علمت أنهم صرحوا بذلك علمت أنهم مصرحون بأنه لا يجوز لعن يزيد وإن كان فاسقا خبيثا ولو سلمنا أنه أمر بقتل الحسين وسر به لأن ذلك خبث لم يكن عن استحلال أو كان

عنه لكن بتأويل ولو باطلا وهو فسق لا كفر ، على أن أمره بقتله وسروره به لم يثبت صدوره عنه من وجه صحيح. بل كما حكى عنه ذلك حكى عنه ضده كما قدمته وأما ما استدل به أحمد على جواز لعنه من قوله أولئك الذين لعنهم الله: وما استدل به غيره من قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم: وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فلا دلالة فيهما لجواز لعن يزيد بخصوص اسمه والكلام إنما هو فيه وإنما الذي دل عليه جواز لعنه لا بذلك الخصوص وهذا جائز بلا نزاع ومن ثم حكى الاتفاق على انه يجوز لعن من قتل الحسين رضى الله عنه أو أمر بقتله او أجازه أو رضى به من غير تسمية ليزيد كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين وهذا هو الذى فى الآية والحديث إذ ليس فيهما تعرض للعن أحد بخصوص اسمه بل لمن قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة فيجوز اتفاقا أن يقال لعن الله من قطع رحمه ومن اخاف اهل المدينة ظلما ولذا جاز هذا اتفاقا لكونه ليس فيه تسمية أحد بخصوصه فكيف يستدل به أحمد وغيره على جواز لعن شخص معين بخصوصه مع وضوح الفرق بين المقامين ، فاتضح أنه لا يجوز لعنه بخصوصه وانه لا دلالة فى الآية والحديث للجواز ثم رأيت ابن الصلاح من أكابر ائمتنا الفقهاء والمحدثين قال فى فتاويه لما سئل عمن يلعنه لكونه أمر بقتل الحسين لم يصح عندنا انه امر بقتله رضى الله عنه ، والمحفوظ ان الآمر بقتاله المفضى الى قتله كرمه الله إنما هو عبيد الله بن زياد والى العراق اذ ذاك وأما سب يزيد ولعنه فليس شان المؤمنين وان صح انه قتله او امر بقتله وقد ورد فى الحديث المحفوظ ان لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضى الله عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب إثما عظيما وإنما يكفر بالقتل قاتل نبى من الأنبياء .والناس فى يزيد ثلاث فرق : فرقة تتولاه وتحبه ، وفرقة تسبه وتلعنه وفرقة متوسطة فى ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسلك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين فى ذلك ، وهذه الفرقة هى المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين ، ويعلم قواعد الشريعة المطهرة جعلنا الله من أخيار أهلها آمين انتهى لفظه بحروفه وهو نص فيما ذكرته وفى الأنوار من كتب أئمتنا المتأخرين : والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة ولكنهم مخطئون فيما يفعلونه ويذهبون اليه ، ولا يجوز الطعن فى معاوية لأنه من كبار الصحابة ، ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره فانه من جملة المؤمنين ، وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، قاله الغزالى والمتولى وغيرهما .

قال الغزالى وغيره : ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم ، فانه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين ، تلقى الأئمة الدين عنهم رواية، ونحن تلقيناه من الأئمة دراية ، فالطاعن فيهم مطعون طاعن فى نفسه ودينه قال ابن الصلاح والنووى الصحابة كلهم عدول ، وكان للنبى ﷺ مائة

ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موته ﷺ والقرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم ولما جرى بينهم محامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب انتهى ملخصا وما ذكره من حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ما ذكرته في هذا الكتاب لأن هذا البيان الحق الذي يجب اعتقاده من جلالة الصحابة وبراءتهم من كل نقص ، بخلاف ما يفعله الوعاظ الجهلة فإنهم يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها ولا يبينون المحامل والحق الذي يجب اعتقاده فيوقعون العامة في بغض الصحابة وتنقيصهم بخلاف ما ذكرناه ، فإنه لغاية إجلالهم وتنزيههم هذا . وقد بتر عمر يزيد لسوء ما فعله واستجابة لدعوة أبيه فإنه لم على عهده اليه فخطب وقال اللهم إن كنت إنما عاهدت ليزيد لما رأيت من فعله ، فبلغه ما أملته وأعنه ، وان كنت إنما حملني حب الوالد لولده وانه ليس لما صنعت به أهلا فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد اليه فاستمر مريضا إلى أن مات ولم يخرج الى الناس ولا صلى بهم ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور وكانت مدة خلافته أربعين يوما وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر . ومات عن إحدى وعشرين سنة وقيل عشرين ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولى صعد المنبر فقال إن هذه الخلافة حبل الله وان جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه ، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهينا بذنوبه ، ثم بكى وقال : إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباح الخمر وخرب الكعبة . ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مرارتها فشأنكم أمركم ، والله لئن كانت الدنيا خيرا فقد نلنا منها حظا ، ولئن كانت شرا فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها ، ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوما على ما مر ، فرحمه الله أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله كما عرفه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح رضي الله عنه ، فقد مر عنه أنه ضرب من سمى يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطا ، ولعظيم صلاحه وعدله ، وجميل أحواله ومآثره ، قال سفيان الثوري كما أخرجه عنه أبو داود في سننه : الخلفاء الراشدون خمسة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . وإنما لم يعد الحسن وابن الزبير مع صلاحية كل منهما أن يكون منهم ، بل مر النص على أن الحسن منهم ، لقصر مدة الحسن ولأن كلا منهما لم يتم له من نفاذ الكلمة واجتماع الأمة ما تم لعمر بن عبد العزيز ، وعن ابن المسيب أنه قال : الخلفاء ثلاثة : أبو بكر وعمر وعمر ، فقال له حبيب : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ، فمن عمر ؟ قال : إن عشت أدركته ، وإن مت كان بعدك هذا مع كون ابن المسيب مات قبل خلافة عمر ، والظاهر أنه اطلع على ذلك من بعض الصحابة الذين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بكثير مما يكون

بعده كأبى هريرة وحذيفة ، وكذا يقال فيما يأتى عن عمر من التبشير بعمر ، وورد من طرق أن الذئاب فى أيام خلافته رعت مع الشاة فلم تعد عليها إلا ليلة موته ، وأمه بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب وكان يبشر به ويقول : من ولدى رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا ، أخرجه الترمذى فى تاريخه ، وكان بوجه عمر بن عبد العزيز شجة ضربته دابة فى جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : إن كنت أشج بنى أمية؟ فصدق ظن أبيه فيه . وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال : ليت شعرى مَن ذو الشين من ولدى يملؤها عدلا كما ملئت جورا . وأخرج ابن عمر قال : كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضى حتى يلى رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة . وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز . وأخرج البيهقى وغيره من طرق عن أنس: ماصليت وراء إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من هذا الفتى ، يعنى عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة من جهة الوليد بن عبد الملك فانه لما ولى الخلافة بعهد أبيه إليه بها أمّر عمر عليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبى عيلة قال : دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولون : تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم ، قال بعض الحفاظ الفقهاء من المتأخرين : وهذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر انتهى. وهو كما قال ، فان عمر بن عبد العزيز كان من أوعية العلم والدين ، وأئمة الهدى والحق ، كما يعلم ذلك من طالع مناقبه الجليلة ومآثره العلية وأحواله السنية ، وقد استوفى كثيرا منها أبو نعيم وابن عساكر وغيرهما . ولولا خوف الإطالة والانتشار لذكرت منها غررا مستكثرة ، لكن فيما أشرت إليه كفاية .

﴿ ولنختم ﴾ هذا الكتاب بحكاية جليلة نفيسة فيها فوائد غريبة وهى : أن أبا نعيم أخرج بسند صحيح عن رباح بن عبيدة قال : خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده ، فقلت فى نفسى إن هذا الشيخ جافٍ ، فلما صلى ودخل لحقته فقلت: أصلح الله الأمير من الشيخ الذى كان يتكىء على يدك قال : يا رباح رأيته ؟ قلت نعم ، قال: ما أحسبك إلا رجلا صالحا ، ذاك أخى الخضر أتانى فأعلمنى أنى سألى أمر هذه الأمة وأنى أساعدك فيها ، فرحمه الله ورضى عنه(١) وأنا أسأل الله المنان الوهاب أن يلحقنى بعباده الصالحين ،

---

(١) ذكر النووى فى تهذيب الأسماء . أن أكثر العلماء على أن الخضر حى موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم فى رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده فى المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وذكر أن ابن الصلاح أفتى بأنه حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم وأن أبا إسحق الثعلبى قال : الخضر على جميع الأقوال نبى معمر محجوب عن الأبصار — واجتماع الخضر بعمر بن

وأوليائه العارفين ، وأحبابه المقربين ، وأن يميتنى على محبتهم ، ويحشرنى فى زمرتهم ، وأن يديم لى خدمة جناب آل محمد وصحبه ، ويمن على برضاه وحبه ، ويجعلنى من الهادين المهديين ، أئمة أهل السنه والجماعة ، العلماء والحكماء السادة القادة ، العاملين ، إنه أكرم كريم ، وأرحم رحيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والحمد لله أولا وآخرا ، وظاهرا وباطنا ، سرا وعلنا يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شىء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ماقال العبد ، وكلنا لك عبد ، لامانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والصلاة والسلام التامان الأكملان ، على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته عدد خلقك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك . ومداد كلماتك ، كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون .

تتمة

لما فرغت من هذا الكتاب أعنى الصواعق المحرقة رأيت بعد أربع عشرة سنة وقد كتب منه من النسخ مالا أحصى ، ونقل إلى أقاصى البلدان والأقاليم كأقصى المغرب وما وراء النهر ، سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن - كتابا فى مناقب أهل البيت ، فيه زيادات على مامر لبعض الحفاظ من معاصرى مشايخنا وهو الحافظ السخاوى ، وكان يمكن إلحاق زياداته لقلتها على حواشى النسخ لكن لتفرقها تعذر ذلك فأردت أن ألخص هذا الكتاب مع زيادات فى ورقات إن أفردت فهى كافية فى التنبيه على كثير من مآثرهم وإن ضمت لهذا الكتاب فهى مؤكدة تارة ومؤسسة أخرى (فأقول) إعلم أنه أشار فى خطبة هذا الكتاب إلى بعض حط على ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى للإمام الحافظ المحب الطبرى ، بأن فيه كثيرا من الموضوع والمنكر فضلا عن الضعيف ثم نقل عن شيخه الحافظ العسقلانى أنه قال فى حق المحب الطبرى : إنه كثير الوهم فى عزوه للحديث مع كونه لم يكن فى زمنه مثله ، ثم ذكر مقدمة فى بيان فروع بنى هاشم وفروع بنى المطلب ولا حاجة لنا بذلك لأنه معروف مشهور أكثره ، ولأن الغرض إنما هو ذكر ما يختص بآل البيت المطهر وفيه أبواب

عبد العزيز ذكره ابن حجر العسقلانى فى الاصابة وقال فى الرواية التى أخرجها أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عمر بن عبد العزيز أنه خرجها أيضا أبو عروبة الحرانى فى تاريخه ويعقوب بن سفيان بسند قال فيه ابن حجر هذا أصلح إسناد وقفت عليه فى هذا الباب وذكر أن الحافظ العراقى رجع عن القول بعدم حياته وأنه أدرك من كان يجتمع به ومنهم علم الدين البساطى المالكى قاضى المالكية زمن الظاهر برقوق وللحافظ رسالة تسمى بالروض النضر بأنباء الخضر يميل فيها إلى القول بحياته .

باب

(وصية النبي صلى الله عليه وسلم بهم)

قال صلى الله عليه وسلم : ألا إن عَيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم حديث حسن وفي رواية ، ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . أي إنهم جماعتي وأصحابي الذين أثق بهم وأطلعهم على أسراري واعتمد عليهم . وكرشي باطني وعيبتي ظاهري وجمالي . وهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم ، ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم اقيلوهم عثراتهم فهو كحديث أقيلوا ذوي الهيآت وصح من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى بأن المراد منه أنه ما من بطن من قريش إلا وللنبي ﷺ إليها ولادة وقرابة قريبة أي ان لم تؤمنو بما جئت به وتتابعوني عليه فلا أسألكم مالا وإنما أسألكم أن تحفظوا القرابة التي بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تنفروا الناس عني صلةً للرحم التي بيني وبينكم ، إذ أنتم في الجاهلية كنتم تصلون الأرحام ولا تدَعوا غيركم من العرب يكون أولى منكم بحفظي ونصرتي ، وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته وغيرهم ، ولكن خالفه أجلهم تلميذه الإمام سعيد بن جبير ففسر بحضرته الآية بأن المراد : قل لا أسألكم أيها الناس مالا على ما بلغته إليكم وإنما الذي أسألكموه أن تصلوا قرابتي وتودوني فيهم ، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الأول أيضا أي وهو التحقيق لأنها صالحة لكل منهما ، لكن يؤيد الأول أن السورة مكية وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ولم يرجع اليه ، وجاء من طريق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ورفع ذلك إلى النبي ﷺ فقال : قالوا يارسول الله — عند نزول الآية — من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ . قال : على وفاطمة وابناهما وفي طريق ضعيف أيضا لكن لها شاهد مختصر صحيح أن سبب نزول الآية افتخار الأنصار بآثارهم الحميدة في الإسلام على قريش فأتاهم ﷺ في مجالسهم فقال ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا : بلى يارسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك ، أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله فنزلت الآية . وفي طريق ضعيفة أيضا أن سبب نزولها أنه ﷺ لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الأنصار مالا ، فقالوا يا رسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس معك سعة فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها فنزلت .

وكونه ابن أختهم جاء في الرواية الصحيحة لأن أم عبد المطلب من بني النجار منهم ،

وفى حديث سنده حسن ، ألا إن لكل نبى تركة ووضيعة وإن تركتى ووضيعتى الأنصار فاحفظونى فيهم . ويؤيد ما مر من تفسير ابن جبير أن الآية فى الآل ، ما جاء عن على كرم الله وجهه قال نزلت فينا فى الرحم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ الآية ، وجاء ذلك عن زيد العابدين أيضاً فانه لما قتل أبوه الحسين كرم الله وجهه جىء به أسيرا فأقيم على درج دمشق فقال رجل من أهل الشام : الحمد لله الذى قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له زين العابدين : أقرأت القرآن ؟ قال نعم فبين له أن الآية فيهم وأنهم القربى فيها فقال وإنكم لأنتم هم قال نعم أخرجه الطبرانى .

(وأخرج) الدولابى أن الحسن كرم الله وجهه قال فى خطبته : أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنبينا ﷺ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا واقتراف الحسنة مودتنا أهلَ البيت ، وأورد المحبّ الطبرى أنه ﷺ قال ان الله جعل أجرى عليكم المودة فى أهل بيتى وإنى سائلكم غدا عنهم ، وقد جاءت الوصية الصريحة بهم فى عدة أحاديث منها حديث إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى الثقلين أحدهما أعظم من الاخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفونى فيهما قال الترمذى حسن غريب ، وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزى فى إيراده فى العلل المتناهية ، كيف وفى صحيح مسلم وغيره فى خطبته قرب رابغ مرجعَه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر إنى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد بن أرقم راويه ، من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده ، قيل ومن هم قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضى الله عنهم ، قيل كل هؤلاء حرم الصدقة ، قال نعم . وفى رواية صحيحة كأنى قد دعيت فأجبت إنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما آكد من الآخر : كتاب الله عز وجل وعترتى : أى بالمثناة ـ فانظروا كيف تخلفونى فيهما فانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، وفى رواية وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض سألت ربى ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم ، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا الا حاجة لنا يبسطها ، وفى رواية آخر ما تكلم به النبى ﷺ أخلفونى فى أهلى . وسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما إذ يقال لكل خطير شريف ثقلا ، أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جدا . ومنه قوله تعالى إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا أى له وزن وقدر لأنه لا يؤدى إلا بتكليف ما يثقل وسمى الأنس والجن ثقلين لاختصاصهما بكونهما

قطتان الأرض وبكونهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان ، وفي هذه الأحاديث سيما قوله صلى الله عليه وسلم انظروا كيف تخلفونى فيهما وأوصيكم بعترتى خيرا وأذكركم الله فى أهل بيتى الحث الاكيد على مودتهم ومزيد الإحسان اليهم وإحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة ، كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلى وأهل بيته وعقيل وبنيه وبنى جعفر ، وفى قوله ﷺ لا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية ، والوظائف الدينية ،كان مقدما على غيره ويدل له التصريح بذلك فى كل قريش كما مر فى الاحاديث الواردة فيهم ،وإذا ثبت هذا لجملة قريش فاهل البيت النبوى الذين هم غرة فضلهم ومحتد فخرهم والسبب فى تميزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحق وأولى وسبق عن زيد بن أرقم أن نساءه ﷺ من أهل بيته ثم قال ولكن أهل بيته إلى آخره ويؤخذ منه أنهم من أهل بيته بالمعنى الاعم دون الاخص وهو من حرمت عليه الصدقة ، ويؤيد ذلك خبر مسلم أنه ﷺ خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فادخله ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله رضى الله عنهم ثم قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وفى رواية : اللهم هؤلاء أهل بيتى وفى أخرى أن أم سلمة أرادت ان تدخل معهم فقال ﷺ بعد منعه لها انت على خير ، وفى أخرى أنها قالت يارسول الله وأنا فقال وأنت : من أهل البيت العام بدليل الرواية الأخرى ، قالت وانا قال وانت من اهلى وكذا قال ﷺ لواثلة لما قال يا رسول الله وانا فقال انت من اهلى وروى انه ﷺ قال لعلى سلمان منا آل البيت وهو ماصح فاتخذه لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته وعظيم قربه وولائه . وفى سند كل ما عدا رواية مسلم مقال ، وفى رواية اسامة منا آل البيت ظهر البطن وروى احمد عن أبى سعيد الخدرى أن الذين نزلت فيهم الآية النبى ﷺ وعلى فاطمة وابناهما رضى الله عنهم وكذا اشتمل ﷺ بملاءة على عمه العباس وبنيه رضى الله عنهم وقال يارب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى هذه فامنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين آمين وحديث مسلم أصح من هذا واهل البيت فيه غير اهله فى حديث العباس وبنيه المذكور لما مر أن له اطلاقين اطلاقا بالمعنى الاعم وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى ، ومن صدق فى ولائه ومحبته أخرى واطلاقا بالمعنى الأخص وهم من ذكروا فى خبر مسلم وقد صرح الحسن رضى الله عنه بذلك فانه حين استخلف وثب عليه رجل من بنى أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغا ولذا عاش بعده عشر سنين فقال : يا أهل العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويطهركم تطهيرا قالوا ولآنتم هم قال نعم ، وقول زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة هو بضم المهملة وتخفيف الراء والمراد بالصدقة فيه الزكاة وفسرهم الشافعي وغيره ببنى هاشم والمطلب وعوضوا عنها خمس الخمس من الفيء والغنيمة المذكور فى سورتى الأنفال والحشر إذ هم المراد بذى القربى فيهما ، قال البيهقى وفى تخصيصه ﷺ بنى هاشم والمطلب باعطائهم سهم ذوى القربى وقوله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم والمطلب شيء واحد ، فضيلة أخرى ، وهى أنه حرم عليهم الصدقة وعوّضهم عنها خمس الخمس فقال إن الصدقة لاتحل لمحمد ولا لآل محمد قال وذلك يدل أيضا على أن آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه هم الذين حرم الله عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فالمسلمون من بنى هاشم والمطلب يكونون داخلين فى صلاتنا على آل نبينا صلى الله عليه وسلم فى فرائضنا ونوافلنا وفيمن أمرنا بحبهم انتهى . وقصر مالك وأبو حنيفة رضى الله عنهما تحريم الزكاة على بنى هاشم وعن أبى حنيفة جوازها لهم مطلقا وقال الطحاوى إن حرموا سهم ذوى القربى وأبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعى وأحمد حل أخذهم النفل . وهو رواية عن مالك وعنه حلّ أخذ الفرض دون التطوع لأن الذى فيه أكثر وأسند المحب الطبرى خبرا استوصوا بأهل بيتى خيرا فانى أخاصمكم عنهم غدا ، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار قال الحافظ السخاوى لم أقف له على أصل أعتمده ، وصحّ عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال ارقبوا محمدا — أى احفظوا عهده ووده ﷺ — فى أهل بيته .

باب

الحث على حبهم والقيام بواجب حقهم

صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى (١) (وأخرج) البيهقى وغيره لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من نفسه وتكون عترتى أحب إليه من عترته وتكون ذاتى أحب إليه من ذاته ، وصح أن العباس قال : يارسول الله إن قريشا إذا لقى بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال : والذى نفسى بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله ، وفى رواية لابن ماجه عن ابن عباس كنا نلقى قريشا وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال ما بال أقوام يتحدثون فاذا رأوا الرجال من أهل بيتى قطعوا حديثهم والله لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم منى ، وفى أخرى عند أحمد وغيره حتى يحبهم لله ولقرابتى

---

(١) الحديث رواه الترمذى وقال حسن غريب والحاكم أيضا وقد سبق القول فيه .

وفى أخرى الطبرانى جاء العباس رضى الله عنه إلى النبى ﷺ فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت - أى بقريش والعرب - فقال ﷺ لايبلغ الخير - أو قال الإيمان - عبد حتى يحبكم لله ولقرابتى أترجو سهاب - أى حىّ من مراد - شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب ، وفى أخرى للطبرانى أيضا يابنى هاشم إنى قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهدى ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم وإن العباس رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه فقال : يارسول الله إنى انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأونى سكتوا وماذاك إلا أنهم يبغضونا ، فقال ﷺ : أوقد فعلوها والذى نفسى بيده لايؤمن أحد حتى يحبكم لحبى أيرجون أن يدخلوا الجنة بشفاعتى ولا يرجوها بنو عبدالمطلب! وفى حديث بسندضعيف أنه ﷺ خرج مغضبا فرقى المنبر لحمدالله وأثنى عليه ثم قال :ما بال رجال يؤذونى فى أهـــل بيتى والذى نفسى بيده لايؤمن عبد حتى يحبنى ولا يحبنى حتى يحب ذوىّ . وفى رواية للبيهقى وغيره بعضها سنده ضعيف وبعضها سنده واهٍ أن نسوة عيّرن بنت أبى لهب بأبيها فغضب صلى الله عليه وسلم واشتد غضبه فصعد المنبر ثم قال : أيها الناس مالى أوذى فى أهلى فوالله إن شفاعتى لتنال قرابتى ، وفى رواية ما بال أقوام يؤذوننى فى نسبى وذوى رحمى ألا ومن آذى نسبى وذوى رحمى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، وفى أخرى ما بال رجال يؤذوننى فى قرابتى ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله تبارك وتعالى ، وروى الطبرانى أن أم هانىء أخت على رضى الله عنهما بداقرطاها فقال لها عمر :إن محمداً لايغنى عنك من الله شيئاً ، فجاءت إليه فاخبرته فقال صلى الله عليه وسلم تزعمون أن شفاعتى لاتنال أهل بيتى وإن شفاعتى تنال صُداء وحَكَما - أى وهما قبيلتان من عرب اليمن - وروى البزار أن صفيّة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى لها ابن فصاحت فصبّرها النبى صلى الله عليه وسلم فخرجت ساكتة فقال لها عمر: صراخك إن قرابتك من محمد صلى الله عليه وسلم لاتغنى عنك من الله شيئا فبكت فسمعها النبى صلى الله عليه وسلم وكان يكرمها ويحبها فسألها فاخبرته بما قال عمر فأمر بلالا فنادى بالصلاة فصعد المنبر ثم قال:ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لاتنفع كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى وسببى فانها موصولة فى الدنيا والآخرة الحديث بطوله وفيه ضعفاء ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنفع قومه يوم القيامة والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة وإنى أيها الناس فرطكم على الحوض . ولا ينافى هذه الأحاديث مافى الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتك خرج فجمع قومه ثم عم وخص بقوله:لاأغنى عنكم من الله شيئاً حتى قال يافاطمة بنت محمد. إما لأن هذه الرواية محمولة على من مات كافرا أو أنها خرجت مخرَج التغليظ والتنفير أو أنها قبل علمه بأنه يشفع عموما وخصوصا .

وجاء عن الحسن رضى الله عنه أنه قال لرجل يغلو فيهم : ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فابغضونا . فقال له الرجل إنكم ذوو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته : فقال ويحكم ، لو كان الله نافعنا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا وإنى أخاف أن يضاعف للعاصى منا العذاب ضعفين ، وورد إنما سميت ابنتى فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار (وأخرج) أبو الفرج الأصبهانى إن عبد الله بن الحسن بن على رضى الله عنهم دخل يوما على عمر بن عبد العزيز وهو حَدَث السن ، وله وَفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم أخذ بعكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه ، وقال اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج ليم على مافعل به فقال حدثنى الثقة حتى كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما فاطمة بضعة منى يسرّنى مايسرّها وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حيّة لسرّها مافعلت بابنها قالوا فما غمزُك بطنَه وقولك ماقلت فقال إنه ليس أحد من بنى هاشم إلا وله شفاعة ، ورجوت أن أكون فى شفاعة هذا ، وروى الطبرانى بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم قال الزموا مودتنا أهلَ البيت فانه من لقى الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفسى بيده لا ينفع أحدا عمله إلا بمعرفة حقّنا (وأخرج) الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى كرم الله وجهه أنت وشيعتك ـ أى أهل بيتك ومحبوكم الذين لم يبتدعوا بسب أصحابى ولا بغير ذلك ـ تردون علىّ الحوض رواءً مرويين مبيضّة وجوهكم وأن عدوّكم يردون علىّ ظماء مقمَحين . وفى رواية إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبى شيعتك . وروى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة مغفرة لاتغادر ذنبا . اللهم اخلُفه فى ولده . وكذا دعا صلى الله عليه وسلم بالمغفرة للأنصار ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ولمن أحبهم ، وروى المحب الطبرى حديث لايحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى ولا يبغضنا إلا منافق شقى (وأخرج) الديلمى من أحبّ الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبّنى ومن أحبنى أحبّ أصحابى وقرابتى ، وحديث أحبوا أهلى وأحبوا عليّا فان من أبغض أحدا من أهلى فقد حرم شفاعتى . قال ابن عدي وابن الجوزى موضوع وحديث حب آل محمد يوما خير من عبادة سنة . وحديث حبي وحب آل بيتى نافع فى سبع مواطن أهوالها عظيمة وحديث معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب ، قال الحافظ السخاوى وأحسب الثلاثة غير صحيحة الاسناد وحديث أنا شجرة وفاطمة حملها وعلى لقاحها والحسن والحسين ثمرها والمحبون أهل بيتى ورقها فى الجنة حقا حقا ، وحديث إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على مابهم من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر ليلة البدر موضوعات ، وحديث من مات على حب آل محمد مات شهيدا مغفورا له تائبا مؤمنا مستكمل الإيمان يبشره ملك الموت بالجنة ومنكر

ونكير يزفانه الى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها وفتح له بابان إلى الجنة ومات على السنة والجماعة ، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله أخرجه مبسوطا الثعلبى فى تفسيره ، قال الحافظ السخاوى وآثار الوضع كما قال شيخنا ـ أى الحافظ ابن حجر ـ لائحة عليه ، وحديث من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو فى عليين ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو فى الدرجة التى تليها ، ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو فى الدرجة التى تليها . فى سنده غال فى الرفض وهالك كذاب .

(وأخرج) الطبرانى وأبو الشيخ حديث : إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه ، قلت وما هن ؟ قال : حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى . وأخرج أبو الشيخ أيضا والديلمى : من لم يعرف حق عترتى والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث : إما منافق وإما لزنية وإما حملت به أمه فى غير طهر(١) .

باب

(مشروعية الصلاة عليهم تبعا للصلاة على مشرفهم ﷺ)

صح يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم الحديث . وفى بقية الروايات كيف نصلى عليك يارسول الله ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ، ويستفاد من الرواية الأولى أن أهل البيت من جملة الآل أوهم الآل لكن صح مايصرح بأنهم بنو هاشم والمطلب ، وهم أعم من أهل البيت ومر أن أهل البيت قد يراد بهم الآل وأعم منهم . ومنه حديث أبى داود : من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، وجاء بسند ضعيف عن واثلة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جمع فاطمة وعليا والحسن والحسين تحت ثوبه اللهم قد جعلت صلاتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك على إبراهيم وآل إبراهيم إنهم منى وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على وعليهم . قال واثلة وكنت واقفا على الباب فقلت وعلى بأبى أنت وأمى يارسول الله فقال : اللهم وعلى واثلة .

(وأخرج) الدارقطنى والبيهقى حديث من صلى صلاة ولم يصل فيها على وعلى أهل بيتى

---

(١) الحديث أخرجه الباوردى وابن عدى والبيهقى كما فى رامور الأحاديث وفيه الزنية بالتعريف وهى اسم الزنا .

لم تقبل منه ، وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه أن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لكنه ضعيف ، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح ، وبقي لهذه الأحاديث تتمات وطرق بينتها في كتابي الدر المنضود (١) .

باب
﴿ دعائه ﷺ بالبركة في هذا النسل المكرم ﴾

روى النسائي في عمل اليوم والليلة أن نفرا من الأنصار قالوا لعلي رضي الله عنه : لو كانت عندك فاطمة ؟ فدخل رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم يعني ليخطبها فسلم عليه فقال ماحاجتك يا ابن أبي طالب ؟ قال : ذكرت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مرحبا وأهلا لم يزده عليها فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا : ماوراءك ؟ قال . ما أدري غير أنه قال لي مرحبا وأهلا ، قالوا : يكفيك من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب ، فلما كان بعد ذلك بعد مازوّجه قال : ياعلي لابد للعرس من وليمة قال سعد رضي الله عنه : عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة ، قال فلما كان ليلة البناء قال لاتحدث شيئا حتى تلقاني فدعا ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على عليّ وفاطمة رضي الله عنهما وقال : اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما ورواه آخرون مع حذف بعضه .

باب
﴿ بشارتهم بالجنة ﴾

مرّ في الباب الثاني عدة أحاديث في أن لهم منه صلى الله عليه وسلم شفاعة مخصوصة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ، أخرجه تمام في فوائده والبزار والطبراني بلفظ فحرمها الله وذريتها على النار ، وجاء عن علي بسند ضعيف قال شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا

---

(١) في القول البديع للسخاوي مذاهب العلماء في حكم الصلاة على غير الأنبياء وهي المنع مطلقا بالاستقلال او بالتبع وهو عن مالك واختيار القرطبي وأبي المعالي من الحنابلة والجواز تبعا فقط عن أبي حنيفة ومع الكراهة عن أحمد والجواز مطلقا وهو صنيع البخاري وذكر تفصيل ابن القيم وهو جواز ذلك مطلقا على آل الرسول وأزواجه وذريته وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموما والكراهة على غير هؤلاء على التعيين والحرمة إذا جعل شعاراً له كما تفعل الرافضة لعلي رضي الله عنه .

فى الناس فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيمانا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا . وفى رواية سندها ضعيف جدا أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى : إن أوّل أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا . وروى ابن السرى والديلمى فى مسنده :نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلى وجعفر ابنا أبى طالب والحسن والحسين والمهدى(١) . وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال : وعدنى ربى فى أهل بيتى من أقر منهم بالتوحيد ولى بالبلاغ أن لايعذبهم . وجاء بسند رواته ثقات أنه ﷺ قال لفاطمة: إن الله غير معذبك ولا ولدك(٢) وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس : ياعباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك . وفى رواية : ياعم سترك الله وذريتك من النار . وروى المحب الطبرى والديلمى وولده بلا إسناد حديث سألت ربى أن لايدخل النار أحدا من أهل بيتى فأعطانى ذلك . وروى المحب عن على قال: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لى ففعل ، قلت مافعل ؟ قال فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم ، وفى حديث قال السخاوى : لايصح ياعلى إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبى شيعتك فابشر فانك الأنزع البطين، وروى أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال: يامعشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة مابدأت إلا بكم . وفى حديث سنده ضعيف أول من يرد على حوضى أهل بيتى ومن أحبنى من أمتى ، وصح أول الناس يرد على الحوض فقراء المهاجرين الشعث .

(وأخرج) الطبرانى والدارقطنى وغيرهما: أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم وفى رواية للبزار والطبرانى وابن شاهين وغيرهم: أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف .

باب
﴿ الأمان ببقائهم ﴾

(أخرج) جماعة بسند ضعيف خبر : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأمتى وفى رواية لأحمد وغيره النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل

---

(١) الحديث فى الجامع الصغير من رواية ابن ماجه والحاكم .
(٢) الحديث أخرجه الطبرانى وقال فى مجمع الزوائد رجاله ثقات وتقدم القول فى معناه .

بيتى أمان لأهل الارض فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الأرض وصح : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف ـ أى المؤدى لاستئصال الأمة ـ فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس . وجاء من طرق كثيرة يقوى بعضها بعضا مثل أهل بيتى ـ وفى رواية إنما مثل أهل بيتى وفى أخرى أن مثل أهل بيتى وفى رواية ألا إن مثل أهل بيتى فيكم ـ مثل سفينة نوح فى قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . وفى رواية من ركبها سلم ومن تركها غرق، وأن مثل أهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى إسرائيل من دخله غفر له . وجاء عن الحسين كرم الله وجهه : من أطاع الله من ولدى واتبع كتاب الله وجبت طاعته وعن ولده زين العابدين رضى الله عنهما إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل مثل أعمالنا . وعن المحب الطبرى لأبى سعيد فى شرف النبوة بلا إسناد حديث أنا وأهل بيتى شجرة فى الجنة وأغصانها فى الدنيا ، فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلا ، وأورد أيضا بلا إسناد حديث فى كل خلف من أمتى عدول من أهل بيتى ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الحديث ، وأشهر منه الحديث المشهور : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه إلى آخره وهذا هو مستند ابن عبد البر وغيره أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه بجرح فهو عدل .

باب

(خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم)

جاء من طرق بعضها رجاله موثقون أنه صلى الله عليه وسلم قال : كل سبب ونسب منقطع وفى رواية ينقطع يوم القيامة إلا ـ وفى وراية ماخلا ـ سببى ونسبى يوم القيامة ، وكل ولد أم ـ وفى رواية وكل ولد أب ـ فان عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فانى أنا أبوهم وعصبتهم . وهذا الحديث رواه عمر رضى الله عنه لعلى رضى الله عنهما لما خطب منه بنته أم كلثوم فاعتل بصغرها فقال : إنى لم أرد الباءة ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره ثم قال . فأحببت أن يكون لى من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب ، ولما تزوجها قال للناس ألا تهنونى؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر الحديث : وفى رواية كل سبب وصهر منقطع إلا سببى وصهرى، وفى رواية فى سندها ضعف لكل بنى أم عصبة ينتمون اليه الا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم . وفى رواية فأنا أبوهم وأنا عصبتهم، وجاء من طرق يقوى بعضها بعضا خلافا لما زعمه ابن الجوزى أن الله عزوجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه وأن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب . وفى هذه الأحاديث دليل ظاهر لما قاله جمع من محقق أئمتنا أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينسبون إليه فى الكفاءة وغيرها أي حتى لا يكافىء بنت شريف ابن هاشمي غير شريف

وأولاد بنات غيره إنما ينسبون لآبائهم لاإلى آباء أمهاتهم وفى البخارى أنه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو ينظر للناس مرة وللحسن مرة : إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين . قال البيهق . وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم ابنه حين ولد وسمى إخوته بذلك . وعن الحسن بسند حسن : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر على جَرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها فى فىّ فأخذها بلعابها ثم قال . إنا آل محمد لاتحل لنا الصدقة .

(وأخرج) أبو داودوالنسائىوابنماجه وآخرونخبر : المهدىمنعترتى منولد فاطمة، وفى أخرى لأحمد وغيره ، المهدى منا أهل البيت يصلحه الله فى ليلة ، وفى أخرى للطبرانى المهدى منّا يختم الدين بنا كما فتح . وروى أبو داود فى سننه عن على كرم الله وجهه أنه نظر إلى ابنه الحسن رضى الله عنه فقال : إن ابنى هذا سّيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى اخلق يملأ الارض عدلا ، وفى رواية أن عيسى صلى الله عليه وسلم يصلىّ خلفه ، وصحّ عن ابنعباس رضىالله عنهما أنه قال : منا أهلَ البيت أربعة منا السّفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدى ، ثم ذكر بعض وصف كلّ من الثلاثة الأول ثم قال . وأما المهدى فانه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمن البهائم والسباع وتلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة منالذهب والفضة . وهذاكحديث ، المهدى منولد العباس عمّى ، وكحديث هذا ـ أى العباس عمى ـ أبو الخلفاء وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدى ، ياعم بى فتح الله هذا الأمر ويختمه برجل من ولدك ، سند كل منهما ضعيف ، وعلى تقدير صحتهما لا ينافى كون المهدى من ولد فاطمة المذكور فى الأحاديث التى هى أصح وأكثر . لأنه مع ذلك فيه شعبة من بنى العباس كما أن فيه شعبة من بنىالحسين ، وأماهوحقيقة فهو منولدالحسن كما مرعنعلى كرماللهوجهه (وأخرج) ابن المبارك عن ابن عباس أنه قال : المهدى اسمه محمد بن عبدالله رَبْعة مشرَب بحمرة يفرج الله به عن هـذه الأمة كل كرب ويصرف بعد له كل جور ، ثم يلى الأمر من بعده أثنا عشر رجلا ، ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين ، وآخر من غيرهم ، ثم يموت فيفسد الزمان ، وحديث لا مهدى إلا عيسى بن مريم معلول ، أو المراد لا مهدى كامل على الاطلاق إلا عيسى ، وجاء فى روايةأشبهالخلق به ﷺ من أهل بيته ولده ابراهيم ـ وفى أخرى فاطمة ـ فى الحديث والكلام والمشية وفى أخرى صحيحة الحسن أى فى الوجه والنصف الأعلى وفى أخرى الحسين أى فيما بقى ، وعد المهدى ممن أشبهوه ﷺ وهم كثيرون أقواهم شبها جماعة من أهل البيت المطهرغلط قائله بما مر أنه يشبهه خلقا لا خلقا (وأخرج) الطبرانى والخطيب حديث : يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلا بنى هاشم فانهم لايقومون

لأحد وجاء عن ابن عباس بسند ضعيف أنه قال نحن أهل البيت شجرة النبوة مختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة ، وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم . وعن على بسند ضعيف أيضا قال نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء وحزبنا حزب الله عز وجل ، والفئة الباغية حزب الشيطان ، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا .

باب

إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت

صح عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال لعلى كرم الله وجهه والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتى ، وحلف عمر للعباس رضى الله عنهما أن إسلامه أحب اليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول الله ﷺ ، وأتى زين العابدين ابن عباس فقال له مرحبا بالحبيب ابن الحبيب، وصلى زيد بن ثابت رضى الله عنه على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فأخذ ابن عباس رضى الله عنهما بركابه فقال له خل عنك يا ابن عم رسول الله ، فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت ؟ بيت نبينا وأتى عبد الله بن حسن بن حسين عمر بن عبد العزيز فى حاجة فقال له إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إلى فانى أستحى من الله أن يراك على بابى ، وقال أبو بكر بن عياش لو أتانى أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فى حاجة لبدأت بحاجة على قبلهما لقرابته من رسول الله ﷺ ولأن أخر من السماء إلى الارض أحب إلى أن أقدمهما عليه ، وكان ابن عباس إذا بلغه حديث عن صحابى ذهب اليه فاذا رآه قائلا توسد رداءه على بابه ، فتسفى الريح التراب على وجهه حتى يخرج فيقول ألا أرسلت إلى فآتيك ، فيقول له ابن عباس أنا أحق أن آتيك .

ودخلت فاطمة بنت على على عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ فى إكرامها وقال والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب الى منكم ولأنتم أحب إلى من أهلى . وعوتب أحمد فى تقريبه لشيعى فقال سبحان الله رجل أحب قوما من أهل بيت النبى ﷺ وهو ثقة ، وكان إذا جاءه شريف بل قرشى قدمه وخرج وراءه . وضرب جعفر بن سليمان والى المدينة مالكا حتى حمل مغشيا عليه فدخل عليه فأفاق فقال : أشهدكم أنى قد جعلت ضاربى فى حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبى صلى الله عليه وسلم فأستحى منه أن يدخل بعض آله النار بسببى (ولما) دخل المنصور المدينة مكن مالكا من القود من ضاربه فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمى إلا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله ﷺ .

وقال رجل للباقر وهو بفناء الكعبة : هل رأيت الله حيث عبدته فقال :ما كنت أعبد

شيئاً لم أره ، قال وكيف رأيته ؟ قال : لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان . وزاد على ذلك ما أبهر السامعين ، فقال الرجل الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقارف الزهرى ذنبا فهام على وجهه فقال له زين العابدين : قنوطك من رحمة الله التى وسعت كل شىء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهرى الله أعلم حيث يجعل رسالاته فرجع إلى أهله وماله وكان هشام بن اسمعيل يؤذى زين العابدين وأهل بيته وينال من على ، فعزله الوليد وأوقفه للناس وكان أخوف ما عليه أهل البيت ، فمر عليهم فلم يتعرض له أحد منهم فنادى الله اعلم حيث يجعل رسـالاته .

باب
(مكافأته صلى الله عليه وسلم لمن أحسن اليهم)

(أخرج) الطبرانى حديث من صنع إلى احد من ولد عبدالمطلب يدا فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلى مكافأته غدا إذا لقينى . وجاء بسند ضعيف أربعة أنالهم مشفع يوم القيامة المكرم لذريتى ، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى امورهم عند ما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه ، وفى روايه فى سندها كذاب من اصطنع صنيعه الى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقينى يوم القيامة وحرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عـترتى .

باب
(إشارته صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم من الشدة بعده)

قال ﷺ ان اهل بيتى سيلقون بعدى من امتى قتلا وتشريدا وان اشد قومنا لنا بغضا بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم وصححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور (واخرج) ابن ماجه انه ﷺ رأى فتية من بنى هاشم فاغرورقت عيناه فسئل فقال إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريدا وتطريدا الحديث (وأخرج) ابن عساكر أول الناس هلاكا قريش وأول قريش هلاكا أهل بيتى وفى رواية فما بقاء الناس بعدهم قال بقاء الحمار إذا كسر صلبه .

باب
(التحذير من بغضهم وسبهم)

مر خبر : من أبغض أحدا من اهل بيتى حرم شفاعتى ، وحديث لا يبغضنا الا منافق شقى ، وحديث من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمه الله ؛ وقال الحسن من عادانا فلرسول الله ﷺ عادى ، وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى

بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد الا ادخله الله النار وروى احمد وغيره من ابغض اهل البيت فهو منافق ؛ وفي رواية بغض بني هاشم نفاق وجاء عن الحسن بسند ضعيف إياك وبغضنا فان رسول ﷺ قال لا يبغضنا ولا يحسدنا احد الا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار، وفي رواية من ابغضنا اهل البيت حشره الله يهودياً وإن شهد ان لا إله الا الله ولكن سندها مظلم ومن ثم حكم ابن الجوزي كالعقيلي بوضعها . وصح انه ﷺ قال يا بني عبد المطلب انى سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وان يهدى ضالكم وان يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء فلو ان رجلا صفن - اى من الصفن وهو صف القدمين - بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو يبغض آل بيت محمد ﷺ دخل النار ، وورد من سب اهل بيتى فانما يرتد عن الله والإسلام ومن آذانى فى عترتى فعليه لعنة الله ومن آذانى فى عترتى فقد آذى الله ان الله حرم الجنة على من ظلم اهل بيتى او قاتلهم او اعان عليهم او سبهم ، يا ايها الناس ان قريشا اهل امانة فمن بغاهم العواثر كبه الله عز وجل لمنخريه مرتين ، من يرد هوان قريش اهانه الله، خمسة اوستة لعنتهم وكل نبي مجاب الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل محارم الله والمستحل من عترتى ما حرم الله والتارك للسنة

خاتمة فى أمور مهمة

أولها : يتعين ترك الانتساب اليه صلى الله عليه وسلم الا بحق . ففى البخاري أن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى عينه مالم تر الحديث ، وروى أيضا ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر ، وروى ايضا من ادعى الى غير أبيه فالجنة حرام عليه ، وفى رواية فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وروى جماعة أحاديث أخر - أن ادعاء نسب بالباطل أو التبرى منه كذلك كفر ، أى للنعمة أوان استحل أو يؤدى اليه - ومن هنا توقف كثير من قضاة العدل عن الدخول فى الانساب ثبوتا أو انتفاء لاسيما نسب اهل البيت الطاهر المطهر . وعجيب من قوم يبادرون الى اثباته بأدنى قرينة مرجحة موهمة يسئلون عنها يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

ثانيها: اللائق بأهل البيت المكرم المطهر ان يجروا على طريقة مشرفهم وسلفه صلى الله عليه وسلم اعتقادا وعملا وعباده وزهدا وتقوى ، ناظرين الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم والى قول مشرفهم صلى الله عليه وسلم وقد سئل اى الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم لله ثم قال خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام اذا فقهوا . وقال ابن عباس ليس احد اكرم من احد الا بتقوى الله . وقال صلى الله عليه وسلم كما عند احمد لأبى ذر انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى الله . وله ولغيره ياايها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، الا لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على احمر الا

بالتقوى ، خيركم عند الله أتقاكم لله . وللطبرانى المسلمون إخوة لافضل لأحد على أحد إلا
بالتقوى ، وصح على نزاع فيه انه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمكة فكان من جملة خطبته
يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عَـيْـبة الجاهلية ، أى بفتح أوله وكسره ، وتعاظمها
أى عطف تفسير ، بآبائها ، فالناس رجلان رجل بر تقى كريم على الله ، ورجل شقى هين على
الله ، إن الله يقول « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » ثم قال : أقول قولى هذا وأستغفر
الله لى ولكم ، وفى رواية سندها حسن لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم
فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يُدَهْدِه الخرءَ بأنفه ، أى يدحرجه
إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية إنما هو مؤمن تقى وفاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم
وآدم خلق من تراب . ولمسلم إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم
وأعمالكم . ولأحمد إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم ليس لأحد على
أحد فضل إلا بدين أو تقوى ولابن جرير والعسكرى الناس لآدم وحواء إن الله لايسألكم
عن أحسابكم يوم القيامة إلا عن أعمالكم إن أكرمكم عند الله أتقاكم . ولابن لآل والعسكرى
الناس كلهم كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية أى متساوون فى الصور وإنما يتفاوتون
بالأعمال فلا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل ما ترى له . ولأبى يعلى وغيره كرم المؤمن
دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه . وقال عمر للمفتخر بآبائه بقوله أنا ابن بطحاء مكة كدئها
وكدائها ان يكن لك دين فلك كرم وان يكن لك عقل فلك مروءة وان يكن لك مال فلك
شرف وإلا فأنت والحمار سواء . وصح حديث من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . وروى
الطبرانى أن أهل بيتى يرون أنهم أولى الناس بى وليس كذلك إن أولى الناس بى منكم المتقون
من كانوا وحيث كانوا . وروى الشيخان إن آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء إنما ولي الله
وصالح المؤمنين . زاد البخارى تعليقا ولكن لهم رحم سأبلها ببلالها ، أى سأصلها بصلتها
التى تنبغى لها ، واقتصر الطبرانى فى معجمه الكبير بلفظ إن لبنى طالب عندى رحما سأبلها
ببلالها ، وكذا وقعت هذه الرواية عند مسلم فى صحيحه ، وهى محمولة على غير المسلم منهم وإلا
فمنهم على وجعفر رضى الله عنهما وهما من أخص الناس به صلى الله عليه وسلم لما لهما من
السابقة والتقدم فى الإسلام ونصرة الدين بل فى حديث ورد موقوفا ومرفوعا صالح المؤمنين
على كرم الله وجهه قال النووى ومعنى الحديث أن ولي من كان صالحا وان بعد منى نسبه
وقال غيره المعنى انى لا أوالى أحدا بالقرابة وإنما أحب الله لما له من الحق الواجب على العباد
وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى وأوالى من والى الإيمان والصلاح سواء كانوا من ذوى
رحمى أم لا ولكن أرعى لذوى الرحم حقهم فأصل رحمهم . وهذا يؤيد ماورد آل محمد

كل تقى . ومن ثم لما قال هاشمى لأبى العيناء تفض عنى وأنت تصلى على فى كل صلاة فى قولك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد قال له إنى أريد الطيبين الطاهرين ولست منهم . ورؤى أنصارى فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى قيل بماذا قال بالشبه الذى بينى وبين النبى صلى الله عليه وسلم قيل له أنت شريف قال لاقيل فمن أين الشبه قال كشبه الكلب الى الراعى قال ابن العديم . راوى ذلك فأولته بانتسابه الى الأنصار . وقال غيره أولته بانتسابه الى العلم خصوصا علم الحديث لقوله ﷺ أولى الناس بى أكثرهم على صلاة اذ هم أكثر الناس عليه صلاة ﷺ .

تنبيه : تمسك بالآية والأحاديث السابقة من لم يعتبر الكفاءة فى النكاح ؟ واعتبرها الجمهور . ولا شاهد فيما ذكر لأنه بالنسبة لما ينفع فى الآخرة وليس كلامنا فيه إنما الكلام فى أن النسب العلى هل يتفتخر به ذو والعقول فى الدنيا أولا ؛ ولا شك فى الافتخار به وأن من أجبرها وليها على نكاح غير مكافىء لها فى النسب يعد ذلك بخسا لحقها وعارا عليها بل صلاح الذرية ينفع فى الآخرة ، فقد صح عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ألحقنا بهم ذرياتهم . أنه قال إن الله يرفع ذرية المؤمن معه فى درجته يوم القيامة وإن كانوا دونه فى العمل وصح عنه أيضا فى قوله تعالى : وكان أبوهما صالحا ، أنه قال حفظا بصلاح أبويهما ، وما ذكر عنهما صلاحا ، وقال سعيد بن جبير ، يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجى فيقال له إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لى ولهم فيقال لهم ادخلوا الجنة ، ثم قرأ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فاذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل ، فى الآية وعموم الذرية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى ذريته الطيبة الطاهرة المطهرة ، وقد قيل إن حمام الحرم إنما أكرم لأنه من ذرية حمامتين عششتا على غار ثور الذى اختفى فيه صلى الله عليه وسلم عند خروجه من مكة للهجرة (وقد حكى) التقى الفاسى عن بعض الأئمة أنه كان يبالغ فى تعظيم شرفاء المدينة النبوية على مشرفها ومشرفها أفضل الصلاة والسلام ، وسبب تعظيمه لهم أنه كان منهم شخص اسمه مطيرمات فتوقف عن الصلاة عليه ، لكونه كان يلعب بالحمام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ومعه فاطمة ابنته الزهراء رضى الله تعالى عنها فاعرضت عنه فاستعطفها حتى أقبلت عليه وعاتبته قائلة له أما يسع جاهنا مطيرا (وحكى أيضا) فى ترجمة صاحب مكة الشريف أبى نمى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة الحسنى أنه لما مات امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصى من الصلاة عليه فرأى فى المنام فاطمة رضى الله عنها وهى بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها فأعرضت عنه ثلاث مرات فتحامل عليها وسألها عن سبب إعراضها عنه فقالت يموت ولدى ولا تصلى عليه فتأدب واعترف بظلمه بعدم الصلاة عليه (وحكى) التقى المقريزى

عن يعقوب المغربي أنه كان بالمدينة النبوية في رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة، فقال له الشيخ العابد محمد الفارسي وهما بالروضة المكرمة: إني كنت أبغض أشراف المدينة بني حسين لتظاهرهم بالرفض، فرأيت وأنا نائم تجاه القبر الشريف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: يافلان باسمي، مالي أراك تبغض أولادي، فقلت حاش لله ما أكرههم وإنما كرهت ما رأيت من تعصبهم على أهل السنة فقال لي مسألة فقهية. أليس الولد العاق يلحق بالنسب فقلت بلى يارسول الله فقال: هذا ولد عاق، فلما انتبهت صرت لا ألقى من بني الحسين أحدا إلا بالغت في إكرامه (وحكى أيضا) عن الرئيس الشمس العمري قال: سار الجمال محمود العجمي المحتسب ونوابه وأتباعه وأنا معه إلى بيت السيد عبد الرحمن الطباطبي فاستأذن عليه فخرج وعظم عليه مجيء المحتسب إليه فقال: له ياسيدي حاللني قال مماذا يامولانا فقال: إنك لما جلست البارحة عند السلطان الظاهر برقوق فوق عزَّ ذلك علي وقلت في نفسي كيف يجلس هذا فوقي فلما كان الليل رأيت في منامي النبي صلى الله عليه وسلم: فقال يامحمودا تأنف أن تجلس تحت ولدي فبكى الشريف عند ذلك وقال يامولانا من أنا حتى يذكرني النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الجماعة ثم سألوه الدعاء وانصرفوا (وحكى) التقي بن فهد الحافظ الهاشمي المكي قال: جاءني الشريف عَقيل بن هميل وهو من الأمراء الهواشم فسألني عَشَاء فاعتذرت اليه ولم أفعل، فرأيت النبي ﷺ في تلك الليلة أو في غيرها فأعرض عني، فقلت كيف تعرض عني يارسول الله وأنا خادم حديثك فقال كيف لا أعرض عنك ويأتيك ولد من أولادي يطلب العشاء فلم تعشّه، قال فلما أصبحت جئت الشريف واعتذرت إليه وأحسنت إليه بما تيسر (وحكى) الجمال عبد الغفار الأنصاري المعروف بابن نوح عن أم نجم الدين بن مطروح وكانت من الصالحات قالت، حصل لنا غلاء بمكة أكل الناس فيه الجلود وكنا ثمانية عشر نفسا فكنا نعمل مقدار نصف قدح نكتفي به فجاءنا أربع عشرة قطعة من الدقيق ففرق زوجي عشرة على أهل مكة وأبقى لنا أربعة فنام فانتبه يبكي فقلت له ما بالك؟، قال رأيت الساعة فاطمة الزهراء رضي الله عنها وهي تقول لي: ياسراج تأكل البر وأولادي جياع، فنهض وفرق ما بقي على الأشراف وبقينا بلا شيء وما كنا نقدر على القيام من الجوع (وحكى) المقريزي عن المعز بن العزقاضي الحنابلة وكان من جلساء الملك المؤيد أنه رأى نفسه كأنه بالمسجد النبوي وكأن القبر الشريف انفتح وخرج النبي ﷺ وجلس على شفيره وعليه أكفانه وأشار إلى بيده فقمت إليه حتى دنوت منه فقال لي: قل للمؤيد يفرج عن عجلان يعني ابن سعيد أمير المدينة وكان محبوسا سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة قال فصعدت للمؤيد وأخبرته وحلفت له أني ما رأيت عجلان هذا قط، فلما انقضى المجلس قام بنفسه إلى مرماة النشاب ثم استدعى عجلان من البرج وأفرج عنه وأحسن اليه قال التقي المقريزي: وعندي

عدة حكايات صحيحة مثل هذا فى حق بنى الحسن وبنى الحسين فاياك والوقيعة فيهم وإن كانوا على أى حالة لأن الولد ولد على كل حال صَلَحَ أو فجر (قال) ومن غريب ما اتفق أن السلطان ـ ولم يعينه ـ كَحَلَ الشريف مرداح بن مقبل بن مختار بن مقبل بن محمد بن راجح بن ادريس بن حسن ابن أبى عزيز بن قتادة بن أويس بن مطاعن الحسنى حتى تفقأت حَدَقَتَاه وسالتا وورم دماغه وانتفخ وأنتن ، فتوجه بعد مدة من عماه إلى المدينة ووقف عند القبر المكرم وشكا مابه وبات تلك الليلة فرأى النبى ﷺ فمسح عينيه بيده الشريفة فأصبح وهو يبصر ، وعيناه أحسن ما كانتا ، واشتهر ذلك فى المدينة ثم قدم القاهرة فغضب السلطان ظنا منه أن من سملوه حابوه فاقيمت عنده البينة العادلة بأنهم شاهدوا حدقتيه سائلتين وأنه قدم المدينة أعمى ثم أصبح يبصر ، وحكى رؤياه فسكن ما عند السلطان .

وأخبرنى بعض الأشراف الصالحين ممن أجمع على صحة نسبه وصلاحه وصلاح آبائه قال: كنت بالمدينة الشريفة فرأيت شريفا عند مكاس يأكل من طعامه ويلبس من ثيابه فاشتد إنكارى على ذلك الشريف وساء اعتقادى فيه فبت عقب ذلك فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم جالسا فى مجلس حافل ، والناس محيطون به صفا وراء صف وأنا فى جملة الواقفين داخل الحلقة وإذا أنا أسمع قائلا يقول بصوت عال أحضروا الصحف وإذا بأوراق على رسم ما يكتب فيها مراسيم السلاطين جىء بها ووضعت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، ووقف إنسان بين يديه يعرضها على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يعطيها لأربابها ، كل من طلع اسمه يعطى صحيفته ، قال : فأول صحيفة عظيمة أخرجت وإذا بذلك الشريف الذى أنكرت عليه ينادى باسمه فخرج من حَشْوِ الحلقة حتى انتهى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يعطى صحيفته فأخذها وولى فرحا مسرورا قال فذهب عن قلبى جميع ما كان فيه على ذلك الشريف واعتقدت فيه وعلمت بتقديمه على سائر الحاضرين ، أى وبان أن أكله من طعام ذلك المكاس إنما كان للضرورة التى تحل أكل الميتة (ومن ذلك) ما أخبرنى به بعض أكابر أشراف اليمن وصالحيهم لما وقع من أمير الحاج الفاجر المفسد المذموم المخذول ماسولت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيد الشريف صاحب مكة محمد أبى نمى زاد ترقيه وعلوه ، ببيته بمنى يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده فى ساعة واحدة أعاذهم الله من ذلك فظفروا به وأرادوا قتله وجميعَ جنده لكنه أعنى السيد أبا نمى خشى على الحجاج أن يقتلوا عن آخرهم فلا يفضل منهم عقال فأمسك عن قتاله ثم ذهب ليلة النفْر إلى مكة والناس فى أمرٍ مَرِيج فلم يزدد ذلك الجبار إلا طغيانا ، فنادى أن الشريف معزول ، فلما سمعت الأعراب بذلك سقطوا على الحجاج ونهبوا منهم أموالا لا تعد وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج ، والأمير وجنده . فركب الشريف جزاه الله عن المسلمين خيرا

وأثخن فى العرب الجراح وقتل البعض فخمدوا واستمر ذلك الجبار بمكة والناس فى أمر مريج بحيث عطلت أكثر مناسك الحج والجماعات وقاسوا من الخوف والشدة مالم يسمع بمثله ثم رحل ذلك الجبار وهو يتوعد الشريف بأنه يسعى فى باب السلطان فى عزله وقتله وكان ذلك كله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، قال ذلك الشريف فخرجت من مكة فى تلك الأيام إلى جدة وأنا فى غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين فلما قربت من جدة قبيل الفجر نزلت أستريح ساعة حتى يفتح سورها فرأيت فى النوم النبي صلى الله عليه وسلم ومعه على كرم الله وجهه وفى يده عصا معوجة الرأس وكأنه يضرب عن السيد الشريف أبى نمى ويقول لى أخبره بأنه لايبالى بهؤلاء وأن الله ينصره عليهم . فما مضت إلا مدة يسيرة وإذا الخبر أتى من باب السلطان نصره الله وأيده بغاية الاجلال والتعظيم للسيد الشريف ، فنصره الله على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك وعاد أمر المسلمين إلى ماعهدوه من الأمر الذى لم يتعهدوه فى غير ولايته . وأخبرنى بعض الناس أنه رأى يوم النحر فى تلك الشدة السيد بركات والد أبى نمى وكان السيد بركات يترجم بالولاية راكبا فرسا عظيمة ومعه السيد الجليل عبد القادر الجيلانى على فرس أخرى فقال يامولانا السيد بركات إلى أين أنت ذاهب فى هذه الهمة العظيمة فقال إلى نصرة السيد أبى نمى ، وكانت تلك الرؤية موافقة لهجوم ذلك الفاجر لخذ له الله وخيبه ورأى الناس فى هذه الوقعة العجيبة الغريبة من المنامات الشاهدة بسلامة السيد أبى نمى وأولاده مالا يحصى فلله الحمد على ذلك (وأخبرنا) أن بعض صلحاء اليمن حج بعياله فى البحر فلما وصلوا جدة فتشهم المكاسون حتى تحت ثياب النساء فاشتد غضبه فتوجه إلى الله فى صاحب مكة السيد محمد بن بركات رحمه الله تعالى فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يعرض عنه فقال لم ذا يارسول الله قال أما رأيت فى الظلمة من هو أظلم من ابنى هذا فانتبه مرعوبا وتاب إلى الله أن يتعرض لأحد من الاشراف وإن فعل مافعل (وحكى) بعض الصالحين أن فاجرا بمصر أخذ شريفة قهر ليفجر بها وكان أخص الناس بالسلطان وأقربهم عنده قال فتحيرت لأن العشاء قد صليت ولم يبق إلا الإقدام على ذلك الأمر فتوسلت ببعض الصالحين فلم يمض إلا يسير وإذا الطلب جاء اليه من السلطان فاخذوه وخرجت الشريفة سالمة وكان فى تلك الأخذة هلاك ذلك الفاجر عاجلا ببركة تلك الشريفة (وحكى) لى بعض طلبة العلم أن إنسانا بمدينة فاس ثبت عليه القتل فأمر به القاضى ليقتل فأرسل السلطان وهو يقول للقاضى لا تقتله فانى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقتلوه فقال القاضى لابد من قتله ، فأراده فى اليوم الثانى فأرسل السلطان يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم قائلا ذلك ثانيا ، فلم يسمع القاضى وأراد قتله فى اليوم الثالث فأرسل السلطال يقول رأيت النبى قائلا ذلك ثالثا فغلب القاضى وقال لانترك الشرع بالمنام وإن تكرر فذهب به ليقتل

وإذا إنسان تبرر لولى الدم وقد كان الناس عجزوا فيه أن يعفو فلم يعف ، فبمجرد أن كلمه العفو عفا ، فبلغ السلطان فأمر بالرجل فأحضر إليه فقال أصدقنى ماشأنك فقال نعم قتلت من أثبت على قتله لكنى كنت أنا وهو على شرب ، فأراد أن يفجر بشريفة فمنعته فلم يمتنع عنها إلا بقتله فقتلته دفعا عن الزنا بها فقال له السلطان صدقت ولولا ذلك مارأيت النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو يقول لى : لا تقتلوه .

(ثالثها) اللائق بواجب حقهم وتعظيمهم وتوقيرهم والتأدب معهم أن ينزلوا منازلهم وأن يعرف لهم شرفهم وأن يتواضع لهم فى المجالس فان لحبهم وإكرامهم أثرا بينا (منه) مارواه النجم بن فهد والمقريزى ، أن بعض القراء كان إذا مر بقبر تمرلنك قرأ : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه الآية ، وكررها قال : فبينا أنا نائم رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس وتمرلنك إلى جانبه قال فنهرته وقلت إلى هنا ياعدو الله وأردت أن آخذ بيده وأقيمه من جانب النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم دعه فانه كان يحب ذريتى فانتبهت فزعا وتركت ماكنت أقرؤه على قبره فى الخلوة (وأخبر) الجمال المرشدى والشهاب الكورانى أن بعض أبناء تمرلنك أخبر أنه لما مرض تمرلنك مرض الموت اضطرب فى بعض الأيام اضطرابا شديدا فاسود وجهه وتغير لونه ، ثم أفاق فذكروا له ذلك فقال إن ملائكة العذاب أتونى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اذهبوا عنه فانه كان يحب ذريتى ويحسن إليهم فذهبوا ـ وإذا نفع حبهم هذا الظالم الذى لا أظلم منه فكيف بغيره . وينبغى أن يزاد فى إكرام عالمهم وصالحهم . فقد روى أبو نعيم حديث إن الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى يجلس فى مجالس الملوك . وليحذر الافراط فى حبهم فقد قال ﷺ كما رواه أحمد بن منيع وأبو يعلى حديث : ياعلى يدخل النار فيك رجلان محب مفرط ـ أى بتخفيف الراء ـ ومبغض مفرط ـ أى بتشديد الراء ـ كلاهما فى النار . وما أحسن قول زين العابدين رضى الله عنه وعن أهل بيته ، ياأيها الناس أحبونا حب الإسلام فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا . وقال مرة أخرى ياأهل العراق أحبونا بحب الإسلام فما زال حبكم بنا حتى صار سُبّة وأثنى قوم عليه فقال لهم ماأجرأكم أو أكذبكم على الله نحن من صالحى قومنا فحسبنا أن نكون من صالحى قومنا . وقال بعضهم سألته وجماعة من أهل البيت جلوس ، هل فيكم من هو مفترض الطاعة ؟ قالوا من قال إن فينا هذا فهو والله كذاب وقال الحسن بن الحسن بن على رضى الله عنهم لرجل ممن يغلو فيهم . ويحكم أحبونا لله فان أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا الله فابغضونا وقولوا فينا الحق فانه أبلغ فيما تريدون ونحن نرضى به منكم .

(فائدة) دخل زيد بن زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله عنهم على هشام بن

عبد الملك فسلم عليه بالخلافة وتكلم نخشى منه فقال . أنت الراجى للخلافة المنتظر لها وكيف ترجوها وأنت ابن أمة ؟ فقال يا أمير المؤمنين إن تعييرك إياى بأمى ليس صوابا فان شئت أجبتك وإن شئت أمسكتَ ، قال بل أجب فما أنت وجوابك قال : إنه ليس أحد أعظم عند الله عزوجل من نبي بعثه الله رسولا ، فلو كانت أم الولد تقصر به عن بلوغ الأنبياء والرسل لم يبعث الله إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكانت أمه مع أم إسحق كأمى مع أمك . ولم يمنعه ذلك أن يبعثه الله نبيا وكان عند ربه مرضيا ، وكان أبا العرب وأبا الخير النبيين وخاتم المرسلين ، والنبوة أعظم من الخلافة ، وما علا رجل بأمه وهو ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن على بن أبى طالب ثم خرج مغضبا ، ولما ولىَّ السفاح ورد عليه رأس مروان ابن محمد بمصر وأن عبد الحميد الطائى نبش هشاما بالرصافة وصلبه وحرقه بالنار ، خرلله ساجدا وقال : الحمد لله قد قتلت بالحسين بن على رضى الله عنهما مائتين من بنى أمية وصلبت هشاما بزيد بن على وقتلت مروان بأخى إبراهيم اه .

(نقل) من كتاب المختار فى مناقب الاخيار للشيخ الإمام العالم العلامة أبى السعادات ابن الأثير رحمة الله تعالى عليه ، قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إن أبا بكر الصديق رضى الله عنه خرج إلى اليمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال: فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس علما كثيرا ، وأتت عليه أربعمائة سنة الا عشر سنين فلما رآنى قال: أحسبك حرميا قال أبو بكر قلت نعم أنا من أهل الحرم قال وأحسبك تيميا قلت نعم أنا من تيم بن مرة أنا عبد الله بن عثمان بن عامر قال بقيت لى فيك واحدة قلت ماهى ، قال تكشف لى عن بطنك قلت لا أفعل ، أو تخبرنى قال أجد فى العلم الصحيح الزكى الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الأيسر علامة وما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت لى فيك الصفة إلا ماخفى على قال أبو بكر فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى ، فقال أنت هو ورب الكعبة وإنى متقدم اليك فى أمر فاحذره قلت وما هو قال إياك والميل عن طريق الهدى وتمسك بالطريقة الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقال أبو بكر : فقضيت فى اليمن غرضى ثم أتيت الشيخ أودعه فقال أحامل أنت عنى أبياتا قلتها فى ذلك النبي قلت نعم فأنشد يقول :

ألم تر أنى قد وهنت معاشرى ونفسى قد أصبحت فى الحى مامنا
حييت وفى الأيام للمرء عبرة ثلاث مئين ثم تسعين آمنا

وذكر أبياتا عدة منها :

وقد خمدت منى شرارة قوتى وألفيت شيخا لاأطيق الشواحنا

فما زلت أدعو الله فى كل حاضر حللت به سرا وجهرا معالنا

لحى رســـول الله عنى فانى على دينه أحيا وإن كنت واكنا

وقال أبو بكر لحفظت وصيته وشعره وقدمت مكة وبعث النبى صلى الله عليه وسلم لجاءنى عقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وصناديد قريش فقلت لهم هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر قالوا ياأبا بكر أعظم الخطب ، وأجل النوائب يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى ، ولولا أنت ما انتظرنا فاذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية قال أبو بكر فصرفتهم على حسّ ومسّ وسألت عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل انه فى منزل خديجة فقرعت عليه الباب فخرج الى فقلت يامحمد فقدت من منازل أهلك واتهموك بالفتنة وترك دين آبائك وأجدادك ، قال يا أبا بكر انى رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله فقلت وما دليلك على ذلك قال الشيخ الذى لقيته باليمن فقلت فكم من مشايخ لقيت باليمن واشتريت وأخذت وأعطيت قال الشيخ الذى أفادك الأبيات فقلت ومن خبرك بها ياحبيبى قال الملك العظيم الذى نبأ الأنبياء قبلى قلت مد يدك فأنا أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله قال أبو بكر فانصرفت ولا بين لابتيها أشد سرورا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه قال سفيان الثورى من فضل عليا على أبى بكر وعمر فقد عابهما وعاب من فضله عليهما ، وقال جابر بن عبد الله قال لى محمد بن على عليه السلام ياجابر بلغنى أن أقواما بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبونا ويزعمون أنى أمرتهم بذلك فبلغهم أنى إلى الله منهم برىء والذى نفسى بيده لو وليتُ لتقربت بدمائهم الى الله عز وجل ، وقال سليمان كنت عند عبدالله بن الحسين بن حسن فقال له رجل أصلحك الله من أهل ملتنا أحدٌ ينبغى أن نشهد عليه بشرك ، قال نعم الرافضة أشهد أنهم مشركون فكيف لايكونون مشركين ولو سألتهم أأذنب النبى صلى الله عليه وسلم لقالوا نعم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولو قلت لهم أأذنب على رضى الله عنه لقالوا لا ومن قال ذلك عليه فقد كفر ، وقال محمد بن على بن الحسين من فضلنا على أبى بكر وعمر فقد برىء من سنة جدنا ونحن خصماؤه عند الله ، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم سيأتى قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة أين لقيتم فاقتلوهم فانهم مشركون ، قلت يارسول الله وما العلامة فيهم قال : يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف الأول وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة براء من الإسلام ثم يجب الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو عتيق ابن أبى قحافة رضى الله عنه ، ونعلم أنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن على

وجه الأرض أحد بالوصف الذى قدمنا ذكره على غيره رحمة الله عليه ، ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو الفاروق ، ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان وهو أبو عبد الله وأبو عمر وذو النورين . ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن على بن أبى طالب وهو الأنزع البطين صهر رسول الله رب العالمين ، صلوات الله ورحمته وبركاته عليه وعليهم أجمعين . فبحبهم ومعرفة فضلهم قام الدين وتمت السنة وعدلت الحجة ونشهد للعشرة بالجنة بلا شك ولا استثناء وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فهؤلاء لا يتقدمهم أحد فى الفضل والخير ، ونشهد لكل من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأن حمزة سيد الشهداء وجعفرا الطيار فى الجنة والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ونشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالرضوان والتوبة والرحمة من الله لهم ثم بعد ذلك نشهد لعائشة رضى الله عنها بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما أنها الصديقة الطاهرة المبرأة من السماء على لسان جبريل إخبارا من الله متلوا فى كتابه مثبتا فى صدور الأمة ومصاحفها إلى يوم القيامة وأنها زوجة الرسول ﷺ فاضلة وأنها زوجته وصاحبته فى الجنة وهى أم المؤمنين فى الدنيا والآخرة فمن شك فى ذلك أو طعن فيه أو توقف عنه فقد كذب بكتاب الله وشك فيما جاء به رسول الله ﷺ وزعم أنه من عند غير الله قال الله تعالى: يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن أنكر هذا فقد برىء من الإيمان ، ونحب جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراتبهم ومنازلهم أولا فأولا ونترحم على أبى عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان أخى أم حبيبة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم خال المؤمنين أجمعين كاتب الوحى وتذكر فضائله ونروى ماروى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال ابن عمر رضى الله عنهما : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة فدخل معاوية رضى الله عنه(1) فتعلم أن هذا موضعه ومنزلته ثم تحب فى الله من أطاعه وإن كان بعيدا منك وخالف مرادك فى الدنيا وتبغض فى الله من عصاه ووالى أعداءه وإن كان قريبا منك ووافق هواك .

(نقل) من كتاب الغنية لطالبى الحق عز وجل تأليف الشيخ الامام العالم العلامة القطب

---

(1) وبقية الحديث : ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية فقال رجل يارسول الله هذا هو . ثم قال : أنت منى يامعاوية وأنا منك ولتزاحمنى على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى رواه الديلمى عن ابن عمر وابن الجوزى فى الواهيات وقال : وفيه عبد الله بن دينار لا يحتج به وعنه عبد العزيز بن يحيى المروزى قال الذهبى فى الميزان مجهول نكأنه سرقه فانه ليس بصحيح وقال ابن الجوزى وقد روى فى ضد هذا لكل امة فرعون وفرعون هذه الأمة معاوية وهذا ساقط .

الربانى أبى صالح عبد القادر الجيلى نفعنا الله ببركته فى الدنيا والآخرة وفيه . وقد روى عن إمامنا أبى عبد الله أحمد بن محمد حنبل رحمة الله عليه رواية أخرى ، أن خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثبتت بالنص الجلى والاشارة وهو مذهب الحسن البصرى ، وجماعة من أصحاب الحديث رضى الله عنهم ، وجه هذه الرواية ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لما عرج بى سألت ربى عز وجل أن يجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب ، فقالت الملائكة يامحمد إن الله يفعل مايشاء ، الخليفة من بعدك أبو بكر ، وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، الذي بعدى أبو بكر ، لايثبت بعدى إلا قليلا ، وفيه ولايكاثر أهل البدع ولايدانيهم ولا يسلم عليهم لأن إمامنا أحمد بن محمد بن حنبل رحمة الله عليه قال من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقول النبى صلى الله عليه وسلم : أفشوا السلام بينكم تحابوا ، ولايجالسهم ولايقرب منهم ولايهنيهم فى الأعياد وأوقات السرور ولا يصلى عليهم إذا ماتوا ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله عز وجل معتقدا محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكبير . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من نظر إلى صاحب بدعة بغضا له فى الله ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ، ومن استحقر صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة ، ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، عن أبى المغيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبى الله عز وجل أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته ، وقال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى : من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الايمان من قلبه ، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت الله عز وجل أن يغفر له وإن قل عمله ، وإذا رأيت مبتدعا فى طريق فخذ طريقاً أخرى ، وقال فضيل بن عياض رضى الله عنه سمعت سفيان بن عيينة رضى الله عنه يقول : من تبع جنازة مبتدع لم يزل فى سخط الله عز وجل حتى يرجع ، وقد لعن النبى صلى الله عليه وسلم المبتدع فقال صلى الله عليه وسلم : من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ، يعنى بالصرف الفريضة وبالعدل النافلة .

باب
(فى التخيير والخلافة)

وكان خير الناس بعده وبعد المرسلين أبا بكر الصديق رضى الله عنه وقد تواترت بذلك الأحاديث المستفيضة الصحيحة التى لاتعتل المروية فى الأمهات والأصول المستقيمة ، التى ليست بمعلولة ولاسقيمة . قال سبحانه : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » فنعته بالفضل ، ولاخلاف

أن ذلك فيه رضوان الله عليه ، وقال سبحانه « ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن » فشهدت له الربوبية بالصحبة وبشره بالسكينة وحلاه بثانى اثنين كما قال على كرم الله وجههما: من يكون أفضل من اثنين الله ثالثهما . وقال سبحانه « والذى جاء بالصدق وصدّق به » لاخلاف وهو قول جعفر الصادق رضوان الله عليه ، وقول على كرم الله وجهه إن الذى جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى صدق به أبو بكر . وأىّ منقبة أبلغ من هذا ، ولمّا أخبرنا سبحانه وتعالى أنه لايستوى السابقون ومن بعدهم بقوله سبحانه وتعالى « لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » والخبر فى البخارى مسطور أن عقبة بن أبى معيط وضع رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنقه وخنقه به فأقبل أبو بكر يعدو حول الكعبة ويقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبى بكر فضربوه حتى لم يعرف أنفه من وجهه فكان أول من جاهد وقاتل ونصر دين الله وأنه الشخص الذى به قام الدين وظهر ، وهو أول القوم إسلاما ، وذلك ظاهر جلى . وقال جابر ابن عبد الله الأنصارى : كنا ذات يوم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتذاكر الفضائل فبابيننا إذ أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال أفيكم أبو بكر ؟ قالوا لا قال : لايفضلنّ أحد منكم على أبى بكر فانه أفضلكم فى الدنيا والآخرة . وخبر أبى الدرداء المشهور قال : رآنى رسول الله ﷺ وأنا أمشى أمام أبى بكر وقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك ، ماطلعت الشمس ولاغربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر ، ومن وجه آخر أتمشى بين يدى من هو خير منك فقلت يارسول الله أبو بكر خير منى قال ، ومن أهل مكة جميعاً ، قلت يارسول الله أبو بكر خير منى ومن أهل مكة جميعا قال ومن أهل المدينة جميعا ، قلت يارسول الله أبو بكر خير منى ومن أهل الحرمين قال ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء بعد النبيين والمرسلين خيرا وأفضل من أبى بكر .

ونذكر فى كثير منها تخيير عمر بعده ثم عثمان ثم علىّ (فمن) ذلك خبر أبى عقال وقد رواه مالك وقد سأل عليا كرم الله وجهه وهو على المنبر من خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقال : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم أنا وإلا فصمّت أذناى إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ وإلا فعميت وأشار إلى عينيه إن لم أكن رأيته — يعنى رسول الله ﷺ — يقول ما طلعت الشمس ولاغربت على رجلين أعدل ولا أفضل — وروى ولا أزكى ولا خيرا — من أبى بكر وعمر ، وقد روى محمد بن الحنفية قال : سألت والدى عليا وأنا فى حجره فقلت يا أبت من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال أبو بكر قلت ثم من قال ثم عمر ثم حملتنى حداثة سنى قلت ثم أنت يا أبتِ فقال : أبوك رجل من المسلمين له مالهم وعليه ماعليهم ، وخبر أبى هريرة عن رسول الله

ﷺ أبو بكر وعمر خير أهل السماء وخير أهل الارض وخير الاولين وخير الآخرين إلا النبيين والمرسلين ، وقال صلى الله عليه وسلم على وفاطمة والحسن والحسين أهلي وأبو بكر وعمر أهل الله وأهل الله خير من أهلي ، وقال ﷺ لو وزن إيمان أبي بكر بايمان الأمة لرجح ، وخبر عمار ابن ياسر رضي الله عنه المشهور قال قلت يارسول الله أخبرني عن فضائل عمر فقال : ياعمار لقد سألتني عما سألت عنه جبريل عليه السلام فقال لي يامحمد لو مكثت معك مامكث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما أحدثك في فضائل عمر مانفدت وإن عمر لحسنة من حسنات أبي بكر وقال قال لي ربي عز وجل : لو كنت متخذا بعد أبيك ابراهيم خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولو كنت متخذا بعدك حبيبا لاتخذت عمر حبيبا . نقل ذلك من تفسير القرآن العظيم للبغوي رحمه الله تعالى في آخر سورة الحشر في قوله تعالى « والذين جاؤا من بعدهم » يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ، ثم ذكر أنهم يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم بالايمان بالمغفرة فقال : يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا - غشا وحسدا وبغضا - للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم فكل من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله رتب المؤمنين على ثلاث منازل: المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم ، فاجتهد أن لا تكون خارجا من أقسام المؤمنين * قال ابن أبي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد أن لا تكون خارجا من هذه المنازل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنبأنا أبو اسحق الثعلبي أنبأنا عبد الله بن جليد حدثنا أحمد بن عبد الله بن سليمان حدثنا ابن نمير حدثنا أبي عن اسمعيل بن ابراهيم عن عبدالملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب النبي ﷺ فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها . قال مالك بن معرور قال عامر بن شراحيل الشعبي. يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا حواريّ عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم حجة ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حججهم أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة قال مالك بن أنس من ينقص أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء ثم تلا: « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول » حتى أتى هذه الآية « للفقراء المهاجرين والذين تبوّؤا الدار والإيمان والذين جاؤا من بعدهم » إلى قوله رؤف رحيم (نقل البغوي) رحمه الله في قوله : ثاني اثنين قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم لأبى بكر : أنت صاحبى فى الغار وصاحبى على الحوض قال الحسن بن الفضل من قال إن أبا بكر رضى الله عنه لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لإنكار نص القرآن وفى سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا لا كافراً . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دائما أبدا .

(خاتمة)

قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقى السبكى رحمه الله ورضى عنه : كنت بالجامع الأموى ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأحضر إلى شخص شق صفوف المسلمين فى الجامع وهم يصلون الظهر ولم يصل وهو يقول لعن الله من ظلم آل محمد وهو يكرر ذلك فسألته من هو ؟ فقال أبو بكر قلت أبو بكر الصديق قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية ، فأمرت بسجنه وجعل غل فى عنقه ، ثم أخذه القاضى المالكى فضربه وهو مصر على ذلك وزاد فقال : إن فلانا عدو الله شهد عليه عندى بذلك شاهدان وقال : إنه مات على غير الحق وأنه ظلم فاطمة ميراثها وأنه ـ يعنى أبا بكر ـ كذب على النبى صلى الله عليه وسلم فى منعه ميراثها وكرر عليه المالكى الضرب يوم الاثنين ويوم الأربعاء الذى يليه وهو مصر على ذلك ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل وشُهد عليه فى وجهه فلم ينكر ولم يقر ولكن صار كلما سئل يقول إن كنت قلت فقد علم الله تعالى فكُرر السؤال عليه مرات وهو يقول هذا الجواب ، ثم أعذر عليه فلم يبد دافعا ثم قيل له : تب فقال تبت عن ذنوبى وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد فى الجواب على ذلك ، فطال البحث فى المجلس على كفره وعدم قبول توبته ، فحكم نائب القاضى بقتله فقتل ، وسهّل عندى قتله ماذكرته من هذا الاستدلال فهو الذى انشرح صدرى لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته وهو منزع لم أجد غيرى سبقنى إليه إلا ماسيأتى فى كلام النووى وضعفه ، وأطال السبكى الكلام فى ذلك . وها أنا أذكر حاصل ماقاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منبها على ماأزيده بأى ونحوها فأقول : ادعى بعض الناس أن هذا الرجل الرافضى قتل بغير حق وشنع السبكى فى الرد على مدعى ذلك بحسب ماظهر له ورآه مذهبا وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك فقال : كذب من قال إنه قتل بغير حق بل قتل بحق ، لأنه كافر مصر على كفره ، وإنما قلنا إنه كافر لأمور :

أحدها قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ، من رمى رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إن كان كما قال وإلا رجعت عليه ، ونحن نتحقق أن أبا بكر مؤمن وليس عدو الله ويرجع على هذا القائل ماقاله بمقتضى نص هذا الحديث الحكم بكفره ، وإن لم يعتقد الكفر كما يكفر ملقى المصحف بقذر وإن لم يعتقد الكفر ، وقد حمل مالك رضى الله

عنه هذا الحديث على الخوارج والذين كفروا أعلام الأمة ، فما استنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك ، أى فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعى رضى الله عنهما على أنه سيعلم مما سيأتى عن المالكية المعتمد عندهم فى ذلك . وهذا الحديث وإن كان خبر واحد إلا أن خبر الواحد يعمل به فى الحكم بالتكفير . وإن كان جحده لا كفر به إذ لا يكفر جاحد الظنى بل القطعى ، وقول النووى رحمه الله : إن حمل مالك للحديث على الخوارج ضعيف لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم ، فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقتال ونحوه وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه فمن أين للنووى ذلك انتهى . ويجاب بأن نص الشافعى رضى الله عنه وهو قوله أقبل شهادة أهل البدع والأهواء إلا الخطابية صريح فيما قاله النووى مع أن المعنى يساعده ، وأيضا فتصريح أئمتنا فى الخوارج بأنهم لا يكفرون وإن كفرونا لأنه بتأويل فله شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووى ويؤيده قول الأصوليين إنما لم تكفر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه صلى الله عليه وسلم فى قطعه لهم بالجنة لأن أولئك المكفرين لم يعلموا قطعا تزكية من كفروه على الإطلاق الى مماته وانما يتجه لكفرهم أن لو علم ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبين له صلى الله عليه وسلم ، وبهذا تعلم أن جميع ما يأتى عن السبكى إنما هو اختيار له مبنى على غير قواعد الشافعية وهو قوله جواب الاصوليين المذكور إنما نظروا فيه لعدم الكفر لأنه لا يستلزم تكذيبه ﷺ ، ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره ، وقد قال إمام الحرمين وغيره : يكفر نحو الساجد لصنم وان لم يكذب بقلبه ولا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم يا كافر لأن محل ذلك فى المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة وعبد الله بن سلام ونحوهم بخلاف غيرهم لانه صلى الله عليه وسلم أشار إلى اعتبار الباطن بقوله : إن كان كما قال وإلا رجعت عليه . نعم يلحق عندى وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعت الأمة على صلاحه وإمامته كابن المسيب والحسن وابن سيرين ومالك والشافعى (فان قلت) الكفر جحد الربوبية أو الرسالة وهذا المقتول مؤمن بالله ورسوله وآله وكثير من صحابته فكيف يكفر (قلت) التكفير حكم شرعى سببه جحد ذلك أو قول أو فعل حكم الشارع بانه كفر وإن لم يكن جحدا وهذا منه فهذا أحسن الادلة فى المسألة وينضم اليه خبر الحلية ، من آذى وليا فقد آذنته بالحرب ، والخبر الصحيح : لعن المؤمن كقتله وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين فهذا المأخذ الذى ظهر لى فى قتل هذا الرافضى وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكما وانضم الى احتجاجى بالحديث السابق ما اشتملت عليه أفعال هذا الرافضى من إظهاره ذلك فى الملأ وإصراره عليه وإعلانه البدعة وأهلها وغمصه السنة وأهلها وهذا المجموع فى هذه الشناعة وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها وهذا

معنى قول مالك تحدث للناس احكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور ولسنا نقول تتغير الاحكام بتغير الزمان بل باختلاف الصورة الحادثة. فهذا نهاية ما انشرح صدري له بقتل هذا الرجل له وأما السب وحده ففيه ماقدمته وما سأذكره وإيذاؤه صلى الله عليه وسلم أمر عظيم إلا أنه ينبغي ضابط فيه والا فالمعاصي كلها تؤذيه ولم اجد في كلام احد من العلماء أن سب الصحابي يوجب القتل إلا ما يأتي من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبي حنيفة، ولم يصرحوا بالقتل، وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحدا يوجب القتل بمن سب من بعد النبي صلى الله عليه وسلم انتهى. نعم حكى القتل عن بعض الكوفيين وغيرهم بل حكاه بعض الحنابلة رواية عن أحمد وعندي أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قولهم شتم عثمان زندقة وعندي أنه لم يرد أن شتمه كفر، وإلا لم يكن زندقة لأنه أظهرها وإنما أراد قوله المروي عنه في موضع آخر من طعن في خلافة عثمان فقد طعن في المهاجرين والأنصار، يعني أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أقام ثلاثة أيام ليلا ونهارا يطوف على المهاجرين والأنصار ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم ويستشيرهم فيمن يكون خليفة حتى اجتمعوا على عثمان فحينئذ بايعه فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان في الظاهر شتم له وفي الباطن تخطئة لجميع المهاجرين والأنصار وتخطئة جميعهم كفر فكان زندقة بهذا الاعتبار فلا يؤخذ منه أن شتم أبي بكر وعمر كفر هذا لم ينقل عن أحمد أصلا فمن خرج من أصحابه رواية عنه مما قاله في شتم عثمان بقتل ساب أبي بكر مثلا لم يصنع شيئا والضابط أن كل شتم قصد به أذى النبي ﷺ كما وقع من عبدالله بن أبي كفر ومالا فلا كما وقع من مسطح في قصة الافك، وفي الحديث الصحيح لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه. وفي حديث رجاله ثقات ولكن قال الترمذي إنه غريب. الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقوله: أصحابي الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح وأنه خطاب لمن أسلم بعده بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل الآية فلا بد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم فهم كبار الأصحاب وان شمل اسم الصحبة الجميع، وسمعت شيخنا التاج بن عطاء الله متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر في وعظه تأويلا آخر هو أنه صلى الله عليه وسلم له تجليات يرى فيها من بعده فهذا خطاب لمن بعده في حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده فان ثبت ماقاله فالحديث شامل لجميعهم وإلا فهو فيمن قبل الفتح ويلحق بهم في ذلك من بعده فانه بالنسبة لغير الصحابة كالذين بعد الفتح بالنسبه لمن قبله؛ وعلى كلا التقديرين فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم أي وكلام النووي وغيره صحيح في ذلك ثم الكلام إنما هو في

سب بعضهم أما سب جميعهم فلاشك أنه كفر وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابى لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافا به صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا ينبغى أن يحمل قول الطحاوى بغضهم كفر فبغض الصحابة كلهم و بغض بعضهم من حيث الصحبة لاشك أنه كفر وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر فليس بكفر حتى الشيخين رضى الله عنهما نعم حكى القاضى فى كفر سابهما وجهين : وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنيوية أو غيرها . كبغض الرافضى لهما فانه إنما هو جهة الرفض وتقديمه عليا واعتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلك ، فهو معتقد لجهله أن ينتصر لعلى لقرابته رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فعلم أن بغض الرافضى للشيخين إنما هو لما استقر فى ذهنه لجهله ، وما نشأ عليه من الفساد من اعتقاد ظلمهما لعلى وليس كذلك ، ولا على يعتقد ذلك قطعا ، ومأخذ تكفير الرافضى بذلك أنه يعود من اعتقاده ذلك فيهما نقص على الدين لأنهما الأصل بعد النبى ﷺ فى إقامة الدين وإظهاره ومجاهدة المرتدين والمعاندين ومن ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد سلم صلى الله عليه وسلم أى لأنه الذى رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ومانعى الزكاة إلى أن رجعوا اليه وقاتلوهم بأمره فكشف الله به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة .

(ثانيها) أعنى الأمور الدالة على قتل ذلك الرافضى أنه استحل لعن الشيخين وعثمان رضى الله عنهم باقراره بذلك ، ومَن استحلّ ماحرّم الله فقد كفر ، ولعن الصديق وسبّه محرّمان ، واللعنة أشد ، وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة ، لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه ، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى ، هذا لايشك فيه ولا يرتاب وإن شك فيه الرافضى ، نعم شرط الكفر بجحد الضرورى أن يكون ضروريا عند الجاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه صلى الله عليه وسلم ، وليس الرافضى يعتقد تحريم لعن أبى بكر فضلا عن كونه يعتقد أن تحريمه ضرورى ، وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلغى شبهة الرافضى التى غلظت على قلبه ، حتى لم يعلم ذلك ، وهذا محل نظر وجدل ، وميل القلب إلى بطلان هذا القدر أى باعتبار ماظهر للسبكى وإلا فقواعد المذهب قاضية بقبول هذا القدر بالنسبة لعدم التكفير ، لأنه إنما يسب أو يلعن متأولا وإن كان تأويله جهلا وعصبية وحمية لكن باب الكفر يحتاط فيه كما هو مقرر فى محله .

(ثالثها) إن هذه الهيئة الاجتماعية التى حصلت من هذا الرافضى ومجاهرته ولعنه لأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واستحلاله ذلك على رؤس الأشهاد وهم أئمة الإسلام والدين

أقاموا الدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وما علم لهم من المناقب والمآثر كالطعن في الدين والطعن فيه كفر ، فهذه ثلاثة أدلة ظهرت في قلبي أي باعتبار ما ظهر وإلا فمذهب الشافعي رضي الله عنه ما قد علمت .

(رابعها) المنقول عن العلماء . فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أن من أنكر خلافة الصديق وعمر فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم وقال الصحيح أنه كافر والمسألة مذكورة في كتبهم ، في الغاية للسروجي والفتاوى الظهيرية ، والأصل لمحمد بن الحسن ، وفي الفتاوى البديعية ، فانه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم ، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم ، وفيمن أنكر إمامة أبي بكر وزعم أن الصحيح أنه يكفر وفي المحيط أن محمدا لا يجوّز الصلاة خلف الرافضة ، ثم قال لأنهم أنكروا خلافة أبي بكر وقد اجتمعت الصحابة على خلافته ، وفي الخلاصة من كتبهم وأن من أنكر خلافة الصديق فهو كافر أو في تتمة الفتاوى ، والرافضي المتغالي الذي ينكر خلافة أبي بكر يعني لا تجوز الصلاة خلفه ، وفي المرغيناني . وتكره الصلاة خلف صاحب هوى أو بدعة ولا تجوز خلف الرافضي ثم قال : وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز وإلا يجوز ويكره ، وفي شرح المختار وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرا لكن يضلل فان عليا رضي الله عنه لم يكفر شاتمه ، وفي الفتاوى البديعية من أنكر إمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو كافر ، وقال بعضهم هو مبتدع ، والصحيح أنه كافر ، وكذلك من أنكر خلافة عمر في أصح الأقوال ، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك ، وأما أصحابنا الشافعيون فقد قال القاضي حسين في تعليقه من سب النبي صلى الله عليه وسلم يكفر بذلك ومن سب صحابيا فسّق ، وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان ، أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم والثاني يفسق ولا يكفر . ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليده في النار ، وهل يقطع بدخولهم النار وجهان انتهى وقال القاضي إسماعيل المالكي : إنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يُستتابون فان تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب وهو فساده في مصالح الدنيا وقد يدخل في الدين من قطع سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة ، وقد اختلف قول مالك والأشعري في التكفير والأكثر على ترك التكفير ، قال القاضي عياض لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري تعالى ووصف الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم ، وكذا الخوارج وسائر أهل الأهواء حجج للمكفرين ، وقد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ في غير الكفر تغليظا ، وكفر دون كفر وإشراك دون إشراك ، وقوله في الخوارج اقتلوهم قتل عاد يقتضي الكفر ، والمانع يقول هو حدّ لا كفر ، قال القاضي عياض : في سبّ الصحابة قد اختلف

العلماء فيه ومشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع ، قال مالك رحمه الله : من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل وإن شتم الصحابة أدّب وقال أيضا : من شتم أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال أو كفر قتل وإن شتمهم بغير هذا من مُشاتمة الناس نكل نكالا شديدا انتهى . وقوله يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى كفر لأنه صلى الله عليه وسلم شهد لكل منهم بالجنة ، فان نسبهم إلى الظلم دون الكفر كما يزعم بعض الرافضة فهو محلّ التردد لأنه ليس من حيث الصحبة ولا لأمر يتعلق بالدين وإنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة ، ويرون أن ذلك من الدّين لاتنقيص فيه ، ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ويفترون على الصحابة بما نعلم من الضرورة براءتهم منه ، لكنه لايقتضى تكذيبهم للنبي صلى الله عليه وسلم بل يزعمون أنه موافق له صلى الله عليه وسلم ، ونحن نكذبهم فى ذلك ، فلم يتحقق إلى الآن من مالك مايقتضى قتل من هذا شأنه ، وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدّب أدباً شديداً ومن زاد إلى بغض أبى بكر وعمر فالعقوبة عليه أشدّ ويكرّر ضربه ويُطال سَجْنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل إلا فى سبّ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال سحنون : من كذب أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجّع ضربا . وحكى ابن أبى زيد عن سحنون من قال فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد انتهى ، وقَتْل من كفَّر الاربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلا الغلاة من الروافض ، فلو كفر الثلاثة ولم يكفر عليا لم يصرح سحنون فيه بشىء وكلام مالك المتقدم أصرح فيه ، وروى عن مالك رضى الله عنه من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل وقال أحمد بن حنبل فيمن سبّ الصحابة أمّا القتل فأجبن عنه لكن أضربه ضَرْباً نكالا وقال أبو يعلى الحنبلى الذى عليه الفقهاء فى سبّ الصحابة إن كان مستحلا لذلك . كفر وإن لم يكن مستحلا فسّق ولم يكفر قال وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سبّ الصحابة وكفر الرافضة وقال محمد بن يوسف الفريابى وسئل عمن شتم أبا بكر قال : كافر ، قيل يصلى عليه قال : لا ، وممن كفر الرافضة أحمد بن يونس وأبو بكر بن هانىء وقالا لاتؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون ، وقال عبد الله بن إدريس أحد أئمة الكوفة ليس للرافضى شفعة لأنه لاشفعة إلا لمسلم وقال أحمد فى رواية أبى طالب شتم عثمان زندقة وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر عبد الرحمن بن أبزى الصحابى رضى الله عنه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قطع لسان عبيد الله بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود رضى الله عنه فكلّم فى ذلك فقال دعونى

أقطع لسانه حتى لا يشتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ . وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا أجعله كقاذف الجماعة فى كلمة لفضل هذا على غيره . لقوله ﷺ من سب أصحابى فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم وهى كافرة حد حد الفرية لأنه سب له وإن كان أحد من ولد هذا الصحابى حيا قام بما يجب له وإلا فمن قام من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه . قال : وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمتهم بنبيهم ﷺ ولو سمعه الامام وأشهد عليه كان ولى القيام به ومن سب عائشة رضى الله عنها ففيه قولان أحدهما يقتل والآخر كسائر الصحابة يجلد جلد المفترى ، قال وبالأول أقول . وروى أبو مصعب عن مالك من سبّ آل بيت محمد يضرب ضربا وجيعا ويشهّر ويحبس طويلا حتى يُظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفتى أبو مطرّف فيمن أنكر تحليف امرأة بالليل ، وقال لو كانت بنت أبى بكر ماحلفت إلا بالنهار , بالأدب الشديد لذكر ابنة أبى بكر فى مثل هذا ، قال هشام بن عمّار سمعت مالكا يقول : من سبّ أبا بكر وعمر قتل ومن سب عائشة رضى الله عنها قتل لأن الله تعالى يقول فيها يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين فمن رماها فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل ، قال ابن حضرم وهذا قول صحيح واحتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة رضى الله عنهم وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى قطعه لهم بالجنة وهو احتجاج صحيح فيمن ثبت عليه تكفير أولئك . ومر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما والمسئلة فى الغاية وغيرها من كتبهم كما مر ، وفى الأصل لمحمد بن الحسن رحمه الله والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبى حنيفة رضى الله عنه وهو أعلم بالروافض لأنه كوفى والكوفة منبع الرفض ، والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ، ومنهم من لا يجب تكفيره فاذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق رضى الله عنه فتكفير لاعنه عنده أولى أى إلا أن يفرق إذا الظاهر أن سبب تكفير منكر إمامته مخالفته للإجماع بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته رضى الله عنه مجمع عليها من حين بايعه عمر ولا يمنع من ذلك تأخير بيعة بعض الصحابة فان الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين فى صحة إمامته ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه فالبيعة شىء والإجماع شىء ولا يلزم من أحدهما الآخر ولا من عدم أحدهما عدم الآخر فافهم ذلك فانه قد يغلط فيه (فان قلت) شرط الكفر بانكار المجمع عليه أن يعلم من الدين بالضرورة (قلت) وخلافة الصديق كذلك لأن بيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهى إلى حد الضرورة فصارت كالمجمع عليه المعلوم بالضرورة وهذا لاشك فيه ولم يكن أحد من الروافض فى أيام الصديق رضى الله عنه ولا فى أيام عمر وعثمان وإنما حدثوا بعده . فمقالتهم حادثة ، وجوابه

أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكما شرعيا وجاحد الضرورى إنما يكفر إذا كان ذلك الضرورى حكما شرعيا كالصلاة والحج لاستلزامه تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم بخلاف الخلافة المذكورة إلا أن يقال إنه يتعلق بها أحكام شرعية كوجوب الطاعة وما أشبهه ومر عن القاضى حسين أن فى كفر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ولا ينافيه جزمه فى موضع آخر بفسق ساب الصحابة ، وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعى رضى الله عنه ، لأنهما مسألتان فالثانية فى مجرد السب وهو مفسق وان كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأولى فانها خاصة بسب الشيخين أو الختنين وهو أشد وأغلظ فى الزجر بأن فيه وجها بالكفر وأما تكفير أبى بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعى ، والذى أراه الكفر فيها قطعا موافقة لمن مر . ومر عن أحمد أن الطعن فى خلافة عثمان طعن فى المهاجرين والأنصار وصدق فى ذلك فان عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم وعبد الرحمن لم يردها لنفسه وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو عليا فاحتاط لدينه ، وبقى ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو على ، ويجتمع بهم جماعات وفرادى ورجالا ونساء ويأخذ ماعند كل واحد منهم فى ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضى الله عنهم ، فبايعه فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعى من المهاجرين والأنصار فالطعن فيها طعن فى الفريقين ، ومن ثم قال أحمد أيضا شتم عثمان زندقة ووجهه أنه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤدى إلى تكذيب الفريقين كما علمت ، فلا يفهم من كلامه كفر ساب الصحابى خلافا لبعض أصحابه كما مر . فتلخص أن سب أبى بكر كفر عند الحنفية . وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر ، نعم قد يخرج عنه مامر عنه فى الخوارج أنه كفر فتكون المسألة عنده على حالين إن اقتصر على السب من من غير تكفير لم يكفر وإن كفر كفر فهذا الرافضى السابق ذكره كافر عند مالك وأبى حنيفة وأحد وجهى الشافعى ، وزنديق عند أحمد بتعرضه إلى عثمان المتضمن لتخطئة المهاجرين والأنصار وكفره هذا ردة لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتد يستتاب فان تاب وإلا قتل ، فكان قتله على مذهب جمهور العلماء أو جميعهم لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أنه يطرده فيمن يكفر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق فى مجرد السب دون التكفير وكذلك أحمد إنما جبن عن قتل من لم يصدر منه إلا السب والذى صدر من هذا الرجل أعظم من السب ومر أن الطحاوى قال فى عقيدته وبغض الصحابة كفر ، فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة وأن يحمل على كل منهم ، لكن إذا أبغضه من حيث الصحبة وأما

جعل مجرد بغضه كفرا فيحتاج لدليل ، وهذا الرافضى وأشباهه بغضهم للشيخين وعثمان رضى الله عنهم ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون عليا والحسنين وغيرهما بل لهوى أنفسهم واعتقادهم بجهلهم وعنادهم وظلمهم لأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون .

(خامسها) يمكن التمسك أيضا فى قتل هذا الرافضى ، بأن هذا المقام الذى قامه لا شك أنه يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم : وإيذاؤه موجب للقتل ، بدليل الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال فيمن آذاه ، من يكفينى عدوى ، فقال خالد بن الوليد رضى الله عنه أنا أكفيكه فبعثه اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقتله ، لكن مر ما يخدش فى ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضى القتل والا يعم سائر المعاصى لانها تؤذيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم الآية وهذا الرافضى إنما قصد بزعمه انتصاره لآل بيت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يقصد إيذاءه صلى الله عليه وسلم أى فلم يتضح دليل على قتله وأما الوقيعه فى عائشة رضى الله عنها فوجب للقتل إما لأن القرآن شهد ببراءتها فقذفها تكذيب له وتكذيبه كفر واما لكونها فراشا له صلى الله عليه وسلم والوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر . ويبنى على ذلك حكم الوقيعة فى بقية أمهات المؤمنين . فعلى الأول لا يكون كفرا وعلى الثانى يكون كفرا وهو الأرجح عند بعض المالكية ، وانما لم يقتل صلى الله عليه وسلم قذفة عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن فلم يتضمن تكذيب القرآن ولأن ذلك حكم نزل بعد نزول الآية فلم ينعطف حكمه على ماقبلها .

(سادسها) مر فى الخبر الصحيح لاتسبوا أصحابى من أحبهم أحبنى ومن أبغضهم أبغضنى ومن آذاهم آذانى ، وهذا يشمل سائر الصحابة ، لكنهم درجات فيتفاوت حكمهم فى ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم والجريمة تزيد بزيادة من تعلقت به فلا يقتصر فى سب أبى بكر رضى الله عنه على الجلد الذى يقتصر عليه فى جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة فاذا انضاف الى الصحبة غيرها مما يقتضى الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافه النبى ﷺ وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضى مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه فتزداد العقوبة ، وليس ذلك التجدد حكما بعد النبى صلى الله عليه وسلم بل لأنه صلى الله عليه وسلم شرع أحكاما وأناطها بأسباب فنحن نتبع تلك الأسباب وترتب على كل سبب منها حكمه . وكان الصديق فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم له حق السبق الى الإسلام والتصديق والقيام فى الله تعالى والمحبة التامة والإنفاق المظيم البالغ أقصى غايات الوسع والامكان على النبى ﷺ وأصحابه والنصرة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة فى هذا الكتاب وغيرها ، ثم بعد النبى ﷺ ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر

كخلافته التى قام فيها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده كما هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلا معاند مكابر جاهل غبي وكقتاله لأهل الردة ومانعى الزكاة وما ظهر عنه فى ذلك من الشجاعة التى لم يسبق أحد فيها غباره ولم يدرك آثاره فمن ذلك يزداد حقه وحرمته ويستحق من اجترأ عليه زيادة العذاب والنكال فلا يبعد لكونه من الدين والفضل بهذا المحل الاسنى والمقام الاسمى أن يكون سابه طاعنا فى الدين فيستحق القتل على مامر . ولقد قتل الله بسبب يحي بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفا . قال بعض العلماء وذلك دية كل نبي ويقال إن الله تعالى أوحى إلى نبينا صلى الله عليه وسلم أنى قتلت بيحي بن زكريا سبعين ألفا ولاقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين وسبعين ألفا (١) وهكذا الصديق رضى الله عنه يظهر الله تعالى حرمته وحقه باجزاء كثير من الروافض لعنهم الله الذين أخزاهم الله بقتل هذا الرافضى ، وكانت ترتفع أنوفهم لو صفح عنه وقد قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه إن التعزير يجوز بالقتل ، وتجرؤ هذا الرافضى على هذا المقام العلىّ الذى هو مقام الصدّيق والخلفاء الراشدين من أعلى الأسباب المقتضية للتعزير الذى يجوز به عند أبى يوسف الارتقاء إلى القتل ، أى فعلم أن قتل هذا الرافضى حق صحيح لا اعتراض عليه بناء على مذهب الحاكم الذى قتله وهو المالكى ، بناء على ما مر من مذهبهم ، وكذا على مذهب أبى حنيفة ، وكذا على وجه عند الشافعية ، وكذا على مامرّ عند الحنابلة . فتدبر هذه الواقعة وما سقته لك من كلام العلماء فيها فان فيها أحكاما مهمّة ، وفوائد جمة ، قلما تجدها مجموعة فى كتاب ، مرفوعا عنها النقاب سالمة من الطعن والريب منزهة عن التعصب والعيب ، وقد ذكرت فى كتابى الملقب بالاعلام فى قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت اليه خلال كلام السبكى مما يفرع ماقاله على اختياره الموافق لغير قواعد مذهبنا فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور (٢) فانه لم يصنف فى بابه مثله ، بل لم أظفر بأحد من أئمتنا ألف كتابا فى المكفرات وحدها ولا استوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابو بكر الشافعى فى الغيلانيات عن ابن عباس وقال ابن حبان لا اصل له وتعقب بأن الحاكم أخرجه من طريق ستة انفس عن ابى نعيم وقال صحيح ووافقه الذهبى فى تلخيصه وقال على شرط مسلم .

(٢) ذكر المؤلف فى الاعلام ان بعض المتأخرين جزم بتكفير من انكر وجود ابى بكر او خلافته حتى إذا لم يتواتر ذلك عند المنكر ومنكر غيره لا يكفر لأنه لا يلزم من ذلك تكذيب بأصل من اصول الدين يجب التصديق به وذكر فى محل آخر من هذا الكتاب عن كتاب الأنوار من كتب المتأخرين ان من انكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة او السيدة عائشة من غير استحلال فاسق واختلفوا فيمن سب ابا بكر وعمر وفى كفر من سب الحسنين وجهان .

مسائله بما ينشرح له الصدر، وتقر به العين ، فاستوفيت كل ذلك فى ذلك المؤلف العديم النظير
عند من سلم من داء الحسد والسخيمة ، ولم يطول على العناد أديمه ، نفعنى الله
به وبغيره، وأدام على من جوده وفضله وكرمه وخيره
إنه الرؤف الكريم ، الجواد الرحمن الرحيم

تم بحمد الله تعالى كتاب «الصواعق المحرقة» للمحدث الفقيه المحقق الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى المكى تعليقات الفقير إلى الله عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس بكلية الشريعة بالأزهر غفر الله له ولوالديه آمين : — ولعمرى : إن الصواعق المحرقة ، نارها من السماء ، فكيف تبطلها « البحار المغرقة » ، ومادتها من الماء ؟ والحمد لله فى البدء والانتهاء .

ويتلوه الكتاب الثانى للمؤلف وهو (تطهير الجنان واللسان) فى شهر شعبان المعظم من سنة ١٣٧٥ هـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تعليقات وتحقيق

عبدالوهاب عبداللطيف

تطهير الجنان واللسان

عن

الخطور والتفوه

بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان

تأليف

المحدث الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي

المتوفى سنة ٩٧٤ هـ

علق حواشيه وخرج أحاديثه وراجع أصوله

عبد الوهاب عبد اللطيف

الحائز للعالمية من درجة أستاذ والمدرس في كلية الشريعة

مكتبة القاهرة

لصاحبها : علي يوسف سليمان

شارع الصنادقية ، ميدان الأزهر بمصر

حقوق الطبع والنشر والتوزيع
مكتبة القاهرة
الازهر ـ ص.ب ٩٤٦
العتبة ـ القاهرة
جمهورية مصر العربية



الحمد لله الذى أوجب على الكافة تعظيمَ أصحاب نبيهم وآله المصطفَيْنَ الأخيار لِما أن الله سبحانه وتعالى برأهم من كل وصمة وسقطة وعِثار، وميزهم بأنهم الحائزون لقصب السبق فى كل كمال ومضمار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الكريم الغفار، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما يتعاقبان تعاقب الليل والنهار، ماقطعت براهين علومهم وقواطع حججهم تقولَ المعاندين على أحد منهم فى الإيراد والاصدار.

وبعد فهذه ورقات ألفتها فى فضل سيدنا أبى عبد الرحمن أمير المؤمنين معاوية بن صخر أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى رضى الله عنه وأرضاه، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وفى مناقبه وحروبه وفى الجواب عن بعض الشبه التى استباح سبَّه بسببها كثيرٌ من أهل البدع والأهواء جهلا واستهتارا بما جاء عن نبيهم صلى الله عليه وسلم من المبالغة الأكيدة فى التحذير عن سب أو نقص أحد من أصحابه، لاسيما أصهاره وكتابه ومن بشره بأنه سيملك أمته، ودعا له بأن يكون هاديا مهديا، كما يأتى ذلك وغيره من المزايا الكثيرة:

منها أعنى تلك المبالغات أن من آذى منهم أحدا فقد آذاه ومن آذاه فقد آذى الله ومن آذى الله أهلكه، وأن من أنفق ما أنفق ولو أمثال أحد ذهبا ما بلغ ثواب مد أحدهم ولا نصيفه، وأن من سب أحدا منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا - أى فرضا ولا نفلا - دعانى إلى تأليفها الطلب الحثيث من السلطان همايون أكبر سلاطين الهند(١) وأصلحهم وأشدهم تمسكا بالسنة الغراء، ومحبة أهلها وما نسب إليه مما يخالف ذلك فبفرض وقوعه منه تنصل منه التنصل الدافع لكل ريبة وتهمة، كما يقطع بذلك التواتر عنه فى أواخر أمره كأوله، بل حكى لى من هو فى رتبة مشايخنا من بعض أكابر بنى الصديق عنه أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلى السماء حياء من الله تعالى وأنه إنما يأكل من كسب يده؛ وأن من قدم عليه من علماء أهل السنة بالغ فى تعظيمه بالم

---

(١) هو همايون بن بابور ويقال بابار المتوفى سنة ٩٦٢ هـ وترجمته فى الشذرات والنور والبدر السافر.

يسمع عن غيره ، ككثرة التردد عليه ومع سعة ملكه ؛ وأبهة عسكره جالسا بين يديه على التراب كصغار طلبته، مطلقا عليه من الأرزاق والإنعام مايلحقه بأكابر الاغنياء ؛ وسبب طلبه ذلك أنه نبغ فى بلاده قوم ينتقصون معاوية رضى الله عنه وينالون منه وينسبون إليه العظائم ، مما هو برىء منه، لأنه لم يقدم على شىء مما صح عنه إلا بتأويل يمنعه من الإثم بل ويوجب له حظا من الثواب كما سيأتى. فأجبته لذلك وضممت إليه بيان مايضطر إليه من أحوال مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى حروبه وقتاله لعائشة وطلحة والزبير ومن معهم من الصحابة وغيرهم ، وللخوارج البالغين فى رواية بضعا وعشرين ألفا على الوصف والعلامة اللذين بينهما النبى صلى الله عليه وسلم . ومن كونه الإمام الحق والخليفة الصدق، فكل من قاتله من هؤلاء بغاة عليه لكن من عدا الخوارج - وإن كانوا مخطئين - هم مثابون لأنهم أئمة فقهاء مجتهدون مؤولون تأويلا محتملا ، بخلاف الخوارج لأن تأويلهم قطعى البطلان كما سيأتى بيان ذلك بأوضح بيان وأحكم برهان ، وإنما ضممت هذا إلى ماسئلت فيه مما ذكر لأن طائفة يسمون اليزيدية(١) يبالغون فى مدح يزيد ويحتجون . ومسكا عنان القلم عن أن يسترسل فى سعة هذا الميدان لأنه من منح هداية يكفيه أدنى برهان . ومن لاينجع فيه لاينجع فيه سنة ولا قرآن وسميته تطهير الجنان واللسان . عن الخطور والتفوه بثلب معاوية بن أبى سفيان . مع المدح الجلى وإثبات الحق العلى . لمولانا أمير المؤمنين على . ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة .

(مقدمة) يجب عليك أيها المسلم الممتلىء القلب من محبة الله ورسوله أن تحب جميع أصحاب نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، فان الله تعالى امتن عليهم بمنة لم يشاركهم غيرهم فيها . وهى حلول نظره صلى الله عليه وسلم وإمداده لهم بما قطع غيرهم من اللحوق بهم فى باهر كمالهم وعظيم استعدادهم وسعة علومهم ، وحقية وراثتهم وأن تعتقد أنهم كلهم عدول كما أطبق عليه

---

(١) اليزيدية المعروفة فى كتب الملل والنحل ، فرقة من أهل البدع ينسبون إلى الإسلام وليسوا من زمرة المسلمين ويقال لهم يزيدية الخوارج وينسبون إلى زيد بن أبى أنيسة وهو غير المحدث قال هذا من أهل البصرة وذهب إلى جور فارس وكان على رأى الإباضية كما فى التبصير ولسان الميزان وذكر نشوان الحميرى أنهم ينسبون إلى يزيد بن أبى أنيسة وقد برىء منه الإباضية ويذكر المؤرخون ماحققه المؤرخ أحمد تيمور أن أتباع ابن أبى أنيسة بادو وبادت آراءهم فى القرن السادس واليزيدية اليوم والتى كانت فى عصر ابن حجر م جماعة إنتسبوا لعدى بن مسافر الصوفى المتوفى سنة ٥٥٧ ه فى بادىء أمرهم وعرفوا بالعدوية وعدى لم يذكره ابن تيمية فى رسالته العدوية إلا بالخير غير أن هذه الطائفة أخذت تتحول إلى طائفة ثورية نزاعة للملك وظهر فيها التغالى فى شيخهم ثم لقبوا باليزيدية أيضاً لتولهم بألوهية يزيد بن معاوية ولا يدرى تاريخ تلقيبهم بذلك ،

أئمة السلف والخلف وما حكى عن هفوات لبعضهم كفّرها الله تعالى عنهم بقوله عزّ قائلا رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وباكثاز مدحه صلى الله عليه وسلم لهم ونهيه عن انتقاصهم ، وترتيبه الوعيد الشديد على نقص أحد منهم ، من غير تفصيل ، مع كونه فى مقام بيان ما نزّل إلى الأمة من ربهم، فلولا أن المراد العموم لما ساغ ذلك الإجمال .

ولا يشك أحد أنّ معاوية رضى الله عنه من أكابرهم نسبا وقربا منه صلى الله عليه وسلم وعلما وحلما ، كما سيتضح ذلك كله لك مما سيُتلى عليك ، فوجبت محبته لهذه الأمور التى اتصف بها بالإجماع .

فنها : شرف الإسلام ، وشرف الصحبة ، وشرف النسب ، وشرف مصاهرته له صلى الله عليه وسلم المستلزمة لمرافقته له صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، ولكونه معه فيها كما يأتى بدليله ، وشرف العلم والحلم والإمارة ثم الخلافة ، وواحدة من هذه تتأكد المحبة لأجلها فكيف إذا اجتمعت ، وهذا كاف لمن فى قلبه أدنى إصغاء للحق وإذعان للصدق فلا يحتاج بعد ذلك إلى بسط إلا لمزيد التأكيد والإيضاح . وتأمل أيها الموفق قوله صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر أصحابى فأمسكوا ، رجال سنده رجال الصحيح إلا واحدا اختلف فيه وقد وثقه ابن حبان وغيره وقوله : وإن كان فى سنده متروك ، من حفظنى فى أصحابى ورد علىّ الحوض ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرنى يوم القيامة إلا من بعيد ، وصح أن خالد بن الوليد ذكر عند سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما لشىء كان بينهما فقال سعد للمتكلم : مَهْ فان ما بيننا لم يبلغ ديننا ، وجاء بسند فيه متروك، أن عليا لقى الزبير رضى الله عنهما بالسوق فتعاتبا فى شىء من أمر عثمان رضى الله عنه ثم أغلظ ابنه عبدالله لعلى فقال ألا تستمع ما يقول ، فغضب الزبير وضرب ابنه حتى رجع ، وجاء بسند رجاله ثقات أن رجالا من أهل البصرة جاءوا عتبة بن عمير يسألونه عن على وعثمان فقال لهم ، ما أقدَمَكم غير هذا فقالوا نعم ، قال : تلك أمة قد خلت الآية ، وبسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا اختلف فيه ، أن الزبير قال فى قوله تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، كنا نتحدث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فلم نحسب أنا أهلها حتى نزلت فينا ، وفى خبر سنده صحيح أنه ﷺ قال : أريت ما يلقى أمتى بعدى وسفك بعضهم دم بعض وسَبق ذلك من الله عز وجل ، كما سبق فى الأمم قبلهم، فسألته أن يولينى شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل ، وفى خبر رواته ثقات عذاب أمتى فى دنياها . أى أن ما يقع لهم من الفتن والمحن يكون سببا لتكفير ذنوب المعذورين منهم ، وصح خبر: جعل الله عقوبة هذه الأمة فى دنياهم. وفى خبر رواته ثقات إلا واحدا وثقه ابن حبان : أمتى أمة مرحومة ، قد رفع عنهم العذاب ، أى فلا يُستأصلون بعذاب ينزل عليهم إلا عذابهم أنفسهم بأيديهم. أى يقتال بعضهم لبعض لأنه ﷺ كما صحّ

عنه من طرق، سألوه به أن لا يجعل بأسهم بينهم فلم يجبه لذلك. وفي خبر ضعيف، إن عقوبة هذه الأمة بالسيف، وموعدهم الساعة والساعة أدهى وأمر، والحاصل أن ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من القتال مقصور على الدنيا فقط، وأما في الآخرة فكلهم مجتهدون مثابون، وإنما التفاوت بينهم في الثواب إذ من اجتهد وأصاب كعلي كرم الله وجهه وأتباعه له أجران بل عشرة أجور كما في رواية، ومن اجتهد وأخطأ كمعاوية رضي الله عنه له أجر واحد، فهم كلهم ساعون في رضا الله وطاعته بحسب ظنونهم واجتهاداتهم الناشئة عن سعة علومهم التي منحوها من نبيهم ومشرفهم ﷺ وعليهم، فتفطن لذلك إن أردت السلامة في دينك من الفتن والابتداع والعناد والمحن والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل، وجاء بسندين رجالهما ثقات إلا واحدا وثقه ابن معين وغيره، أنه ﷺ قال: تفرقت بنو إسرائيل ـ وفي رواية اليهود ـ على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وأمتي تزيد عليهم بفرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم، وفي رواية في سندها ضعيف جدا كلهم على الضلال إلا السواد الأعظم قالوا يارسول الله: من السواد الأعظم؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله ومن لم يكفر أحدا من أهل التوحيد بذنب، ومن هذا أخذ العلماء أن المراد بأهل السنة حيث أطلقوا أتباع أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي، لأن هؤلاء هم الذين على ما كان عليه ﷺ وأصحابه وتابعوهم فمن بعدهم، مع أنهم السواد الأعظم إذ لا تجد فرقة من الفرق غيرهم اشتهروا شهرتهم ولا كثروا كثرتهم، وإنما هم عند عامة المسلمين كفرقة اليهود والنصارى فهم في غاية الاستخفاف والاحتقار والذلة والاستصغار أدام الله عليهم ذلك آمين.

(تنبيه) جاء في الحديث الصحيح إن قوة الجدل بالباطل والقدرة عليه من علامات الضلال، وأصل ذلك قوله تعالى «ماضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون»، وحينئذ فاحذر أيها الموفق أن تسترسل مع مبتدع في جدل أو خصام، فانك لو أقمت عليه الحجج القطعية والأدلة البرهانية، والآيات القرآنية لم يصغ إليك واستمر على بهتانه وعناده لأن قلبه أشرب حب الزيغ عن سنن أهل السنة وخلفاء التوفيق والمنة، اقتداء بكفار قريش الذين لم ينفع فيهم حجة ولا قرآن. بل عاندوا إلى أن أفناهم العناد والسنان. فكذا هؤلاء المبتدعة الكلام معهم عي فأعرض عنهم رأسا وابذل جهدك فيما ينفعك الله به في الدنيا والآخرة.

الفصل الأول

﴿ فى إسلام معاوية رضى الله عنه ﴾

على ماحكاه الواقدى بعد الحديبية ، وقال غيره بل يوم الحديبية وكتم إسلامه عن أبيه وأمه حتى أظهره يوم الفتح ، فهو فى عمرة القضية المتأخرة عن الحديبية الواقعة سنة سبع قبل فتح مكة بسنة كان مسلما ، ويؤيده ماأخرجه أحمد من طريق محمد الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهم . أن معاوية قال قَصرّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة ، وأصل الحديث فى البخارى من طريق طاوس عن ابن عباس بلفظ قصّرت بمشقص ، ولم يذكر المروة فى كل من الروايتين ، كذا خلافا لمن حصر فى الأولى الدّلالة على أنه كان فى عمرة القضية مسلما ، أما الأولى فواضح ، لأنه ذكر أن ذلك عند المروة ، وهذا يعين أن ذلك التقصير كان فى العمرة ، لأنه صلى الله عليه وسلم فى حَجّة الوداع حلق بمنى إجماعا ، وأما الثانية فلأنه صلى الله عليه وسلم لم يقصّر فى حجة الوداع أصلا لا بمكة ولا بمنى ، فتعين أن ذلك التقصير إنما كان فى العمرة ، فان قلت يحتمل أن ذلك التقصير كان فى عمرته من الجِعْرانة بعد فتح مكة وهزيمة حُنين وسبيهم والمجىء بهم وبأموالهم إلى الجعرانة فى آخر سنة ثمان ، فلا يكون فيه شاهد لما ذكرته ، قلت عمرة الجعرانة إنما فعلها صلى الله عليه وسلم ليلا سرّا عن أكثر الصحابة ، ولذا أنكرها بعضهم ، وذلك أنه بعد صلاة العشاء بأصحابه فى الجعرانة ، دخل على أهله فلما تفرق الناس لمضاجعهم خرج صلى الله عليه وسلم محرما بالعمرة فى نفر قليل إلى مكة فقضى نسكه ثم رجع إلى أهله سرّا أيضا ، ثم عند صلاة الصبح خرج من عند أهله كبائت عندهم ، فلم يعلم بتلك العمرة إلا بعض خواصّه صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية إذ ذاك لم يكن من أولئك الخواص ، فاحتمال كون تقصيره له صلى الله عليه وسلم فى هذه العمرة بعيد ، فلم ينظروا إليه كما هو شأن الاحتمالات البعيدة فى الوقائع الفعلية والقولية ، فان قلت كونه أسلم وكتم إسلامه ولم يهاجر للنبى صلى الله عليه وسلم نقص وأى نقص ، قلت ليس الأمر كذلك باطلاقه ، كيف وقد وقع ذلك للعباس رضى الله عنه عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على القول الذى رجحه بعضهم أنه أسلم ببدر وكتم إسلامه إلى فتح مكة ، بل هذا أولى لأن مدة كتمه لإسلامه نحو ست سنين ، ومعاوية أن ما كتمه نحو سنة ، ولم يعدّ أحد ذلك نقصا فى العباس لأنه كان لعذر ، فكذلك ما وقع لمعاوية على ذلك القول كان لعذر ، والهجرة إنما تجب وتتعين حيث لا عذر ، ومنه الجهل بوجوبها ممن يعذر فيه ، وقد جاء فى رواية أن أمه قالت له إن هاجرت قطعنا عنك النفقة وهذا عذر ظاهر ، لا يقال يرد ماحكاه الواقدى أنه أسلم قبل الفتح ، ماثبت فى الصحيح عن

سعد بن أبي وقاص أنه قال العمرة فى أشهر الحج، فعلناها وهذا ـ أى معاوية يومئذ ـ كافر لأنا نقول : ممنوع ذلك بل لاردّ فيه ، لأن الفرض أنه كتم إسلامه فسعد ممن لم يعلم به فاستصحب حاله إلى يومئذ وقضى عليه بالكفر فيه ، باعتبار الظاهر وبالنسبة إلى علمه ، أما إسلامه يوم فتح مكة فلا خلاف فيه ، كاسلام أمه وأبيه وأخيه يزيد يومئذ ، فان قلت ذكر بعض الأئمة فى ترجمته أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه من غنائم هوازن مائة بعير وأربعين أوقية من الذهب وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامهما ، وهذا يمنع سبق إسلامه على يوم الفتح ، إذ لو سبق إسلامه جميع أهله لم يكن كأبيه فى عده من المؤلفة ، قلت لايمنعه بوجه ، أما أولا فمن عده من المؤلفة إنما جرى على أن إسلامه لم يكن إلا يوم الفتح ، نظير ماوقع لسعد فيما مر عنه آنفا ، ويدل لذلك أن من ترجمه بذلك قرنه فى ذلك بأبيه، وأبوه لم يسلم إلا يوم الفتح اتفاقا ، أما من يقول بتقديم إسلام معاوية قبل الفتح بنحو سنة وأنه إنما امتنع من الهجرة للعذر كما مر فلا يعده من المؤلفة ومجرد الإعطاء لايدل على التأليف ، ألا ترى أن العباس رضى الله عنه كتم إسلامه ثم أظهره يوم الفتح كما مر ، ثم أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم ما أطاق حمله من النقد الذى جاءه من البحرين ؛ فكما أن هذا لايدل على أن العباس من المؤلفة قلوبهم فكذلك إعطاء معاوية شيئا له بخصوصه ـ إن فرض صحة وروده ـ لايدل على أنه كان من المؤلفة قلوبهم . أما أولا فلما مر مما يدل على قوة إسلامه . وأما ثانيا فالظاهر بكل فرض قوة إسلامه ، وأنه إنما أعطاه زيادة فى تأليف أبيه لكونه من أكابر مكة وأشرافهم . ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن . فميزه ﷺ بذلك دون غيره زيادة فى تأليفه والإعلان بشرفه وفخره لأنه كان يحب الفخر فى قومه . وأما أبوه فالظاهر أنه كان منهم . ثم حسن إسلامه وتزايد صلاحه حتى صار من أكابر الصادقين وأفاضل المؤمنين . وإنما يذم بالتأليف من بقى بوصفه . ولم يترق عن كونه ممن يعبد اللهَ على حرف . وحاشا أبى سفيان من ذلك . كما شهدت بذلك آثاره الصالحة فى الحروب والمسالك . ومما يدل على أنه ﷺ علم قوة إسلامه ومزيد استسلامه خضوعه لأوامره ﷺ وأحكامه فقضى عليه بما لايلائم ماجبل عليه قبل ذلك من الشح حتى على زوجته وولده معاوية بطعامه . ألا ترى أنه لما أسلم هو وزوجته هند جاءت للنبى ﷺ تشكوه فقالت يارسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح فانه لايعطينى مايكفينى وولدى . أى معاوية . فقال لها ﷺ : خذى من ماله مايكفيك وولدك بالمعروف . فقضى عليه فى غيبته بذلك لعلمه برضاه به واستسلامه له . وإن كان فيه غاية المشقة على نفسه باعتبار ماجبل عليه من الشح ، وعلى قوة إسلامها أيضا زمن جملة الحامل لها عليه أن مكة لما فتحت دخلت المسجد الحرام ليلا فرأت الصحابة قد ملؤه وأنهم على غاية من

الاجتهاد فى الصلاة وقراءة القرآن والطواف والذكر وغير ذلك من العبادات . فقالت والله مارأيت الله عبد حق عبادته فى هذا المسجد قبل هذه الليلة ، والله أن باتوا إلا مصلين قياما وركوعا وسجودا فاطمأنت إلى الإسلام لكنها خشيت إن جاءت إلى النبى ﷺ أن يوبخها على مافعلته من المثلة القبيحة بعمه حمزة رضى الله عنه . فجاءت إليه مع رجل من قومها لتبايعه فوجدت عنده من الرحب والسعة والعفو والصفح مالم يخطر ببالها . ثم شرط عليها أن لا تزنى فقالت وهل تزنى الحرة يارسول الله فلم تجوز وقوع الزنى إلا من البغايا المعدات لذلك ثم شرط عليها أن لا تسرق فأمسكت . وقالت إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطينى مايكفينى إلا ما أخذت منه من غير علمه . فقال لها خذى من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف . فلما بلغ ذلك أبا سفيان أظهر غاية الرضا بل زاد فقال . ما أخذت من مالى فهو حلال . وفى رواية أنه ﷺ استأذنه لها فقال أذنت فى أخذ الرطب دون اليابس . ولما أسلمت كانت على غاية من التثبت واليقظة فانها إثر البيعة ذهبت إلى صنم لها فى بيتها فجعلت تضربه بالقدوم حتى كسرته قطعة قطعة وهى تقول . كنا منك فى غرور .

(تنبيه) جاء بسند حسن أن معاوية كان أبيض طويلا أجلح أبيض الرأس واللحية زاد بعض واصفيه كان أجمل الناس(١) .

الفصل الثانى

﴿ فى فضائله ومناقبه وخصوصياته وعلومه واجتهاده وهى كثيرة جدا واقتصرت هنا على غالب غررها ﴾

(تنبيه) قيل عبر البخارى بقوله . باب ذكر معاوية . ولم يقبل فضائله ولا مناقبه لأنه لم يصح فى فضائله شىء كما قاله ابن راهويه(٢) . ولك أن تقول : إن كان المراد من هذه العبارة أنه لم يصح منها شىء على وفق شرط البخارى ، فأكثر الصحابة كذلك إذا لم يصح شىء

---

(١) وصفه بالبياض فى لحيته وانه أجلح أى شعره منحسر عن جانبى رأسه ورد عن اسحق بن يسار من رواية الطبرانى باسناد حسن كما فى المجمع ورواية انه اجمل الناس من قول اسلم مولى عمر أخرجها الطبرانى برجال الصحيح غير مسلم بن جندب وهو ثقة .

(٢) وذهب كذلك ابن حنبل والنسائى إلى ماذكر عن ابن راهويه وذكر الحافظ فى الفتح أن ما ذكره البخارى مما يشهد لمعاوية بالفقه لايدل على فضيلة وأن الذى يدل على الفضل الكثير هو الصحبة وما ذكره ابن حجر لايدل على عدم ثبوت فضائله مع غيره وإنما المنفى ثبوتها له بخصوصه وهذا هو رأى البخارى فى معاوية . فانه علق الصحبة فى الصحيح على مجرد الرؤية ولو لحظة كما ذهب إليه شيخه ابن المدينى ورجحه ابن حجر ثم ذكر فى الصحيح ثبوت الفضل لكل صحابى ومعاوية منهم .

منها ، وإن لم يعتبر ذلك القيد فلا يضره ذلك، لما يأتي أن من فضائله ما حديثه حسن حتى عند الترمذي كما صرح به في جامعه وستعلمه مما يأتي . والحديث الحسن لذاته كما هنا حجة إجماعا بل الضعيف في المناقب حجة أيضا ، وحينئذ فما ذكره ابن راهويه بتقدير صحته لا يخدش في فضائل معاوية لوجوه . منها ما مر أنه من أشرف الصحابة نسبا جاهلية وإسلاما فانه من أكابر قريش ومن أقرب بطونهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،لأنه يجتمع معه في عبدمناف وكان لعبد مناف أربعة أولاد هاشم جدّ النبي ﷺ والمطلب جد الشافعي وعبدشمس جد عثمان ومعاوية رضي الله عنهما ، ونوفل . والثلاثة الأول اشقاء لكن بنو الأولين لم يفترقوا جاهلية ولا إسلاما كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن بنو هاشم وبنو المطلب لم نفترق جاهلية ولا إسلاما ، ومن ثم لما تمالأت قريش عليه صلى الله عليه وسلم في السبّ والايذاء الذي لا أبلغ منه ، انفردت بنو المطلب مع بني هاشم فدخلوا معهم شعبهم لما حصرتهم قريش فيه وتحالفوا أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم ، فاختار بنو المطلب بني هاشم ورضوا بما يحصل لهم من السب والايذاء منهم ،واختار بنو عبدشمس ونوفل قريشا فكانوا معهم على سبّ أولئك وإيذائهم ولهذا لما قسم ﷺ الفيء لم يعط هذين شيئا منه وخص به الأولين . ومنها أنه أحد الكتاب لرسول الله ﷺ كما صح في مسلم وغيره ،وفي حديث سنده حسن، كان معاوية يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو نعيم كان معاوية من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الكتابة فصيحا حليما وقورا . وقال المدايني كان زيد بن ثابت يكتب الوحي وكان معاوية يكتب للنبي ﷺ فيما بينه وبين العرب . أي من وحي وغيره . فهو أمين رسول الله ﷺ على وحي ربه وناهيك بهذه المرتبة الرفيعة . ومن ثم نقل القاضي عياض أن رجلا قال للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب غضبا شديدا وقال لا يقاس بأصحاب النبي ﷺ أحد ، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله . ويوافق ذلك أن عبد الله بن المبارك المجمع على جلالته وأمانته وتقدمه وأنه جمع بين الفقه والادب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والشجاعة والفروسية والسخاء والكرم الواسع حتى كان ينفق من تجارته على القراء في كل سنة مائة ألف ،والزهد والورع والانصاف وقيام الليل والاكثار من الحج والغزو والتجارة لله حتى ينفق على أصحابه وغيرهم ،ومن ثم كان يقول لولا خمسة ما اتجرت :سفيان الثوري وابن عيينة والفضيل بن عياض وابن السماك وابن علية فيصلهم، وكان يعطي كل واحد من هؤلاء الخمسة الذين هم غرة العلماء العاملين والائمة الوارثين جميع ما يحتاج اليه لشدة البدن ، ليحوز من معالي العبادات مالا يطيقه غيره . وسئل فقيل يا أبا عبد الرحمن أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز . فقال والله إن الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ أفضل من عمر بألف مرة ،صلى معاوية خلف رسول

الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ سمع الله لمن حمده فقال معاوية رضى الله عنه ربنا لك الحمد فما بعد هذا الشرف الأعظم . وإذا كان مثل ابن المبارك يقول فى معاوية ذلك وأن تراب أنف فرسه فضلا عن ذاته أفضل من عمر بن عبد العزيز ألف مرة فأى شبهة تبقى لمعاند وأى دخل يتمسك به غبى أو جاحد .

(فائدة) من كرامات ابن المبارك أن ابن عُلَيَّة المُجْمع على تقدمه وجلالته كان من أجلّ أصحاب ابن المبارك وكان ينفعه كما مر ، ولما تولى لهارون الرشيد القضاء هجره ابن المبارك وقطع نفقته فأتى إليه ابن عُلَيَّة معتذرا فلم يعبأ به ولم يرفع إليه رأسه بعدما كان يبالغ فى تعظيمه لأجل شؤم القضاء وشؤم عاقبته ثم كتب إليه ابن المبارك .

ياجاعل العلم له بازيا	يصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فى سردها	لترك أبواب السلاطين
اين رواياتك فيما مضى	عن ابن عوف وابن سيرين
إن قلت أكرهت فذا باطل	زلّ حمار العلم فى الطين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات أثرت فيه واشتد ندمه أن تولى القضاء ، ثم ذهب للرشيد وبالغ فى طلب الاستعفاء منه حتى أعفاه وأنقذه الله من بلائه وعافاه فحينئذ عاد ابن المبارك إلى تعظيمه وأجرى عليه النفقة . وفى إحياء علوم الدين لحجة الإسلام فى كتاب آداب السفر قال رجل لابن المبارك : احمل لى هذه الرقعة إلى فلان فقال : حتى أستأمر الجمال فانى لم أشارطه على هذه الرقعة . قال الغزالى : فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء ، إن هذا مما يتسامح به ولكن سلك طريق الورع اه وإنما سقت ذلك هنا لتعلم أيها الموفق إلى الحق إن شاء الله تعالى . أن من وصل ورعه إلى هذه الغاية ومشاحته لأصحابه على مثل توليته القضاء الذى هو أفضل الوظائف الدينية بعد الخلافة إلى تلك النهاية فكيف يستجيز . أن يقول فى معاوية وعمر بن عبد العزيز ما قال من غير دليل وكيف يقدم على هذا التفضيل . فلولا أن الدلالة على ذلك ألجأته إلى هذه المقالة لما تفوه بها . ولولا أنه رأى أن ذلك من آكد الواجبات عليه لما خاض غمرة هـــذا الخطر فتيقظ لذلك وفرّغ له ذهنك لتسلم من السفساف وترشد وتغنم والله سبحانه بحقائق خلقه أعلم . ومنها وهو من غرر فضائله وأظهرها الحديث الذى رواه الترمذى وقال إنه حديث حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال : اللهم اجعله هاديا مهديا (١) فتأمل هذا الدعاء من الصادق المصدوق وأن أدعيته لأمته لاسيما

(١) تقدم القول فى هذا الحديث وفيما ثبت منه حكاية عن السيوطى وغيره .

أصحابه مقبولة غير مردودة تعلم أن الله سبحانه استجاب لرسول الله ﷺ هذا الدعاء لمعاوية لجعله هاديا للناس مهديا فى نفسه ومن جمع الله له بين هاتين المرتبتين كيف يتخيل فيه ما تقوّله عليه المبطلون ووصمه به المعاندون ، معاذ الله لا يدعو رسول الله ﷺ بهـذا الدعاء الجامع لمعالى الدنيا والآخرة المانع لكل نقص نسبته إليه الطائفة المارقة الفاجرة ، إلا لمن علم ﷺ أنه أهل لذلك حقيق بما هنالك فان قلت هذان اللفظان أعنى هاديا مهديا مترادفان أو متلازمان فلم جمع النبى ﷺ بينهما ؟ قلت ليس بينهما ترادف ولا تلازم، لان الإنسان قد يكون مهتديا فى نفسه ولا يهتدى غيره به، وهذه طريق من آثر من العارفين السياحة والخلوة، وقد يهدى غيره ولا يكون مهتديا وهى طريقة كثيرين من القصاص الذين أصلحوا ما بينهم وبين الناس وأفسدوا ما بينهم وبين الله ، وقد شاهدت من هـؤلاء جماعة لم يبال الله بهم فى أىّ واد هلكوا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فلأجل هذا طلب صلى الله عليه وسلم لمعاوية حيازة هاتين المرتبتين الجليلتين حتى يكون مهديا فى نفسه هاديا للناس ودالا لهم على معالى الأخلاق والأعمال . ومنها ما جاء بسند ليس فيه علة إلا اختلاط حصل لبعض رواته أن عوف بن مالك كان قائلا نائما بمسجد بأريحاء فانتبه فاذا أسد يمشى إليه فأخذ سلاحه فقال له الأسد صه إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها قلت : من أرسلك؟ قال الله أرسلنى إليك لتُعلم معاوية أنه من أهل الجنة قلت : من معاوية؟ قال ابن أبى سفيان . (١) ولا يستبعد ذلك لأن كلام الأسد له كرامة وهى جائزة الوقوع خلافا للمعتزلة وكونه من أهل الجنة شهدت به أدلة كثيرة لو لم يكن إلا الدعاء له بأن يكون هاديا مهديا لكفى فليس هنا استغراب يؤدى إلى الطعن فى هذه الحكاية بوجه. ومنها الحديث الذى خرجه الحافظ الحارث بن أسامة وهو أنه ﷺ قال أبو بكر أرق أمتى وأرحمها ثم ذكر مناقب بقية الخلفاء الأربعة ثم مناقب جماعة آخرين من أصحابه وذكر منهم معاوية فقال صلى الله عليه وسلم: ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها . فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللذين وصفه صلى الله عليه وسلم بهما تعلم أنه حاز بسببهما مرتبة جليلة رفيعة من الكمال لم يحزها غيره . إذ الحلم والجود ينبئان عن انتفاء سائر حظوظ النفس وشهواتها . أما الأول فلأنه لا يحلم لا سيما فى مضائق النفس وثوران فورة غضبها إلا من لم يبق فى قلبه مثقال ذرة من كبر ولا حظّ للنفس ومن ثم قال رجل : يارسول الله أوصنى قال لا تغضب فلازال يكرر طلب الوصية وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيده على قوله لا تغضب إعلاما له بأنه إذا وقى شر الغضب وقى شر خبائث النفس وشهواتها ومن وقى ذلك حاز جميع معالم الخير وآدابه وأما الثانى فلأن حب الدنيا رأس كل خطيئة كما فى الحديث فمن وقاه الله حبها ورزقه حقيقة الجود كان ذلك علامة على

---

(١) رواه الطبرانى عن عوف بن مالك والمختلط أبو بكر بن أبى مريم .

أنه لم يبق في قلبه مثقال ذرة من حسد ولا يلتفت إلى فان ، والاشتغال بقاطع من قواطع الخيرات الظاهرة والباطنة، وحيث خلص القلب من هاتين البليتين القبيحتين بل لاأقبح منهما الغضب والبخل المستتبعان لأمهات النقائص وعظائم الخبائث كان متحليا بكل كمال وخير مطهر عن كل شر وضير ، وحينئذ نتج من هاتين الكلمتين ـ أحلم أمتى وأجودها ـ الجامعتين المانعتين كما تقرر ـ أن الصادق المصدوق شهد لمعاوية بأنه بلغ جميع ماقررته في شرح هاتين بزيادات وأنه لايتطرق إليه ماانتحله عليه ونسبه إليه ذو البدع والجهالات ، فان قلت هذا الحديث المذكور سنده ضعيف فكيف يحتج به ، قلت الذى أطبق عليه أئمتنا الفقهاء والأصوليون والحفاظ أن الحديث الضعيف حجة في المناقب كما أنه ثم باجماع من يعتد به حجة في فضائل الأعمال وإذا ثبت أنه حجة في ذلك لم تبق شبهة لمعاند ولا مطعن لحاسد بل وجب على كل من فيه أهلية أن يقر هذا الحق في نصابه وأن يرده إلى إهابه ، وأن لا يصغى إلى ترهات المضلين ونزغات المبطلين . وبعد أن تقرر لك ماذكر في الحديث الضعيف فليكن ذلك على ذكرك من كل محل من هذا الكتاب وغيره . رويت فيه حديثا ضعيفا فيه منقبة لصحابي أو غيره ، فاستمسك به ، لما علمت أنه هنا حجة كافية لكن شرطه على الأصح أن لا يشتد ضعفه بأن لا ينسب لأحد من رواته وضع ونحوه وإلا لم يحتج به مطلقا (١) ومنها الحديث الذى أخرجه الملا في سيرته ونقله عنه المحب الطبرى في رياضه أنه ﷺ قال: أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأقواهم في دين الله عمر . وأشدهم حياء عثمان وأقضاهم علىّ ، ولكل نبى حوارى وحوارىّ طلحة والزبير . وحيثما كان سعد بن وقاص كان الحق معه ؟ وسعيد بن زيد أحد العشرة من أحباء الرحمن : وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن . وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله . وأمين رسوله ﷺ ، وصاحب سرى معاوية بن أبى سفيان فمن أحبهم فقد نجا ومن أبغضهم فقد هلك فتأمل ما خص به معاوية المناسب لكونه كاتبه وأمينه على الأسرار الآلهية والتنزلات الرحمانية ، تعلم أن معاوية كان عنده ﷺ بمكانة علية جدا إذلا يأمن الانسان على أسراره إلا من اعتقده جامعا للكمالات متطهرا عن جميع الخيانات وهذه من أجل المناقب ، وأكمل الفضائل والمطالب ، ومنها ماجاء عن ابن عباس رضى الله عنه قال : جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال : يامحمد استوص بمعاوية فانه أمين على كتاب الله ونعم الأمين هو . رجاله رجال الصحيح إلا واحدا ففيه لين والآخر قال الحافظ الهيثمى

---

(١) التسامح في رواية الضعيف في فضائل الأعمال من غير نص على ضعفه منقول عن الإمام أحمد وعبد الرحمن بن مهدى وابن المبارك كما ذكره ابن عبد البر والعراق والسيوطى والسخاوى والدوانى ومقتضى إفتاء ابن الصلاح والنووى بل يثبت به الاستحباب عند كثير منهم والعمل به مقدم على العمل بالرأى وعلى ذلك العمل في الترغيب والترهيب والفضائل وذكر المناقب والقصص ونحوها كما ذكره السيوطى في طلوع الثريا والتعظيم والمنة وغيره كما في الأجوبة الفاضلة للكنوى .

لا أعرفه ، ومثل هذا الذى قاله ابن عباس لا يقال مثله من قبل الرأى فله حكم المرفوع إلى النبى ﷺ وجهالة أحد رواته غايتها أنها توجب ضعف سنده وقد مر آنفا أن الضعيف حجة فى المناقب (١) ومنها أنه ﷺ دخل على زوجته أم حبيبة ورأس معاوية فى حجرها وهى تقبله ـ فقال لها أتحبيه قالت ومالى لا أحبّ أخى فقال ﷺ فانّ الله ورسوله يحبانه ـ قال الحافظ المذكور فى سنده من لم أعرفهم أى فهو ضعيف ومر أنه حجة هنا ، ومنه فوزه بمصاهرته ﷺ فان أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها أخته وقد قال ﷺ : دعو أصحابى وأصهارى فان من حفظنى فيهم كان معه من الله حافظ ومن لم يحفظنى فيهم تخل الله عنه ومن تخل الله عنه يوشك أن يأخذه رواه الإمام الحافظ أحمد بن منيع . وقال ﷺ عزيمة من ربى وعهد عهده إلىّ أن لا أتزوج إلى أهل بيت ولا أزوج بنتا من بنانى لأحد إلا كانوا رفقائى فى الجنة رواه الحارث بن أبى أسامة ، وقال ﷺ سألت ربى أن لا أتزوج إلى أحد من أمتى ولا أزوج أحدا من أمتى إلا كان معى فى الجنة فأعطانى ذلك . رواه الحرث أيضا ، فتأمل هذا الفضل العظيم والجاه الجسيم لكل أهل بيت تزوج منهم ﷺ ، فعلم أن الله منح بيت أبى سفيان ـ وأجلهم معاوية ـ من الشرف والكمال ومن العز والفخر والجلال ومن العظمة والحفظ والاقبال ، ماحصل لهم به التميز الأكبر والقرب الأظهر . وتأمل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم من حفظنى فيهم كان معه من الله حافظ ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه . ومن تخلى الله منه يوشـــك أن يأخذه ـ لعلك تنكف أو تكف غيرك عن الخوض فى عرض أحد ممن اصطفاهم الله لمصاهرة رسوله وأدخلهم فى حيطة قربه وتكميله . فان الخوض فى أحد من هؤلاء هو السمّ الناقع والسيف القاطع ومن تحسىّ مثل هذا السم كانت نفسه رخيصة عليه وشهوته جارية لكل سوء إليه ومن هو كذلك لا يبالى الله به فى أى واد هلك ولا فى أى ضلال ارتبك أعاذنا الله من غضبه ونقمه بمنه وكرمه آمين(١) ومنها أنه ﷺ بشره بالخلافة : روى أبو بكر

---

(١) جواز العمل بالضعيف لا يثبت الحجية إلا ماحكى عن ابن الهمام وإلا ماحكى عن بعضهم إذا لم يجد فى الباب غيره فيكون أولى من الرأى وهو كذلك مشروط بشروط عند المحدثين منها إذا لم يشتد ضعفه وأن لا يعتقد أنه من السنة وأن يدخل تحت أمر عام . وهذه الأمور هل تشترط فى باب الفضائل والمناقب . نعم الضعيف أمارة ضعيفة لا يترتب عليها مفسدة فلا عجب أن يعمل بمفاده للاحتياط فى الدين والضعيف يوقع فى شبهة فيستحب العمل بمفادة إذا لم يكن شديد الضعف ويثبت به الاستحباب كما قاله ابن الهمام وصاحب إنموذج العلوم .

(٢) ولا يجوز الخوض فى عرض أحد من الأحياء أو الأموات فانه غيبة محرمة ولا يستثنى من ذلك إلا ما تتحقق به مصلحة شرعية مظنونة الوقوع ويجب على من سمع غيبة مسلم أن يردها ويزجر قائلها خصوصا إذا كان من أهل الفضل كما ذكره النووى فى جامع الترمذى من رد عن أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وسب الميت لا تتحقق به مصلحة شرعية إذ لا فائدة فيه لعدم الردع والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده كما فى الحديث . ومن قلمه وكتابه بل ومن

ابن أبي شيبة بسنده إلى معاوية رضى الله عنه أنه قال مازلت أطمع فى الخلافة منذ قال رسول الله ﷺ إذا ملكت فأحسن وروى أبو يعلى بسند فيه سويد وفيه مقال لا يؤثر فيه عن معاوية قال نظر إلى رسول الله ﷺ فقال: يامعاوية إن وليت أمرا فاتق الله واعدل ، قال فما زلت أظن أنى مبتلى بعمل لقول رسول الله ﷺ أى لأجله حتى وليت أى الامارة عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ثم الخلافة الكاملة لما نزل له الحسن عنها كما يأتى . ورواه أحمد بسند صحيح لكن فيه إرسال وصـــله أبو يعلى بسنده الصيح ولفظه عن معاوية أنه ﷺ قال لأصحابه توضؤا فلما توضؤا نظر إلىّ فقال يامعاوية أن وليت أمرا فاتق الله واعدل والثانى بنحو مامر وفى رواية للطبرانى فى الأوسط فاقبل من محسنهم واعف عن مسيئهم وروى أحمد بسند حسن آخر يقاربه أن معاوية أخذ الاداوة لما اشتكى أبو هريرة أى لأنه كان هو الذى يحملها وسار معاوية بها مع النبى ﷺ فبينما هو يوضىء رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه مرة أو مرتين وهو يتوضأ فقال يا معاوية إن وليت أمراً فاتق الله واعدل قال معاوية فمازلت أظن أنى سألى الخلافة حتى وليت . وفى حديث سنده حسن سئل رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة قال: اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل ومعاويه منهم بلا شك لأن الأئمة قد اتفقوا على أن عمر بن عبد العزيز منهم ومعاوية أفضل منه كما مر عن ابن المبارك وغيره فليكن منهم أيضا فان قلت كيف ذلك وقد جعل ﷺ ملكه عاضا بدليل ما صح أن حذيفة صاحب سرّ رسول الله ﷺ فى الفتن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون فيكم النبوة ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم ملكا عاضا ، ثم ملكا جبرية ثم خلافة على منهاج النبوة قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز وكان يزيد بن النعمان بن بشير من صحابته كتبت له بهذا الحديث أذكره إياه فقلت إنى لأرجو أن يكون أمير المؤمنين يعنى عمر بعد الملك العاض والجبرية فأدخل كتابى على عمر وقرأه عليه فسر به وأعجبه وفى أوائل كتابى مختصر تاريخ الخلفاء فى هذا الحديث كلام طويل ينبغى مراجعته وقد عنى ﷺ الخلافة الاولى بالحسن حيث جعل مدتها بعده ثلاثين سنة وآخر الثلاثين من خلافة الحسن ولم تثبت الخلافة لمعاوية الا بعد ان نزل له الحسن عنها فلزم من هذا التقرير أن خلافة معاوية من الملك العاض وأن معاوية ليس من هؤلاء الاثنى عشر خليفة قلت هى وإن كانت كذلك غير ضارّة فى معاوية فانه وقع فى خلافته أمور كثيرة ولم يؤلف مثلها فى زمن الخلفاء الراشدين فسميت لاشتمالها على تلك الامور ملكا عاضا وإن كان معاوية مأجورا على اجتهاده للحديث إن المجتهد إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ومعاوية مجتهد بلا شك فاذا أخطأ فى تلك

قلبه ولا يباح له سوء الظن بالناس فيلزمه حفظ قلبه من الخواطر النفسية فان النفس إذا ركنت لها استحق صاحبها المؤاخذة عند المحققين كما نقله عنهم السبكي والقاضي عياض .

الاجتهادات كان مثابا ، وكانت غير نقص فيه وإن سمى ملكه المشتمل عليهما عاضا ، ثم رأيت حديثا مصرحا بأن ملك معاوية وإن كان عاضا من وجه أو وجوه فهو رحمة ولفظه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : أول هذا الأمر نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا ورحمة ثم يكون إمارة ورحمة ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير فعليكم بالجهاد وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان رواه الطبرانى ، ورجاله ثقات وهو صريح فيما ذكرته إذ الملك الذى بعد الخلافة هو ملك معاوية وقد جعله رحمة ففيه عض ورحمة باعتبار لكن الظاهر باعتبار ما وجد من الخارج أن الرحمة فى ملك معاوية أظهر والعض فيما بعده أظهر إلا ولاية عمر بن عبد العزيز فانها ملحقة بالخلافة الكبرى ، ولذا ألحق بالخلفاء الراشدين ، وصح حديث لا يزال أمر أمتى صالحا حتى يمضى أثنا عشر خليفة كلهم من قريش وفى روايه فى سندها ضعيف أثنا عشر قيما من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم ، ومنها ماجاء بسند رجاله ثقات على خلاف فى بعضهم أنه ﷺ استشار أبا بكر وعمر فى أمر وقال لهما أشيرا على مرتين فى كل يقولان الله ورسوله أعلم فأرسل لمعاوية فلما وقف بين يديه قال احضروه أمركم وأشهدوه أمركم فانه قوى أمين . فتأمل هذين الوصفين الجليلين اللائقين بالخلافة تجد معاوية أهلا لها ولذا لما نزل له الحسن عنها لم يطعن أحد فيه بكلمة وإنما كان الطعن عليه قبل ذلك لأن الخليفة الحق علىّ فولده الحسن كرم الله وجههما . ومنها ماجاء بسند رواته ثقات على خلاف فيهم وإرسال فيه أنه صلى الله عليه وسلم دعا لمعاوية فقال اللهم علمه الكتاب والحساب ومكن له فى البلاد وقه سوء العذاب . وفى روايه اللهم علم معاوية الكتاب والحساب (١) ومنها أن عمر رضى الله عنه مدحه وأثنى عليه وولاه دمشق الشام مدة خلافة عمر ، وكذلك عثمان رضى الله عنه وناهيك بهذه منقبة عظيمة من مناقب معاوية ومن الذى كان عمر يرضى به لهذه الولاية الواسعة المستمرة . وإذا تأملت عزل عمر لسعد بن أبى وقاص الأفضل من معاوية بمراتب وإبقائه لمعاوية على عمله من غير عزل له علمت بذلك أن هذا ينبىء عن رفعة كبيرة لمعاوية وأنه لم يكن ولا طرأ فيه قادح من قوادح الولاية ، وإلا لما ولاه عمر أو لعزله وكذا عثمان ، وقد شكا أهل الأقطار كثيراً من ولاتهم إلى عمر وعثمان فعزلا عنهم من شكوهم وإن جلت مراتبهم ، وأما معاوية فأقام فى إمارته على دمشق الشام هذه المدة الطويلة فلم يشك أحد منه ولا اتهمه بجور ولا مظلمة ، فتأمل ذلك ليزداد اعتقادك

---

(١) الرواية اللهم علمه الكتاب والحساب ومكن له فى البلاد ثم اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب . فالأولى من رواية البزار وأحمد والطبرانى وفيها من لم يوثق ومن اختلف فيه والثانية مرسلة وفى بعض رجالها اختلاف .

أو لتسلم من الغباوة والعناد والبهتان (١) وسبب ولايته لدمشق أن أبا بكر رضى الله عنه لما استخلف بعث الجيوش إلى الشام وولاها يزيد بن أبى سفيان أخا معاوية فسار معه معاوية فلما مات يزيد استخلف أخاه معاوية على عمله فأقره عمر رضى الله عنه على ذلك مدة خلافته وكذلك عثمان فمكث أميرا نحو عشرين سنة وخليفة عشرين ثم لم يبايع عليا كرم الله وجهه للتأويل الآتى بيانه واستقل فى زمن خلافة على بالشام ثم ضم إليها مصر . ثم تسمى بالخلافة بعد الحكمين يوم صفين ، ثم استقل بها لما صالح الحسن ونزل له الحسن عنها باختياره ورضاه بل مع كثرة أتباعه وأعوانه ، ومع غلبة الظن بأنه لو حارب معاوية لغلبه ، فلم يكن لنزوله سبب إلا خشية رضا الله عنه على دماء المسلمين ، فانه كما قال علم أن الفئتين متكافئتان أو قريبتا التكافىء فلا يقع ظفر واحدة إلا بعد فناء معظم الاخرى ، والترك لأجل ذلك من أعظم مناقبه رضى الله عنه ولذا أثنى عليه به جده ﷺ على المنبر على رؤس الأشهاد إعلاما لهم بما سيقع منه لئلا يظن الجاهل أن الحامل له على ذلك الصلح جبن أو نحوه ، فقال وقد أمسكه، إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . فساوى بينهم فى الإسلام ولم يذكر مرجحا لأحدهما إعلاما باستوائهم فى أصل الثواب (٢) والله المرشد لاعتقاد الصواب ، والتخلى عن شئوم العصبية والارتياب .

وبعد نزول الحسن لمعاوية اجتمع الناس عليه وسمى ذلك العام عام الجماعة ، ثم لم ينازعه أحد من أنه الخليفة الحق من يومئذ . ومنها أن عمر رضى الله عنه اعترض عليه مرة فبالغ فى الرد على عمر حتى استحي عمر منه ، أخرج ابن المبارك بسند قوى أن معاوية فى زمن خلافة عمر قدم عليه مع جماعة وهو أجملهم فخرج إلى الحج مع عمر رضى الله عنهما وكان عمر ينظر اليه فيتعجب منه ثم يقول له: بخ بخ إذاً نحن خير الناس ، أن جمع لنا خير الدنيا والآخرة فقال معاوية يا أمير المؤمنين سأحدثك عن سبب نمو أبداننا وزيادة جمال صورنا إنا بأرض الحمامات والريف فقال عمر كلاما حاصله : بل ما سبب ذلك إلا مزيد تنعمك فى المأكل والمشرب ، والمحتاجون وراء بابك ثم لما وصلا إلى ذى طوى أخرج معاوية حلة ريحها طيب فنقم عليها وقال : يخرج أحدكم حاجا تفلا ـ أى أشعث أغبر ـ حتى إذا جاء أعظم بلدان الله حرمة أخرج ثوبيه كأنهما كانا فى الطيب فلبسهما فقال له معاوية إنما لبستهما لأدخل بهما على عشيرتى

---

(١) ذكر ابن العربى أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور .

(٢) قال ابن العربى . فى عارضة الأحوذى وتزاحف الحسن ومعاوية لمثل ذلك من السعى فى لم شعث المسلمين وجمع كلمتهم المفترقة فأصلح الله الحال بالحسن . تصديقا لقول النبى صلى الله عليه وسلم فيه إن ابنى هذا سيد واعل الله أن يصلح به فئتين عظيمتين من المسلمين . فمدح النبى عليه السلام الحسن بعقله وإصلاح ما بين الفئتين وجعلهم مسلمين .

والله لقد بلغنى أذاك ههنا وفى الشام، قال أسلم : تولى عمر فالله يعلم أن لقد عرفت الحياء فى وجه عمر فنزع معاوية الثوبين ولبس ثوبيه اللذين أحرم فيهما ، فتأمل مواجهة معاوية لعمر بقوله لقد بلغنى أذاك ههنا وفى الشام ، فاستحيا منه ـ الذى كان لا يخاف فى الله لومة لائم ولم يرد على معاوية بنت شفة تعلم أن عمر رجع عن الانكار عليه لأنه بين له عذره فى فعله ، وهو أنه لم يفعل ذلك إلا لقصد صحيح ؟ وهو التجمل عند الدخول على عشيرته ، وذلك فى أصله محبوب بل مؤكد ، لأنه ﷺ كما ورد كان إذا جاءه وفد لبس أحسن ثيابه وأنظفها ، وتكحل وتعمم ونظر فى الماء ، وساوى ما يحتاج إلى التسوية . فقالت له عائشة وأنت يارسول الله فقال : وأنا إن الله جميل يحب الجمال . وفى هذا أحاديث كثيرة استوعبتها مع مع بيان مراتبها ومعانيها فى كتابى در الغمامة فى العذبة والطيلسان والعمامة ، هذا ما رآه معاوية وأما عمر فنظر إلى الحالة الراهنة وأن المحرم أشعث أغبر كما قال ﷺ وقصد التجمل لم يطلع عليه عمر ، وبفرض الاطلاع عليه يمكنه أن يقول هذا ـ أعنى التجمل للعشيرة ـ يحصل بعد التحلل من الإحرام ، فلا ضرورة إليه قبله وبهذا يعلم أن ما رآه عمر هو الأحق بالسنة والأوفق للحديث المذكور وما رآه معاوية من أنه يستثنى من ذلك القدوم على الأهل فينبغى التجمل حينئذ ولو للمحرم ، يمكن أن يقال به عملا بالقاعدة المقررة فى الأصول أنه يستنبط من النص معنى يخصصه ، ومع ظهور رأى عمر عذر معاوية فيما رآه أيضا واحتمل قوله : لقد بلغنى أذاك إلى آخره نظرا إلى القاعدة المقررة : أن المجتهد لا ينكر على مجتهد ولقد بلغ عمر فى الرجوع إلى الحق إذا نبه له ولو من السب المبلغ الرفيع الشأن الذى يبلغه غيره(١) .

ومنها ثناء الصحابة رضى الله عنهم الثناء البليغ جدا عليه ، أخرج ابن سعد أن معاوية دخل على عمر رضى الله عنهما وعليه حلة خضراء فنظر إليه الصحابة ـ أى نظر إعجاب به أو منه ـ فلما رآهم عمر ينظرون إليه جعل يضربه بالدرة ويقول : الله الله يا أمير المؤمنين فيم فيم ، فلم يكلمه عمر حتى رجع لمجلسه ، فقال له الصحابة لم ضربت الفتى ما فى قومك مثله ، أى عمالك ويحتمل أن يريدوا بالقوم قريشا ، وعلى كل فالمثلية نسبية ، فقال ما رأيت منه إلا خيراً لكنى رأيته وأشار بيده إلى فوق فأردت أن أضعه أي رأيت عليه ما يشعر بالتكبر فأردت أن أرشده إلى التواضع ما أمكنه ، فإن قلت لم قال معاوية فيما مر آنفا إنما لبستهما إلى آخره

---

(١) فى دراسات اللبيب . فى الأسوة الحسنة بالحبيب المعين بن الأمين فى الدراسة الثانية : أنه أنكر كثير من الصحابة على معاوية فى محدثاته . وذكر من ذلك وقائع وفتاوى كثيرة . مرجعها ما يقع لكل المجتهدين من الاختلاف فى الرأى أو عدم العلم بالنص ومثلها وقع من الصحابة وغيرهم . فلا تنزل بمعاوية عن صف المجتهدين . وقد شهد له بالفقه ابن عباس وبالقضاء سعد بن أبى وقاص كما ذكره البخارى فى صحيحه وتاريخه وكان ذلك استجابة لدعاء الرسول له بأن يعلمه الله الفقه كما فى تاريخ البخارى .

وسكت هنا قلت لأن ما صدر منه هنا فعل وهو الضرب وبعد وقوعه باجتهاد صحيح لا يمكن اعتراضه ولا الكلام فيه ، وبهذا يظهر لك تمام فقه معاوية وبلوغه المرتبة العلية فى العلم والأدب ، ولذا قابله عمر بما يأتى لا سيما وقد قال له الصحابة رضى الله عنهم الذين هم أهل مجلسه وهم أكابر المهاجرين والأنصار كما دلت عليه الآثار الصحيحة ما فى قومك مثله، مشيرين إلى نوع اعتراض عليه فأجابهم بقوله ما رأيت منه وما بلغنى عنه إلا الخير ، وهذا لمن تأمله يدل على منقبة باهرة ومدحة ظاهرة لمعاوية إذ هذه الشهادة من عمر وأهل مجلسه الذين هم أكابر المهاجرين والانصار . بأنه ما فى قومه مثله وبأنه لم يرمنه ولم يبلغه عنه إلا الخير يقطع أعناق الطاعنين عليه ويقصم ظهور المعاندين والغالين فيما نسبوه اليه . ومنها أن عمر حض الناس على اتباع معاوية والهجرة اليه إلى الشام إذا وقعت فرقة أخرج ابن أبى الدنيا بسنده أن عمر قال: إياكم والفرقة بعدى فان فعلتم فاعلموا أن معاوية بالشام ، فاذا وكلتم إلى رأيكم كيف يستبزها منكم ، كذا رأيت فى النسخة التى عندى من الإصابة والظاهر أن كيف معمولة لمحذوف دل عليه السياق وضمير يستبزها للفرقة وحينئذ فالمعنى أنه يحرضهم اذا وقعت فتنة أوجبت افتراق الصحابة لموت الخلفاء الراشدين ، أن يخرجوا الى معاوية ويفوضوا اليه أمر تلك الفتنة لعظم رأيه وحسن تدبيره لاتفاقهم على أنه كان من دهاة العرب وحكمائهم ولا يعرف الرأى الصحيح عند وقوع الفرقة واصطلاء نار الفتنة إلا من أخذ من الحكمة والدهاء الناشئين عن كمال العقل وصحة التجربة بالبر الكلى أو الأغلبى بالغاية القصوى والمرتبة العليا ومعاوية ممن بلغ هذه المرتبة كما شهدت به أقرانه وأقضيته وتصرفاته وحلمه وحكمه ، فلذا أمرهم عمر باللحوق به وأشار اليهم أنهم يلقون اليه مقاليد أمور تلك الفتنة فانه يطفئها برأيه وأنهم إن وكلوا إلى رأيهم بقوا فى الفتنة حائرين ولم يحسنوا التخلص منها على الوجه الأكمل والطريق الأقوم الأعدل وهذا من عمر رضى الله عنه كرامة باهرة لتضمنه الأخبار بأن الأمر سيصير اليه وأن مقاليد الأمة لا يعول فيها إلا عليه ، ومدحة علية لمعاوية وشهادة له بالقوة النفسية وغايتها من الذكاء والدهاء والعلم ببواطن الامور على ما هى عليه ، والحكمة المقتضية لوضع كل شىء فى محله والاجتهاد فى الفروع والاحكام المنجى من غياهب المشكلات عن مضايق العويصات ، وكفى بهذه الأوصاف الجليلة من مثل عمر لمعاوية رفعة فى مرتبته وشهادة بكمال منقبته وباهر فطنته ، ومنها ثناء على كرم الله وجهه عليه بقوله :قتلاى وقتلى معاوية فى الجنة رواه الطبرانى بسند رجاله موثقون على خلاف فى بعضهم ، فهذا من على صريح لا يقبل تأويلا بأن معاوية مجتهد توفرت فيه شروط الاجتهاد الموجبة لتحريم تقليد الغير ، إذ لا يجوز لمجتهد أن يقلد مجتهدا بالاتفاق سواء خالفه فى اجتهاده وهو واضح أم وافقه لأن كلا إنما أخذ ماقاله من الدليل لا غير ، وذلك يسمى موافقا لا تقليدا ، ولهذا أول

أصحابنا ما أوهمه بعض العبارات أن الشافعى رضى الله عنه أخذ بقول عثمان فى شرط البراءة فى العيب عن جميع العيوب ، وبأكثر أقوال زيد فى الفرائض، بأن المراد أن اجتهاده وافق اجتهادهما . لا أنه قلد أحدهما لان المجتهد وإن تأخر لا يجوز له تقليد مجتهد آخر ولو من الصحابة رضوان الله عليهم ، وتصريح لا يقبل تأويلا من على أيضا ، بأن معاوية لأجل اجتهاده وإن أخطا فيه كما هو شأن سائر المجتهدين بنص الحديث ، ومن اجتهد واخطأ فله أجر مأجور هو وأتباعه المقلدون له والموافقون له فى الاجتهادات . لأن كثيرا من الصحابة وفقهاء التابعين كانوا موافقين له فى اعتقاده حقية ما هو عليه حتى مقاتلة على ففعله لذلك لم يكن عن حسد لعلى ولا عن طعن حاشاه الله من ذلك وإنما كان عن أمر قام فى اعتقاد معاوية باعتبار الدليل الملجيء له إلى ذلك لأن المجتهد أسير الدليل الذى انقدح له فلا يجوز له مخالفته بوجه من الوجوه ، فلذا أثيب هو وأتباعه وتن كان الحق مع على وأتباعه وتأمل كون على كرم الله وجهه مع اعتقاده حقية ما هو عليه وبطلان ما عليه معاوية ، حكم مع ذلك باثابة معاوية وأتباعه ، وأنهم كلهم فى الجنة فعلم بصة ماذكرته أن هذا من على صريح لا يقبل تأويلا بأن معاوية وأتباعه مثابون غير مأثومين بما فعلوه من قتال على ، وإنما قاتلهم مع ذلك لان البغاة يجب على الإمام قتالهم وهؤلاء بغاة إذ ليس من شرط البغى الأثم ؟ بل من شرطه التأويل الغير القطعى البطلان ، ومن ثم قال أئمتنا ليس البغى اسم ذم ، وقال الشافعى رضى الله عنه أخذت أحكام قتال البغاة مما فعله على لما قاتل معاوية ، ثم ماذكر عن على صريح أيضا فى أن قوله عز قائلا : وإن طائفتان من المؤمنين الآية يشمل معاوية وعليا وأتباعهما .

(تنبيه) ، ينبغى لك إذا باحثت أحدا من أولاد على الذين يعرفون القواعد الأصولية والحديثية ويذعنون للحق إذا ظهر ، أن تذكر له كلام على هـذا ونحوه مما يأتى عن أهل البيت فانه أبلغ عنده من أكثر الأدلة السابقة والآتية . ومنها ثناء ابن عباس رضى الله عنهما على معاوية وهو من أجل آل البيت والتابعين لعلى كرم الله وجهه . ففى صحيح البخارى عن عكرمة قال: قلت لابن عباس إن معاوية أوتر بركعة فقال إنه فقيه وفى رواية أنه صحب النبى ﷺ . وهذا من أجل مناقب معاوية ، أما أولا فلأن الفقه أجل المراتب على الاطلاق ومن ثم دعا ﷺ لابن عباس فقال: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، وقال ﷺ فى الحديث الصحيح: من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين . وأما ثانيا فصدور هذا الوصف الجليل لمعاوية من عظم مناقبه كيف وقد صدر له من حبر الأمة وترجمان القرآن وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عم على رضى الله عنهما والقائم بنصرة على فى حياته وبعد وفاته ، وصح ذلك عنه فى البخارى الذى هو أصح الكتب بعد القرآن وإذا ثبت مع هذه الكمالات فى الرواة والمروى عنه أن معاوية فقيه فقد أجمعت الأمة أهل الأصول والفروع على

أن الفقيه فى عرف الصحابة والسلف الصالح وقرون آخرين بعدهم هو المجتهد المطلق وأنه يجب
عليه أن يعمل باجتهاد نفسه ولا يجوز له أن يقلده غيره فى حكم من الأحكام بوجه كما مر
وحينئذ ، ينتج من ذلك عذر معاوية فى محاربته لعلى كرم الله وجهه وإن كان الحق مع على كما
مر ويأتى ، هذا ما يتعلق بقول ابن عباس إنه فقيه وقد سبق آنفا عن عمر فى حضه الناس
على اتباع معاوية ماهو صريح فى أن معاوية مجتهد بل فى أنه من أعظم المجتهدين وأجلهم .
وسبق عن على فى قوله إن قتلى معاوية فى الجنة ، ماهو صريح لا يقبل تأويلا فى أن معاوية
اجتهد ، وإذا تقرر أن عمر وعليا وابن عباس اتفقوا على أن معاوية من أهل الفقه والاجتهاد
اندفع ما طعن كل طاعن عليه وبطل سائر النقائص المنسوبة إليه ، ومما يتعلق بقول ابن عباس
إنه صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا من ابن عباس وقع زجرا لعكرمة المنكر
على معاوية إيتاره بركعة بما حاصله ، إن معاوية صحب النبى ﷺ لحل عليه من لحظه وكماله
ماصار به من العلماء الفقهاء الحكماء فهو أعرف بحكم الله فيما يفعله من المعترضين عليه وإذا
تأملت هذين الوصفين اللذين صحا فى البخارى عن ابن عباس فى حق معاوية علمت أنه لا مساغ
لأحد فى الانكار على معاوية فيما اجتهد فيه فظهر له أنه الحق . ففعله لأنه كبقية مجتهدى الأمة
والمجتهد لا ينكر عليه فيما أداه إليه اجتهاده إلا أن يخالف الاجماع أو النص الجلى ، كما هو
مقرر فى الأصول ، ومعاوية رضى الله عنه لم يخالف إجماعا كيف والإجماع لا ينعقد بدونه
وأيضا فوافقه على ماذهب إليه جمع من مجتهدى الأمة من الصحابة وغيرهم ولا نصا جليا كما
كما هو جلى وإلا لم يتبعه ذلك الجمع الجم . ومما ينبهك على عظيم فقهه مارواه ابن ماجه : أن
معاوية قام خطيبا على منبر النبى ﷺ بالمدينة فقال : يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتى ظاهرين على الناس لا يبالون
من خذلهم ولا من نصرهم . أى أين علماؤكم أباحثهم عن معنى هذا الحديث ولا يقول مثل
ذلك فى ذلك الزمن الغاص بأكابر مجتهدى الأمة من الصحابة ومن بعدهم إلا أفقه الفقهاء
وأجل العلماء والمدينة إذ ذاك كانت غاصة بالعلماء من الصحابة والتابعين فلا يتفوه بذلك منهم
إلا من فيه كفاءة لهم وما رواه البخارى ومسلم أن معاوية قام خطيبا بالمدينة فى قدمة قدمها
فخطبهم يوم عاشوراء فقال أين علماؤكم يا أهل المدينة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لهذا اليوم يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه وأنا صائم فمن أحب منكم أن يصوم
فليصم ومن أحب منكم أن يفطر فليفطر ، قال النووى رحمه الله تعالى قول معاوية هذا
ظاهر فى أنه سمع من يوجب صوم يوم عاشوراء أو يحرمه أو يكرهه فأراد معاوية إعلامهم
بأنه ليس بواجب ولا حرام ولا مكروه . وخطب به فى ذلك المجمع العظيم ولم ينكر
أحد منهم عليه ، فظهر بذلك عظيم فقهه وقوة اجتهاده بل وبلوغه فيه مرتبة علية جدا ،

كيف وقد بالغ فى التعريض بالمخالفين له ليناظروه فى صوم يوم عاشوراء فسكتوا ولم يقدر منهم أحد على مناظرته سرا ولا جهرا ، لايقال إنما سكتوا لأنه الخليفة حينئذ لخافوا أن يغلظ عليهم ، لأنا نقول هذا لايتوهم فيمن قال فى حقه ﷺ إنه أحلم الأمة ، فمن حاز هـذا الوصف الأعظم كيف يخشى أحد من الكلام معه فى مسئلة علمية ، طلب هو المباحثة فيها بحضرة أولئك الجمع الكثيرين ، وأيضا من يعلم منه أنه تحمل وهو الخليفة الأعظم ممن يبصق على وجهه فيمسحه ويقول طاهر على طاهر ، كيف لا يتحمل من يبحث معه فى مسألة علمية ليعرف الصواب فيها من غيره . وإن حصل منه مما يقع فى المباحثة ما حصـــل كلا لم يسكتوا إلا لعلمهم بأنه الفقيه المجتهد الذى لايجارى والحبر الذى لا يمارى ، ومما يدل على تحقيقه وعظم اجتهاده أيضا ما أخرجه الفاكهى من رواية ابن اسحق حدثنى يحيى بن عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : لما حج معاوية لحججنا معه فلما طاف بالبيت صلى عند المقام ركعتين ثم مر بزمزم وهو خارج إلى الصفا فقال انزع لى منها دلوا ياغلام ، قال فنزع له دلوا فأتى به فشرب وصب على وجهه ورأسه وهو يقول : ماء زمزم شفاء وهو لما شرب له . فتأمل كون ابن الزبير عبد الله مع وفور علمه وتقدمه يحتج بأفعال معاوية ويتابعه عليها ثم بأقواله وينقلها عنه تجد الصحابة رضوان الله عليهم متطابقين عـــلى الاعتراف بعلمه واجتهاده وأنه غير منازع فى ذلك ولا مدافع ، وقد استدل بعض المحققين من أكابر الحفاظ بكلام معاوية هذا على ما اشتهر على الالسنة من حديث ماء زمزم لما شرب له لهأصل أصيل ، وذلك لان كلام معاوية جاء بسند حسن وهو مصرح بهذا الحديث فيكون حجة على صحته إذ الصحابى إذا قال شيئا لامجال للاجتهاد فيه يكون فى حكم المرفوع إلى النبى ﷺ ، فقول معاوية هذا حجة فى أن حديث ماء زمزم لما شرب له ، وفى رواية لأحمـــد لما شرب منه حديث حسن ، وقد كثر كلام المحدثين وغيرهم فيه ، والحاصـــل أنه فى حد ذاته ضعيف ولـكن له شواهد أوجبت حسنه وشواهد أوجبت صحته ، منهاما ذكر عن معاوية ، ومنها أنه صح عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه ، ومثله لا يقال من قبل الرأى فله حكم المرفوع إلى النبى ﷺ ، نظير مامر عن معاوية وقد صحح الحاكم إسناد المرفوع لـكن قال إن سلم من الجارودى ، أحد رواته ولم يسلم منه ، وهو صدوق لـكن إن لم ينفرد ، وقد تفرد بوصله عن ابن عيينة ، وهو عند التفرد لايحتج به ، فـكيف وقدخالفه الثقات عن ابن عيينة أنه موقوف على ابن عباس لا مرفوع ، ومنها حديث الطيالسى عن أبى ذر يرفعه إنها طعام طعم وشفاء سقم وأصله فى مسلم ومنها أنه صححه من أكابر الحفاظ المتقدمين ابن عيينة ومن أكابر حفاظ المتأخرين المنذرى والدمياطى وجمع فيه جزأ ولا تنافى بين القول بصحته والقول بحسنه والقول بضعفه ، وممن صرح به النووى وهو من أئمة الحفاظ المتأخرين فى

التصحيح والتضعيف ، وذلك لأن من أطلق صحته أراد باعتبار شاهده الصحيح المتقدم عن ابن عباس ومن أطلق حسنه أراد باعتبار شاهده الحسن ، المتقدم عن معاوية ومن أطلق ضعفه فهو بالنظر إليه خاليا عن الشواهد ، وجاء من طرق واهية لا يعتد بها ماء زمزم شفاء من كل داء ، وجاء من طرق يفيد بمجموعها الحسن : التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق ، وفى رواية ، علامة ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم ، وفى أخرى علامة ما بيننا وبين المنافقين أن يدلوا دلوا من ماء زمزم فيتضلع منها ما استطاع منافق قط يتضلع منها ، وتوهم من لا علم عنده أن فضيلة ماء زمزم قاصرة على كونه فى محله ولا أصل لذلك ، كيف وهو صلى الله عليه وسلم كما جاء فى حديث له شواهد كان يكتب لسهيل بن عمرو قبل فتح مكة يحثه أن يرسل منه إليه بالمدينة ، وكذا كانت عائشة رضى الله عنها تحمله وتخبر أنه ﷺ كان يفعله وأنه كان يحمله فى الأداوى والقِرَب فيصب منه على المرضى ويسقيهم منه ، وكان ابن عباس إذا نزل به ضيف أتحفه من ماء زمزم . وسئل عطاء عن حمله فقال قد حمله النبى ﷺ والحسن والحسين رضى الله عنهما .

(تنبيه) لهج بعض العوام بحديث الباذنجان لما أكل له ، حتى قال بعض مجاز فيهم إنه أصح من حديث ماء زمزم لما شرب له ، وقد كذب فى ذلك وضل . كيف وهذا أعنى حديث الباذنجان باطل كذب لا أصل له . ومن أسنده فقد كذب وكذا من روى الباذنجان شفاء ولا داء فيه . وقد قال بعض الحفاظ إنه من وضع الزنادقة . ومن الباطل الكذب أيضا كلوا الباذنجان وأكثروا منه فانها أول شجرة آمنت بالله عز وجل ، وفى لفظ كلوا الباذنجان فانها شجرة رأيتها فى جنة المأوى . فمن أكلها على أنها داء كانت دواء ومن أكلها على أنها دواء كانت دواء . وأخرج البيهقى عن حرملة قال سمعت الشافعى ينهى عن أكل الباذنجان بالليل . وهذا الأخير غير قيد بل هو منهى عن أكله طبا . فى سائر الزمن . ومن العجيب أن محقق الأطباء وفقيههم العلامة العلى ابن النفيس فى كتابه الموجز الذى هو العمدة فى هذا الفن عند العرب والعجم وأهل الكتابين . ذكر على حروف المعجم كثيرا من المطعومات وما لها من المنافع والمضار إلا الباذنجان . فأنه عد مضاره ولم يعدله منفعة أصلا وقد فاوضت بعض الأطباء فى ذلك فقال ، أحفظ له منفعة سهلة . وهو أنه يمسك الطبيعة المسترسلة(١) وهذا كله استطراد جر إليه ذكر ما وقع لمعاوية فى ماء زمزم سهله كثرة فوائده وندرة فرائده فقيدتها هنا لتحفظ وتعلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) أجمع المحدثون على وضع حديث الباذنجان وألف فيه المحدث إبراهيم بن محمد الناجى جزءا سماه . قلائد المرجان فى الوارد كذبا فى الباذنجان وموجز قانون ابن سينا شرحه الاقصرائى وذكر فيه من مضاره أنه يهيج أمراض السوداء من الجنون والحكة والوسوسة والبهق الاسود وغيرها وأنه ردىء الخلط سيء الكيموس .

ومنها أنه ظهر لأبيه وأمه فى صغره مخايل نجابته وأنه لا بد أن يسود الناس كلهم ويملكهم أخرج أبو سعيد المدايني قال نظر أبو سفيان إلى ولده معاوية وهو غلام فقال : إن ابنى هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه ، فقالت أمه هند قومه فقط ؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة ، وأخرج البغوى عن أبان بن عثمان رضى الله عنهما قال ، كان معاوية وهو غلام مع أمه إذ عثر فقالت له قم لارفعك الله ، فقال لها أعرابي لم تقولين هذا والله إنى لأراه يسود قومه ؟ فقالت لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه ، وكأنها أخذت ذلك من أخبار بعض الكهان . ومنها قول ابن عباس فى حقه ما رأيت للملك أعلى من معاوية رواه البخارى فى تاريخه ، ويوافق ذلك ما ذكروه أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية وكثرة جنوده وأبهة ملكه أعجبه ذلك وأعجب به ثم قال : هذا كسرى العرب ، أى فى فخامة الملك وباهر جلالته وعظمة أبهته ، فتأمل هذه الشهادة له من عمر مع الرضى بما هو فيه والاعجاب به ، وتلك الشهادة له من ابن عباس مع أنه كان من فئة على كرم الله وجهه والمحاربين معه لمعاوية رضى الله عنهم ومع ذلك لم ينقص معاوية شيئا من حقه ولا أنقصه ، بل بالغ فى الثناء عليه وأنه فقيه مجتهد ، وهذا مما ينبهك على أن الصحابة رضوان الله عليهم وإن تحاربوا وتقاتلوا باقون على محبة كل للباقين وإبداء عذر الخارجين منهم على بقيتهم ، وقد سبق عن على رضى الله عنه قوله على قتلى معاوية إنهم فى الجنة وسيأتى عنه أنه قال إخواننا بغوا علينا . وقال فى حق طلحة وقد حاربه حرباً شديداً أنا وهو كما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، وبعد أن أحاط خبرك هذا كله من على لم يبق لك عذر بوجه فى الاعتراض على أحد من الصحابة فيما وقع منه مع البقية فتنبه لذلك ونبه الناس عليه فانه لا أنفع فى المعترضين من كلام على هذا ، ومنها ماجاء عن أبى الدرداء رضى الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا منهم فثقة أنه قال : ما رأيت أحدا بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا ، يعنى معاوية فتأمل شهادة هذا الصحابى الجليل بهذه المنقبة العظيمة لمعاوية رضى الله عنه وأنها تدل على عظيم فقهه واحتياطه وتحريه لما كان عليه ﷺ لاسيما فى الصلاة التى هى أفضل العبادات البدنية وأقرب الوصلات الرحمانية . ومنها ماجاء بسند فيه متروك أنه لما وصل رابغا متوجها لمكة من الشام أطلع فى بئر عاديّة فأصابته لقوة فاستتر إلى أن دخل مكة فجاءه الناس فلف رأسه وشق وجهه بعمامة ثم خرج فخطب وقال من خطبته . إن أعافى فقد عوفى الصالحون قبلى ، وإنى لأرجو أن أكون منهم وإن ابتليت فقد ابتلى الصالحون قبلى وما أيأس أن أكون منهم وإن كان مرض منى عضو فما أحصى صحيحى وان كان وجد ـ أى غضب ـ منى بعض خاصتكم فقد كنت وصولا لعامتكم فالى أن أتمنى على الله أكثر مما أعطانى ، فرحم الله رجلا دعا لى بالعافية فارتجت الأصوات بالدعاء له فاستبكى وبكى فقال

له مروان ما يبكيك قال ما ـ أى شىء ـ كنت عنه عزوبا كبرت سنى ورق عظمى وكثرت الدموع فى عينى ورميت فى أحسن ما يبدو منى ، ولولا هواى فى يزيد أبصرت قصدى(١) فتأمل هذا الكلام البليغ منه الدال على ما عنده من العلم والمعرفة لا سيما قوله أولا وإنى لأرجوه ثانيا وما أياس فان فرقه بين هذين المقامين مبنى على غاية الرجاء والخوف وأنهما مستويان عنده كما هو الأصح عندنا فى حق الصحيح ، وأما المريض فالأولى له تغليب رجائه على خوفه لقوله ﷺ فى الحديث الصحيح : أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى إلا خيرا وفى رواية لا لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه بربه ، أى يظن أنه سيغفر له ويرحمه ، وتأمل قوله وإن كان مرض منى عضو إلى آخره ، تجده أصلا عظيما فى الرضا بالقضاء بل وفى الشكر لأن الإنسان إذا نزل به مرض فى عضو من أعضائه فينبغى له الرضا بذلك والشكر لربه به ، لأنه وإن ابتلاه بمرض عضو فقد أبقى له أعضاء لا تنحصر سالمة من المرض ، وهذه نعم كثيرة لا تحصى فى مقابلة بلية واحدة فليرض بهذه البلية ويشكر على تلك النعم ليكون من جملة الراضين الشاكرين ، الذين هم أفضل العارفين ، وأعلم العلماء العاملين وقوله وجد منى بعض خاصتكم إلى آخره : تجده غاية فى التسليم والتسلى أى إن فرض أن بعض خاصتكم غضب على فلا يؤثر غضبه فى لأنه إن كان عن غير موجب فظاهر أو عن موجب فينبغى أن أسامح فى ذلك لأنى تكررت منى الصلات الكثيرة لعامتكم فلتكن هذه بتلك ؟ وقوله فالى أن أتمنى الخ فيه الاعتراف بتوالى نعم الله عليه وأنه قانع بما وصل اليه من النعم ، ساكت عن تمنى أكثر من ذلك فانه قد يكون للنفس فيه حظا وكل ما لها فيه حظ ولو بالقوة ينبغى تركه والاعراض عنه ، قوله فرحم الله الخ فيه غاية التواضع وإظهار الافتقار والاحتياج الى دعاء الرعية وأنه واحد من جملتهم محتاج اليهم وقوله كبرت سنى الخ فيه اظهار الافتقار الى الله تعالى وأنه بعد أن وصل الى هذه الأمور وصار ضعيفا عاجزا لا قوة له على الملك وما يحتاج اليه الا بمعونة عظيمة من ربه وقوله ولولا هواى الخ فيه غاية التسجيل على نفسه بأن مزيد محبته ليزيد أعمت عليه طريق الهدى وأوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق فى الردى لكنه قضاء انحتم ، وقدر انبرم فسلب عقله الكامل ، وعلمه الشامل ودهاءه الذى كان يضرب به المثل وزين له من يزيد حسن العمل وعدم الإنحراف والخلل كل ذلك لما أشار اليه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم من أنه إذا أراد الله انفاذ أمره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ ما أراده تعالى ، فمعاوية معذور فيما وقع منه ليزيد لأنه لم يثبت عنده نقص فيه ، بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية أولاد

---

(١) الرواية أخرجها الطبرانى وفيها محمد بن الحسن الهمدانى وهو متروك ولفظها محرف جدا فى مجمع الزوائد المطبوع فلتصلح بما هنا .

الصحابة كلهم فقدمه عليهم مصرحا بتلك الأولوية التي تخيلها ممن سلط عليه ليحسنها له واختياره للناس على ذلك إنما هو لظن أنهم إنما كرهوا توليته لغير فسقه من حسد أو نحوه ، ولو ثبت عنده أدنى ذرة مما يقتضى فسقه بل وإثمه لم يقع منه ما وقع ؛ وكل ذلك دلت عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة وهى قوله : ولولا هواى فى يزيد أبصرت قصدى ، فتأمل ذلك لتحيط منه بما ذكرته وفتحت لك باب ما بقى فى كلامه من الاشارات والاعتبارات والله سبحانه الهادى الى سواء السبيل ونسئله أن لا يزين لنا ما يكون سببا للانحراف عن سنن البرهان والدليل ومنها أنه حاز شرف الأخذ عن أكابر الصحابة والتابعين له وشرف أخذ كثيرين من أجلاء الصحابة والتابعين عنه ، وذلك أنه روى عن أبى بكر وعمر وأخته أم المؤمنين أم حبيبة وروى عنه من أجلاء الصحابة وفقهائهم ، عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وجرير البجلى ومعاوية بن خديج والسائب بن يزيد والنعمان بن بشير وأبو سعيد الخدرى وأبو أمامة بن سهل ، ومن كبار التابعين وفقهائهم عبد الله بن الحرث بن نوفل وقيس بن أبى حازم وسعيد بن المسيب وأبو إدريس الخولانى ، وممن بعدهم عيسى بن طلحة ومحمد بن جبير بن مطعم وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وأبو مجلز وحمران مولى عثمان ، وعبد الله بن محيريز ، وعلقمة بن أبى وقاص وعمير بن هانىء وهمام بن منبه وأبو العريان النخعى ومطرف بن عبد الله بن الشخير وآخرون ، فتأمل هؤلاء الأئمة أئمة الاسلام الذين رووا عنه تعلم أنه كان مجتهدا أىّ مجتهد وفقيها أى فقيه .

(تنبيه) عن شيخ الاسلام والحفاظ من جملة من روى عنه من أكابر التابعين وفقهائهم مروان بن الحكم ، وقد يشكل على ذلك ماجاء عنه فى ايذائه الشديد لأهل البيت وسبه لعلى كرم الله وجهه على منبر المدينة فى كل جمعة ، وقوله للحسن والحسين أنتم أهل بيت مهونون ونحو ذلك مما يأتى عنه وجوابه أنه لم يصح عنه شىء من ذلك كما ستعلمه مما سأذكره ، أن كل ما فيه نحو ذلك فى سنده علة ولهذا روى له البخارى وغيره ولم يخرجه المحدثون ، ولو صح عنه شىء من ذلك لنقله الحفاظ وتكلموا عليه ، وبتسليم أنه قال ذلك فغايته أنه مبتدع والمبتدع غير الداعية تقبل روايته ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن جماعة مبتدعين ولم يؤثر ذلك فيه . ومنها أنه أخبر عن أمور مغيبة فوقع الأمر بعده كما أخبره ، وذلك كرامة ، فمن ذلك ماجاء عنه بسند رجاله ثقات أنه قال إن أهل مكة أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تكون الخلافة فيهم أبدا ، وأن أهل المدينة قتلوا عثمان فلا تعود الخلافة فيهم أبدا . فتأمل هذا الحكم منه رضى الله عنه على أهل مكة بأنهم جوزوا على ما فعلوه من إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بينهم ، بأن محلهم لا تكون فيه الخلافة أبدا فوقع الأمر كما أخبر . ولا يرد عليه خلافة

ابن الزبير ، فانها كانت بمكة لأنها لم تتم ، إذ الشـــام ومصر وغيرهما كانت كلها خارجة عن ولايته ، وأيضا فكانت منازَعا فيهـــا من أولها ، إلى آخرهـــا فلم يَصْفُ له يوم من الدهر وعلى أهل المدينة . أى من كان فيها . حين قتل عثمان بأن الخلافة لا تعود إليهم ، أى لا تعود إلى المدينة فلا تكون مستقرا للخلافة أبدا مجازاة لهم بما فعلوا بعثمان رضى الله عنه ، فوقع الأمر هنا أيضا كما أخبر معاوية ، بل هنا لم يقع صورة خلافة ولا ادعاؤها بخلاف مكة ، فانها وقع فيها نوع من صـــورة الخلافة ولا عبرة بها ، لأنها لم تسمّ خلافة على الاطلاق ، فعلم برّ معاوية فيما قاله وأن الأمر وقع بعدُ كما أخبر ، وهذه كرامة جليلة لمعاوية رضى الله عنه ، وليست الخوارق والكرامات ببعيدة على من حلّ عليه نظر محمد العالم بأسره فى سرّه وجهره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ، ومنها ماجاء بسند فى رجاله خلاف أن ابن عمر قال : مارأيت أحدا من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسودَ من معاوية ، وهذه شهادة من هذا الإمام الجليل بأن معاوية بلغ من السؤدد والسيادة غايتها ، وأنه جمع صفات الكمال لتوقف ذلك عليها وهى الحلم والعلم والكرم وكان معاوية بالغا فى كل من هذه الثلاثة مبلغا عظيما . ومنها ماجاء عن الأعمش بسند فيه ضعف أنه قال لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدى ، والأعمش من أجلاء التابعين وعلمائهم فشهادته بذلك لمعاوية تستدعى مدحا عليًّا لمعاوية وثناء جليلا عليه وإخبارا بأنه كان ماشيا فى جميع أموره على الحق المزيد بحسب ماأداه اليه اجتهاده ، وأنه عم الناس برّه ونواله ، كما أن المهدىّ كذلك فى جميع هذه الأمور . ومنها ماجاء بسند رجاله ثقات أنه خطب يوم جمعة فقال إنما المال مالنا والفىء فيئنا فمن شئنا منعناه ، فلم يجبه أحد ثم خطب يوم الجمعة الثانية فقال ذلك فلم يجبه أحد أيضا ، ففعل فى الثالثة كذلك فقام إليه رجل فقال : كلاّ إنما المال مالنا والفىء فيئنا فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا ، فمضى فى خطبته ثم لما وصل منزله أرسل للرجل ، فقالوا هلك ، ثم دخلوا فوجدوه جالسا معه على سريره ، فقال لهم إن هذا أحيانى أحياه الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون من بعدى أمراء يقولون فلا يرد عليهم ، يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة ، وإنى تكلمت أول جمعة فلم يرد على أحد فخشيت أن أكون منهم ثم فى الجمعة الثانية فلم يرد على أحد فقلت إنى منهم ، ثم تكلمت فى الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فرد على فأحيانى ، أحياه الله تعالى : فتأمل هذه المنقبة الجليلة التى انفرد بها معاوية إذ لم يرد عن أحد مثلها فانك إن أخلصت قصدك وتحقق توفيقك حملك على أنك تعتقد كماله ، وترضى عنه وتعلم أنه كان حريصا على العمل لما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأمكنه وانه كان من الخائفين على نفسه أن توجد منه أدنى فرطة لحماه الله وآمنه رضى الله عنه . ومنها أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم مائة

حديث وثلاثة وستين حديثا اتفق البخارى ومسلم منها على أربعة وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة . (١) ومنها أنه لما حضرته الوفاة أوصى أن يكفن فى قميص كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كساه إياه وأن يجعل مما يلى جسده ، وكانت عنده قلامة أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوصى أن تسحق وتجعل فى عينيه وفمه . وقال افعلوا ذلك بى وخلوا بينى وبين أرحم الراحمين . ولما نزل به الموت قال ياليتنى كنت رجلا من قريش بذى طوى وأنى لم ألِ من الأمر شيئاً . وهـذا شأن الكمل رضى الله عنهم . فهنيئا له أن يُسر له مماسة جسده لما مسّه جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلاط باطن فمه وعينيه بما انفصل من بدن النبى ﷺ . واتفقوا على أنه توفى بدمشق والمشهور أن وفاته كانت لأربع خلون من رجب سنة ستين من الهجرة النبوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وقيل ست وثمانين سنة (٢)

الفصل الثالث

فى الجواب عن أمور طعن عليه بعضهم بها . وبعضها قابل لأن يطعن بها عليه من لم يحط بما ذكرناه أو سنذكره . وقد علمت أجوبتها بما قدمته لكنها هنا موضحة مبسوطة مشتملة على زيادات لم تسبق (٣) . روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان يلعب مع الصبيان فجاءله النبى ﷺ فهرب . وتوارى منه فجاءله وضربه ضربة بين كتفيه ثم قال اذهب فادع لى معاوية . قال فجئت فقلت هو يأكل ثم قال اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل ؛ فقال لا أشبع الله بطنه ، ولا نقص على معاوية فى هذا الحديث أصلا ، أما الاول فلأنه ليس فيه أن ابن عباس قال لمعاوية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فتباطأ ، وإنما يحتمل أن ابن عباس لما رآه يأكل استحيى أن يدعوه فجاء وأخبر النبى ﷺ بأنه يأكل ، وكذا فى المرة الثانية وحينئذ فسبب الدعاء بفرض أن يراد به حقيقته ، أن طول زمن الأكل يدل على الاستكثار منه وهو مذموم على أن ذلك ليس فيه الدعاء عليه بنقص دينى وإنما هو للدعاء عليه بكثرة الأكل لا غير . وهى إنما تستدعى المشقة والتعب فى الدنيا دون الآخرة . وكل من لم يضره نقص أخروى لا ينافى الكمال . وأما ثانيا فبفرض

---

(١) ذكرنا فى المقدمة أن ابن الوزير سرد فى الروض الباسم مروياته فى الكتب الستة من أحاديث الأحكام . (٢) رواه الطبرانى عن أبى نعيم بسند صحيح

(٣) قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى : تباينت مذاهب الناس فى معاوية فمنهم من هداه ومنهم من ضلاله وذلك لخوضهم فى الفتن بغير سفن وكلامهم بغير تحصيل . ثم قال وتلك المعانى التى جرت من معاوية منها صحيح له مخرج سليم ومنها أمور باطلة ذكرها التاريخيون ليغيروا قلوب الناس على الصحابة بكونهم من أهل البدع ضالين مضلين .

أن ابن عباس أخبر معاوية بطلب النبي صلى الله عليه وسلم، يحتمل أنه ظن في الأمر سعة وأن هذا الأمر ليس فوريا ، على أن الأصح عند الأصوليين والفقهاء أن الأمر لا يقتضي الفورية إلا أمره صلى الله عليه وسلم لأحد بشيء . كأن دعاه الله إليه فانه تجب إجابته فورا وإن كان في صلاة الفرض . وكأن معاوية لم يستحضر هذا الاستثناء أو لا يقول به . وحينئذ فهو معذور . وأما ثالثا فيحتمل أن هذا الدعاء جرى على لسانه صلى الله عليه وسلم من غير قصد ، كما قال لبعض أصحابه تربت يمينك ، ولبعض أمهات المؤمنين عقرى حلقى ونحو ذلك من الألفاظ التي كانت تجرى على ألسنتهم بطريق العادة من غير أن يقصدوا معانيها . وأما رابعا فأشار مسلم في صحيحه إلى أن معاوية لم يكن مستحقا لهذا الدعاء، وذلك لأنه أدخل هذا الحديث في باب من سبه النبي صلى الله عليه وسلم أو دعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان له زكاة وأجرا ورحمة ، وما أشار إليه ظاهر لما قدمته ، أنه يحتمل أن معاوية لم يخبر بطلب النبي صلى الله عليه وسلم له ، أو أنه أخبر ولكنه ظن أن في الامر سعة . أو كان معتقدا أنه لا يجب الفور كما هو رأى جماعة من أئمة الاصول ، وعند هذه الاحتمالات اللائقة بكمال معاوية وفقهه ومكانته، يتعين أن يكون هذا الدعاء عليه هو وليس له بأهل فيكون له زكاة وأجرا ورحمة، كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أغضب كما يغضب البشر فمن سببته أو لعنته أو دعوت عليه وليس هو أهلا لذلك فاجعل اللهم ذلك له زكاة وأجرا ورحمة . وأما خامسا فهو نتيجة ما قررته في الرابع، فهو أن هذا الحديث من مناقب معاوية الجليلة لأنه بان بما قررته أنه دعاء لمعاوية لا عليه ؛ وبه صرح الإمام النووي . الثاني زعم بعض الملحدة الكذبة الجهلة الاغبياء الاشقياء إخوان الضلالة والعناد والبهتان والفساد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وأن الذهبي صحح هذا الحديث وليس الأمر كما زعم . بل ضل وافترى ولم يصححه الذهبي . إنما ذكره في تاريخه ثم بين أنه كذب موضوع لا أصل له ، على أنه يلزم على فرض ذلك نقيصة سائر الصحابة إن بلغهم ذلك الحديث ، أو نقيصة من بلغه منهم وكتمه لأن مثل هذا يجب تبليغه للأمة حتى يعلمون به ، على أنه لو كتمه لم يبلغ التابعين حتى نقلوه لمن بعدهم وهكذا ، فلم يبق إلا القسم الأول وهو أن يبلغهم فلا يعملون به، وهو لا يتصور شرعا إذ لو جاز عليهم ذلك جاز عليهم كتم بعض القرآن أو رفض العمل به وكل ذلك محال شرعا ،لاسيما مع قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء :الحديث. ومما يصرح بل يقطع بكذب ناقل هذا الحديث تولية عمر له دمشق الشام مدة ولايته ، وثناؤه وثناء من مر من الصحابة عليه حتى علي رضي الله عنهم ، وأخذهم العلم عنه ومما يقطع بمثل كذبه أيضا ، أن مثل هذا الحديث مما تتوفر الدواعي على نقله وإظهاره، لا سيما عند وقوع تلك الحروب والفتن، وكونه حارب الخليفة الحق الذي

معه أكثر الصحابة وقاتله ، بل واحتال عليه حتى خلع نفسه بخلع نائبه له عند تحكيم أبى موسى الاشعرى وعمرو بن العاص . بل بعد موت على سعى مع الحسن الذى هو الخليفة أيضا باجماع أهل الحل والعقد عليه حتى نزل له عن الخلافة أيضا باجماع . فسمى يومئذ بأنه الخليفة الحق ، ووافقه كل الصحابة على ذلك ولم يطعن أحد من أعدائه فضلا عن أصدقائه بقدح فى خلافته بشىء مطلقا . بل كلهم اتفقوا وأجمعوا على أنه الخليفة الحق حينئذ فهل بقى مع هذا كله فضلا عن بعضه تردد فى كذب هذا الحديث ، ووجوب الاعراض عنه وأنه لا يحل روايته إلا لتبين أمره وإظهار كذب ناقله(١) ، وأنهم كالأنعام بل هم أضل ، إذ لا يروج أن هذا حديث إلا على أحمق عدم حسه وحقق الله خذلانه وأظهر على رؤوس الخلائق كذبه وتعسه ، فتفطن لذلك فان بعض ذاكريه ممن يدعى علما جما ، ويعير من يبرهن على بطلانه إذنا صما ، تحقيقا لعناده وترويجا لفساده فقبحه الله وخذله وأخمله وأخبله إنه الجواد الكريم الرؤف الرحيم ، وتأمل حديث عمار تقتله الفئة الباغية ، تجد لما كان له أصل اتفق على روايته كل الصحابة ، ثم استدل علىّ واتباعه على أن معاوية باغ خارج على الإمام الحق ، وأوله معاوية واتباعه بما ليس بقطعى البطلان مما يقتضى عذرهم ، فلو كان هذا الحديث له أصل لوقع الاحتجاج به أو الجواب عنه ، ولو من واحد منهم ، الثالث فى الحديث المروى بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال: شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف ، وفى الحديث الصحيح قال الحاكم على شرط الشيخين عن أبى برزة رضى الله عنه ، كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو أمية ومعاوية من بنى أمية فهو من الأشرار ، ومضر كانوا أبغض الناس إلى رسول الله ﷺ ، فلا أهلية فيه لإمارة ولا لخلافة ، وجوابه أن هذا الاستنتاج أعنى قول المعترض فهو الخ دليل على جهل مستنتجه وأنه لا دراية له بمبادىء العلوم ، فضلا عن غوامضها ، لأنه يلزم على هذه النتيجة لو سلمت أن عثمان وعمر بن عبد العزيز كلاهما لا أهلية فيهما للخلافة وأنهما من الأشرار ، وذلك خرق لإجماع المسلمين ، وإلحاد فى الدين . وإنما المراد من الحديث أن أكثر بنى أمية موصوف بالشرية والأبغضية ، فلا ينافى أن أقلهم ليسوا أشرارا ولا مبغوضين بل هم من خيار الأمة وأكبر الائمة ، كيف وعثمان قد أجمعوا على صحة خلافته وكذا عمر بن عبد العزيز ، وكذا معاوية بعد نزول الحسن له ، وقد صح فيه من الأحاديث

---

(١) ورد هذا الحديث من طريق فيه الحكم بن ظهير وعباد بن يعقوب عن ابن مسعود ومن طريقين عن أبى سعيد فى أحدهما مجالد بن سعيد وفى الآخر على بن زيد بن جدعان وليسا بشىء قال الذهبى هذا الحديث موضوع على مجالد ولا معنى لصرفه إلى معاوية بن التابوت فانه يحتاج لنقل وما ذكره الجوزقانى بأنه مردود برواية جابر : إذا رأيتم معاوية يخطب على منبرى فاقبلوه فانه أمين مأمون كما رواه الخطيب ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود فسند رواية جابر كلها ظلمات كما قال الذهبى ورواية ابن مسعود فيها الحكم بن ظهير وهو متروك كما قال السيوطى .

السابقة ما أوجب كالإجماع خروجه عن ذلك العموم ، وسيأتى أننا فرقنا بينه وبين ولده وأعطينا كلاً ما يستحقه لأنا متعبدون بالأدلة من غير عصبية ولا علة ، ولو كان الأمر بالتعصب والمحاباة لما خالفنا معاوية فى ولده الذى قال فيه : لولا هواى فيه لرأيت قصدى أى لهديت إلى أوسط الأمور وأعدلها من استخلاف غيره ، فبطلت تلك النتيجة وبان أن قائلها جاهل أو معاند فلا يرفع إليه رأس ولا يقام له وزن ولا يعبأ بما يلقيه ولا يعتد بما يبديه لقصور فهمه وتحقق كذبه ، ووهمه ، وسيأتى آخر الكتاب أنه صلى الله عليه وسلم ، لعن الحكم وما يخرج من صلبه ، ووصفهم بأنهم ذو مكر وخديعة . ثم حدث ذلك ، كله إلا الصالحين منهم ، وقليل ما هم ، فهذا صريح فيما قلناه أن المراد ببنى أمية من ذينك الحديثين أكثرهم فتأمله ولا تغفل عنه لتنجو من سفاسف الملحدين وشقاشق المعاندين .

(تنبيه) صرح أئمتنا وغيرهم فى الأصول، بأنه يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم ، فلا يشكل ذلك على ما قدمته كما هو واضح من تفرق الخلف والسلف ، وذكرهم جميع ما وقع بينهم وبيان ما صح بينهم ، مما لم يصح والكلام على معانى ما وقع لهم فى فتنتهم وحروبهم مما ظواهره مشكلة ، واستنباطهم أحكام البغاة وغيرهم مما وقع بينهم ، وقد مرّ عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال: أخذت أحكام البغاة والخوارج من مقاتلة على لأهل الجمل وصفين وللخوارج ؛ وكذا غير الشافعى رضى الله عنهم ، وقد ذكر أئمتنا من الأصوليين وغيرهم شبه المبتدعة التى أخذوها تارة عن كذبهم على علىّ وأصحابه ، وتارة عن بقية الصحابة ثم ردوها عن آخرها ، حتى لم يبق لهم شبهة يستندون إليها ولا حجة يعتمدون عليها، وبين أئمتنا المحدثون أن كثيرا مما تقل عنهم ؛ إما كذب وإما فى سنده علة أو علل ، كما أشرت إلى كثير من ذلك فى هذا الكتاب بقولى رجاله ثقات أو رجال الصحيح أو فيهم ضعيف أو مجهول أو إرسال أو وقف ، أو نحو ذلك مما رأيته وسترى بقيته ، إنما المراد أنه لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً مما وقع بينهم يستدل به على بعض نقص من وقع له ذلك والطعن فى ولايته الصحيحة، او ليغرى العوام على سبهم وثلبهم ونحو ذلك من المفاسد ، ولم يقع ذلك إلا للمبتدعة وبعض جهلة النقلة الذين ينقلون كل ما رأوه ويتركونه على ظاهره ، غير طاعنين فى سنده ، ولا مشيرين لتأويله، وهذا شديد التحريم . لما فيه من الفساد العظيم وهو إغراء العامة ومن فى حكمهم على تنقيص أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لم يقم الدين إلا بنقلهم إلينا كتاب الله وما سمعوه وشاهدوه من نبيه من سنته الغراء الواضحة البيضاء ، وما بينوه لنا من الأحكام التى لا يحيط بها سواهم ، لتميزهم بالبرهان والعيان ، فرضى الله عنهم ، وأرضاهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خير جزاء ، وبالجملة أما ذكره لبيان الحق فيه على مقتضى الواقع بحسب ما قضت به الأدلة وإجرائه على قواعد أهل السنة فهو من آكد الواجبات ، وأجل

الطلبات لأنه يعلم به نزاهتهم وبراءتهم كيف وكلهم على هدى من ربهم ، لأن ما صدر منهم لم يكن إلا عن اجتهاد وقد بين الصادق صلى الله عليه وسلم أن من اجتهد وأصاب فله أجران وفى رواية فله عشرة أجور ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ، فمخطئهم كمصيبهم فى أصل الثواب وتحرى الصواب، لأن تأويل المؤولين منهم غير قطعى البطلان بل ربما كان واضح البرهان ، ولهذا أوجب الله ورسوله على الكافة المبالغة فى تعظيمهم وإجلالهم والثناء عليهم ومعرفة آثارهم الحميدة فى الاسلام وإعطاء كل منهم ما تقتضيه مرتبته وتشهد به خصوصيته ويقضى به على غيره منقبته ، مما بينه مشرفهم بأقواله فيهم وأفعاله معهم إذ لا يحيط بمراتبهم كغيرهم على ماهى عليه عند الله أحد سواه ، لما أن ذلك من العلوم التى أتحف بها أمته إلى يوم تلقاه ، فعليك باتباع ما قررناه واعتقاد ما حررناه فان فيه إدحاضا للمبتدعين وإخمادا للمعاندين وتعليما للجاهلين وإرشادا للمتعلمين .

(تنبيه) إن قلت جاء أن عليا كرم الله وجهه قال: يؤتى بى وبمعاوية يوم القيامة فنختصم عند ذى العرش ، فأينا أفلح أفلح أصحابه ، وهذا ينافى ما تقرر من أن كلا منهما مأجور لا إثم عليه ولا ذنب ، قلت لا ينافيه ، أما أولا فلأن سنده منقطع ، فلا حجة فيه ، وأما ثانيا فالمراد بفرض صحة ذلك عن على فأينا بان أن مافعله هو الحق فى نفس الأمر أفلح أصحابه ، أى ضوعفت أجورهم ، وإطلاق الفلاح على تضاعف الأجور شائع سائغ، الرابع فى الحديث الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، فقاتل عسكر معاوية حتى قتلوه ، فهذا إخبار من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن معاوية باغ على علىّ وأن عليا هو الخليفة الحق ، وجوابه أن غاية ما يدل عليه هذا الحديث ، أن معاوية وأصحابه بغاة ، وقدمر أن ذلك لا نقص فيه وأنهم مع ذلك مأجورون غير مأزورين بنص قوله عليه الصلاة والسلام إن المجتهد إذا اجتهد وأخطأ فله أجر ، ومر مستوفى مبسوطا أن معاوية مجتهد أىّ مجتهد، وقد أول هذا الحديث بما لا يقطع ببطلانه كما هو شرط الباغى الذى لا يفسق ولا يؤثم ، وقد جاء تأويله من طرق كثيرة ، منها ما جاء بسند رجاله ثقات أن عليا كرم الله وجهه يوم صفين كان يدخل عسكرهم فيرجع وقد خضب سيفه دما ، ويقول لأصحابه : اعذرونى اعذرونى ، وكان عمار علمًا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يسلك واديا من أودية صفين إلا اتبعوه ثم حرض عمار هاشم بن عتبة بن أبى وقاص وذكر له الحور العينَ وأن حزبهم الذى هو حزب على فى الجنة مع محمد وحزبه فى الرفيق الأعلى ، فقاتلا حتى قتلا ، فقال عبد الله بن عمرو لأبيه قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، فقال وأىّ رجل؟ قال عمار: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم بناء المسجد ونحن نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

له: يا أبا اليقظان تحمل لبنتين ؟ وأنت ناقه من مرض ، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية وأنت
من أهل الجنة ، فقال عمرو نعم ، ثم قال عمرو ذلك لمعاوية فقال له اسكت أنحن قتلناه إنما
قتله من جاء به ، فألقوه بين رماحنا فصار من عسكر معاوية ؛ إنما قتل عمارا من جاء به . وفى
رواية عند أحمد وغيره : أنه صلى الله عليه وسلم جعل ينفض التراب عن عمار ويقول له
تحمل لبنتين وأنت ناقه أما إنه ستقتلك الفئة الباغية ، وجاء أيضا بسند رجاله رجال الصحيح
إلا واحدا فثقة أنه لما قتل عمار قيل لعمرو الحديث فذكره لمعاوية ، فقال له: دحضت من
قولك إنما قتله على وأصحابه جاءوا به حين قتلوه فألقوه بين رماحنا أو قال بين سيوفنا . وبسند
فيه لين أن خزيمة بن ثابت لم يزل كافا سلاحه حتى قتل عمار بصفين فسل سيفه وذكر الحديث
ثم قاتل عسكر معاوية حتى قتل ، وبسند رجاله رجال الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما
أنه قال : لم آس على شىء إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية مع على رضى الله عنه ، وبسند رجاله
ثقات أن عمارا حلف أن قوم معاوية لو قاتلوا قوم على حتى بلغوا بهم شعفات هجر لما
شكوا أن عليا إمامهم على الحق وضده على الباطل ، وبسند رجاله رجال الصحيح أن عمارا
يوم صفين طلب شربة من لبن وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أخبره أن آخر شربة من الدنيا
يشربها شربة لبن فأتى بها فشربها ، ثم تقدم فقتل ، ولما نظر راية معاوية قال: قاتلت صاحب
هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى قبل إسلامه . وبسند رجاله ثقات أن
رجلين اختصما فى قتل عمار عند معاوية لأجل سلبه ، وعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما حاضر
فقال عبد الله لهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، تقتله الفئة الباغية ، فأنكر كل
منهما أنه قتله ، فقال له معاوية فما بالك معنا فقال ، إن أبى شكانى إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: أطع أباك مادام حيا ولا تعصه ، فأنا معكم ولست أقاتل ، وفى رواية سندها صحيح
أن معاوية قال لعمرو ألا تكف عنا مجنونك فما له معنا ، فقال عبد الله ما ذكر . وفى رواية
عند أبى يعلى أن عمرًا لما ذكر الحديث لمعاوية فقال معاوية له أعندك بالله الثلث فى الثلث
أنت ! أنحن قتلناه ، إنما قتله من جاء به ، وبسند رجاله ثقات أن رجلين اختصما عند عمرو
فروى لهما الحديث ، فقيل له كيف تقاتل عليا فقال : إنما قال النبى صلى الله عليه وسلم ، قاتله
وسالبه فى النار . وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فانه سىء الحفظ وقد يحسن
حديثه . أن عليا كرم الله وجهه أكثر يوم صفين من ذكر الله سبحانه وتعالى ، وصدق الله
ورسوله ، فسئل أعهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فى ذلك فأعرض فألح عليه
فحلف بالله لم يعهد اليه إلا ما عهده للناس ، قال ولكن الناس قد وقعوا فى عثمان، فكان غيرى
فيه أسوأ حالا وفعلا منى، ثم رأيت أنى أحقهم لهذا الأمر فوثبت عليه فالله أعلم، أصبنا أم
أخطأنا ، فتأمل قول على هذا الذى صح عنه ، وهو فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا مع علمه
بحديث ، عمار تقتله الفئة الباغية ، تجده كرم الله وجهه مصرحا مع علمه بأن معاوية وعسكره

بغاة عليه بجواز وقوع الخطأ منه في وثوبه على ذلك الأمر الذي هو الخلافة ، وبأن تأويل معاوية السابق ليس بقطعي البطلان ، بل يحتمل أنه الحق والإمام يقل على ذلك ، فان قلت قول علي ذلك إنما هو من باب التواضع واعتراف الكامل بما ليس فيه إظهار لذلته وافتقار لربه قلت: قولك إنما هو الخ مجرد دعوى لا دليل عليها ، والصواب أن هذا محتمل ، كما أن قوله ذلك لتجويز حقية تأويل معاوية محتمل أيضاً ، فلما أمكنت حقية كل من الاحتمالين ولم يقطع ببطلان أحدهما عذر كلٌّ من علي ومعاوية ، كما يصرح به قول علي السابق قتلاي وقتلى معاوية في الجنة(١) لكن لما كان الدليل الظاهر مع علي كان هو الامام الحق ومعاوية باغيا عليه ، وإن كان معذورا . فتامل هذا المحل واعتن بحفظه وتحقيقه فانه يذهب عنك شكوكا كثيرة وتخيلات شهيرة أوجبت لكثيرين الخطأ والضلال والانحراف عن جادة الصواب والكمال . فان قلت يقوى تأويل معاوية أنه صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بمطاوعة أبيه في كل ما يأمره به مع علمه صلى الله عليه وسلم بأن أباه سيكون مع معاوية وأنه سيأمره بالقتال مع معاوية ، لأنه صلى الله عليه وسلم أطلعه ربه على ما يقع في أمته بعده وبين له جميع ذلك بما يقع بعده من أصحابه كما دلت عليه الأحاديث فهذا يقوى ما عليه معاوية كما تقرر قلت ، نذكر حديث عبدالله ثم نتكلم عليه ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم دخل على أم عبدالله فلم يجده فسألها عنه فأخبرته أنه يصوم فلا يفطر ويسهر ولا ينام ولا يأكل اللحم ولا يؤتى أهله حقهم ، فأمرها أن تحبسه إذا جاء ثم خرج ثم رجع وقد جاء فرد عليه ذلك كله بأنه خلاف السنة ، وأمره بأن يصوم ويفطر ويقوم وينام ويأكل اللحم ويؤدى أهله حقهم ثم قال كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس ، قد ضيعت عهودهم ومواثيقهم وكانوا هكذا وخالف بين أصابعه ، قال فما تأمرني به حينئذ ، قال تأخذ بما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة يقينك وتدع الناس وعوام أمورهم . ثم أخذ بيده وأقبل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه فقال أطع أباك فلما كان يوم صفين قال له أبوه اخرج فقاتل ؟ فقال يا أبتاه تأمرني أن أخرج فاقاتل وقد سمعت ما سمعت يوم يعهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعهد قال أنشدك بالله ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أخذ بيدك فوضعها في يدي ثم قال أطع أباك قال بلى قال فاني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل مع معاوية فخرج متقلدا السيف هذا حاصل حديث عبدالله وفي سنده مختلف فيه : فابن حبان وثقه وأبو حاتم وغيره ضعفه ولا شك أن أباحاتم أحفظ من ابن حبان بل ابن حبان معروف بالتساهل في التوثيق فضعف الاستدلال بهذا الحديث ، وبتسليمه فطواعية عبد الله لأمر أبيه إنما هو من حيث كون معاوية هو الإمام الحق . غاية ما فيه أنه يدل على أن أمر عمرو لابنه

---

(١) رواه الطبراني عن يزيد بن الأصم عن علي قال الهيثمي رجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف .

ليس متعدياً به فوجبت طاعته. ووجه عدم تعديه أنه مجتهد وهو عن قضاء اجتهاده بأن معاوية على الحق. وهو الذى دل عليه الحديث غير ما لدعاه السائل. أن أمره صلى الله عليه وسلم لعبد الله بمطاوعة أبيه. يشمل مطاوعته له فى أمره له بالقتال مع معاوية فيدل ذلك على حقية ما عليه معاوية. ووجه عدم دلالة الحديث على هذا الاخير. ما تقرر أن الذى دل عليه هذا الحديث أنه يجب على عبدالله مطاوعة أبيه فيما لم يتعدبه. وأن أمره له بالخروج مع معاوية لاتعدى منه به. بمقتضى مادل عليه اجتهاده. ولا دلالة فى الحديث لأمر زائد على هذا بوجه من الوجوه فتامل.

الخامس: قوله صلى الله عليه وسلم فى عمار؛ إنه يدعوهم إلى الجنة وهم يدعونه إلى النار، وبالضرورة أن الذين دعاهم عمار إلى ذلك، هم فئة معاوية، فحكمه صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعونه إلى النار، صريح فى أنهم على الضلال. وجوابه أن ذلك إنما يتم لو صح الحديث ولم يمكن تأويله، أما إذا لم يصح فلا يستدل به، والأمر كذلك، فان فى سنده ضعيفا، يسقط الاستدلال به، وتوثيق ابن حبان لا يقاوم تضعيف من عداه له، لاسيما وهو ـ أعنى ابن حبان ـ معروف عندهم بالتساهل فى التوثيق، سلمنا صحته فالداعون له إلى النار، وهو القتال مع معاوية، يحمل على أخلاط من فيه مع معاوية، وليسوا مجتهدين؛ فقولهم له اترك عليا وقاتل مع معاوية، غير جائز لهم فهو نار لأنه يجر إليها فتأمل؟

السادس: خروجه على على كرم الله وجهه ومحاربته له؛ مع أنه الإمام الحق باجماع أهل الحل والعقد، والأفضل الأعدل الأعلم، بنص الحديث الحسن لكثرة طرقه خلافا لمن زعم وضعه ولمن زعم صحته ولمن أطلق حسنه: أنا مدينة العلم وعلى بابها، قال الأئمة الحفاظ لم يرد لأحد من الصحابة رضى الله عنهم من الفضائل والمناقب والمزايا ما ورد لعلى كرم الله وجهه وسببه أنه رضى الله عنه وكرم وجهه لما استخلف كثرت أعداؤه وساوره المتقولون عليه فأظهروا له معايب ومثالب زورا وبهتانا وإلحادا وعدوانا، وورث ذلك من تبعهم على ضلالتهم، فلما رأى الحفاظ ذلك نصبوا نفوسهم لبيان الباطل من ذلك. وإظهار ما يرده مما ورد عندهم فى حقه، فبادر كل أحد إلى بث جميع ماعنده من فضائله ومناقبه، والجواب أن ذلك لا يكون قادحا فى معاوية إلا لو فعله من غير تأويل محتمل، وقد تقرر المرة بعد المرة أنه لتأويل محتمل، بنص كلام على كرم الله وجهه وأنه من أهل الاجتهاد، وغايته أنه مجتهد ومخطىء وهو مأجور غير مأزور، على أن تخصيص معاوية بهذا تحكم غير مرضى لأنه لم ينفرد به، بل وافقه عليه جماعات من أجلاء الصحابة والتابعين رضى الله عنهم، كما يعلم من السير والتواريخ، وسبقه إلى مقاتلة على من هو أجل من معاوية، كعائشة والزبير وطلحة ومن كان معهم من الصحابة فقاتلوا عليا يوم الجمل، حتى قتل طلحة، وولى الزبير ثم قتل

وتأويلهم من كون على منع ورثة عثمان من قتل قاتليه وهو تاويل معاوية بعينه فكما أن أولئك الصحابة الأجلاء استباحوا قتال على رضى الله عنه بهذا التأويل فكذلك معاوية رضى الله عنه وأصحابه استباحوا قتاله . يعنى بهذا التأويل، ومع استباحتهم لقتال على اعتذر على عنهم نظرا لتأويلهم الغير القطعى البطلان . فقال : إخواننا بغوا علينا أخرجه ابن أبى شيبة بسنده ولفظه إن عليا كرم الله وجهه سئل يوم الجمل عن أهل الجمل المقاتلين له أمشركون هم ؟ فقال من الشرك فروا قيل أمنافقون هم ؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما هم قال: إخواننا بغوا علينا فسماهم إخوانه فدل على إبقاء إسلامهم بل كمالهم وأنهم معذورون فى مقاتلتهم له، وقد قال على لطلحة والزبير يوم الجمل ألا تبايعانى فقالا نطلب دم عثمان فقال ليس عندى دم عثمان، وروى عبد الرازق عن الزهرى أنه قال وقعت الفتنة فاجتمعت الصحابة وهم متوافرون وفيهم كثيرون ممن شهد بدرا ، على أن كل دم أريق بتاويل القرآن فهو هدر وكلما أتلف بتأويل القرآن فلا ضمان فيه ، وكل فرج استحل بتأويل القرآن فلا حل فيه وما كان موجودا بعينه يرد على صاحبه ، وأخرج ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور والبيهقى أن عليا كرم الله وجهه قال لأصحابه يوم الجمل ، لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ومن ألقى سلاحه فهو آمن، وفى رواية أنه أمر مناديه ينادى ، لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح ولا يطلق أسير ، ومن أغلق بابا أمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، وفى أخرى ولا يقتل مقبل إلا إن صال ولم يمكن دفعه إلا بقتله ، ولا مدبر ، ولا يستحل فرج ،ولا يفتح باب ولا يستحل مال . وأخرج ابن منيع والحرث بن أبى أسامة والبزار والحاكم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرى حكم الله فيمن بقى من هذه الأمة ،قلت الله ورسوله أعلم ؟ قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يكتم فيئها ، وأخرج أحمد والنسائى والطبرانى والبيهقى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال للخوارج الحرورية الذين خرجوا على على لأمور رموه بها ،منها أنه يوم الجمل لم يسب ولم يغنم ، وأما قولكم إنه قتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم أى عائشة فإنها القائمة بوقعة الجمل والداعية إليها ، أم تستحلوا منها مايستحل من غيرها ! لئن فعلتم لقد كفرتم ، وان قلتم ليست أمنا فقد كفرتم ، قال الله تعالى: النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، وأنتم بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم ،فتأمل أيها الموفق حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على البغاة ، وحكم على على مقاتليه وحكم ابن عباس رضى الله عنهما على من ذكر ،تعلم أن ذلك كله صريح لا يقبل تأويلا فى إسلام أولئك المقاتلين لعلى غير الخوارج ، وأنهم باقون على كمالهم وأنهم معذورون فى اجتهادهم الحامل لهم على قتال على ،وأنهم كانوا مخطئين فيه ولو اقتضى قتالهم هذا إثما عليهم ونقصا فى رتبتهم لعاقبهم على عليه بعد انقضاء القتال ، وليس الأمر كذلك بل لم يتعرض بعد القتال لأحد من مقاتليه بوجه من الوجوه، بل قابلهم بغاية الحلم والإحسان

ونهاية السلم والامتنان ، ومما يصرح أيضا بمدح معاوية الحديث الصحيح الآتى فى القواعد عن على فى صفة الخوارج فان فيه تقتلهم أقرب الطائفتين الى الحق ، فهذا مثبت لطائفة معاوية قرباً إلى الحق ، فانهم غير ملومين على قتالهم لعلى ، وإن كانوا بغاة عليه ، نظرا لاجتهادهم وتأويلهم ، وذلك صريح فى الاعتداد منهم بكل هذين ، على أنه يأتى ، ثم إن الحسن رضى عنه لما نزل لمعاوية رضى الله عنه لم يكن له هم إلا الخوارج فله حظ من قوله ، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق ، لكن هذا إنما حصل له بعد قتل على ونزول الحسن له ، ولا شك حينئذ أنه الامام الحق من غير مدافع ولا مشارك ، وأما تكفير طائفة من الرافضة لكل من قاتله فأولئك كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا ، فلا يتأهلون لخطاب ولا يوجه إليهم جواب ، لانهم معاندون وعن الحق ناكثون ، بل أشبهوا كفار قريش فى العناد والبهتان ، حتى لم تنفع فيهم معجزة ولا قرآن ، وإنما النافع لهم القتل والجلاء عن الأوطان كيف وهم لا يرجعون لدليل ، وشفاء العليل منهم كالمستحيل وقد صح فى الأحاديث الكثيرة أنه صلى الله عليه وسلم قال بحضرة الجم إظهارا لمنقبة ولده الحسن رضى الله عنه وعن أهل بيته ، إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، وهما فئة الحسن وأبيه وفئة معاوية لحكم صلى الله عليه وسلم على كل من الفئتين بالإسلام . وذلك صريح فى بقائهم أجمعين على كمالهم وأنهم معذورون فيما صدر عنهم وان كان الإمام الحق هو على كرم الله وجهه ، وأهل الجمل وصفين استندوا فى مقاتلته إلى ما توهموه من منعه لقتلة عثمان رضى الله عنه وهو برىء من ذلك حاشاه الله عنه ، ومع ذلك عذرهم لعلماء بأنهم أئمة فقهاء وبقوله ﷺ إذا اجتهد الحاكم وأصاب فله أجران وإذا اجتهد وأخطا فله أجر واحد فعلى رضى الله عنه مجتهد مصيب فله أجران بل عشرة أجور كما فى رواية . ومقاتلوه كعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم من الصحابة الكثيرين من أهل بدر وغيرهم مجتهدون غير مصيبين فلهم أجر واحد وهم بغاة على على لكن البغى ليس اسم ذم كما مر المرة بعد المرة ومن ثم قال الشافعى رحمه الله تلقيت أحكام البغاة من مقاتلة على الخارجين عليه فى حال الحرب وبعده معاوية وغيره فسماهم بغاة وليس ذلك تنقيصا لهم لما علمت أن لهم تاويلا أى تاويل وأنهم بسببه معذورون وأى معذورين لأن المجتهد ملجأ إلى العمل بما ظهر له من الدليل لا يمكنه التخلف عنه أصلا كما مر مبسوطا ولأجل ذلك أثيب وإن أخطأ كما عليه إجماع من يعتد به ، فان قلت جاء فى الأحاديث الكثيرة كما مر بيانها أن عمارا تقتله الفئة الباغية وقاتلوه من فئة معاوية فلزم أنهم الفئة الباغية قلنا نحن لا ننكر ذلك كما قررناه وبيناه مع بيان أنهم مؤولون وأن البغاة المجتهدين الذين لهم تأويل غير قطعى البطلان لا حرج عليهم بل هم ماجورون يثابون وإن كان تاويلهم فاسد اومر أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما استدل على أبيه ومعاوية رضى الله عنهما بهذا الحديث لما أمره أبوه بالمقاتلة معه . قال عمرو لمعاوية ألا ترى ما يقول ابن

أخيك وذكر له الحديث فبادر له معاوية إلى تأويله . فقال وهل قتله إلا من خرج به لأنه تسبب فى قتله باخراجه معه وأخرج لفظ الحديث عن حقيقته إلى مجازه . لما قام عنده من القرائن المقتضية لذلك، فهو تأويل يمكن على المجتهد أن يقول به لما قام عنده من القرائن الصارفة له عن حقيقته إلى مجازه ، وإن كان الحق أن الحديث ظاهر بل صريح فى أن قاتله إنما هو من باشر قتله ، وأقرب من تأويل معاوية هذا تأويل عمرو بن العاص فانه جاء فى رواية أن قاتل عمار فى النار فالفئة الباغية محمولة على مباشر قتله والمعين عليه ، والحكم على قاتله ومعينه بذلك لا يقتضى الحكم على جميع الفئة به للفرق الواضح فانهم مجتهدون مؤولون وقاتله ومعينه ليسا مجتهدين فلا ينظر لتأويلهما. وقد مر أن مدعى قتله تخاصما وأن عبدالله بن عمرو روى لهما الحديث فانكر كل أنه قتله ولما توقف عبد الله هذا لكونه من فقهاء الصحابة وزهادهم وعبادهم فى تاويل معاوية وتاويل أبيه المذكورين جاهر معاوية بالحديث وأشار إليه إلى أن فئته هى الفئة الباغية . فقال له معاوية فما بالك معنا قال إنى معكم ولست أقاتل إن أبى شكانى إلى رسول الله ﷺ فقال لى رسول الله ﷺ : أطع أباك ما دام حيا ولا تعصه . فانا معكم ولست أقاتل، ومر الكلام على ذلك مستوفى ، ومن تأمل دقة نظر معاوية وعمرو علم أنهم لم تصدر منهم تلك الأفعال والحروب الا بعد مزيد التحرى والبحث، لكن بالنسبة لما ظهر لهم فلذلك عذرهم فيما فعلوه من تلك الحروب أئمة المسلمين سلفا وخلفا لان عليا ومن معه عذرهم أيضا، وحينئذ فلامساغ لأحد من المسلمين فى الاعتراض على أحد من الفئتين بل الواجب على كل مسلم أن يعتقد أن عليا هو الإمام الحق وأن مقاتليه بغاة عليه وأن كلا من الفئتين معذور مثاب مأجور ، ومن تشكك فى شىء من ذلك فهو ضال جاهل أو معاند فلا يلتفت إليه ولا يعول عليه .

ومما يفصح لك عذر معاوية أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافرا أو يقتل مؤمنا متعمدا . فلولا أن عند معاوية أن المراد قتله بغير حق وأنه إنما قتل من قتل بحق، لم يسمح بمقاتلة المؤمنين مع علمه بهذا الحديث الذى لا يرويه ويخالفه إلا جاهل مغرور . وحاشا معاوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وكاتبه وأمين وحيه والمدعو له على لسانه صلى الله عليه وسلم بكونه هاديا مهديا وبأن الله يعلمه الكتاب والحساب ويقيه العذاب ، والمتفق على كونه عالما فقيها مجتهدا ، أن يكون جاهلا أو مغرورا ، فان قلت فى هذا الحديث دليل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالى على أن الكبيرة لا تغفر ، فاذا مات فاعلها ولم يتب كان من أهل النار المخلدين فيها أبدا ، قلت : لا دليل لهم فيه أبدا ، لقوله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، لوجوب حملها على المستحل ، بدليل قوله تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون

ذلك لمن يشاء ، وهو مخصص أيضا بقوله تعالى : إن الله يغفر الذنوب جميعا ، والحاصل أن هذا ، أعنى ويغفر مادون ذلك ، مبين فيقضى به على المجمل ، وهو هذا الحديث وآية القتل ، وعلى العام وهو يغفر الذنوب جميعا ، وقد ضلّ فى هذا المقام فرق من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلّد ، وهؤلاء المعتزلة والخوارج ، والفرق بينهما ، إنما هو من حيث إن الميت مؤمنا فاسقا ، هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر . فالخوارج على الأول ، والمعتزلة على الثانى ، والقائلون بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهؤلاء هم المرجئة ، ومتمسكهم ، يغفر الذنوب جميعا ، ولا متمسك لهم فيه ، لما تقرر من الآية الأخرى ، ومما هو معلوم من السنة بل والاجماع ، والتواتر المعنوى . أنه لابد من دخول طائفة من عصاة هذه الأمة النار ، ثم تقع فيهم شفاعة نبينا ﷺ فيخرجون ويدخلون الجنة .

السابع : جاء فى غير حديث أن عليا كرم الله وجهه قال : لقد عهد إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فهذه الأوصاف الثلاثة فى معاوية وأصحابه وهذا قادح وأىّ قادح ، وجوابه أن الحديث بأنى بطرقه أول الفائدة المتعلقة بوقعة صفين مع بيان مخرجه وأنه ضعيف أو فى حكمه ، وأنه بتقدير صحته مؤول ، فراجعه . ومما يناسب هذا أن عليا كرم الله وجهه قاتل عائشة وطلحة والزبير وأصحابهم الكثيرين الذين أكثرهم صحابة . وقاتل الخوارج وقاتل معاوية وأصحابه . فحمل الحديث على معاوية فقط تحكم غير مرضىّ بل يصح حمله على جميع من قاتل عليا . وتؤول تلك الألفاظ كما أنقله فى أول تلك الفائدة فتأمل ذلك واستحضره فانه مهم .

(تنبيه) استدل أهل السنة بمقاتلة علىّ لمن خالفوه من أهل الجمل والخوارج وأهل صفين مع كثرتهم ، وبامساكه عن مقاتلة المبايعين لأبى بكر والمستخلفين له مع عدم إحضارهم لعلى وعدم مشاورتهم له فى ذلك مع أنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج بنته والمحبوّ منه بمزايا ومناقب لا توجد فى غيره مع كونه الشجاع الشهم والعالم الذى يأتى كل منهم إلى علمه السلم . والفائق لهم فى ذلك والمتحمل عنهم مشقة القتال فى أوعر المسالك . وبامساكه أيضا عن مقاتلة عمر المستخلف له أبو بكر ولم يستخلف عليا ، وعن مقاتلة أهل الشورى ثم ابن عوف المنحصر أمرها إليه باستخلافه عثمان ، على أنه لم يكن عنده علم ولا ظن بأنه صلى الله عليه وسلم عهد له صريحا ولا إيماء بالخلافة . وإلا لم يجز له عند أحد من المسلمين السكوت على ذلك لما يترتب عليه من المفاسد التى لا تتدارك ، لأنه إذا كان الخليفة بالنص ثم مكن غيره من الخلافة ، وكانت خلافة ذلك الغير باطلة وأحكامها كلها كذلك . فيكون إثم ذلك على على كرم الله وجهه وحاشاه من ذلك . وزعم أنه إنما سكت لكونه كان مغلوبا على

أمره . يبطله أنه كان يمكنه أن يعلمهم باللسان ليبرأ من آثام تبعة ذلك، ولا يتوهم أحد أنه لو قال عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة . فان أعطيتمونى حقى وإلا صبرت أنه يحصل بسبب ذلك الكلام لوم من أحد من الصحابة بوجه . وإن كان أضعفهم فاذا لم يقل ذلك كان سكوته عنه صريحا فى أنه لا عهدة عنده ولا وصاية إليه بشىء من أمور الخلافة . فبطل ادعاء كونه مغلوبا . ومما يبطله أيضا أنه لو كان عنده عهد فى ذلك وقام فى طلبه لم يثبت فى مقابلته أحد منهم . بل كان وحده أو مع قومه بنى هاشم منه مع كثرتهم ومزيد شجاعته قادرا على أخذ حقه ، وقتل من منعه كائنا ما كان . لا سيّما وقد قال له أبو سفيان ابن حرب رئيس قريش: إن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فأغلظ عليه فى الرد ، ولما اعتقد بعض أكابر الرافضة أنه الموصى له بالخلافة وأنه عالم بذلك ولم يجد له عذرا فى تركه لطلبها ولا فى مقاتلته عليها حتى ذهب قاتله الله إلى تكفير على كرم الله وجهه زاعما أنه ترك الحق مع قدرته عليه . قال الائمة : ومما تقرر أن عليا لم يحتج قط بأنه الوصى فعلم افتراء الشيعة وعظيم بهتانهم وكذبهم فى زعمهم أنه الوصى بالنص المتواتر . ورووا فى ذلك أحاديث كلها كذب وزور بهتان اخترعوها من عند أنفسهم لترويج اعتقادهم الفاسد . فلا يحل روايتها ولا الاصغاء إليها . بل جاء فى روايات ماهو ظاهر فى خلافة أبى بكر ثم عمر ثم عثمان حتى على لسان على كرم الله وجهه . من ذلك ماجاء عن علىّ بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فلم يسم . أنه قال يوم الجمل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به فى إمارة ولكن شىء رأيناه من قبل أنفسنا ، ثم استخلف فاقام واستقام . وفى رواية عن على أيضا رجالها ثقات . استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بسيرته حتى قبضه الله . ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسار بسيرتهما حتى قبضه الله . وفى رواية أخرى من طرق أحدها رجالها ثقات أن عليا قال: يارسول الله من يؤمر بعدك ، قال هو أن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا ، زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا تأخذه فى الله لومة لائم . وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ لكم الطريق المستقيم . فتأمل هـــذا التردّد منه صلى الله عليه وسلم تجده صريحا أىّ صريح فى حقّية الخلافة التى اتفق الصحابة رضوان الله عليهم على ترتيبها ، وأن من توقف فى ذلك فضلا عن أن يطعن فيه فانما هو بمجرد خداعه وعناده ، وأن قوله : ولا أراكم فاعلين من غير اعتراض عليهم ، فيه إذن منه لهم فى العمل بما أطبق عليه اجتهادهم ، على أن تقديم أبى بكر للصلاة بهم فى أيام مرضه فيه أصرح دليل كما أشار إليه على نفسه فى روايات متعددة منه على تقديم أبى بكر على كل من الصحابة فى الخلافة ، والأفضلية وغيرهما ، ولهذا ادعى جميع العلماء أن خلافته منصوص عليها . وفى رواية أخرى عن على أيضا لكن فى سندها ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم بين لهم عذره فى عدم استخلاف أحد بعينه بأنه خشى

أن يعصوا خليفته فينزل عليهم العذاب , وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا لم يسم أنه صلى الله عليه وسلم لما أسس مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ثم أبو بكر بحجر فوضعه ثم عمر بحجر فوضعه ثم عثمان كذلك ، فسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أمر الخلافة من بعدى . وفى رواية سندها صحيح كما فى اتحاف المهرة . لما بنى النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره إلى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء من بعدى . وجاء فى رواية لها طرق بعضها موضوع وبعضها رواته ثقات إلا واحدا لكن وثقه ابن حبان وغيره بما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بستان ووكل إنسانا بالباب لجاء أبو بكر فدق الباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أنس افتح له وبشره بالجنة وبالخلافة من بعدى ففعل أنس ، لجاء عمر فقال له ذلك إلا أنه قال وبالخلافة من بعد أبى بكر ، لجاء عثمان فقال له ذلك إلا أنه قال وبشره بالخلافة من بعد عمر وأنه مقتول. وجاء عن عمر بسند رجاله رجال الصحيح ، كنا نقول فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان يعنى فى الخلافة . وهو فى الصحيح وفى رواية ، قالوا من أولى الناس بهذا الأمر فقال صلى الله عليه وسلم أبو بكر . فأعادوا فقال عمر فأعادوا ، فقال عثمان لكن فى سندها كذاب فلا يحتج بها . وفى أخرى فى سندها الواقدى قال الحافظ الهيثمى وفيه أيضا من لا أعرفه ، أنه صلى الله عليه وسلم وعد حراش بن أمية فقال له إن لم أجدك يعنى الموت، قال ائت أبا بكر قال فان لم أجده ؛ قال ائت عمر قال فان لم أجده قال ائت عثمان ، قال فان لم أجده فسكت فأعاد مرتين أو ثلاثا فسكت فقال فى نفسه: « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » . وجاء بسند قال الحافظ المذكور فيه من لم أعرفه أنه صلى الله عليه وسلم خط قبلة مسجد قباء بعنزته ، ثم وضع حجرا ثم أمر أبا بكر بوضع آخر بجنبه ثم عمر بوضع آخر بجنب حجر أبى بكر ثم عثمان بوضع حجر بجنبه ثم أشار إلى الناس أن يضع كل حجرا حيث أحب على ذلك الخط ، وجاء بسند رجاله ثقات إلا واحدا فاختلف فيه لكن صححه الحاكم ، أن رجلا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى نومه ميزانا نزلت من السماء فوزنت أبا بكر فرجحت ثم بعمر فرجح به ثم بعثمان فرجح عثمان بعمر ، ثم رفع الميزان فقال صلى الله عليه وسلم . خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك من يشاء . وبسند رجاله موثوقون إلا واحدا قال ابن عدى فى حقه لم أر له منكرا غير حديث واحد غير هذا . أنه صلى الله عليه وسلم قال : يكون من بعدى اثنا عشر خليفة منهم أبو بكر الصديق لا يلبث بعدى إلا قليلا . وعمر يعيش حميدا ويموت شهيدا . ثم قال يا عثمان إن ألبسك الله قميصا فأرادك الناس على خلعه فلا تخلعه فوالله لئن خلعته لا ترى الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط. وجاء بسند فيه انقطاع وضعيف لكن وثقه ابن حبان عن ابن عباس أنه قال فى قوله تعالى:

«وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا . ذلك الحديث هو أنه صلى الله عليه وسلم أسر إلى
حفصة أن أبا بكر يلي بعده وأن عمر يلي بعد أبي بكر . وبسند فيه ضعيف جدا . أن
أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم إلى من يدفع إليه زكاته من بعده فقال : إلى أبي بكر
قال ثم من ؟ قال عمر قال ثم من . قال عثمان . قال ثم من . قال انظروا لأنفسكم . وفي
رواية بهذا السند . أن عليا أمر من يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن نحو ذلك فقال .
أبو بكر ثم أمره فسأل فقال عمر، ثم سأل فقال إذا مات عمر فان استطعت أن تموت فمت .
وصح أنه صلى الله عليه وسلم أخذ حصيات فسبحن ثم أعطاهن لأبي بكر فسبحن ثم
لعمر فسبحن ثم لعثمان فسبحن ثم لعلي فخرسن . وجاء عن الزهري بسند ضعيف أن هذا
إشارة للخلافة . وجاء مطولا ومختصرا باسنادين أحدهما رجاله ثقات . أن زيد بن حارثة مات
فجاة وغطي بكساء فسمعوا بين المغرب والعشاء صوتا من تحت الكساء يستصعبه الناس .
ثم جر عن وجهه وصدره . فقال محمد رسول الله ومدحه . أبو بكر خليفة الله ومدحه عمر
أمير المؤمنين ومدحه . عثمان أمير المؤمنين ومدحه وفي كل واحد . فقال لسانه صدق صدق .
وجاء بسند قال الحافظ المذكور فيه من لا أعرفه . قالت حفصة يارسول الله إنك حين اعتللت
قدمت أبا بكر . فقال لست أنا الذي أقدمه ، ولكن الله الذي قدمه . وجاء بسند كالذي
قبله أنه صلى الله عليه وسلم قال : ائتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا
ثم ولانا قفاه ثم أقبل علينا فقال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر . وجاء بسند ضعيف
جدا . أنه . صلى الله عليه وسلم رجع من صلح بين الأنصار فوجد أبا بكر يصلي بالناس
فصلى خلفه . وصح على انقطاع فيه أنه قيل لأبي بكر ياخليفة الله فقال أنا خليفة رسول
الله وأنا راض به . وجاء بسند رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثق . أنه صلى الله عليه
وسلم قال لعثمان : إن الله عز وجل مقمصك قميصا فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه
ولا كرامة . قالها مرتين أو ثلاثا . وجاء بسند فيه انقطاع وفيه رجل ضعفه الجمهور
ووثقه غير واحد . أن عمر قال للستة التي جعل الأمر شورى بينهم : بايعوا لمن بايع له عبد
الرحمن بن عوف . فمن أبى فاضربوا عنقه . وبسند فيه ضعيف جدا أنه قيل لابن عوف كيف
بايعتم عثمان وتركتم عليا فاعتذر بأنه بدأ بعلي فقال له أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله
وسيرة أبي بكر وعمر فقال فيما استطعت فعرضها على عثمان فقبلها ولم يشترط فيما استطاع .
وبسند رجاله ثقات إلا واحدا لحسن الحديث أن عليا كرم الله وجهه مرض خارج المدينة
فأشير عليه بدخولها لئلا يموت خارجها فيعسر نقله إليها فقال عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم
أن لا أموت حتى أؤمر ثم تخضب هذه - يعني لحيته - من هذه - يعني هامته - وكان كذلك
فقتله اللعين عبد الرحمن بن ملجم الخارجي . وبسند رجاله ثقات إلا واحدا فمختلف فيه :
أنه صلى الله عليه وسلم قال: ياعلي إن وليت أمرا من بعدي فاخرج إلى نجران من جزيرة

العرب . وبسند فيه كذاب أنه ﷺ قال نعيت الى نفسى، فقال ابن مسعود استخلف قال من؟ قال أبا بكر فسكت ثم كذلك فى عمر ثم كذلك فى على لكنه حلف هنا لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتعين . الثامن جاء أن شداد بن أوس دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما ،قال أتدرون ماأجلسنى بينكما انى سمعت النبى ﷺ يقول اذا رأيتموهما جميعا ففرقوا بينهما، فما اجتمعا الا على غدر فأحببت أن أفرق بينكما . وهذا فيه غاية الذم لمعاوية فما جوابه ـ أما الأول فالحديث لم يثبت لأن فى سنده من قال الحافظ الهيثمى فيه من لا أعرفه ،وأما ثانيا فكل من معاوية وعمرو كان داهية من دهاة العرب : فبفرض صحة الحديث أحب النبى ﷺ أن لا يجتمعا فان اجتماعهما ربما جر الى أمر دنيوى فيه ضرر للغير كما أشار اليه بالغدر . وهذا لايقتضى ذما لمعاوية فيما وقع منه من الاجتهاد فى قتاله لعلى كرم الله وجهه ويدل لذلك أنه ﷺ صح عنه ثناء ومدح لكل من الرجلين فوجب تأويل هذا الحديث إن صح بنحو ماذكرته ولم يصح والحمد لله .

(خاتمة) نسئل الله تعالى حسنها فى ذكر أمور وفوائد مبددة لأكثرها تعلق بما نحن بصدده ، والحامل على ذكرها عدم وجودها مجموعة كما هى هنا فى الكتب المشهورة وغيرها ، وإنما هى ملتقطة كأكثر ماقدمته من كتب غير مشهورة ، لكنها جليلة جدا لكمال مؤلفها وكونهم من حفاظ السنة الذين يرجع إليهم فى تصحيح الحديث وتحسينه وتضعيفه وبيان علله وما يتبع ذلك ، مما لايعرفه إلا المحدثون والائمة الفقهاء المجتهدون . وما وجدته فيها قد سبق فليس من المكرر المحض بل ذكره ثانيا لغرض غير ماسبق يعرفه المتأمل من السياق تارة ومن المعنى الخارجى أخرى . فلا تنكر شيئا قبل تأمله ، على أن التكرار فى مثل هذه الكتب غير معيب ، وإنما يعاب فى مثل الكتب المقصود منها الاختصار . فمن تلك الأمور أن ذكر هذه المباحث السابقة واللاحقة لاينافى ما أطبق عليه أئمة الأصول وغيرهم أن يمسك عما شجر بين الصحابة رضى الله عنهم لما مر فى معناه مبسوطا مستوفى فراجعه ، فانه مهم وبهذا يجاب عن قول الحافظ النور الهيثمى لولا أن الإمام أحمد بن حنبل وبقية أصحاب المسانيد التى حكى علها فى كتابه مجمع الزوائد ، ذكروا ما كان بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجوه فى كتبهم مع كونهم حفاظ الإسلام ماذكرتها ، وقد علمت مما قدمته فى معنى الإمساك عن ذلك ، أن عدم الإمساك إما أن يكون واجبا لاسيما مع ولوع العوام به ، ومع تآليف صدرت من بعض المحدثين كابن قتيبة مع جلالته القاضية بأنه كان ينبغى له أن لايذكر تلك الظواهر ، فان أبى إلا ذكرها فليبين جريانها على قواعد أهل السنة حتى لا يتمسك مبتدع أو جاهل بها، فانهم ذكروا فى تلك التآليف كل ماوقع من صحيح وغيره ، وأبقوها

على ظواهرها فأضر بمن عدا أكابر علماء السنة ممن ليس له قدم راسخ فى العلوم ، لاعتقاده تلك الظواهر المستلزمة لترتيبه آثارها عليها من نقص كثيرين من الصحابة وما يتبع ذلك مما يخل بكمال الإيمان ويوجب التمادى فى الغى والبهتان ، (١) ومنها أنه يتعين عليك حتى لا يبق فى قلبك حزازة على صحابى قط أن تتأمل ما كان عليه الصحابة رضى الله عنهم من الصفاء والانصاف والمبالغة فى تعظيم بعضهم لبعض ، وإن وقع بينهم ماوقع فهم كما قال الله تعالى ونزعنا مافى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ، ومما يدل لذلك ماصح أن سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد رضى الله عنهما كان بينهما شىء ، فأراد إنسان أن يذكر خالدا عند سعد فقال له مه ، فان ما بيننا لم يبلغ ديننا ، ومن هذا ماجاء بسند قال الحافظ المذكور الهيثمى فيه من لم أعرفهم . إن عثمان رضى الله عنه صلى بالناس ثم تنحى فاضطجع ومعه الدّرة فأقبل علىّ ومعه عصاه حتى وقف على رأسه ، فأخبر به عثمان ، فجلس فقال له اشتريت ضيعة آل فلان ، ولوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائها حق ، فجرى بينهما كلام كثير فجاء العباس ودخل بينهما ورفع عثمان على علىّ الدرة ، ورفع على على عثمان العصا ، فجعل العباس يسكتهما ويقول لعلى ، أميرَ المؤمنين ، ويقول لعثمان ابن عمك فلم يزل حتى سكتا ، فلما كان من الغد رآهما الناس وكل واحد آخذ بيد صاحبه وهما يتحدثان ؛ فتأمل مااشتملت عليه هذه القصة لتعلم نزاهة الصحابة رضى الله عنهم عن كل مانسبه إليهم المبتدعون . وتقول به عليهم الوضّاعون . وانتقصهم بسببه المفترون . ومنها قضيه قتل عثمان وهى عجيبة مبسوطة فى كتب السير والتواريخ وفيها أشياء كثيرة لم تصح ، فلا تغتر بها . وحاصل ماجاء فى ذلك باختصار أن عثمان زور عليه الأمر بقتل محمد بن أبى بكر وجماعة آخرين . فاجتمعوا إليه لحصاره حتى قتلوه ، وأنه علم أنه مقتول لإخباره صلى الله عليه وسلم له بذلك فى روايات كثيرة ولم يعزل نفسه كما طلبوه منه ورضوا منه به . لأنه صلى الله عليه وسلم توعده عليه أنه إن فعله لايرى الجنة بعدها أبدا . كما مر ويأتى ، وحاصل تلك القضية أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فثقة ، أن عثمان بلغه أن وفد أهل مصر أقبلوا فتلقاهم فى قرية له خارج المدينة ثم أقبلوا عليه وطلبوا منه أن يحضر المصحف فأحضره فلما انتهى القارىء إلى

---

(١) قال ابن العربى فى العواصم : ومن أشد شىء على الناس جاهل عاقل أو مبتدع محتال . فأما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب الامامة والسياسة إن صح عنه جميع مافيه . وكالمبرد فى كتابه الأدبى . وأين عنه من عقل ثعلب الإمام المتقدم فى أماليه فانه ساقها بطريقة أدبية سالمة من الطعن على أفاضل الأمة . وأما المبتدع فالمسعودى . فانه يأتى منه متاخمة الإلحاد فيما روى من ذلك أما البدعة فلا شك فيه . هذا وقد ذكر العلماء أن الامامة والسياسة ليست لابن قتيبة لأنه يروى فيه عن عالمين كبيرين من مصر ولم يدخلها ولم يأخذ عنهما والمعروف عن المبرد أن ينزع إلى رأى الخوارج بشىء واما المسعودى فهو من كبار الشيعة وله فى نحلتهم مؤلفات .

قوله عز قائلا : « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون »فقالوا له آلحمى، آلله اذن لك أم على الله تفترون . فبين سبب نزول الآية . وأنه اقتدى فى الحمى لابل الصدقة بفعل عمر ثم سألوه عن أشياء بعضها أجاب عنه ، وبعضها استغفر منه . ثم قال : ماتريدون ؟ قالوا نريد أن لا يأخذ منه هذا المال إلا المقاتلة والشيوخ من الصحابة، فأجابهم لذلك وشرط عليهم أن لايشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة فرضوا وكتبوا بذلك كتابا . ثم أقبلوا إلى المدينة فخطب عثمان وأثنى عليهم بأنه لم ير وفدا خيرا منهم ،ثم أخبر أهــل المدينة أنه لايعطى من مال بيت المال إلا من ذكر فغضب الناس . وقالوا : هذا مكر بنى أمية . ثم رجع الوفد راضين . فلما كانوا ببعض الطريق إذ راكب يتعرض لهم ويسبهم ثم يفارقهم . ويعود إليهم وهكذا فأخذوه وقالوا إن لك لشأنا فقال :رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر ،ففتشوه فاذا معه كتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يضرب أعناقهم أو يقطع أيديهم وارجلهم من خلاف، فرجعوا وقالوا قد نقض العهد وأحل الله دمه، فقدموا المدينة فأتوا عليا فقالوا ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا وأن الله تعالى قد أحل دمه ، قم معنا إليه فقال لا والله لاأقوم معكم إليه ، قالوا فلم كتبت إلينا ؟ قال والله ما كتبت لكم كتابا قط، ثم خرج على فنزل قرية خارج المدينة فأتوا عثمان فقالوا اكتبت فينا بكذا وكذا وإن الله قد أحل دمك، فقال إنما لكم على شيآن أن تقيموا شاهدين أو أحلف لكم بالله ما كتبت ولا ارسلت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتب قد تكتب على لسان الرجل ، وقد ينقش الخاتم ، قالوا فوالله لقد أحل الله دمك بنقض العهد والميثاق ، فحينئذ حصروه فى داره التى قرب المسجد المسمى بباب جبريــل ، فأشرف يوما وسلم عليهم فلم يسمع أن أحدا رد عليه ، وروى أبو يعلى وغيره باسنادرجاله ثقات إلا واحدا ، فمختلف فيه،أنه لما حوصر فى موضع فى الجنائز ، أشرف من الخوخة التى على مقام جبريل . فقال أيها الناس أفيكم طلحة فسكتوا، ثم أعلاه فقام طلحة فقال ما كنت أرى أنك تسمع نداء آخر ثلاثا ثم لاتجيبنى،أنشدك بالله ياطلحة أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع كذا ليس غيرى وغيرك ، قال نعم فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ياطلحة إنه ليس من نبى إلا ومعه من أصحابه رفيق من أمته فى الجنة ، وأن عثمان هــذا بعينه رفيق فى الجنة ، قال اللهم نعم ، ثم انصرف وجاء عنه بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا ، وهو ثقة أنه قال وهو يخطب . إنا والله قد صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ويشيع جنائزنا ويواسينا بالقليل والكثير ،وإن ناسا يعلمون به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط . وجاء عنه بسند رواته ثقات أنه قال لابن مسعود:هل أنت منته عما بلغنى منك ، فاعتذر إليه بعض العذر فقال له ويحك إنى قد سمعت ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ستقتل أمتى أميرى،ومنبرى

يشب عليه ظالم له ، وإنى أنا المقتول وليس عمر، وأنما قتل عمر واحد وأنه يجتمع عليّ . وصح عنه أنه لما أكثر الناس الاعتراض عليه فى إيثاره لبنى أمية أقاربه دعاجمعا من الصحابة ليصدقوه ، ثم أنشدهم بالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤثر قريشا على سائر الناس ويؤثر بنى هاشم على قريش . فسكتوا فقال ، لو أن بيدى مفاتيح الجنة أعطيتها بنى أمية حتى يدخلوا عن آخرهم . وأنه قال إن وجدتم فى كتاب الله أن تضعوا رجلى فى القيد فقيدوها وجاء من طرق أحدها ثقات، أن المغيرة بن شعبة دخل عليه وهو محصور نخيره بين أن يخرج لقتالهم ، وقال له إن معك عددا وقوة وإنك على الحق وهم على الباطل، أو تخرج إلى مكة أو الشام فانها مأمن منهم، فاعتذر عن المقاتلة بأنه لا يكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء ، وعن الخروج إلى مكة بانه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم ، فلن أكون أنا إياه وإلى الشام بأنه لايفارق دار هجرته ومجاورة النبى صلى الله عليه وسلم . وروى الطبرانى بسند رجاله رجال الصحيح عن النعمان بن بشير قال : مات رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجيناه بثوب وقمت أصلى إذ سمعت صوتا فأبصرت فاذا أنا به يتحرك فقال ، أجلد القوم أوسطهم عند الله، عمر أمير المؤمنين القوى فى أمره القوى فى أمر الله عز وجل . عثمان أمير المؤمنين العفيف المتعفف الذى يعفو عن ذنوب كثيرة ، خلت ليلتان وبقيت أربع ، واختلف الناس ولا نظام لهم يا أيها الناس أقبلوا على إمامكم هذا واسمعوا وأطيعوا ، هذا رسول الله ﷺ وأزواجه ، ثم قال وما فعل زيد بن خارجة يعنى أباه، ثم قال أخذت بئر أريس ظلما ثم هدأ الصوت ، وسألت طلحة أمه أن عثمان قد اشتد حصره فلم يجبها، فأخرجت ثديها وقالت أسألك بما حملتك وأرضعتك إلا فعلت ، فأتى عليا فكلمه فى ذلك، قال الحافظ السابق فى هذا من لم أعرفهم والظاهر أنه ضعيف ، لان عليا كرم الله وجهه لم يكن بالمدينة حين حصر عثمان ولا شهد قتله اه ، وقوله ان عليا الخ لا يوجب ضعف الحديث لأن الراوى لم يقل إن طلحة أتاه وهو بالمدينة بل يحتمل أن أمه لما أكدت عليه بما فعلته، ركب لعلى إلى محله فاستأذنه، ويحتمل أيضا أن عليا وإن كان مقيما خارج المدينة قد يدخلها بعض النهار ثم يرجع لمنزله خارجها . وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه أحد ، أن عثمان أرسل إلى الأشتر فقال : مايريد الناس منى ، قال : يخيرونك بين ثلاث ، إما أن تدع لهم أمرهم ليختاروا من شاءوا أو تقتص لهم من نفسك أو يقتلونك ، فاعتذر بأنه لا يخلع سربالا سربله النبى ﷺ ، وقال لأن أقوم فيضرب عنقى أحب إلى من أن أخلع أمر أمة محمد ﷺ ، ينزو بعضها على بعض ، وقال إن نقتلونى لا تقتلون بعدى عدوا جميعا أبدا . فلما أخبرهم الأشتر بذلك دخل عليه محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فى ثلاثة عشر رجلا فأخذ بلحيته وهزها

حتى سمع وقع أضراسه ، ثم قال ما أغنى عنك فلان وفلان فقال : أرسل لحيتى ياابن أخى.
فأشار محمد لرجل ، فقام بمشقص حتى وجأه به فى رأسه، ثم تعاونوا عليه حتى قتلوه. وجاء بسند
قال الحافظ الهيثمى فيه من لم أعرفهم أنه رضى الله عنه استيقظ فقال ليقتلنى القوم، رأيت
رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ، فقالوا تفطر عندنا الليلة ، وفى رواية فى سندها مجهول ،
أنه يوم قتل وهو يوم الجمعة نام ثم استيقظ وذكر أنه رأى النبى ﷺ وهو يقول : قم
إنك شاهد معنا ، وفى أخرى سندها كذلك : أنه رأى ذلك ليلا وأنه ﷺ قال له ياعثمان أفطر
عندنا فأصبح صائما وفى رواية رجالها ثقات انه رآهم ليلا قائلين له اصبر فانك عندنا القابلة
فلما أصبح أعتق عشرين عبدا وتسرول ولم يلبس السراويل جاهلية ولا إسلاما إلا يومئذ
لأنه أبلغ فى الستر من غيره ، كما فى حديث بينته فى كتابى در الغمامة فى فعل العذبة والطيلسان
والعمامة ، ثم دعا بمصحف فنشره فقتل وهو بين يديه . وفى رواية رجالها ثقات سمع بعضهم من
بعض أنه لما رأى ذلك المنام، فتح بابه ووضع المصحف بين يديه فدخل عليه محمد بن أبى بكر
رضى الله عنهما فأخذ بلحيته. فقال لقد أخذت منى مأخذا وقعدت منى مقعدا ما كان أبوك
ليأخذه أو يقعده . فتركه وخرج . فدخل عليه رجل فقال له الموت الأشد فخنقه ثم خنقه ثم
خرج. واعتذر بأنه لم ير شيئا قط ألين من حلقه، ثم دخل آخر فقال له بينى وبينك هذا الكتاب
كتاب الله . فخرج ثم دخل آخر فضربه بسيف فتلقاه فى يده فقطعها والمصحف بين يديه .
وفى رواية أن الدم وقع على قوله : فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . قال راويه : وهى فى
المصحف كذلك ما جليت بعد . ولما قتل انكبت عليه زوجته ، فقالوا قاتلها الله ما أعظم
عجيزتها . قال راويه: فقلت إن أعداء الله لم يريدوا إلا الدنيا، وصح أن قتله فى عشر الأضحى
وفى رواية سندها منقطع قتل لثمان مضت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومدة خلافته
اثنتا عشرة سنة . إلا اثنى عشر يوما ، وفى أخرى أنه دفن ولم يغسل. وصح على انقطاع فيه
أن الزبير رضى الله عنه صلى عليه ودفنه وكان أوصى اليه بذلك . وصح أنه ﷺ ذكر فتنة فمر
رجل مقنع أى متطيلس . فقال هذا وأصحابه يومئذ على الحق فأخذ رجل بمنكبى عثمان وأقبل
بوجهه على النبى ﷺ فقال هذا يارسول الله فقال هذا . وصح انه ﷺ قال ستلقون بعدى فتنة
واختلافا . قيل فما لنا يارسول الله : قال عليكم بالأمير وأصحابه. وصح عن عبدالله بن سلام
الصحابى المشهور أعلم علماء بنى إسرائيل . ومثل ذلك لا يقال إلا بتوقيف . أنه أخبرهم لما
حصر عثمان . أن المدينة لم تزل محتفة بالملائكة . من الهجرة إلى اليوم . وإن هم قتلوه ذهبت
الملائكة فلا تعود أبدا وأن السيف لم يزل مغمودا عنهم فان هم قتلوه سل فلا يغمد عنهم أبدا
وأنه ما قتل نبى إلا قتل به سبعون ألفا وما قتل خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفا. وفى رواية
رجالها ثقات. ما قتلت أمة خليفة فاصلح الله ذات بينهم حتى يهريقوا دم أربعين ألفا ، ثم لما ولى

على جلس عبدالله على طريقه . فقال له أين تريد؟ قال: العراق قال عليك بمنبر رسول الله ﷺ فالزمه ولا أدرى هل ينجيك الله لئن تركته لا تراه أبدا فقال من حوله دعنا فلنقتله فقال إن عبد الله بن سلام منا رجل صالح هذا ما يتعلق بقتل عثمان رضى الله عنه وأرضاه (١) وبما تقرر فيه تعلم أنه الخليفة الحق وأنه مات على الحق وان قاتليه بعضهم فسقة ملحدون وبعضهم بغاة لهم تأويل باطل وأنه مات مظلوما شهيدا وأن سبب ذلك وجود ذلك الكتاب . وأنه رضى الله عنه برىء منه بكل وجه ، وإنما زوره بعض جماعة من بنى أمية الملعونين على لسان رسول الله ﷺ فاحذر أن تخوض مع الخائضين بل متى طرقك فى عثمان أدنى ريبة فاستغفر الله وتب وانظر كتب الأئمة أهل السنة لتكون ممن سلم دينه وتقواه . ولم يغلب عليه تعصبه وهواه .

ومنها ذكر خلاصة ما وقع بالجمل ومناسبة ذكر ذلك وأن عليا فيه على الحق ومقاتلوه بغاة عليه فكل ما يقال فيهم يقال بمثله فى معاوية ويأتى فى عائشة رضى الله عنها أحاديث مصرحة بان عليا كرم الله وجهه على الحق دونها ودون من معها لكنهم معذورون فكذا يقال فى معاوية ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم (٢) واعلم أنه قد روى هنا أيضا أمور لا أصل لها فلا تقنع لشىء مما تراه فى كتب السير والتواريخ إلا إن رايته فى كلام حافظ وقد بين سنده ونقله ثقة عنه، وخلاصة المهم من ذلك أنه جاء بسند فيه متروك أنه ﷺ قال : كيف أنتم بأقوام يدخل قائدهم الجنة ويدخل أتباعهم النار، قالوا يارسول الله وإن عملوا بمثل أعمالهم قال وإن عملوا بمثل أعمالهم وأنى يكون ذلك : ثم قال يدخل قائدهم الجنة بما سبق لهم ويدخلوا النار بما أحدثوا ومعنى ذلك والله أعلم، أن المتبعين مجتهدون فأثيبوا ولم يقل فيهم أحدثوا لأن ما وقع بالاجتهاد يثاب

---

(١) تقدم فى التعليق على الصواعق : الاختلاف فى قاتله وفى مصره : فقيل يناز بن فياض الأسلمى . وقيل جبلة بن الأيهم . وقيل سودان بن حمران . وقيل دومان اليمانى وقيل الأسود التجيبى فى سنة ٣٥ وما ذلك الاختلاف إلا لأن الأمر كان قد خرج من يد المسلمين بدسائس اليهود الذين تستروا بالإسلام فأوقعوا هذه الفتنة وتمت على أيديهم .

(٢) فى تنقيح الأنظار والعواصم لابن الوزير وثمرات النظر وتوضيح الأفكار للامير الصنعانى : حكاية الإجماع على قبول فساق التأويل والبغاة وأهل الابتداع ممن لا يستجيز الكذب ، فان مدار القبول على الصدق وأن التدح فى الديانة من المتأولين لا يقدح فى عدالة الرواية ولا استلزام بينهما . وهذا مبنى على تجزىء العدالة وعليه عمل العلماء . فقد روى البخارى وأصحاب السنن عن جماعة من الروافض والشيعة والخوارج وفى بعضهم غلو : فقد روى البخارى عن عمران بن حطان فى المتابعات وأبو داود والترمذى عن عمران بن مسلم القصير البدرى وعن الفضل بن دكين وهو شيعى وعن ابى معاوية الضرير وعن عدى بن ثابت الرافضى وأخرج البخارى لإبراهيم بن طهمان وأيوب بن عائذ من المرجئة ، ولاسماعيل بن أبان الشيعى وغيرهم وأما من استجاز الكذب كالخطابية فلا تقبل لهم رواية وكل الصحابة معدلون بتعديل الله كما ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة وتقدم القول فيه

عليه المجتهد، فليس من المذموم المحدث، والتابعون غير مجتهدين فما أوجدوه من آرائهم مذموم محدث مبتدع ،فأثموا عليه ولم ينفعهم اتباعهم لأولئك فى هذا الذى أحدثوه بآرائهم الفاسدة وبهذا يتضح ما مر فى حديث عمار أنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، فهو محمول على بعض أتباع معاوية رضى الله عنه الغير المجتهدين ، فاذا دعاهم عمار إلى ماهم عليه مما أحدثوه بآرائهم الفاسدة دعاه إلى ما يكون سببا لدخول النار حيث لم يقع عفو منه تعالى ،إذ المقرر عند أهل السنة وبه تجتمع الآيات والأحاديث ، والاجماع أن من مات مؤمنا فاسقا يكون تحت مشيئة الله تعالى ، فان شاء عفا عنه وأدخله الجنة مع الداخلين وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه أو ببعضها ثم أدخله الجنة . ومن مات مشركا لا يغفر له ويكون خالدا فى النار . وبسند فيه من يروى المناكير أنه ﷺ قال يكون لأصحابى زلة يغفرها الله لهم وسيأتى قوم بعدهم يكبهم الله على مناخرهم فى النار ، ومعناه بفرض صحته ـ وإلا فوجود من يروى المناكير فى سنده يبطل الاحتجاج به ، أن هذا من باب قولهم حسنات الأبرار سيآت المقربين فالمراد بالزلة خلاف الأكمل ، لا ما فيه إثم لأن الصحابة رضى الله عنهم كلهم عدول مجتهدون على الصواب (١) الذى لا يجوز لأحد أن يعتقد غيره، لكنهم مع ذلك قد يقع من أحدهم مالا يليق بمقامه ، فيعذر له بالنسبة اليه . كاستخلاف معاوية لولده يزيد فان مزيد محبة الولد زين له رؤية كماله . وأعمى عنه رؤية عيوبه ، التى هى أوضح من الشمس فى رابعة النهار ،فهذا بحسب كمال معاوية زلة يغفرها الله له، ولا يجوز التأسى به فيها فمن تأسى به فيها كب على منخريه فى النار ، لأنه غير معذور لعدم فقهه واجتهاده، ولأجل ذلك قال أئمتنا لا يجوز لأحد أن يتبع زلات العلماء . أى أن بعض العلماء قد يؤدى اجتهاده إلى أمر بعيد جدا من الأدلة والقواعد ، فيعد ذلك كالزلة ، ويمنع غيره من تقليده فيها ، كما نقل عن بعض السلف أنه لا يحرم لناوى الصوم تعاطى مفطر فى الفرض إلا بعد طلوع الشمس . وفى النفل إلا بعد الزوال ، وقس على ذلك. وبسند موقوف على حذيفة رجاله رجال الصحيح ومرفوع لكن فيه ضعيف جدا أنه ﷺ قال ليدخلن أمير فئة الجنة ، وليدخلن من تبعه النار ، والحجة فى الموقوف بصحة سنده ، وكون مثله لا يقال من قبل الرأى ، وحذيفة صاحب رسول الله ﷺ فيما يتعلق بالفتن . فقوله ذلك لا يكون إلا عن الصادق ﷺ ، ومعناه مامر أن الأمير مجتهد ، وتابعيه غير مجتهدين ، وقد أحدثوا بآرائهم الفاسدة ما كان سببا لنقصهم وعذابهم . وبسند فيه من قال الذهبى : إن هذا الحديث

---

(١) تقدم القول على عدالة جميع الصحابة وأنه مذهب الأكثر بل حكى الاجماع عليه وأنه مذهب البخارى وابن المدينى ورجحه الحافظ ابن حجر خلافا لمن اشترط الملازمة أو جعل ذلك حكما غالبا وحمل العموم على معنى أنه لا يسأل عمن جهل حاله منهم حملا على الغالب وأما من وقع منه فسق بالتأويل فالجميع على قبوله بخلاف من وقع منه فسق بالتصريح فانه محل الخلاف وكل ما نسب إلى الصحابة فهو بالتأويل

من منكراته ، ومن قال فيه أبو نعيم إنه لم يكن بالكوفة من هو أكذب منه لكن وثقه الإمام الحافظ الجليل أبو حاتم ، أنه قيل لأبى بكرة رضى الله عنه : مامنعك أن لا تكون قاتلت يوم الجمل ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم هلكوا لايفلحون ، قائدهم امرأة وقائدهم فى الجنة ، وشاهده الخبر الصحيح ، هلك قوم ولّوا أمرهم امرأة ، وهذا على وزان ماقدمته ، لأن عائشة رضى الله عنها مجتهدة فهى من أهل الجنة ، وأتباعها فهم من هو مجتهد ، وهم كل من كان معها من الصحابة فهم مثلها فى الجنة ، ومن ليسوا كذلك فهم بمايحدثونه فى النار . وبسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال : ياعلى إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر قال أنا يارسول الله قال نعم . قال أنا أشقاهم . قال لا ولكن إذا كان كذلك فارددها إلى مأمنها . فتأمل هذا الحديث فان فيه قطعا لكل ريب وشبهة لأنه صريح فى أن الله أطلعه ﷺ على مايقع بين على وعائشة ، وفى أن عليا على الحق ، وعائشة مؤولة فبتأويلها كانت مثابة ، ووصاه صلى الله عليه وسلم بها . وإنما لم ينهها صلى الله عليه وسلم ولا بين لها لأنه علم أن هذا الأمر لابد من وقوعه ، فلم يبق إلا التنبيه على عذر من سيقع منه ، وكذا يقال فى جميع ما وقع بين الصحابة ، هو ﷺ أعلم به ، ولم ينه عنه، وإنما أشار إلى عذرفا عليه من أصحابه ، وستأتى أحاديث أخر تدل لذلك . وبسند رجاله رجال الصحيح أن عائشة لمـــا نزلت على الحوأب - بضم أوله المهمل وفتحه - سمعت نباح الكلاب ، فقالت ماأظننى إلا راجعة . سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب ، فقال لها الزبير : لاترجعين عسى الله أن يصلح بك الناس ، وبسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لنسائه : أيتكن صاحبة الجمل الأزيب - أى بزاى فتحتية فوحدة - الطويل أو الضامر ، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب تقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثيرة ثم تنجو بعدما كادت تهلك ، وصح أنها مرت بماء لبنى عامر يقال له الحوأب فنبحها الكلاب فقالت ماهذا قالوا ماء لبنى عامر ، قالت ردونى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تنبح لها كلاب الحوأب . وبسند رجاله ثقات أن عليا رضى الله عنه مر على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى نفر من المهاجرين والأنصار فقال ألا أخبركم بخياركم . قالوا بلى . قال خياركم الموفون المظنون، إن الله يحب الخفى التقى ، فلما مر علىّ قال الحق مع ذا ، فان قلت كيف يسمع على هذا ويقول ما مر عنه ، فالله أعلم أصبنا أم أخطأنا ، قلت ليس فى هذا الحديث أن عليا سمع ذلك . وبفرض أنه سمعه . فقوله أم أخطأنا من تواضعه الكامل ، أو مراده أخطأنا فى قضية قريبة بالنسبة لنفس الأمر. فان المجتهد يثاب ، وإن أخطأ كما مر ، ويقال فى حقه من حيث الاطلاق ، إنه على الحق ، وأما النظر لكل حكم على حدته فيجب أن يعتقد فيه أن اجتهاده يحتمل أنه وافق الحق عند الله تعالى فيثاب الثواب المتضاعف ، وإن لم يوافقه فيثاب أصل الثواب بلا مضاعفة ، وبسند فيه من قال البخارى لايصح حديثه ، أن عليا والزبير رضى الله عنهما لما توافقا بالجمل قال

له : يازبير أنشدك بالله أما سمعت رسول الله ﷺ يقول لك إنك تقاتلنى وأنت ظالم لى .
قال نعم ، ولم أذكره إلا فى موضعى هذا ، ثم انصرف فتبعه من قتله ، وإثبات الظلم للزبير
مع أنه من أكابر المجتهدين ومع تأويله ، ما أباح له الخروج على علىّ انفاقا مشكل ، إلا
أن يجاب بأن المراد وأنت ظالم لو أمعنت النظر فى الدليل المجوز له الخروج على على ، إذ
المراد كان ظالما أى مرتكبا خلاف الأكمل ، على حد قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث
الصحيح : فيمن زاد فى الوضوء على الثلاث أو نقص منها فقد أساء وظلم ، أى ترك الأكمل
وبسند فيه رجل قال الحافظ الهيثمى لاأعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح عن سعد ، سمعت
رسول الله ﷺ يقول على مع الحق والحق مع على حيث كان . فقيل له من سمع ذلك معك
قال أم سلمة فأرسل لها فقالت نعم ، فقال رجل لسعد ما كنت عندى قط ألوم منك الآن فقال
ولم قال : لو سمعت أنا هذا من النبى صلى الله عليه وسلم ، لم أزل خادما لعلى حتى أموت
وبسند رواته ثقات ، أن حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ قال : كيف أنتم وقد خرج
أهل بيت نبيكم فرقتين ، أى عائشة وعلىّ ، فيضرب بعضكم وجوه بعض بالسيف ، فقيل له :
كيف نصنع إن أدركنا ذلك ، قال انظروا الفرقة التى تدعو إلى أمر علىّ فالزموها ، فانها
على الهدى ، وهذا لايقال من قبل الرأى ، لحذيفة إنما قاله بعد سماعه له من النبى صلى الله عليه
وسلم ، وفيه التصريح الواضح بأن عليا على الحق وعائشة ومن معها مؤولون لاغير ، كما
كان على ومعاوية رضى الله عنهم . وبسند فيه من قال فيه الحافظ المذكور لا أعرفهم ، أن
ابن عباس قال فى سمر . إنى أحدثكم بحديث ليس بسرّ ولا علانية ، إنه لما كان من أمر عثمان
ما كان قلت لعلى : أعتزل فلو كنت فى حجر طلبت حتى تستخرج فعصانى ، فوالله ليتأمرن عليكم
معاوية لأن الله تعالى يقول : ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه
كان منصورا . ولتحملنكم قريش على سنة فارس والروم ولتؤتمنن عليكم اليهود والنصارى
والمجوس ، فمن أخذ منكم بما يعرف فقد نجا . فتأمل هذه الشهادة من ابن عباس رضى الله
عنهما لمعاوية رضى الله تعالى عنه ، إنما مكنه من الإمارة التابعة لها الخلافة ، لأن قريبه عثمان
رضى الله عنه قتل مظلوما ، فجعل له سلطانا ظاهرا ونصره نصرا دائما ـ وبسند ضعيف عن
ابن عباس رضى الله عنهما ، أن أصحاب علىّ لما سار بهم إلى البصرة أبلغهم أن أهلها اجتمعوا
لطلحة والزبير أى ليحاربوا معهم عليا . فشق ذلك عليهم ووقع فى قلوبهم ، فخاف لهم على
ليظهرن على أهل البصرة وليقتلن طلحة والزبير وليخرجن اليهم من الكوفة ستة آلاف
رجل وخمسمائة وخمسون ، أو خمسة آلاف وخمسمائة وخمسون ، شك الراوى ، قال ابن عباس
فوقع ذلك فى نفسى ، ثم خرجت لأنظر مايكون ، فان كان الأمر كما يقول على فهو أمر سفه
وإلا فهو خديعة الحرب ، فرأيت رجلا من الجيش فسألته فقال ما قاله على هذا ، قال ابن عباس
رضى الله عنهما ، وهذا أى كون على يخبر بالأشياء المغيبة فيقع كما أخبر . لما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يخبر ـ أى بالمغيبات فيخبر بها كما أخبره صلى الله عليه وسلم . ومن استند إخباره إلى إخبار الصـــادق صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا صادقا . وفى هذا منقبة علية جدا لعلى . لما أتحفه صلى الله عليه وسلم به من العلوم المغيبة . ولذا كان مدينة العلم النبوى وأمين السر العلوى . وبسند فيـه متروك أن عليا قال يوم الجمل أحلف بالله ليهز من الجمع وليولن الدبر . فقيل له استعذ به أن تقول مالا علم لك به فقال . لأنا أشر من جمل يجر بخطامه بين نجد وتهامة إن كنت أقول مالا علم لى به . وبسند فيه رجلان قال الحافظ الهيثمى لاأعرفهما وبقية رجاله ثقات أن عمار بن ياسر أقبل يوم الجمل فنادى عائشة فلما عرفته قالت لهم قولوا له ما تريد؟ قال أنشدك بالله الذى أنزل الكتاب على رسوله فى بيتك أتعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عليا وصيا على أهله وفى أهله قالت اللهم نعم . قال فما بالك ؟ قالت أطلب بدم عثمان أمير المؤمنين ، ثم جاءها على فقالت : سلوه ما يريد . فذكر لها ماذكر عمار . ثم قالت أطلب بدم عثمان . قال لها أرينى قتلة عثمان ، ثم انصرف والتحم القتال. والوصاية المذكورة وصاية خاصة وليست الوصاية العامة التى هى الخلافة كما هو واضح من قوله على أهله وفى أهله . وبسند رجاله ثقات إلا واحدا فضعيف . ومع ذلك يكتب حديثه ، أنه ذكر لعائشة يوم الجمل فقالت والناس يقولون يوم الجمل قالوا نعم ، قالت وددت أنى كنت جلست كما جلس صواحبى فكان أحب إلى من أن أكون ولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر ولدا كلهم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أو مثل عبد الله بن الزبير .وبسند رواه اسحق بن راهويه عن الأحنف بن قيس أنه استشار عائشة والزبير وطلحة فيمن يبايع إن قتل عثمان وكل واحد يقول بايع عليا فبايعه، ثم لما رجع إلى البصرة إذ بالثلاثة جاؤا لقتال على فذكر لهم ما أشاروا به عليه فقالوا جئنا نستنصر على دم عثمان قتل مظلوماً ، فحلف الأحنف لايقاتلهم ولايقاتل عليا .

(تنبيـه) ذكرت فى مواضع أخر ماله مناسبة بما هنا فأحببت أن أذكره وإن كان متداخلا مع ما مر كثير منه لأن فيه زيادات حسنة ،وهو لما التقى الجمعان يوم الجمل نفض الزبير الخيل نفضا فناداه على حتى التقت أعناق دوابهما . فقال له على نشدتك الله أتذكر يوما قال النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أناجيك وأناجيه والله ليقاتلنك وهو لك ظالم . فقال نعم والله ماذكرت قبل موقفى هذا ، رواه أبو بكر بن أبى شيبة واسحق بن راهويه وأبو يعلى . فعلم من هذا وغيره أنه صلى الله عليه وسلم علم مايقع بعده من تقاتل الصحابة رضى الله عنهم وأخبر مايصرح بأن عليا على الحق بخلاف الذين قاتلوه أى فانهم متأولون فهم محقون أيضا كما مر،ومع ذلك أمره بالرفق بعائشة رضى الله عنها وردها إلى مأمنها، وفيه أظهر دليل على عذرهم بالتأويل وأنه الامام عليهم بهذا القتال وإلا لأخبر صلى الله عليه

وسلم بتعديهم ومخالفتهم له صلى الله عليه وسلم وإنما أشار لبعض تفريط من بعضهم بقوله للزبير وأنت ظالم له ، على أن الظلم قد يستعمل فى وضع الشيء فى غير محله وإن لم يكن إثم ومنه فمن زاد على الثلاثة فى الوضوء فقد أساء وظلم ، فاستعمل صلى الله عليه وسلم الاساءة والظلم فى غير الحرام . وتأمل ما بين هذا ، أعنى سكوته صلى الله عليه وسلم عن عائشة ومن تبعها . وما صح أنه صلى الله عليه وسلم لعن الحكم (١) وبنيه . إلا الصالح منهم كعمر بن عبد العزيز الملحق بالخلفاء الراشدين فى حكمه وعدله وتحريه وعروضه عن الدنيا بكل وجه على أنه مر أن لعنه صلى الله عليه وسلم لمن لا يستحق اللعن من أمته طهارة ورحمة، ولعله المراد من لعن الحكم وبنيه المسلمين ، وصح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم رأى ثلاثين منهم ينزون على منبره نزو القردة فغاظه ذلك وما ضحك بعده الى أن توفاه الله سبحانه وتعالى ، ولعله هؤلاء ويزيد بن معاوية فانه من أقبحهم وأفسقهم بل قال جماعة من الأئمة بكفرهم(٢) وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : يكون خسار أمتى على يد أغيلمة من سفهاء قريش فهؤلاء كانوا ظلمة فسقة فى غاية النقص والجور بينوا لرسول الله صلى الله وسلم فأخبر بهم وأعلم أمته بعظيم قبحهم، بخلاف المقاتلين لعلى من عائشة رضى الله عنهما والزبير وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص ومن معهم من أكابر الصحابة رضى الله عنهم ، بل من أهل بدر فلم يذكر صلى الله عليه وسلم نقصا فيهم ولا أعلم يوما بما يدل على ذلك ، إنما أشار لعذرهم وكمالهم كما مر . وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم ذكر لعلى الخوارج وصفاتهم والرجل الذى فيهم وأنه يقتلهم كما يأتى ذلك مبسوطا مبينا ، فتأمل هؤلاء لما كانوا على الضلال عرفه بهم التعريف الكامل بخلاف غيرهم لعذرهم كما مر ، ويأتى وسيأتى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال فى الخوارج : تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق . وأن هذا فيه شهادة لمعاوية وأصحابه بأنهم على حق أيضا ، لكن باعتبار ظنهم وتأويلهم . ومنها ذكر خلاصة ما وقع فى صفين ، واعلم أنه روى هنا أمور كثيرة لا أصل لها كما مرت الإشارة إلى ذلك من وقعة الجمل بزيادة : اعلم أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا وثقه ابن حبان . أن عليا قال لقد عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتال الناكثين والقاسطين والمارقين وهؤلاء هم الخوارج الآنى

---

(١) الحكم بن أبى العاص : عم سيدنا عثمان . ووالد مروان أسلم يوم الفتح . وسكن المدينة ونفاه النبى عليه السلام إلى الطائف ثم رجع إلى المدينة فى خلافة عثمان ومات بها وذكر الحافظ فى الإصابة عن ابن السكن أنه لم يثبت دعاء النبى عليه السلام على الحكم وتوفى سنة ٣٢ .

(٢) قال السعد : والحق أن رضاء يزيد بقتل الحسين وإهانته أهل البيت مما تواتر معناه . وإن كانت تفاصيله آحادا فنحن لا نتوقف فى شأنه بل فى إيمانه . فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه وفى المسايرة : واختلف فى كفر يزيد . فقيل نعم . وقيل لا . وقيل بالتوقف . وقد أجاز لعنه أحمد بن حنبل والقاضى أبو يعلى وحرمه الغزالى وابن العربى وتقدم ذكر أدلتهم

بيان قصتهم لامعاوية وأتباعه بحق من الصحابة ، ومن هو على سنتهم . لأن عليا وإن أذن له في قتال هؤلاء أيضا ، لكنهم لا يسمون قاسطين ولا مارقين ، نعم جاء عن عمار ما يخالف هذا الحمل لكن سنده ضعيف ، أن عمارا قال وهو يريد صفين أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين . وحينئذ فبتقدير صحة هذا كالأول يؤول كون معاوية وأصحابه كذلك بأنهم ناكثون عن متابعة علي ومارقون من طاعته وقاسطون بانفرادهم عنه وإن كان لهم تأويل منع إثمهم ، نظير ما مر آنفا في الظلم والاساءة أن كلا منهما أطلق في الحديث الصحيح على الزيادة في الوضوء على الثلاث والنقص عنها . وبسندين في أحدهما لين والآخر ضعيف أن عليا قال : انفروا إلى بقية الأحزاب انظروا إلى ما قال الله ورسوله صلى الله عليه وسلم إنا نقول صدق الله ورسوله ، ويقولون كذب الله ورسوله ، ومراده ببقية الأحزاب معاوية لأن أبا سفيان كان رئيس الأحزاب المجمع لهم ، ومعنى إلى ما قال الله الخ انفروا قائلين هذا القول الذي قاله الصحابة لما نفروا إلى الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الذي قاله المنافقون ، قال تعالى حاكيا عن الفريقين « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله » وقال تعالى « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا » . ومنها ما يتعلق بالحكمين يوم صفين أبي موسى الأشعري من جهة علي وعمرو بن العاص من جهة معاوية رضي الله عنهم . جاء بسند قال الطبراني هو عندي باطل ، أن أبا موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون في هذه الأمة حكمان ضالان ضال من تبعهما فقيل له يا أبا موسى انظر لا تكون أحدهم ، وبسند فيه متروك أن عمارا قال لأبي موسى ألم تسمع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، ثم سأله عن حديث إنها ستكون فتنة في أمتي أنت يا أبا موسى فيها قائم خير منك فيها قاعدا ، وقاعد خير منك قائما وقائم خير منك ماشيا فخصك ولم يعم الناس ، وكأن عمارا أشار بذلك إلى الاعتراض على أبي موسى فيما وقع له من التحكيم ، أن عمرا احتال على أبي موسى حتى خلع عليا ثم برز عمرو وولى معاوية ، وذلك لأن عمرا كان داهية من دهاة العرب وأبو موسى كان غِرًّا بالأمور فراج عليه دهاء عمرو حتى برز وخلع عليا فبرز عمرو حينئذ وولى معاوية ، ولأجل هذا الخداع لم يعتد علي وأصحابه بذلك الخلع ولا بتلك التولية وأجروا الأمور على ما كانت عليه قبل التحكيم وبسند فيه رجلان قال الحافظ الهيثمي لا أعرفهما أن عليا رضي الله عنه قام على منبر الكوفة حين اختلف الحكمان ، فقال كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فعصيتموني ، فقام اليه فتى وغلظ الكلام ثم قال : بل أمرتنا وإنما تبرأت لما كان فيها ما تكره ، فأغلظ له علي في الجواب وقال له ، ما أنت وهذا الكلام قبحك الله ، ثم قال والله إن كان ذنبا إنه لصغير مغفور وإن كان حسنا إنه لعظيم مشكور ، وضمير كان إما لخصوص التحكيم الذي الكلام فيه أو لعموم قتال

على لمن خالفه من عائشة وطلحة والزبير ومعاوية . وتجويز كون ذلك ذنبا إنما هو على جهة
إرخاء العنان مع الخصم، لما علمت من تصريح الحديث الصحيح بأن المجتهد المخطىء مأجور
مثاب لا إثم عليه ولا تبعة . ومنها ذكر ما يتعلق بالصلح بين الحسن ومعاوية رضى الله عنهما ،
اعلم أنه يأتى بسط ذلك فى أثناء التى بعد هذه ، وأنه صح أنه صلى الله عليه وسلم قال: تدورن
رحى الإسلام لخمس وثلاثين أو لست وثلاثين فان تهلكوا فبسبيل من هلك وإن لم يقم لهم
دينهم يقم لهم سبعين عاما ، فقال لهم عمر بما مضى أو بما بقى قال بما بقى ، وفى رواية ستدورن
رحى الإسلام بعد خمس وثلاثين سنة فان اصلحوا بينهم على غير قتال أكلوا الدنيا سبعين
عاما ، ويصح تنزيل هذا على صلح الحسن ومعاوية فانه بعد هذه المدة إن اعتبرت أولها من
الهجرة، إذ ما بعدها يصدق بما وقع على رأس الأربعين ، وكان حكمة عدم ذكر خلافة على ،
وهو نحو أربع سنين أنه لم يصف له يوم واحد لاشتغاله بقتال أولئك الفرق الكثيرين
الخارجين عليه ، والمراد بأكلوا الدنيا تلك المدة ، أن أكثر تلك المدة كان فيها من العلماء
والمجتهدين وقيام الدين مالم يكن فيما بعده ،وسبق أنه صح عن عبدالله بن سلام أنه بالغ فى نهى
الناس عن قتل عثمان رضى الله عنه وبين لهم أنهم إن قتلوه لم تصح أمورهم حتى يقتل منهم
اربعون ألفا، وأنه نهى عليا أن يخرج للعراق بل يلازم منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين له إن خرج لايعود اليه أبدا ،ولما قتل على قيل رأس هذه الأربعين أى من الهجرة
سيكون بعدها صلح أى فكان صلح الحسن ومعاوية رضى الله عنهما بنزوله عن الخلافة .
وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فمختلف فيه لكن قواه الذهبى بقوله إنه أحد
الاثبات وما علمت فيه جرحا أصلا ،أن عمرا صعد المنبر فوقع فى على ثم فعل مثله المغيرة بن
شعبة ،فقيل للحسن اصعد المنبر لترد عليهما فامتنع إلا أن يعطوه عهدا أنهم يصدقوه إن قال
حقا ويكذبوه إن قال باطلا فا عطوه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشدك
الله ياعمرو ويامغيرة أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن السائق والقائد أحدهما
فلان قالا بلى ، ثم قال أنشدك بالله يامعاوية ويامغيرة ألم تعلما أن النبى صلى الله عليه وسلم
لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة،قالا اللهم بلى ثم قال،أنشدك بالله ياعمرو ويامعاوية ألم تعلما
أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن قوم هذا قالا بلى، قال الحسن فانى أحمد الله الذى جعلكم فيمن
تبرأ من هذا ، أى على مع أنه صلى الله عليه وسلم لم يسبّه قط وإنما كان يذكره بغاية الجلالة
والعظمة. وبسند رجاله ثقات إلا واحدا قال فيه الحافظ السابق لا أعرفه أن شداد بن أوس
دخل على معاوية وعمرو معه على فراشه فجلس بينهما وقال أتدريان ما أجلسنى بينكما انى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :اذا رأيتموهما جميعا ففرقوا بينهما فوالله ما اجتمعا الا على
غدر . فأحببت أن أفرق بينكما ومر الكلام على هذا الحديث . وجاء بسند فيه ضعيف جدا
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة . ومنها مقاتلة على كرم الله وجهه

للخوارج وأنه الامام العدل بنص ما أخبر به الصادق ﷺ فى هذه القضية مما لايحتمل التأويل. أخرج أبو يعلى بسند صحيح أن أباوائل سئل من هؤلاء القوم الذين قتلهم على، قال لما استحر القتل فى أهل الشام بصفين اعتصم معاوية وأصحابه بجبل فقال له عمرو أرسل لعلى المصحف واسئله الصلح فوالله لا يرده عليكم فأرسل له رجلا يحمله وينادى بيننا وبينكم كتاب الله :ألم ترالى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية فقال نعم بيننا وبينكم كتاب الله وأنا أولى به منكم فجاءت الخوارج وكنا نسميهم يومئذ القراء أسيافهم على عواتقهم وقالوا يا أمير المؤمنين لانمشى لهؤلاء القوم حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقام سهل بن حنيف ونهاهم عن رد الصلح واستدل بقصة الحديبية أن النبى صلى الله عليه وسلم مال الى الصلح دون كثيرين من الصحابة . وكان الخير كل الخير فى الصلح ، ولما لم يسمع لهم على فى رد الصلح خرجوا عليه فارسل يناشدهم الرجوع اليه فاتوا بضعة عشر ألفا أى وسيأتى فى رواية أنهم كانوا أكثر وأخرى انهم كانوا أقل ولعل كلا من الرواة قال ذلك بحسب علمه وناشدهم غير على فقالوا ان قبل الصلح على قاتلناه ولن نقضه قاتلنا معه ثم افترقوا ، فخطب على مستشيرا أنه يسير لمعاوية أو يرجع للخوارج الذين خلفوا إلى ديار بكر ، قالوا بل نرجع لهم . فروى على الحديث المورد فيهم وهو :ان فرقة تخرج عند اختلاف من الناس تقتلهم اقرب الطائفتين الى الحق علامتهم رجل بينهم يده كثدى المرأة ، ثم قاتلهم على بالنهروان واشتد قتالهم له ، فجعلت خيل على لا تثبت فنادى فيهم إن كنتم تقاتلون لى فوالله ما عندى ما أجزيكم وإن كنتم تقاتلون لله فلا يكون هذا فعلكم . فحمل الناس حملة واحدة فانجلت الخيل عنهم وهم منكبون على وجوههم. فأمر على بطلب ذلك الرجل فلم ير ، فقال بعضهم غرنا على بن أبى طالب من إخواننا حتى قتلناهم . فدمعت عين على فدعا بدابته فأتى وهدة فيها قتلى بعضهم على بعض ، فجعل يجر بأرجلهم حتى وجدوا الرجل فيهم ، فاخبروه فقال الله أكبر وفرح وخرج الناس ، ورجعوا ، فقال على :لاأغزو العام ورجع إلى الكوفة ، فقتل على كرم الله وجهه واستخلف الحسن رضى الله عنه ، وسار سيرة أبيه ثم بعث بالبيعة إلى معاوية . وفى رواية صحيحة وبعث الحسن بالبيعة إلى معاوية وكتب بذلك إلى قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج فقام قيس فى الصحابة ، فقال ياأيها الناس أمران لابد لكم من أحدهما ، دخول فى عصبة أو قتل مع غير إمام ، فقال الناس ماهذا ، قال الحسن بن على قد أعطى معاوية البيعة ، فرجع الناس فبايعوا معاوية ، ولم يكن لمعاوية هم إلا الذين هم بالنهروان ، فجعلوا يتساقطون عليه فيبايعون حتى بقى منهم ثلاثمائة ونصف . وينبغى لك أن تتنبه لقول على كرم الله وجهه فى الحديث الذى رواه ، تقتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق . وفى رواية سندها ضعيف ، تقتلهم أولى الطائفتين بالله وأقواهم إلى الله عز وجل ، فانه أثبت لطائفة معاوية قربا إلى الحق . لكون فعلهم ناشئا عن الاجتهاد المثاب عليه ، لا عن العبث المعاقب عليه ، وحينئذ ففيه مدحة كثيرة لمعاوية ،

واعتداد باجتهاده . وإن كان باغيا ، كما صرح به حديث عمار تقتله الفئة الباغية ، بل يأتى قريبا أن معاوية لما نزل له الحسن لم يكن له هم إلا الذين هم بالنهروان ، وأن معاوية شارك عليا فيهم ، فهو بعد على أقرب إلى الحق ، لأنه كان الخليفة إلى أقرب الطائفتين إلى الحق المقتضى لمدح كل منهما بأنه قريب من الحق ، وإنما طائفة على أقرب إليه موافقة لقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما الآية . فسماهم مؤمنين مع قتالهم ردا على من سيزعم أن كل من قاتل عليا كافر وقد اتى صلى الله عليه وسلم فى إعلانه بمدح الحسن رضى الله عنه على المنبر بأن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فاثبت لكل منهما الاسلام كما أثبت تعالى لكل منهما الإيمان وهما أعنى الإيمان والإسلام متلازمان ، من حيث الاعتداد بهما فى الآخرة وبالجملة فلا يمكن شرعا أن يوجد مسلم غير مؤمن ولا عكسه ، ومن آمن بقلبه ولم يتلفظ بلسانه مع قدرته كان كافرا اتفاقا بل قال النووى إجماعا لكن نوزع فيه، وجاء بسند فيه مختلط أن عائشة رضى الله عنها قالت من قتل الخوارج ؟ قالوا على قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقتلهم خيار أمتى وهم شرار أمتى وجاء بسند رجاله ثقات أنها سألت شداد بن الهادى ليالى قتل على عن قصة الخوارج الذين قتلهم على ، لكون أن أهل العراق ذكروا لها عن على أشياء ، كذبوا فيها عليه فأحبت أن تنظر هل الأمر كما زعموا ، ولذا كان شداد كلما حدثنا عن شىء حلفته فيحلف لها ، وحاصل ماذكره شداد أنه لما كاتب على معاوية وحكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قراء الناس فنزلوا بأرض يقال لها حرراء من جانب الكوفة قائلين ، إن عليا انسلخ من قميص كساه الله ، واسم سماه الله به لكونه حكم فى دين الله ولا حكم إلا الله ، فلما بلغه ذلك أمر أصحابه القراء دون غيرهم بالدخول عليه فلما امتلأت الدار بهم ، دعا بمصحف إمام عظيم فوضعه بين يديه ، ثم طفق يصكه بيده ويقول أيها المصحف حدث الناس ، أى إنما فعل ذلك زيادة فى تسفيه الخوارج وإشارة إلى رد قولهم ، بيننا وبينه كتاب الله ، بأن الكتاب لا ينطق وإنما الرجوع إلى العلماء به لا غير ، فنادوه ياأمير المؤمنين ما تسأل منه إنما هو مداد فى ورق ، ونحن نتكلم بما رأيناه فيه ، فقال أصحابكم أوليائى الذين خرجوا أى على ، لاعتراضهم مافعلته من التحكيم ، وقد كانوا من الموالين والناصرين لى ، بينى وبينهم كتاب الله يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل ، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم حرمة أو ذمة من رجل وامرأة ونقموا علىّ أنى كاتبت معاوية ، ثم رد عليهم بكتابته الصلح يوم الصلح بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أهل مكة ، وقد قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ثم أرسل إليهم ابن عباس ، قال شداد وأنا معه ، فلما توسطنا عسكرهم قام فلان فخطبهم ، فقال ياحملة القرآن ، هـذا عبد الله بن عباس ، ثم حذرهم من

اتباعه ـ بأنه من نزل فيه هو وقومه ـ قوم خصمون ، فمكث عندهم ثلاثة أيام ينصحهم حتى رجع منهم أربعة آلاف رجل ، وجاؤا الى على بالكوفة فأرسل على الى بقيتهم قد كان من أمرنا وأمر الناس ، ماقد رأيتم فقفوا حيث شئتم بيننا وبينكم ، أن لا تسفكوا دما حراما ، أو تقطعوا سبيلا أو تظلموا ذمة ، فانكم ان فعلتم قد نبذنا اليكم الحرب على سـواء إن الله لا يحب الخائنين ، ثم لم يقاتلهم حتى فعلوا ذلك كله ، ثم سألته عن الرجل الذى أخبر صلى ﷺ أنه يوجد فيهم واسمه ذو الثدية ، فقال قد رأيته وقمت مع على عليه فى القتلى ، فدعا الناس فقال تعرفون هذا فقال كثيرون نعم رأيناه فى مسجد بنى فلان يصلى ، قالت فما قال حين قام عليه ، قال سمعته يقول صدق الله ورسوله ، قالت فهل قال غير ذلك قال لا ، قالت أجل صدق الله ورسوله ، وذهب أهل العراق يكذبون عليه يزيدون عليه فى الحديث . وصح أن عليا سئل لما قدم البصرة لقتال طلحة وأصحابه أهو بوصية أو عهد من النبى ﷺ له بذلك أو من رأيه حيث تفرقت الأمة واختلفت كلمتها ، فبين أنه من رأيه وأن رسول الله ﷺ لم يوصه بذلك ، أى لم يجعله خليفة بفعل ذلك وغيره ، فلا ينافيه الحديث السابق عنه أنه قال أمرنى رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، مع أنه لم يمت فجاة وانما جلس فى بيته أياما يراسل ، فامر بتقديم أبى بكر لكونه يرى مكانه ، وأن المسلمين بايعوا أبا بكر وأنه بايعه أيضا قال فكنت أغز واذا أغزانى وآخذ اذا أعطانى ، وكنت سوطا بين يديه فى اقامة الحدود ، فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها فى ولده ، فاشار لعمر فبايعه الناس وبايعته معه وكنت آخذ اذا أعطانى وأغز واذا أغزانى وكنت سوطا بين يديه فى اقامة الحدود فلو كانت محاباة عند حضور موته لجعلها فى ولده وكره ان يتخير منا معشر قريش رجلا فيوليه الأمر ، فلا يكون فيه اشارة الا حقية من غيره فاختار ستة أنا منهم فلما اجتمعنا وذهب عبد الرحمن بن عوف يزعمون نصيبه فيها على أن نعطيه مواثيقنا ليختار من الخمسة رجلا يوليه أمر الأمة ، فاعطيناه مواثيقنا فاخذ بيد عثمان فبايعه ، ولقد عرض فى نفسى عند ذلك فلما نظرت فى أمرى فاذا عهدى قد سبق بيعتى ـ فبايعت وسلمت ـ فكنت أغزو إذا أغزانى وآخذ إذا أعطانى ، وكنت سوطا بين يديه فى إقامة الحدود فلما قبض وثب إليها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى ، فكنت أحق بها منه ، ثم سئل عن مخالفة الزبير وطلحة فقال ، بايعانى بالمدينة وخالفانى ، ولو أن رجلا بايع أبا بكر وعمر ثم خالفهما لقاتلناه . وصح أن الخوارج لما اعتزلوا عليا فعزم على مقاتلتهم استأذنه ابن عباس فى الذهاب إليهم لينظر ماينقمونه على على ، فاذن له فجاءهم فناظرهم حتى رجع منهم عشرون ألفا وبقى منهم أربعة آلاف فقتلهم عن آخرهم . فلم ينج منهم إلا دون العشرة والذى نقموه عليه أمور . الأول تحكيمه مع قوله الحكم لله ، فرد عليهم ابن عباس بنظير مامر عن على ، بأن التحكيم قد جاء فى الصيد فى الإحرام وفى الصلح بين الرجل وامرأته فالدنيا أولى ـ فسلموا

الثانى كونه قاتل عائشة وغيرها ـ ولم يسب ولم يغنم ، فردعليهم بأنها أمهم بالنص ، فان أنكروا ذلك كفروا ، وإن استحلوا منها مايستحلونه من غيرها كفروا فسلموا ، الثالث كونه محا نفسه فى الصلح من إمارة المؤمنين . فرد عليهم بانه ﷺ فى صلح الحديبية وافق المشركين فى أنه يمحو ماكتبه على فى كتابه . وهو رسول الله ، فامر بمحوه وقال أنا رسول الله وإن كذبتمونى ، فكذلك على لا يضره ذلك . فسلموا إلا أولئك الأربعة آلاف ، فعزم على قتالهم ، فتوقف بعض أصحاب على ، من كثرة عبادتهم وأن لهم دويا كدوى النحل ، من قراءة القرآن ، فقال على عله لا ينجو منهم عشرة ، أى بل دونها كما مر مبينا ،ولا يقتل منا عشرة ـ فكان الأمر كما قال على رضى الله عنه . وقال أيضا عند عزمه على قتالهم لا يعين لهم من يدعوهم الى كتاب ربهم وسنة نبيهم فيقتلونه ، ثم اعلم الناس بذلك فلم يخرج اليهم الا شاب فأعاد فلم يخرج إلا هو . فأعاد فلم يخرج الا هو ، فأعطاه المصحف فذهب به اليهم فقتلوه . ولما فرغ من قتالهم قال اطلبوا الرجل فاستقصوا فى طلبه حتى وجدوه فى وهدة فى مستنقع ماء . وهو أسود منتن . وله فى موضع يده كالثدى عليه شعرات ، فلما نظر اليه قال صدق الله ورسوله ، فسمع الحسن أوالحسين يقول ،الحمد لله الذى أراح أمة محمد ﷺ من هذه المعضلة . فقال على لو لم يبق من أمة محمد ﷺ الا ثلاثة لكان أحدهم على رأى هؤلاء . إنهم لفى إصلاب الرجال وأرحام النساء .وقد صدق فان منهم الى الآن كثيرين بل لايحصون بعمان على سعة إقليمها وقرية من بلاد المغرب ، وكثير من بلاد الهند جزيرات وغيرها وروى احمد وغيره خبر : إن الخوارج كلاب أهل النار ، فقيل للصحابى راويه الا زارقة وحدها أم الخوارج كلها قال بل الخوارج كلها ، ومن أعظم ذنوبهم أنهم أفرطوا فى بغض على(١) وعنه بسند رجاله ثقات انه قال على المنبر هلك فىّ رجلان محب غال ومبغض قال قال لى رسول الله ﷺ مثلك مثل عيسى ابن مريم أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى تركوه بالمنزلة التى ليست له ،ثم قال هلك فى رجلان محب مطر مفرط بما ليس فى ومبغض مفتر يحمله شنآنى على أن يبهتنى ، ألا إنى لست بنبى ، ولا يوحى الى ، ولكنى أعمل بكتاب

---

(١) الخوارج عشرون فرقة ومنها الازارقة أتباع نافع بن الأزرق وهم أكثر الخوارج عددا وأشدهم شوكة وهم يكفرون مخالفيهم ويجوزون قتل أطفالهم ونسائهم ولهم أمور تخالف المسلمين مما جعل أهل السنة يقولون بكفرهم وقد بايعوا ابن الأزرق على الخلافة وكانوا أكثر من عشرين ألفا ومعهم خوارج اليمامة وعمان فاستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس وكرمان وحاربهم ابن الزبير على يد المهلب ابن أبى صفرة فهزم وقتل نافع ابن الأزرق سنة ٦٥ ويكفرون عليا وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وكل من أذنب ذنبا فهو عندهم كافر مخلد .

الله وسنة نبيه ما استطعت ، فالأمر تكم بطاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما احببتم وكرهتم (١) ومنها ذكر أمــــور وفتن تبعت ماسبق ، واحتيج الى معرفتها لعزة وجودها وخلو الكتب المشهورة عنها .

فمن هذه أنه جاء بسند رجاله رجال الصحيح : أن معاوية رضى الله عنه لما أراد أن يستخلف ولده يزيد كتب إلى عامله بالمدينة أن أوفد إلى من تشاء ، فوفد اليه عمرو بن حزم الانصارى رضى الله عنه . فاستأذن على معاوية فلم يأذن له وأمر حاجبه أن يقول له اطلب ما شئت . فأبى إلا الاجتماع . فاجتمع به بعد أيام فقال له معاوية ما حاجتك؟ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : لقد أصبح ابن معاوية غنيا عن الملك غنيا عن كل خير وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان الله لم يسترع عبدا برعيته الا وهو سائله عنها، ثم أجابه معاوية مابك أمرؤ ناصح قلت برأيك وإنه لم يبق الا ابنى وابناؤهم وابنى أحق من أبنائهم . ثم قال له ماحاجتك قال مالى اليك حاجة. وبسند فيه رجل ضعفه أبو زرعة ووثقه ابن حبان وغيره ورجل . قال الحافظ الهيتمى لاأعرفه: أن معاوية لما حضره الموت قال ليزيد، قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس . ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز فان رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة المرى فانى جربته، فلما بلغ يزيد خلافة ابن الزبير قال لمسلم وقد أصابه الفالج ماذكره أبوه فقاده الجيوش، ثم لما قدم المدينة أباحها ثلاثة أيام ثم دعا إلى بيعة يزيد وأنهم أعبد له فى طاعة الله ومعصيته، فأجابوه إلا واحدا من قريش فقتله، فاقسمت بالله أمه لئن أمكنها الله من مسلم حيا أو ميتا لتحرقنه بالنار ، فلما خرج مسلم من المدينة مات قريبا منها فأتت قبره بأعبد لها فأمرتهم بنبشه من عند رأسه . فلما وصلوا اليه إذا ثعبان قد التوى على عنقه قابضا بأرنبة أنفه يمصها، فخافوا وأخبروها وقالوا قد كفاك الله شره، فأبت وأمرتهم بنبشه من عند رجليه ففعلوا فاذا الثعبان لاو ياذنبه برجليه، فصلت ركعتين ودعت اللهم إن كنت تعلم إنى لما غضبت على مسلم اليوم لك فخل بينى وبينه، ثم تناولت عودا فمضت الى ذنب الثعبان فانسل من مؤخر رأسه فخرج من القبر، ثم أمرت فأخرج من القبر ثم أحرقته بالنار. وبسند فيه متروك أن بعض أولئك العسكر الفسقة دخلوا زمن الحرة على أبى سعيد الخدرى فاخذوا مافى البيت ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا شيئا فأضجعوه. ثم جعل كل يأخذ من لحيته خصلة. وبسند فيه جماعة قال الحافظ المذكور لا أعرفهم أن ابن الزبير كتب إلى ابن عباس رضى الله عنهم ليبايعه فأبى فظن يزيد أن ذلك رعاية له فكتب الى ابن عباس بذلك وبخذلان ابن الزبير وتنفير الناس

---

(٢) وقد قتله الخارجى عبد الرحمن بن ملجم . وكان شغف بحب قطام بنت أخضر التيمية وكان الخليفة قد قتل أباها وأخاها بالنهروان عام ٣٨ . وكانت جميلة فلما سألها ابن ملجم الزواج بها اشترطت فى صداقها قتل سيدنا على فأجابها وقتله عام ٤٠ كما تقدم فى الصواعق من شعر ابن جرير .

عنه وأنه أعنى يزيد يحسن جائزة ابن عباس ، فكتب اليه ابن عباس وأطال فى سبه وتقبيحه وأنه لم يمتنع من مبايعة ابن الزبير لرجاء جائزة يزيد ولا معرفة لحقه وأنه لا يدعو أحدا إلى يزيد ولا يخذل أحدا عن ابن الزبير، وأن يزيد يحبس عنه بره وصلته لكون ابن عباس حابسا عنه وده ونصره ، ثم أطال فى الحط على أبيه بما صنع فى استلحاق زياد وعلى يزيد بما استباح به حرمة آل البيت حتى قتل حسينا وكثيرين من أهل البيت وسبى ذراريهم واستباح حرمة المدينة المكرمة المعظمة وحرمة أهلها حتى أباح العظائم فيها بالقتل والنهب فيها أياما (١) وبسند فيه من وثقه ابن حبان وغيره وضعفه أبو زرعه وغيره ، أن معاوية رضى الله عنه لما مات أظهر ابن الزبير سب يزيد ، ثم دعا لنفسه فوجه يزيد مسلم بن عقبة فى جيش وأمره بقتال أهل المدينة ثم أهل مكة فساروا واستباح المدينة أياما ثم سار لمكة فاحس بالموت فاستخلف حصينا الكندى وقال له ، يا ابن برذعة الحمار احذر خداع قريش ولا تعاملهم الا بالنفاق، فوصل مكة ثم قاتل ابن الزبير بها اياما وضرب ابن الزبير فسطاطا فى المسجد فيه نساء يداوين الجرحى ويقمن بمصالحهم، فقال حصين لا يزال يخرج علينا من هذا الفسطاط أسد كأنما يخرج من عرينه فمن يكفينيه ؟ فقال رجل من أهل الشام أنا فلما جن الليل وضع شمعة فى طرف رمحه ثم طعن بها الفسطاط فاحترق ثم احترقت الكعبة وما فيها . قرنا كبش إسحق أى بناء على أنه الذبيح وهو ماعليه الأكثرون، لكن صح الخبر بأنه اسمعيل، ثم بلغ قوم يزيد موته فهربوا، ولما مات دعا مروان إلى نفسه فأجابه أهل حمص والأردن فسير اليه ابن الزبير جيشا حافلا ائه ألف ، ومروان يومئذ فى فئة قليلة من بنى أمية ومواليهم فكثر خوفهم فقال مروان لمولى له : هؤلاء بين مكره ومشاجر. ولا يقفون للقتال فاحمل عليهم فانكسروا وقتل أميرهم، ثم مات مروان فدعا ولده عبد الملك لنفسه فاجابه أهل الشام فخطب ثم قال من لابن الزبير منكم، فقال الحجاج أنا يا أمير المؤمنين فانى رأيت أنى انتزعت جبة فلبستها ، فعقد له وجاء مكة وقاتل ابن الزبير بها ، وكان ابن الزبير قال لأهل مكة احفظوا هذين الجبلين . فانكم لن تزالوا أعزة ما حفظتموهما فقصروا فلم يلبثوا أن ظهر الحجاج بمن معه على أبى

---

(١) ذكر أبو بكر ابن العربى فى العواصم أن معاوية ترك الأفضل فى أن يجعل الخلافة شورى وعدل إلى ولاية يزيد وعقد له البيعة فبايعه الناس وانعقدت بيعته . لأنها تنعقد بواحد وقيل باثنين . ويزيد أهل لذلك . وليس للخلافة سن مخصوص . وهو رجل ليس مسلوب العدالة . وإن كان هناك من هو أحق بالامامة من يزيد . فان إمامة المفضول جائزة على الاختلاف فيها . ثم ذكر ما رواه البخارى : عن ابن عمر ، أنه لما خلع أهل المدينة يزيد جمع حشمه وولده وقال : إنى سمعت رسول الله يقول « ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة » وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله . وإنى لا أعلم عذرا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال . والحق كما قال السعد . أن خروج الحسين عليه لجور يزيد وقبحه وأنه كان محقا فيه . فانه لا يحرم الخروج على الإمام الجائر إلا بعد استقرار الأحكام .

قبيس فنصب عليه المنجنيق ورمى به ابن الزبير فى المسجد فلما كان يوم قتله دخل على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم وهى يومئذ بنت مائة سنة ولم يسقط لها سن ولا فسد لها بصر، فسألته عن القوم فبين لها محلهم وقال : إن فى الموت لراحة فذكرت إن الأحب اليها أن لا يموت حتى يملك فتقر عينها أو يقتل فتحتسبه عند الله، ثم ودعها فوصته على أن لا يعطى تهاونا مخافة القتل، فخرج عنها ودخل المسجد فقيل ألا نفتح لك الكعبة فأبى ثم دخلت عليه فرق من أبواب المسجد يتعاقبون ، فذهب الى كل منهم وأخرجهم ثم وقع فتمالئوا عليه وحزوا رأسه رضى الله عنه. وصح ما حاصله أنه قال ماشيء كان يقوله كعب الا رأيناه الا قوله ان فتى ثقيف يقتلنى، فهذه رأسه بين يديه، يعنى المختار ثم قتله الحجاج فكان كما قال كعب وفى رواية فى سندها من قال الحافظ الهيثمى لا أعرفهم أن سبب قتله أنه توجه لإخراج فرقة من أولئك الفرق فوقعت شرافة من شراريف المسجد على رأسه فصرعته فتمكنوا منه حينئذ. وصح أن الحجاج صلبه لتراه قريش فصارت قريش يمرون عليه فلا يقفون إلا ابن عمر فوقف وسلم وذكر أنه كان ينهاه عن أن يؤول به الحال الى هذا، ثم قال لقد كان صواماً قواما يصل الرحم فبلغ ذلك الحجاج فامر بانزاله وأن يرمى فى قبور اليهود . وكان مراده باليهود مطلق المشركين أو انه كان يمر بالحرم يهود فمات بعضهم ودفن فيه، ثم ارسل لأمه وقد عميت أن تأتيه فأبت، فارسل يغلظ عليها فأبت فقام اليها وهو يتوقد فقال، كيف رأيت صنع الله بعده، ولدك وقالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك ، ثم ذكرت له أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن فى ثقيف مبيرا وكذابا فأما الكذاب أى وهو المختار فقد رأيناه وأما المبير فانت ذاك فخرج. وفى رواية انها قالت له بعد ثلاثة أيام أما آن لهذا الراكب أن ينزل، قال هذا المنافق، قالت لا والله ما كان منافقا ولقد كان صواماً قواما . قال اسكتى فانك عجوز قد خرفت ،قالت ما خرفت وذكرت الحديث. وفى رواية قال أنا مبير للمنافقين ؟ وصح أنه لما قتل الزبير مثل به ثم دخل على أمه فأنكرت عليه، فنال منه قالت كذبت يا عدو الله وعدو المسلمين لقد قتلت صواما قواما برا بوالديه حافظا لهذا الدين ثم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من ثقيف كذابان الآخر أشر من الأول وهو المبير وما هو إلا أنت ياحجاج فقال صدق رسول الله ﷺ وصدقت أنا المبير أبير المنافقين. ومنها جاء بسند حسن عن عمر رضى الله عنه قال قال ولد لأخى أم سلمة زوج النبى ﷺ غلام سموه الوليد . فقال ﷺ سميتموه باسماء فراعنتكم ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشر على هذه الأمة من فرعون لقومه، ورواه الحرث بن أبى أسامة مرسلا إلى سعيد بن المسيب : ولفظه ولد لأخى أم سلمة غلام فسموه الوليد فدخلوا على النبى ﷺ فقال أسميتموه، قالوا نعم سموه الوليد ،فقال مه مه اسمه عبد الرحمن سميتموه باسم فراعنتكم ليكونن فى أمتى رجل يقال له الوليد لهو أشر لأمتى من فرعون لقومه، قال عبد الرحمن بن

عمرو فقلت لسعيد بن المسيب، أي الوليد هو ،قال ان استخلف الوليد بن يزيد فهو هو وإلا فالوليد بن عبدالملك. وبسند فيه راولم يسم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليرعفن على منبرى هذا جبار من جبابرة بنى أمية فيسيل رعافه، لحدثنى من رأى عمرو بن سعيد بن العاص رعف على منبر رسول الله ﷺ حتى سال رعافه على درج المنبر. وبسند فيه عطاء بن السائب وقد تغير أى اختلط، أن مروان سب الحسين بن على رضى الله عنهما وكرم الله وجههما سبا قبيحا حتى قال والله انكم أهل بيت ملعونون، فغضب الحسين وقال لئن قلت هذا فوالله لقد لعنك الله على لسان نبيه ﷺ وأنت فى صلب أبيك، فسكت مروان. وبسند رجاله رجال الصحيح عن ابن الزبير رضى الله عنهما أنه قال: ورب هذه الكعبة لقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانا وما ولد من صلبه. وفى رواية للبزار لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. وبسند رجاله ثقات أن مروان لما ولى المدينة كان يسب عليا على المنبر كل جمعة ثم ولى بعده سعيد بن العاص فكان لا يسب ثم أعيد مروان فعاد للسب وكان الحسن يعلم فسكت ولا يدخل المسجد إلا عند الاقامة، فلم يرض بذلك مروان حتى أرسل للحسن فى بيته بالسب البليغ لأبيه وله، منه ما وجدت مثلك الا مثل البغلة يقال لها من أبوك فتقول أبى الفرس، فقال للرسول ارجع اليه فقل له والله لا امحو عنك شيئا مما قلت بانى اسبك ولكن موعدى وموعدك الله فان كنت كاذبا فالله أشد نقمة، قد أكرم جدى أن يكون مثلى مثل البغلة، فخرج الرسول فلقى الحسين فاخبر بذلك السب بعد مزيد تمنع وتهديد من الحسين ان لم يخبره فقال بل!!! ويتامل بابيك وقومك وآية ما بينى وبينك أن تمسك منكبيك من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى رواية انه اشتد جدا على مروان قول الحسين أن تمسك منكبيك الخ. وجاء بسند حسن انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون رجلا منهم مسيلمة، اى تنسب دعوته النبوة الى دعوته، وهذا إنما كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا فى حياته، والعنسى والمختار، وشر العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. وصح قال الحاكم على شرط الشيخين عن ابى برزة رضى الله عنه قال: كان أبغض الأحياء أو الناس الى رسول الله ﷺ بنو أمية. وبسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا ففيه ضعف أنه صلى الله عليه وسلم قال: إذا بلغ بنو فلان وفى رواية عند البزار اذا بلغ بنو ابى العاص ثلاثين رجلا كان دين الله دخلا ومال الله دولا وعباد الله خولا. وبسند رجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال: ليدخلن الساعة عليكم رجل لعين، فوالله ما زلت اتشوف داخلا وخارجاً حتى دخل فلان يعنى الحكم كما صرحت به رواية احمد. وبسند قال الحافظ الهيثمى فيه من لم أعرفه، ان الحكم مر على النبى ﷺ بالحجر فقال ويل لأمتى مما فى صلب هذا. وبسند حسن أن مروان قال لعبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما، انت الذى نزل فيك والذى قال لوالديه اف لكما الآية، فقال له عبد الرحمن كذبت ولكن رسول الله ﷺ لعن

أباك، وبسندرجاله رجال الصحيح الا أن فيه انقطاعا انه ﷺ قال لا يزال امر امتى قائما بالقسط حتى يثلمه وفى رواية حتى يكون أول من يثلمه رجل من بنى أمية يقال له يزيد. نعم روى أبو بكر بن أبى شيبة وأبو يعلى أن يزيد لما كان امير الشام غزا المسلمون فحصل لرجل جارية نفيسة فأخذها منه يزيد فاستعان الرجل بأبى ذر، فمشى معه اليه وأمره بردها ثلاث مرات وهو يتلكأ، فقال أما والله لئن فعلت فقدسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول من يبدل سنتى لرجل من بنى أمية، ثم ولى فتبعه يزيد فقال أذكرك بالله أنا هو فقال لاأدرى وردها يزيد، ولاينافى هذا الحديث المذكور المصرح بيزيد، إما لأنه بفرض كلام أبى ذر على حقيقته، لكون أبى ذر لم يعلم بذلك المبهم، فقوله لا أدرى أى فى علمى، وقد بين إبهامه أى فى الرواية الأولى والمفسر يقضى على المبهم، وإما لأن أبا ذر علم أنه يزيد، ولكنه لم يصرح له بذلك خشية الفتنة لا سيما وأبو ذر كان بينه وبين بنى أمية أمور تحملهم على أنهم ينسبونه إلى التحامل عليهم ـ وبسند ضعيف عن عبد الله قال لكل شىء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية. وبسند فيه رجل قال الحافظ الهيثمى لا أعرفه أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون خليفة هو وذريته من أهل النار. وبسند فيه ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم سارّ عليا ثم رفع رأسه كالفزع فقال: قرع الخبيث الباب بسيفه، فقال انطلق يا أبا الحسن فقده كما تقاد الشاة إلى حالبها، فذهب اليه وأخذ بأذنه ولهازمه جميعا حتى وقف بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فلعنه نبى الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا، ثم قال لعلى أجلسه ناحية حتى راح الى النبى صلى الله عليه وسلم ناس من المهاجرين والأنصار، ثم دعا به صلى الله عليه وسلم فقال إن هذا يخالف كتاب الله وسنة نبيه ويخرج من صلبه من يبلغ دخانه ـ أى الفتنة على حد. حتى توارت أى الشمس، كناية عن اتحاد فتن يعم العالم ضررها ـ فقال رجل من المسلمين صدق الله ورسوله هو أقل من أن يكون منه ذلك، قال بلى وبعضكم يومئذ من يتبعه، وبسند فيه مستور وبقية رجاله ثقات أن الحكم استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم فعرفه فقال ائذنوا له فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وما يخرج من صلبه يشرفون فى الدنيا ويترذلون فى الآخرة وذوو مكر وخديعة إلا الصالحين منهم وقليل ما هم. وبسند فيه ابن لهيعة وحديثه حسن أن مروان دخل على معاوية فى حاجة وقال إن مؤنتى عظيمة أصبحت أبا عشرة وأخا عشرة وعم عشرة، ثم ذهب فقال معاوية لابن عباس، وكان جالسا معه على سريره، أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا بلغ بنو أبى الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا آيات الله بينهم دولا وعباد الله خولا، وكتابه دخلا، فاذا بلغوا سبعة وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من كذا، قال اللهم نعم، ثم تذكر مروان حاجة فأرسل لها ولده عبد الملك لمعاوية فلما كلمه فيها فأدبر، قال معاوية لابن عباس، أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال، أبو الجبابرة الأربعة قال اللهم نعم. وبسند رجاله رجال

الصحيح إلا واحدا فثقة أنه صلى الله عليه وسلم رأى كأن بنى الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتغيظ وقال مالى رأيت بنى الحكم ينزون على منبرى نزو القردة، قال أبو هريرة فما رؤى ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى لقى الله. وبسند فيه متروك أنه ﷺ قال : رأيت بنى الحكم يتعاورون منبرى فساءنى ذلك فأوحى الله إلىّ إنما هى دنيا أعطوها فسرنى ذلك . وبسند فيه مختلف فيه أن عليا كرم الله وجهه قال فى غلام ثقيف أى الحجاج، إنه لا يبقى بيتا من العرب إلا أدخله ذلا ، قيل كم يملك قال عشرين ان بلغ-أى أطيلت إمارته - فكان الأمر قريبا من ذلك ، فهذا من كرامات على الباهرة ، وبسند فيه من نسب للوضع وقال ابن عدى لا بأس به ،إن لبنى العباس رايتين أحداهما كفر والأخرى ضلالة فان أدركتهما فلا تضل - وبسند فيه ضعيف - أنه صلى الله عليه وسلم قال مالى ولبنى العباس شقوا على أمتى ، وسفكوا دماءهم وألبسوهم ثياب السواد ألبسهم الله ثياب النار . وبسند فيه من اتهم بالكذب . سيخرج رايتان من قبل المشرق لبنى العباس أولهما مثبور وآخرهما مثبور لا تنصروهم لا نصرهم الله من مشى تحت راية من راياتهم أدخله الله تعالى جهنم ؛ ألا إنهم شرار خلق الله وأتباعهم شرار خلق الله، يزعمون أنهم منى، ألا إنى برىء منهم ، وهم منى برآء . علامتهم يطيلون الشعور ويلبسون السواد فلا تجالسوهم فى الملا ولا تبايعوهم فى الأسواق ، ولا تهدوهم الطريق . ولا تسقوهم الماء . وبسند فيه من وثقه أحد وضعفه النسائى وغيره أن أبا أيوب وضع وجهه على القبر المكرم فأنكر عليه مروان ، فقال له أتدرى ماتصنع قال نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه غير أهله ، أى يعرض بذلك . لولاية مروان المدينة . وبسند صحيح إنى أتخوف على أمتى ست خصال إمارة الصبيان الحديث - وفى رواية إمارة السفهاء - وصح أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة ، أعاذك الله من إمارة السفهاء . قال أمراء يكونون بعدى لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى الحديث. وصح بلفظ هلاك أمتى على يد أغيلمة من سفهاء قريش . وفى رواية عند أبى بكر بن أبى شيبة أن مروان سأل أبا هريرة أن يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته يقول: يوشك يتمنى رجل آل إليه هذا الأمر أنه خر من الثريا وأنه لم يل منه شيئا . فقال زدنا فقال هلكة هذه الأمة على فئة من قريش ، فقال مروان بئس الغلمان هؤلاء - ومنها صح أنه صلى الله عليه وسلم قال : طوبى لمن قتلهم أى الخوارج أو قتلوه - وروى أبو يعلى أنه قال لعبد الله بن أبى أوفى الصحابى رضى الله عنه ، السلطان يظلم الناس ويفعل بهم فغمزت القائل غمزة شديدة وقال عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان الأعظم يسمع منك فأخبره فى بيته ، فان قبل منك وإلا فدعه ، لأنك لست بأعلم منه . وروى الحرث بن أبى أسامة أن أبا أمامة لما رأى سبعين رأسا من رؤس الحرورية منصوبة بدرج دمشق بكى ، فقيل له ما يبكيك قال رحمة لهم إنهم كانوا من أهل الإسلام . وما يصنع إبليس بأهل الإسلام ثلاثا

ثم قال كلاب جهنم ثلاث مرات ، ثم شر قتلى قتلت تحت أديم السماء ثلاث مرات ، ثم روى قوله ﷺ إن هــذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار إلا السواد الأعظم . فقيل له يا أبا أمامة ألا ترى ما يصنع السواد الأعظم اى ولاة الإسلام ، قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم ، وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ ، ثم قال السمع والطاعة خير من المعصية والفرقة ، ثم بين انه سمع ذلك كله من النبى ﷺ - وروى ابو يعلى والبزار ان عليا قال على المنبر ،عهد الى النبى ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . وهؤلاء هم الخوارج لأنهم كانوا من عسكره ، ثم استولى عليهم الشيطان حتى خرجوا عليه ونقموا عليه أشياء هم كاذبون مفترون عليه فيها . فقتلهم اشر قتلة . ومنها صح انه ﷺ قال تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين الحديث ، ومر مع الكلام عليه ، وصح عن على كرم الله وجهه قال . سبق النبى ﷺ وثنى ابو بكر وثلث عمر ثم خطبتنا فتنة فما شاء الله . وفى رواية فى سندها ضعيف وانقطاع انه ذكر النبى ﷺ فاثنى عليه ثم ابا بكر فاثنى عليه ثم قال : بعد الثلاثين اصرف وجهك حيث شئت فانك لن تصرفه الا عــلى عجز او فجور . وصح حديث تنقض عرى الإسلام عروة عروة فكلما نقضت عروة تشبث النــاس بالتى تليها فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة ، وفى حديث رواته ثقات ، نعوذ بالله من رأس الستين ، وفى رواية من سنة ستين ومن إمارة الصبيان ، ولا تذهب الدنيا حتى تصير للكع بن لكع . وفى حديث سنده حسن إلى مائة سنة يبعث الله ريحا باردة طيبة يقبض بها روح كل مؤمن . واستدل به على أن الصحابة لا يبقى منهم أحد بعد مائة سنة ، وفى رواية فى سندها ابن لهيعة وحديثه حسن . لكل أمة أجل وإن أجــل أمتى مائة سنة فاذا مر على أمتى مائة سنة أتاها ماوعدها الله . أى من الفتن والبدع العظام - وكان الأمر كذلك - وفى حديث رواه أبو يعلى لا تذهب الليالى والأيام حتى يقوم القائم فيقول . من للعاونية بكف من الدراهم!!! وعنده أيضا أن معاوية رضى الله عنه جاءه كتاب عامله يخبره بأن أكثر القتل فى الترك . والقسمة منهم فغضب ، ثم أرسل إليه أن لا يعود لذلك حتى يأمره ، فقيل له لم يا أمير المؤمنين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الترك تجلى العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم فأكره قتالهم لذلك - وجاء بسند رواته ثقات أن أبا رمانة مولى عبد العزيز توكأ فى مسجد رسول الله صــلى الله عليه وســلم على رجلين عظيمين زيد بن حسن وأبى بكرة بن الجهم ، فأنكر ذلك بعض الصحابة ، وروى عن النبى صــلى الله عليه وســلم لن تذهب الدنيا حتى تكون للكع بن لكع ، وفى خبر رواته ثقات ألا ليمنعن أحدكم هيبة الناس أن يقول الحق إذا رآه وشهده ، فانه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق ، قال أبو سعيد فحملنى ذلك على أن ركبت إلى معاوية فملأت أذنيه ثم رجعت - وروى أبو يعلى أن أبا ذر كان نائما بالمسجد ، فضربه ﷺ برجله ، ثم قال له كيف تصنع إذا أخرجوك منه ، قال ألحق بأرض الشام فانها

أرض المحشر والأرض المقدسة ، قال كيف تصنع اذا أخرجوك منها ، قال أرجع الى مهاجرى قال وكيف تصنع اذا أخرجوك منه ، قال آخذ بسيفى فأضرب به ، قال أفلا تسمع خيرا من ذلك ، تسمع وتطيع وتنساق حيث ساقوك ، ثم قال والله لألقين الله وأنا سامع مطيع لعثمان ، وإنما قال ذلك لأنه كان بينه وبين عثمان شيء . وفى حديث ضعيف ، الأمر بالعزلة إذا بايع الناس لأمرين لأن الزمن حينئذ زمن فتنة وقد أمرنا فى زمن الفتنة أن نعتزل عنها ما أمكننا ، ولأجل هذا اعتزل جماعة من الصحابة عليا ومعاوية ، لكن بعض معتزلى على ظهر لهم من الاحاديث أنه الإمام الحق فندموا على التخلف عنه ، كما مر ومنهم سعد بن أبى وقاص فانه اعتزل بأهله واشترى ماشية فأنكر عليه ولد عمر . فروى له حديث انها ستكون فتنة خير الناس فيها التقى الخفى . فكن يابنى كذلك ، ثم ذهب عنه وطلب مروان بعض بنى الصحابة أن يقاتل معه فقال . إن أبى وعمى شهدا بدرا فعهدا إلى أن لا أقاتل مسلما وإن جئتنى ببراءة من النار قاتلت معك ، فقال اذهب ووقع فيه وسبه ، وهذا آخر ما تيسر إيراده مما أرجو أن ينفع الله به المسترشدين ، ويهدى به الحائرين ، والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه أجمعين وآله وأصحابه وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين آمين؟

خاتمه الطبع

تم بحمده تعالى طبع الكتابين ـ الصواعق المحرقة ـ وتطهير الجنان ـ للعلامة المحدث الفقيه ، أحمد بن حجر الهيتمى ، وقد سلك فيهما مسلك الإنصاف ، وقضى بالعدل فرفع الخلاف ، وذكر من مناقب الصحابة وأهل البيت ما أوجبه عليه حبه لهم ، حتى إنه رضى لنفسه أن يذكر فى مناقبهم شيئا من الروايات الواهيات ، والأخبار المعللة التى لا يستقيم لها متن ، وإن صح بها الإسناد ، وقد طهر الله جنانه ولسانه ، فذكر عن معاوية ما يليق بجنابه ويتناسب مع صحبته فأصاب وأجاد ، ضاعف الله أجره ونفع بعلمه .

غير أنى وجدت عند مراجعة أصول الكتابين ، ومصادر نقول المؤلف فيهما كثيرا من الأخطاء العلمية فى جميع النسخ التى طبعت منهما ، وكثيرا من التحريفات التى تقلل من فائدة الكتابين ، ففيها أخطاء فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والجمل والتراكيب وأسماء الرواة والأسانيد . فبذلت الجهد فى إصلاحها فى طبعتنا الجديدة ، ولم أسلك مسلك المعاصرين بالنص على أخطاء النسخ المطبوعة على هامش الطبعة الجديدة ، فان ذلك تشويش على القارىء ، وحياة وتاريخ وتسجيل للخطأ الذى يجب أن ينسى حتى لا يتوارث ، وكان ذلك بعد القطع بالصواب من مراجعة أصول المؤلف والكتب التى عزا اليها ، وما كان من العبارة

التى تحتمل الصحة ولو بوجه فقد تركتها على ماهى عليه ، حملا لها على مايقع من الأساليب العلمية والتعبيرات التى غلبت على الفقهاء ، ومما يجدر بنا ذكره عملا بواجب النصيحة أن نذكر بعض هذه الاخطاء ، حتى لا يقع فيها من اعتمد النقل من تلك النسخ المطبوعة وفاء بحق الأمانة وتقريظا لنسختنا الجديدة فما وقع فى النسخ المطبوعة خطأ وأصلحناه هنا ما يأتى :

كتب فيها ـ وأتبعناهم ذرياتهم . وصواب الآية : ألحقنا بهم ذريتهم ـ وفى ضمن الحديث مستندون رجاء الحرب ، والصواب : ستدورن رحى الحرب ـ والجملة : بسند فيه مجهول وهو ليرجحه فى ذلك . والصواب : وهو لا يكون حجة فى ذلك ـ والجملة : أنه تترس فى باب الحصن عن نفسه . والصواب : تناول بابا من الحصن ـ حصن خيبر . فترس به عن نفسه ـ وقول الشاعر : عذيرى من خليلى . والصواب عذيرك من خليلك ـ والجملة : أسد السنة معاوية والصواب : أسد السنة عن معاوية . والكلمات : الأصلح والصواب الأجلح ـ وأثالة . والصواب أثاثة ـ وجهبان والصواب جهان ـ وبن قائد . والصواب بن فائد ـ وأزدج . والصواب . أذرح ـ وجريو . والصواب خربوذ ـ ونظام بيتن . والصواب : قطام بيتنا ـ والمحصن . والصواب . المحض ـ والخالصى . والصواب الخالص وشرحبيل . والصواب . شراحيل ومثل ذلك كثير . يقارب المائة .

وكذلك ظهر لى بعد الاطلاع على هذه الطبعة الجديدة أنه وقعت بعض أخطاء صورية لم يتنبه لها ملاحظ المطبعة ، وأكثرها مما يستقل القارىء الفطن بإصلاحها بقرينة السياق والسباق . كحقيّة فانها وقعت حقيقة ونحو ذلك ، وهو شىء قليل . فأردت استدراكها بذكر التصويباب ، ليتم الانتفاع والتحرير . وأسأل الله العلى القدير ، أن يغفر لى ذنبى ، وأن يطهر جنانى ولسانى ، وأن يلحقنى بأهل بيته الكريم ، فى جنات النعيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم آمين

كتبه

عبد الوهاب عبد اللطيف الحسينى نسبا
الأشعرى عقيدة المالكى مذهبا
المدرس بكلية الشريعة بالأزهر

فى منتصف شهر رمضان المعظم سنة ١٣٧٥ هـ

التصويبات فى الصواعق

ص	س	الخطأ	الصواب
١٩	٢ه	والعباس	والعباسى
١٠٨	٢٧	بن قائد	بن فائد
١٢٠	١ه	الحاء	الخاء
١٣٣	١١	نظام بيّن	قطام بيّنا
١٦٨	١٧	إلى المَودة	إلا المودة
١٨٢	٥	مأثما	مأتما
١٩٣	١٨	زراعيه	ذراعيه
٢٠٦	٤ه	الحسن	الحسين

التصويبات فى التطهير

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	٣	نزّل	نزّل
١٤	٦ه	ويشب	ويثبت
١٥	٦	الصيح	الصحيح
٢٠	١٢	بصة	بصحة

فهرس كتاب الصواعق المحرقة

الصفحة — الموضوع

فهرس كتاب تطهير الجنان واللسان

تم فهرس الكتاب والحمد لله

الطبعة الثانية

رقم الايداع ٧٢٩٠ / ١٩٩٦

I.S.B.N. 977 - 5437 - 12 -1

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

حقوق الطبع والنشر والتوزيع

مكتبة القاهرة

الازهر ـ ص.ب ٩٤٦

العتبة ـ القاهرة

جمهورية مصر العربية